



الجزء الثاني



قلائد الذهب
في الحكمة والأدب

أضواء على مسرح الحياة

الرحلة

منارات من الأدب العالمي

الحكم والمواعظ
على السنة الحيوانات

بحوث ومقالات
من فضاء السبعينات

بقلم

الأزرق بن علو

مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة

مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة

الجزء الثاني



الأزرق بن علُو

مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة

الجزء الثاني

مقتطفات من الكتب التالية:

- * قلائد الذهب في الحكمة والأدب .
- * أضواء على مسرح الحياة.
- * الرحلة .
- * منارات من الأدب العالمي.
- * الحكم والمواعظ على ألسنة الحيوانات.
- * بحوث ومقالات من فضاء السبعينات.

الناشر

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

المالك والمدير العام العقيد شبرين ثابت

اسم الكتاب: مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة - الجزء الثاني

اسم المؤلف: الأزرق بن علو

سنة النشر: 2014 م

رقم الإيداع: 2007/21954 م

الترقيم الدولي: 4 - 09 - 6240 - 977 - 978 .

الناشر

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

المالك والمدير العام العقيد شيرين ثابت

E-Mail: modern_qubaa@hotmail.com

www.qubaaelhadetha.com

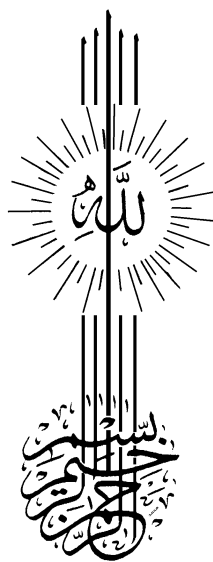
الإدارة: (10) شارع محمد السيد - النهضة الجديدة - القاهرة

تليفاكس: 26205602

محمول: 01223140315 - 01223171722

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

٢٠١٣ م



الفهرس



رقم الصفحة

الموضوع

.....	قلائد الذهب في الحكمة والأدب
.....	* المقدمة
.....	* من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم
.....	* مقتطفات من إنجيل مَتَّى
.....	* مقتطفات من سفر تثنية الإشتراع
.....	* مقتطفات من سفر الحكمة للنبي سليمان عليه السلام
.....	* من أفكار وتعاليم الحكيم الصيني لاو تسي
.....	* من مأثور كلام الحكيم كونفوشيوس
.....	* من تعاليم الحكيم الصيني شوانغ تسي
.....	* حكم ومواعظ من الهند القديمة
.....	* حول مصر القديمة
.....	* من أفكار باسكال
.....	* من الأدب الألماني

.....	أضواء على مسرح الحياة
.....	* المقدمة
.....	* الحياة
.....	* الإنسان ، الناس
.....	* المال والثروة
.....	* النجاح ، الحظ ، الأمل

الموضوع	رقم الصفحة
* معتقدات ، مبادئ ، آراء	
* العدالة والقانون	
* الخير والشر	
* الطبيعة ، المبدأ والمنتهى	

الرحلة	
* المقدمة	
* إبراهيم ولوط ، عليهما السلام	
* موسى ، عليه السلام	
* سقراط	
* الفيلسوف المتقشف	
* المسيح (عليه السلام)	
* الاسكندر المقدوني	
* حنبل	
* يوليوس قيصر	
* شكسبير	
* فرنسيس بيكون	
* مونتيسكيو	
* فولتير	
* جان جاك روسو	
* سنوحي	
* من حكايات كانتربيري	
* من مسرحيات شكسبير	

- * مَوْتٌ أُولَيْفِي بِيكَايَ
- * الهندوسية
- * من مبادئ الكاثوليكية
- * الكنيسة الأرثوذكسية
- * نبيُّ المومون
- * الماسونية
- * نحن ... وغبار النجوم

منارات من الأدب العالمي

- * المقدمة
- * الفلسفة علاج النفس
- * المقدمة حياة القناعة والرضى
- * الحياة السعيدة
- * تأملات حول الحياة والموت
- * الأرملة والجندي
- * حديث النفس
- * التسلية والترويح عن النفس
- * أخلاق وعادات هذا العصر
- * العشاء
- * ميكروميغا
- * الملك آرتور وفرسان المائدة المستديرة
- * الإنسان
- * مقالات عن الشعر المسرحي

الموضوع رقم الصفحة

* رسالة عن النقد الأدبي

* مقدمة لشكسبير

* الرجال قوامون

الحكم والمواعظ على أسنة الحيوانات

* المقدمة

القسم الأول

* إيسوب الحكيم اليوناني

* نخبة من حكايات إيسوب

القسم الثاني

* لافونتان

* نخبة من حكايا لافونتان

القسم الثالث

* حكم ومواعظ دونها أحمد شوقي أمير الشعراء على

أسنة الحيوانات

القسم الرابع

* من حكايات كلية ودمنة (*)

(*) يمكن للقارئ متابعة حكايات كلية ودمنة في كتابي «الحكم والمواعظ على أسنة الحيوانات» الذي أخذت منه هذه المؤلفات .

..... منارات من الأدب العالمى
القسم الأول

- العقل السليم فى الجسم السليم
- المشاعر والصحة

القسم الثانى

- انطباعات حول التربية والتعليم

القسم الثالث

- لماذا نجح اليهود فى أمريكا؟
- المجتمع الأمريكى
- المرأة: رفض قوانين التناسل الطبيعية
- الرجل : نريد زوجات طائعات
- من حياة السود فى أمريكا:
- الحلقة السادسة والأخيرة

القسم الرابع

- دور النفط ومستقبله
- السياسة المالية والضغط الدبلوماسى
- هيئة الأمم المتحدة وقضية السلم والتعاون
- الولايات المتحدة والمجموعة الاقتصادية الأوروبية
- أضواء على نظام النقد الدولى

- بعض عوامل التنمية الاقتصادية
- *****

القسم السادس

- تصور الإنسان لبدنه وتأثير ذلك على تصرفاته
- مشاهدة أفلام العنف وتأثير ذلك على الجمهور
- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان



قلائد الذهب في الحكمة والأدب



المقدمة



انتشر الفساد في البر والبحر، وفي الأنهار والغابات والجبال، وفي القطبين وطبقات الهواء العليا، وشمل حياة النبات والحيوان . وقد يؤدي فساد الإنسان وجشعه وأنانيته إلى تدمير ما صنعه الطبيعة خلال مئات ملايين السنين ، في قرون قليلة . ويذكرنا هذا بقول الملائكة في التنزيل الحكيم ، عندما أبلغهم الله بأنه سيخلق كائناً جديداً فوق هذا الكوكب :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة - الآية 30

ثم بعث الله الأنبياء والرسل، وكان خاتمهم الرسول الكريم ﷺ، بالهدى ودين الحق ، فجاء بالكتاب المقدس ، القرآن العظيم ، ليصلح بعض ما أفسده البشر ، ويصحح علاقات العباد بخالقهم، ويعالج علاقات البشر وسلوكهم ومعاملاتهم اليومية فيما بينهم:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ . سورة آل عمران - الآية 164

أجل جاء الرسول الكريم ليعلم الناس الكتاب والحكمة ، وكان أول
وحي نزل عليه يأمره بأن يقرأ :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمُ ﴾ . سورة العلق - الآيات 1 - 5

وأمر الرسول الكريم بأن يبلغ رسالة ربه بالحكمة والموعظة
الحسنة، وأن يجادل الناس بالتتي هي أحسن وليس بالعنف والقوة كما
يزعم بعض المغرضين:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . سورة النحل - الآية 125

ومن فضائل الدين الحنيف أنه أكد بكل وضوح بأن الناس إخوة،
لا يفضل مسلم على مسلم بماله أو سلطانه أو لونه.. بل جعل المعيار
الوحيد هو التقوى والاستقامة والالتزام بشرائع الله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

سورة الحجرات - الآية 13

_____ فلائذ الذهب في الحكمة والأدب _____

يسمع المسلمون عن حوارات بين الحضارات ، وعن لقاءات بين رجال العقائد المختلفة، فيستبشرون خيراً آمليين أن يتعمق التعارف والتفاهم والتعاون بين الشعوب من أجل الحد من الفساد والنزاع والحروب والدمار الذي يسلطه الأقوياء على الضعفاء.

ومن جهة أخرى يسمع المسلمون ويقرأون عن اتهامات كاذبة ومغرضة، يلفقها أشخاص ومؤسسات ، بهدف الإساءة إلى عقيدة المسلمين. والواقع أن هؤلاء المعتدين والمفسدين قلة. والأسباب التي تدفعهم إلى الإساءة إلى الدين الحنيف، وإلى الرسول المصطفى الكريم مختلفة، منها:

- الجهل جهلاً مطبقاً بتعاليم الدين الحنيف.
- الكراهية والتعصب الأعمى.
- استغلال عقول البسطاء وعامة الناس لنيل الشهرة.
- الترويج لمبادئ وأفكار معادية للإسلام.
- السعي لتحقيق أهداف استعمارية من أجل السيطرة على منابع الثروات.

وقد جمعت في هذا الكتاب عدداً من آيات الذكر الحكيم، آيات بينات أنزلها الله على لسان النبي المصطفى الكريم (ﷺ)، توضح جوانب من فضائل الإسلام، وما جاء به من أخلاق إنسانية شاملة فيها

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

عبر وحكم. وهذه الأخلاق الفاضلة التي يدعو إليها الإسلام تدحض مزاعم المغرضين وتكذب اتهاماتهم.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

صدق الله العظيم

* * * * *

من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم

الصدق ، الوفاء بالعهود ، احترام المواعد



إنه لمن المؤسف حقاً أن يلاحظ المسلم في المعاملات اليومية، في الأسواق، والأحياء السكنية، وحتى ضمن أفراد الأسرة، أن نسبة كبيرة من المسلمين لا يلتزمون بما جاء به الذكر الحكيم من الأخلاق الفاضلة والإستقامة في السلوك . ويلاحظ المرء هذه المخالفات، قبل كل شيء، في مجال صدق القول واحترام المواعد، والوفاء بالعهود .

ومن الآيات البينات التي حثت المسلم على الإلتزام بهذه الصفات:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

سورة النحل - الآية 91

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . سورة آل عمران - الآية 77

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا
بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . سورة البقرة - الآية 224

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

سورة النحل - الآية 94

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا
كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ . سورة البقرة - الآية 225

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا
عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . سورة المائدة - الآية 89

* * * * *

العدل ، الأمانة



ومن أخلاق المؤمن الصادق أن يقول كلمة الحق ولو على نفسه وأهله وأقاربه ، وأن يحكم بالعدل ، وألا يشهد شهادة كاذبة ، فيغطي الحق بالباطل ، وأن يحافظ على الأمانة حتى يردها إلى أهلها .

ومن الآيات البينات التي تأمر بهذا السلوك الرشيد :

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

سورة البقرة - الآية 42

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ . سورة النساء - الآية 135

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

سورة النحل - الآية 90

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ . سورة المائدة - الآية 8

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ . سورة النساء - الآية 58

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ . سورة الأنعام - الآية 152

* * * * *

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



سلوك المسلم في هذا المجال من أساسيات الأخلاق التي حث عليها الذكر الحكيم . غير أن كثيراً من الناس لا يهتمون بهذا العمل الإجتماعي لهداية من ضل وإصلاح ما اعوج . والواقع أن الظروف الاجتماعية تجعل من الصعب على المرء أن يتدخل لتغيير المنكر بيده أو بلسانه ، وأصبح الشعار السائد «لا يضرركم من ضل إذا اهتديتم».

ومن الآيات الكريمة التي عالجت هذا الموضوع :

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

سورة آل عمران - الآية 104

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ . سورة آل عمران - الآية 110

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ . سورة لقمان - الآية 17

* * * * *

المزيد من صفات المؤمنين



وأُسجل فيما يلي مجموعة من آيات الذكر الحكيم التي جمعت بعض صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم مثل التعاون في ميدان البر والتقوى، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر عند الابتلاء، وبذل المال في سبيل الله دون تبذير ولا إسراف. وجميع هذه الصفات تأتي بعد التأكيد على أركان الإيمان وقواعد الإسلام :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

— فَلَائِدُ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)
أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥)
خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا .

سورة الفرقان - الآيات 63 إلى 76

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ
جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ .

سورة آل عمران - الآيات 134 إلى 136

﴿الَّذِينَ يُوَفُّونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)﴾ وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ
لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ (٢٢)﴾ . سورة الرعد - الآيات 20 إلى 22

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ . سورة البقرة - الآية 177

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

سورة التوبة - الآيات 71

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣٦) . سورة النساء - الآيات 36

_____ فلائذ الذهب في الحكمة والأدب —

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥)
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ .

سورة البقرة - الآيتان 45 - 46

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢) .

سورة المائدة - الآية 2

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١١٩) . سورة المائدة - الآية 119

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ .

سورة الأعراف - الآية 199

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨)﴾ .

سورة البلد - الآيات 11 - 18

* * * * *

فعل الخير، بذل المال في سبيل الله



يحثُّ الذكر الحكيم المسلم على الإحسان إلى الفقراء والمساكين ،
وبذل المال في سبيل الله ، ويورد تفاصيل بينات لأبواب البر وفعل
الخير .. ويذمُّ، بل ويعد من يكتزون الذهب والفضة (وأنواع الرزق
العصرية) بعذاب شديد، هذا إذا لم يتصدقوا، ويؤدوا واجبات الزكاة
في مواعيدها. ومن الآيات البينات التي تعالج هذا الموضوع ما يلي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا
أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ
بَآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ .

سورة البقرة - الآية 267

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ .

سورة البقرة - الآية 274

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٥٤) .

سورة البقرة - الآية 254

﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠) . سورة المنافقون - الآية 10

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٦٢) . سورة البقرة - الآية 262

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩) . سورة الإسراء - الآية 29

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُزَّةٍ﴾ (١) الذي جمع مالا وعدده (٢) يحسب أن ماله أخذه (٣) كلاً لينبذن في الحطمة (٤) .

سورة الهمزة - الآيات 1 - 4

* * * * *

لِمَنْ تَقْدَمُ الصَّدَقَاتُ ؟



﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٠) . سورة التوبة - الآية 60

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى
وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا
تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٢) .

سورة النور - الآية 22

﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٨)
﴿ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ (٩) .

سورة الإنسان - الآيتان 8 - 9

* * * * *

الإنفاق ابتغاء مرضات الله، ليس رياء الناس، ولا يتبعه أذى



﴿قُلْ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَلِيمٌ﴾ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى
كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى
شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ
بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ .

سورة البقرة - الآيات 263 - 265

وينصح الذكر الحكيم الإنسان بأن يلتزم في إنفاقه بالاعتدال وأن
يتوخى الإحسان من غير تفريط ولا إفراط :

﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ

— فَلَإِنَّ الذَّهَبَ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ
كَفُورًا (٢٧) ﴿ . سورة الإسراء - الآيتان 26 - 27

﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾ .

سورة البقرة - الآية 195

* * * * *

بر الوالدين



شدّد الإسلام على الإحسان إلى الأبوين وطاعتهما (فى غير معصية الله)، وجاءت التوصية بهما مباشرة بعد الأمر بعبادة الله وحده:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾ .

سورة الإسراء - الآيتان 23 - 24

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)﴾ . سورة الأحقاف - الآية 15

فلأند الذهب في الحكمة والأدب

﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ .

سورة لقمان - الآيات 13 - 15

* * * * *

الزواج والطلاق والإحسان في معاملة المرأة



بالزواج يكتمل دين الرجل والمرأة ، ويجد كلُّ منهما ما كان ينقصه من مودة وسكينة ورحمة وتعاون وأنس، وبذلك تبدأ الأسرة مسيرتها ليحقق سنة الطبيعة . وفي الذكر الحكيم آيات بينات تقنن العلاقات بين الزوجين، وتبحث على حسن معاملتها ، وتوصي بمراعاة حقوق المرأة واحترام أموالها :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) .

سورة الروم - آية 21

﴿وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . سورة النساء - آية 19

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٣٢) . سورة النساء - آية 32

— فَلَإِنَّ الذَّهَبَ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ .

سورة البقرة - الآية 237

﴿وَأِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ .

سورة النساء - الآية 128

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾

سورة البقرة - الآية 228

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلِيَسْتَعْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِياتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)﴾ . سورة النور - الآيتان 32 - 33

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢١) . سورة البقرة - الآية 221

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُم إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٢١) . سورة النساء - الآيتان 20 - 21

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٣٧) . سورة البقرة - الآية 237

﴿وَالْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٤١) .

سورة البقرة - الآية 241

— فَلَإِنَّ الذَّهَبَ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ . سورة البقرة - الآية 231

* * * * *

من الأوامر الأخلاقية للمؤمنات



﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ
أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ
نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ
أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) . سورة النور - الآية 31

* * * * *

مال اليتيم



لقد حث القرآن الكريم على الإحسان إلى اليتيم ورعايته والمحافظة على ماله، ووعد من يعتدى على حقوقه بعذاب شديد. وفيما يلي بعض الآيات عن الموضوع فيها موعظة وعبرة :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢٠) . سورة البقرة - الآية 220

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٣٤) .

سورة الإسراء - الآية 34

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠) . سورة النساء - الآية 10

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ .

سورة النساء - الآية 6

* * * * *

وحرم الله الفواحش



ومن الأفعال القبيحة والفواحش المنكرة التي نهى الذكر الحكيم عنها لما تلحق بالأسرة والمجتمع من أضرار مادية ومعنوية، ولما تشتمل عليه من تعدٍ على الأخلاق الفاضلة: الزنا، والخمر، والقمار، والربا، وتناول لحم الخنزير .. وأوضحت الآيات البيّنات أن عقابها عند الله شديد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ (٩٠)﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)﴾ .

سورة المائدة - الآيتان 90 - 91

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ .

سورة الأعراف - الآية 33

* * * * *

وأحلَّ الله البيع وحرم الربا



﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾ .

سورة البقرة - الآيتان 275 - 276

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)﴾ . سورة آل عمران - الآية 130

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ (٣٩)﴾ .

سورة الروم - الآية 39

* * * * *

حسن التصرف في المال



المال أمانة لدى المؤمن ، وقد أوصاه الله بأن يحسن التصرف،
وينفق منه في أعمال البرّ والإحسان ، وأن يكون معتدلاً في تصرفاته،
وأن يتجنب الإسراف والبخل، وأن يتجنب كذلك المنّ والرياء والتظاهر
والمفاخرة، وحرّم الله الرشوة، ورغب في الإنفاق في الخير بأن جعل
الحسنة بعشر أمثالها :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٩٢) . سورة آل عمران - الآية 92

﴿وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (٣٨) .

سورة النساء - الآية 38

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ
خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

سورة آل عمران - الآية 180

﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٣٧) .

سورة النساء - الآية 37

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠) . سورة النساء - الآيتان 29 - 30

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لْتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٨) .

سورة البقرة - الآية 188

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) . سورة الأنعام - الآية 160

* * * * *

مقتطفات من إنجيل مَتَّى

عظة يسوع الكبرى



السعادة الحق:

فلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ ، صَعِدَ الْجَبَلَ وَجَلَسَ ، فَدَنَا إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ فَشَرَعَ يُعَلِّمُهُمْ قَالُ:

«طُوبَى لِفُقَرَاءِ الرُّوحِ

فَإِنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ .

طُوبَى لِلْوُدَّعَاءِ

فَإِنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ .

طُوبَى لِلْمَحْزُونِينَ ، فَإِنَّهُمْ يُعَزَّوْنَ .

طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ

فَإِنَّهُمْ يُشْبَعُونَ .

طُوبَى لِلرَّحَمَاءِ ، فَإِنَّهُمْ يُرَحَّمُونَ .

طُوبَى لِأَطْهَارِ الْقُلُوبِ

فَإِنَّهُمْ يُشَاهِدُونَ اللَّهَ .

طوبى للسَّاعِينَ إِلَى السَّلَامِ

فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ .

طوبى لِلْمُضْطَّهَدِينَ عَلَى الْبِرِّ

فَإِنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ .

طوبى لكم، إِذَا شَتَمُوكُمْ وَاضْطَّهَدُوكُمْ وَافْتَرَوْا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَذِبٍ مِنْ أَجْلِي، اِفْرَحُوا وَابْتَهِجُوا: إِنَّ أَجْرَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ عَظِيمٌ، فَهَكَذَا اضْطَّهَدُوا الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِكُمْ .

ملح الأرض ونور العالم :

«أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ، فَإِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ، فَأَيُّ شَيْءٍ يُمْلَحُهُ؟ إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يُطْرَحَ فِي خَارِجِ الدَّارِ فَيَدُوسَهُ النَّاسُ» .

«أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لَا تَخْفَى مَدِينَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلَا يُوقَدُ سِرَاجٌ وَيُوضَعُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ، فَيُضِيءُ لْجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. هَكَذَا فَلْيُضِيءْ نُورُكُمْ لِلنَّاسِ، لِيَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الصَّالِحَةَ، فَيُحْمَدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ .

يسوع والشرعية

«لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَبْطِلَ الشَّرِيعَةَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ: مَا جِئْتُ لِأَبْطِلَ، بَلْ لِأَكْمِلَ» .

الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : لَنْ يَزُولَ حَرْفٌ أَوْ نَقْطَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ حَتَّى يَتِمَّ

كُلُّ شَيْءٍ، أَوْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ . فَمَنْ خَالَفَ وَصِيَّةً مِنْ أَصْغَرِ تِلْكَ
الْوَصَايَا وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَهُ، عُدَّ الصَّغِيرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ .
وَأَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ بِهَا وَيُعَلِّمُهَا فَذَاكَ يُعَدُّ كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ .

البر القديم والبر الجديد

«فإني أقول لكم : إن لم يزد برُّكم على برِّ الكتبة والفريسيين، لا
تدخلوا ملكوت السموات .

سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلأَوَّلِينَ: «لَا تَقْتُلْ، فَإِنَّ مَنْ يَقْتُلْ يَسْتَوْجِبُ حُكْمَ
القضاء». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: مَنْ غَضِبَ عَلَى أَخِيهِ اسْتَوْجَبَ حُكْمَ
القضاء، وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: «يَا أَحْمَقُ» اسْتَوْجَبَ حُكْمَ الْمَجْلِسِ، وَمَنْ قَالَ
لَهُ: «يَا جَاهِلٌ» اسْتَوْجَبَ نَارَ جَهَنَّمَ. فَإِذَا كُنْتَ تَقْرُبُ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ
وَذَكَرْتَ هُنَاكَ أَنَّ لَأَخِيكَ عَلَيْكَ شَيْئًا، فَدَعْ قُرْبَانَكَ هُنَاكَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ،
وَإِذْهَبْ أَوَّلًا فَصَالِحْ أَخَاكَ، ثُمَّ عُدْ فَقَرِّبْ قُرْبَانَكَ. سَارِعْ إِلَى إِرْضَاءِ
خَصْمِكَ مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ، لِيَلَّا يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِيِ
وَالْقَاضِيِ إِلَى الشَّرْطِيِّ، فَتُلْقَى فِي السِّجْنِ . الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: لَنْ تَخْرُجَ
مِنْهُ حَتَّى تُؤَدِّيَ آخِرَ فِلَسٍ.

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: «لَا تَزْنِ». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: مَنْ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ
بَشَهْوَةٍ، زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِذَا كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى سَبَبَ عَثْرَةٍ لَكَ،
فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، فَلَأَنْ يَهْلِكَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ
يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ . وَإِذَا كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى سَبَبَ عَثْرَةٍ لَكَ،
فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، فَلَأَنْ يَهْلِكَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ
يَذْهَبَ جَسَدُكَ كُلُّهُ إِلَى جَهَنَّمَ».

«وقد قيل: «مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلَّاقٍ». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، إِلَّا فِي حَالَةِ الْفَحْشَاءِ عَرَّضَهَا لِلزَّنى، وَمَنْ تَزَوَّجَ مُطَلَّقةً فَقَدْ زَنَى.

«سَمِعْتُمْ أَيْضًا أَنَّهُ قِيلَ لِلأَوَّلِينَ: «لَا تَحْنُثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ بِأَيْمَانِكَ»، أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا أَبَدًا، لَا بِالسَّمَاءِ فَهِيَ عَرْشُ اللَّهِ، وَلَا بِالْأَرْضِ فَهِيَ مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلَا بِأُورُشَلِيمَ فَهِيَ مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلَا تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ فَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً مِنْهُ بَيَضاءَ أَوْ سَوْداءَ. فَلْيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، وَلَا لَا. فَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ مِنَ الشَّرِّيرِ.

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: «الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوِمُوا الشَّرِّيرَ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَاكِمَكَ لِيَأْخُذَ قَمِيصَكَ، فَاتْرِكْ لَهُ رِداءَكَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ أَنْ تَسِيرَ مَعَهُ مِيلاً وَاحِداً، فَسِرْ مَعَهُ مِائِلَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ اسْتَقْرَضَكَ فَلَا تُعْرِضْ عَنْهُ.

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: «أَحَبُّ قَرِيبِكَ وَأَبْغَضُ عَدُوِّكَ». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِ مُضْطَهِّدِكُمْ، لِتَصِيرُوا بَنِي أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِأَنَّهُ يُطْلِعُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالْأَخْيَارِ، وَيُنْزِلُ الْمَطَرَ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ. فَإِنْ أَحَبَبْتُمْ مَنْ يُحِبُّكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَوَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَانِكُمْ وَحَدَثَهُمْ، فَأَيُّ زِيَادَةٍ فَعَلْتُمْ؟ أَوَلَيْسَ الْوَشَّيُونَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ، كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ السَّمَاوِيِّ كَامِلٌ.

الصدقة

«إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِرَّكُمْ بِمَرَأَى مِنْ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوا إِلَيْكُمْ، فَلَا يَكُونَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. فَإِذَا تَصَدَّقْتَ فَلَا يُنْفَخْ أَمَامَكَ فِي الْبُوقِ. كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاوُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَالشُّوَارِعِ لِيُعَظَّمَ النَّاسُ شَأْنَهُمْ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ ، فَإِذَا تَصَدَّقْتَ ، فَلَا تَعْلَمْ شِمَالُكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، لِتَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخُفْيَةِ، وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخُفْيَةِ يُجَازِيكَ.

الصلاة

«وَإِذَا صَلَّيْتُمْ، فَلَا تَكُونُوا كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ الصَّلَاةَ قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَمُلْتَقَى الشُّوَارِعِ، لِيَرَاهُمُ النَّاسُ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ، فَإِذَا صَلَّيْتَ فَادْخُلْ حُجْرَتَكَ وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَهَا وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخُفْيَةِ، وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخُفْيَةِ يُجَازِيكَ. وَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تُكَرِّرُوا الْكَلَامَ عَبَثًا مِثْلَ الْوَتْنِيِّينَ، فَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ إِذَا أَكْثَرُوا الْكَلَامَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ، لِأَنَّ آبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ.

الصلاة الربّية

«فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَذِهِ الصَّلَاةَ :

أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ

لِيُقَدِّسَ اسْمُكَ

لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ

لِيَكُنْ مَا تَشَاءُ

فِي الْأَرْضِ كَمَا فِي السَّمَاءِ

أَرْزُقْنَا الْيَوْمَ خُبْزَ يَوْمِنَا

وَأَعْفِنَا مِمَّا عَلَيْنَا

فَقَدْ أَعْفَيْنَا نَحْنُ أَيْضًا مَنْ لَنَا عَلَيْهِ

وَلَا تُعَرِّضْنَا لِلتَّجَرُّبَةِ

بَلْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ

فَإِنْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَاتِهِمْ

يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُمْ السَّمَاوِيِّ

وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ

لَا يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُمْ زَلَاتِكُمْ.

الصوم

«وَإِذَا صُمْتُمْ فَلَا تُعْبِسُوا كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يَكَلِّحُونَ وُجُوهَهُمْ، لِيُظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ صَائِمُونَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ، فَإِذَا صُمْتَ، فَادْهِنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ، لِكَيْ لَا يَظْهَرَ لِلنَّاسِ

فَلَا تُدْهِبِ الْكَوْثَرَ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

أَنْتَ صَائِمٌ، بَلْ لِأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخُفْيَةِ، وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخُفْيَةِ يُجَازِيكَ.

الكنز الحقيقي

«لَا تَكْنِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ كُنُوزًا فِي الْأَرْضِ، حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالْعُثَّةُ، وَيَنْقُبُ السَّارِقُونَ فَيَسْرِقُونَ. بَلْ اكْنِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لَا يُفْسِدُ السُّوسُ وَالْعُثَّةُ، وَلَا يَنْقُبُ السَّارِقُونَ فَيَسْرِقُوا. فَحَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ يَكُونُ قَلْبُكَ.

العين سراج الجسد

«سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ سَلِيمَةً، كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَورًا. وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ مَرِيضَةً، كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ مُظْلِمًا. فَإِذَا كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلَامًا، فَيَا لَهُ مِنْ ظَلَامٍ!

الله والمال

«مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ لِسَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا وَيُحِبَّ الْآخَرَ، وَإِمَّا أَنْ يَلْزِمَ أَحَدَهُمَا وَيَزْدَرِيَ الْآخَرَ. لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعْمَلُوا لِلَّهِ وَلِلْمَالِ.

العناية الإلهية

«لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يُهْمَكُمُ لِلْعِيشِ مَا تَأْكُلُونَ وَلَا لِلْجَسَدِ مَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَعْظَمُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَعْظَمُ مِنَ اللِّبَاسِ؟ أَنْظَرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ كَيْفَ لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَخْزُنُ فِي

الأهراء، وأبوكم السماوي يرزقها . أفلستم أنتم أتمن منها كثيراً؟ ومن منكم، إذا اهتم، يستطيع أن يضيف إلى حياته مقدار ذراع واحدة؟

«ولماذا يهتمكم اللباس؟ إعتبروا بزنايق الحقل كيف تنمو، فلا تجهد ولا تغزل. أقول لكم إن سليمان نفسه في كل مجده لم يلبس مثل واحدة منها. فإذا كان عشب الحقل، وهو يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور، يلبسه الله هكذا، فما أحرأه بأن يلبسكم، يا قليلي الإيمان!

«فلا تهتموا فتقولوا: ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟ فهذا كله يسعى إليه الوثنيون، وأبوكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذا كله. فاطلبوا أولاً ملكوته وبره تزدادوا هذا كله. لا يهتمكم أمر الغد، فالغد يهتم بنفسه. ولكل يوم من العناء ما يكفيه.

لا تدن قريبك بل نفسك

«لا تدينوا لئلا تدينوا، فكما تدينون تدينون، ويكال لكم بما تكيلون. لماذا تنظر إلى القذى الذي في عين أخيك؟ والخشبة التي في عينك أفلا تأبه لها؟ بل كيف تقول لأخيك: «دعني أخرج القذى من عينك؟» فما هي ذي الخشبة في عينك. أيها المرأى، أخرج الخشبة من عينك أولاً، وعندئذ تبصر فتخرج القذى من عين أخيك.

صون الأشياء المقدسة

«لا تعطوا الكلاب ما هو مقدس، ولا تلقوا لؤلؤكم إلى الخنازير، لئلا تدوسه بأرجلها، ثم تتردد إليكم فتمزقكم.

الله يحسن الاستجابة لنا

«إِسْأَلُوا تُعْطُوا . أُطْلِبُوا تَجِدُوا ، إقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ . لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَنَالُ ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحْ لَهُ . مَنْ مِنْكُمْ إِذَا سَأَلَهُ ابْنُهُ رَغِيْفًا أَعْطَاهُ حَجْرًا ، أَوْ سَأَلَهُ سَمَكَةً أَعْطَاهُ حَيَّةً ؟ فَإِذَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ الْأَشْرَارَ تَعْرِفُونَ أَنَّ تُعْطُوا الْعَطَايَا الصَّالِحَةَ لِأَبْنَائِكُمْ ، فَمَا أَوْلَى أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ بِأَنْ يُعْطِيَ مَا هُوَ صَالِحٌ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ !

القاعدة المثلى

«فَكُلُّ مَا أَرَدْتُمْ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ لَكُمْ ، إِفْعَلُوهُ أَنْتُمْ لَهُمْ : هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ .

الطريقان

«أَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ . فَإِنَّ الْبَابَ رَحْبٌ وَالطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْهَلَاكِ وَاسِعٌ ، وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهُ كَثِيرُونَ . مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَحْرَجَ الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَالَّذِينَ يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ قَلِيلُونَ .

قل الحق ولا تخف

«لَا تَخَافُوهُمْ إِذَا ! فَمَا مِنْ مَسْتُورٍ إِلَّا سَيُكْشَفُ ، وَلَا مِنْ مَكْتُومٍ إِلَّا سَيُعْلَمُ . وَالَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ ، قُولُوهُ فِي وَضَحِ النَّهَارِ . وَالَّذِي تَسْمَعُونَهُ يُهْمَسُ فِي آذَانِكُمْ ، نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ .

لا السلام بل السيف

«لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَحْمِلَ السَّلَامَ إِلَى الْأَرْضِ ، مَا جِئْتُ لِأَحْمِلَ سَلَامًا بَلْ سَيْفًا :

جَبَّتْ لَأُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ
وَالْبِنْتِ وَأُمِّهَا، وَالْكَنَّةِ وَحِمَاتِهَا.
فَيَكُونُ أَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ.

النصح الأخوي

«إِذَا خَطِيئَ أَخَوُكَ، فَادْهَبْ إِلَيْهِ وَانْفَرِدْ بِهِ وَوَبِّخْهُ. فَإِذَا سَمِعَ لَكَ،
فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ لَكَ فَخُذْ مَعَكَ رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ، لِكَيْ
يُحْكَمَ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ بِنَاءً عَلَى كَلَامِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. فَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ
لَهُمَا، فَأَخْبِرِ الْكَنِيسَةَ بِأَمْرِهِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ لِلْكَنِيسَةِ أَيْضًا، فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ
كَالْوَثْنِيِّ وَالْعَشَّارِ.

«الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَا رَبَطْتُمْ فِي الْأَرْضِ رُبُطًا فِي السَّمَاءِ، وَمَا
حَلَلْتُمْ فِي الْأَرْضِ حُلًّا فِي السَّمَاءِ.

صلاة الجماعة

«وَأَقُولُ لَكُمْ: إِذَا اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ فِي الْأَرْضِ عَلَى طَلَبِ أَيِّ حَاجَةٍ
كَانَتْ، حَصَلًا عَلَيْهَا مِنْ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. فَحَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ
ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي، كُنْتُ هُنَاكَ بَيْنَهُمْ».

الصفح عن القريب

فَدَنَا بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «يَا رَبِّ، كَمْ مَرَّةً يَخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَغْفِرَ لَهُ؟
أَسَبْعَ مَرَّاتٍ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَا أَقُولُ لَكَ: سَبْعَ مَرَّاتٍ، بَلْ سَبْعِينَ مَرَّةً
سَبْعَ مَرَّاتٍ.

الخدام القليل الشفقة

«لِذَلِكَ مِثْلُ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ كَمِثْلِ مَلِكٍ أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ خَدَمَهُ. فَلَمَّا شَرَعَ فِي مُحَاسِبَتِهِمْ أَتَى بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافٍ وَزَنَةِ. وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يُؤَدِّي بِهِ دَيْنَهُ، فَأَمَرَ مَوْلَاهُ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَأَوْلَادُهُ وَجَمِيعُ مَا يَمْلِكُ لِیُؤَدِّيَ دَيْنَهُ. فَجَثَا لَهُ الْخَادِمُ سَاجِدًا وَقَالَ: «أَمْهَلْنِي أُؤَدِّ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ». فَأَشْفَقَ مَوْلَى ذَلِكَ الْخَادِمِ وَأَطْلَقَهُ وَأَعْفَاهُ مِنَ الدَّيْنِ. وَلَمَّا خَرَجَ ذَلِكَ الْخَادِمُ لَقِيَ خَادِمًا مِنْ أَصْحَابِهِ مَدِينًا لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ. فَأَخَذَ بَعْنَقَهُ يَخْنُقُهُ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: «أَدِّ مَا عَلَيْكَ». فَجَثَا صَاحِبُهُ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ فَيَقُولُ: «أَمْهَلْنِي أُؤَدِّهِ لَكَ». فَلَمْ يَرْضَ، بَلْ ذَهَبَ بِهِ وَأَلْقَاهُ فِي السَّجَنِ إِلَى أَنْ يُؤَدِّيَ دَيْنَهُ. وَشَهِدَ أَصْحَابُهُ مَا جَرَى فَاغْتَمُّوا كَثِيرًا، فَمَضَوْا وَأَخْبَرُوا مَوْلَاهُمْ بِكُلِّ مَا جَرَى. فَدَعَاهُ مَوْلَاهُ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْخَادِمُ الشَّرِيرُ، ذَاكَ الدَّيْنُ كُلُّهُ أَعْفَيْتُكَ مِنْهُ، لِأَنَّكَ سَأَلْتَنِي. أَفَمَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرْحَمَ صَاحِبَكَ كَمَا رَحِمْتُكَ أَنَا؟» وَغَضِبَ مَوْلَاهُ فَدَفَعَهُ إِلَى الْجَلَادِينَ، حَتَّى يُؤَدِّيَ لَهُ كُلَّ دَيْنِهِ. فَهَكَذَا يَفْعَلُ بِكُمْ أَبِي السَّمَاوِيِّ، إِنْ لَمْ يَغْفِرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لِأَخِيهِ مِنْ صَمِيمِ قَلْبِهِ».

الزواج المسيحي والعفاف

وَلَمَّا أَتَمَّ يَسُوعُ هَذَا الْكَلَامَ، تَرَكَ الْجَلِيلَ وَجَاءَ بِلَادَ الْيَهُودِيَّةِ عِنْدَ عِبْرِ الْأُرْدُنِّ. فَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، فَشَفَاهُمْ هُنَاكَ.

فَدَنَا إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَرِيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُ لِيُحْرِجُوهُ: «أَيَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ

يُطْلَقُ امْرَأَتَهُ لِأَيَّةٍ عَلَّةٍ كَانَتْ؟ فَأَجَابَ: «أَمَّا قَرَأْتُمْ أَنَّ الْخَالِقَ مُنْذُ الْبَدْءِ جَعَلَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى وَقَالَ: لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْزَمُ امْرَأَتَهُ وَيَصِيرُ الْاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا؟

فلا يكونان اثنين بعد ذلك، بل جسد واحد. فما جمعه الله فلا يُفَرِّقُهُ الْإِنْسَانُ». فَقَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَمَرَ مُوسَى أَنْ تُعْطَى كِتَابَ طَلَاقٍ وَتُسَرَّحَ؟ قَالَ لَهُمْ: «مِنْ أَجْلِ قِسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ رَخَّصَ لَكُمْ مُوسَى فِي طَلَاقِ نِسَائِكُمْ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ مُنْذُ الْبَدْءِ هَكَذَا. أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، إِلَّا لِفَحْشَاءٍ، وَتَزَوَّجَ غَيْرَهَا فَقَدْ زَنَى».

فَقَالَ لَهُ التَّلَامِيذُ: «إِذَا كَانَتْ حَالَةُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ هَكَذَا، فَلَا خَيْرَ فِي الزَّوْاجِ». فَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا الْكَلَامُ لَا يَفْهَمُهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، بَلِ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ. فَهُنَاكَ خَصَيَّانُ وَلِدُوا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَهُنَاكَ خَصَيَّانُ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَهُنَاكَ خَصَيَّانُ خَصَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْهَمَ فَلْيَفْهَمْ!».

يسوع والأطفال

وَأَتَوْهُ بِأَطْفَالٍ لِيَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَيُصَلِّيَ، فَاَنْتَهَرَهُمُ التَّلَامِيذُ. فَقَالَ يَسُوعُ: «دَعُوا الْأَطْفَالَ، لَا تَمْنَعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيَّ، فَإِنَّ لَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ». ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ.

الشاب الغني

وَإِذَا بَرَجُلٌ يَدْنُو فَيَقُولُ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ مِنْ صَالِحٍ لِأَنَالَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟» فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصَّالِحِ؟ إِنَّمَا الصَّالِحُ

فَلَاذِ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

واحد. فإذا أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ، فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». قَالَ لَهُ: «أَيَّ وَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ:

«لَا تَقْتُلْ، لَا تَزْنِ، لَا تَسْرِقْ، لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ»
و«أَحِبِّ قَرِيبَكَ حُبَّكَ لِنَفْسِكَ».

قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذَا كُلُّهُ قَدْ حَفِظْتُهُ، فَمَاذَا يَنْقُصُنِي؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا، فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْوَالَكَ وَأَعْطِهَا لِلْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ فَاتَّبِعْنِي». فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ هَذَا الْكَلَامَ، انْصَرَفَ حَزِينًا لِأَنَّهُ كَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ.

خطر الغنى

فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: يَعْسُرُ عَلَى الْغَنِيِّ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. وَأَقُولُ لَكُمْ: لِأَن يَمُرَّ الْجَمَلُ مِنْ ثَقَبِ الْإِبْرَةِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ الْغَنِيُّ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ». فَلَمَّا سَمِعَ التَّلَامِيذُ هَذَا الْكَلَامَ دَهَشُوا دَهْشًا شَدِيدًا وَقَالُوا: «مَنْ تَرَاهُ يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُصَ؟» فَحَدِّقْ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَّا النَّاسُ فَهَذَا شَيْءٌ يُعْجِزُهُمْ، وَأَمَّا اللَّهُ فَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

جزاء من يبذل في سبيل يسوع

فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «هَا قَدْ تَرَكْنَا نَحْنُ كُلُّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ، فَمَاذَا يَكُونُ مَصِيرُنَا؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبِعُونِي، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى عَرْشِ مَجْدِهِ عِنْدَمَا يُجَدِّدُ كُلَّ شَيْءٍ،

تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ عَرْشًا، لِتَدِينُوا أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ
الْاثْنَيْ عَشَرَ. وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بَيْوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوْ بَنِينَ
أَوْ حُقُولًا لِأَجْلِ اسْمِي، يَنَالُ مِائَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ.

«وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ يَصِيرُونَ آخِرِينَ، وَمِنْ الْآخِرِينَ أَوَّلِينَ.

طلب أم ابني زبدي

فَدَنَّتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنَيْ زَبْدَى وَمَعَهَا ابْنَاهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ تَسْأَلُهُ حَاجَةً.
فَقَالَ لَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ: «مُرَّ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هَذَانِ أَحَدُهُمَا
عَنْ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ فِي مَلَكُوتِكَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «إِنَّكُمَا لَا
تَعْلَمَانِ مَا تَسْأَلَانِ: أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَأَشْرِبُهَا؟» قَالَا لَهُ:
«نَسْتَطِيعُ». فَقَالَ لَهُمَا: «أَمَّا كَأْسِي فَسَوْفَ تَشْرَبَانِهَا، وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ
يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَيْسَ لِي أَنْ أَمْنَحَهُ، بَلْ هُوَ لِلَّذِينَ أَعَدَّهُ لَهُمْ أَبِي».

السلطة خدمة

وَسَمِعَ الْعَشْرَةُ ذَلِكَ الْكَلَامَ فَاسْتَاوُوا مِنَ الْأَخَوِينَ. فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ
إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ: «تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهَا، وَأَنَّ أَكَابِرَهَا
يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهَا. فَلَا يَكُنْ هَذَا فِيكُمْ، بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ كَبِيرًا فِيكُمْ،
فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلَ فِيكُمْ، فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا:
هَكَذَا ابْنُ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ، بَلْ لِيُخْدَمَ وَيَفْدِيَ بِنَفْسِهِ جَمَاعَةَ
النَّاسِ».

شفاء أعميين في أريحا

وبينما هم خارجون من أريحا، تبعه جمع كثير. وإذا أعميان جالسان على جانب الطريق، فلما سمعا أن يسوع مار من هناك صاحوا: «رحمك يا رب، يا ابن داود!» فانتهرهما الجمع ليسكتا. فصاحا أشد الصياح: «رحمك يا رب، يا ابن داود!» فوقف يسوع ودعاهما وقال: «ماذا تريدان أن أصنع لكما؟»، قالا له: «يا رب، أن تفتح أعيننا». فأشفق يسوع عليهما، ولمس أعينهما، فأبصرا لوقتتهما وتبعاه.

يسوع في أورشليم

يسوع يدخل أورشليم

ولما قربوا من أورشليم، ووصلوا إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون، حينئذ أرسل يسوع تلميذين وقال لهما: «اذهبا إلى القرية التي تجاهكما، تجدا أتاناً مربوطة وجحشاً معها، فحلا رباطها وأتيا بهما. فإن قال لكما قائل شيئاً، فأجيبا: «الرب محتاج إليهما»، فيرسلهما لوقته». وإنما حدث هذا ليتم ما قيل على لسان النبي:

«قولوا لبنت صهيون:

هوذا ملكك آتياً إليك

وديعاً راكباً على أتان

وجحش ابن دابة».

فَذَهَبَ التِّلْمِيذَانِ وَفَعَلَا كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ وَأَتَيَا بِالْأَتَانِ
وَالْجَحْشِ. ثُمَّ وَضَعَا عَلَيْهِمَا رِدَائِيَهُمَا، فَرَكِبَ يَسُوعُ. وَكَانَ مِنَ النَّاسِ
جَمْعٌ كَثِيرٌ، فَبَسَطُوا أَرْدِيَّتَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، وَقَطَّعَ غَيْرُهُمْ أَغْصَانَ الشَّجَرِ،
فَفَرَشُوا بِهَا الطَّرِيقَ. وَكَانَتِ الْجُمُوعُ الَّتِي تَتَقَدَّمُهُ وَالَّتِي تَتَّبَعُهُ تَهْتِفُ:

«هُوشَعْنَا لَابْنَ دَاوُدَ!»

تَبَارَكَ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!

هُوشَعْنَا فِي الْعُلَى!

وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ضَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا وَسَأَلَتْ: «مَنْ هَذَا؟»
فَأَجَابَتِ الْجُمُوعُ: «هَذَا النَّبِيُّ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ».

طرد الباعة من الهيكل

ثُمَّ دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ وَطَرَدَ جَمِيعَ الَّذِينَ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي
الْهَيْكَلِ، فَقَلَبَ طَاوِلَاتِ الصَّيَّارِفَةِ وَمَقَاعِدَ بَاعَةِ الْحَمَامِ. وَقَالَ لَهُمْ:
«مَكْتُوبٌ:

«بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى

وَأَنْتُمْ تَجْعَلُونَهُ مَغَارَةً لُصُوصٍ».

وَدَنَا إِلَيْهِ عُمَيَّانٌ وَعُرَّجٌ فِي الْهَيْكَلِ فَشَفَاهُم. فَلَمَّا رَأَى عُظَمَاءُ
الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ، وَرَأَوْا الْأَطْفَالَ يَهْتَفُونَ فِي
الْهَيْكَلِ: «هُوشَعْنَا لَابْنَ دَاوُدَ!»، اسْتَأْذَنُوا فَقَالُوا لَهُ: «أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ
هَؤُلَاءِ؟»

فقال لهم يسوع: «نعم، أما قرأتم قط: «على السنة الصغار والرضع أعددت لنفسيك تسبيحاً؟» ثم تركهم وخرج من المدينة إلى بيت عنيا فبات فيها.

يسوع يلعن التينة

وبينما هو راجع إلى المدينة عند الفجر، أحس بالجوع. فرأى تينة عند الطريق فذهب إليها، فلم يجد عليها غير الورك. فقال لها: «لا يخرجن منك ثمر للأبد». فبيست التينة من وقتها. فلما رأى التلاميذ ذلك، تعجبوا وقالوا: «كيف بيست التينة من وقتها؟» فأجابهم يسوع: «الحق أقول لكم: إن كان لكم إيمان ولم تشكوا، لا تفعلون ما فعلت بالتينة فحسب، بل كنتم إذا قلتم لهذا الجبل: قم فاهبط في البحر، يكون ذلك. فكل شيء تطلبونه وأنتم تصلون بإيمان تتألونه».

سلطة يسوع

ودخل الهيكل، فدنا إليه عظماء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلم وقالوا له: «بأي سلطان تعمل هذه الأعمال؟ ومن أولك هذا السلطان؟» فأجابهم يسوع: «وأنا أسألكم سؤالاً واحداً، إن أجبتُموني عنه، قلت لكم بأي سلطان أعمل هذه الأعمال: من أين جاءت معمودية يوحنا: أم من السماء أم من الناس؟» فقالوا في أنفسهم: «إن قلنا: من السماء، يقول لنا: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا: من الناس، نخاف الجمع، لأنهم كلهم يعدون يوحنا نبياً». فأجابوا يسوع: «لا ندري». فقال لهم: «وأنا لا أقول لكم بأي سلطان أعمل هذه الأعمال.

مقتطفات من سفر تثنية الاشتراع

مجموعة فرائض وأحكام تثنية الاشتراع⁽¹⁾



إيضاحات في الذبائح

وَتَبَّهَ أَنْ تَصْعِدَ مُحْرِقَاتِكَ فِي أَيِّ مَكَانٍ رَأَيْتَهُ، إِلَّا فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ مِنْ أَحَدِ أَسْبَاطِكَ، فَهُنَاكَ تَصْعِدُ مُحْرِقَاتِكَ وَهُنَاكَ تَصْنَعُ كُلَّ مَا أَمَرْتُ بِهِ.

لَكِنْ مِنْ كُلِّ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ تَذْبِحُ وَتَأْكُلُ لَحْمًا كَبْرَكَةً أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ إِيَّاهَا فِي مَدْنِكَ كُلِّهَا. النَّجْسُ وَالطَّاهِرُ يَأْكُلَانِهِ، كَمَا يُؤْكَلُ الطَّبِي وَالْأَيْلُ. وَأَمَّا الدَّمُ فَلَا تَأْكُلُوهُ، بَلْ أَرْقِهِ عَلَى الْأَرْضِ كَالْمَاءِ.

لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَأْكُلَ فِي مَدْنِكَ أَعْشَارَ قَمْحِكَ وَنَبِيذِكَ وَزَيْتِكَ وَلَا أَبْكَارَ بَقَرِكَ وَغَنَمِكَ وَلَا شَيْئًا مِنْ نُدُورِكَ الَّتِي تَنْذِرُهَا وَتَقَادِمُكَ الطَّوْعِيَّةِ وَتَقْدِمَةِ يَدَيْكَ. وَلَكِنْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِكَ تَأْكُلُهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهَكَ، أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَخَادِمُكَ وَخَادِمَتُكَ وَاللَّاوِيُّ الَّذِي فِي مَدْنِكَ، وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِكَ بِكُلِّ مَا اكْتَسَبَتْهُ يَدُكَ. وَتَبَّهَ أَنْ تَهْمَلَ اللَّاوِيَّ كُلَّ أَيَّامِكَ عَلَى أَرْضِكَ.

وَإِذَا وَسَّعَ الرَّبُّ إِلَهَكَ حُدُودَكَ كَمَا قَالَ لَكَ، فَقُلْتَ: أَكُلُ لَحْمًا، لِأَنَّ

(1) سفر تثنية الإشتراع.

نَفْسَكَ اشْتَهَتْ أَكَلَ اللَّحْمِ، فَمِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ تَأْكُلُ لَحْمًا. وَإِنْ بَعْدَ عَنْكَ الْمَكَانُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ لِيَجْعَلَ فِيهِ اسْمَهُ، فَادْبَحْ مِمَّا أَعْطَاكَ الرَّبُّ مِنْ كُلِّ بَقَرِكَ وَغَنَمِكَ كَمَا أَمَرْتُكَ، وَكُلْ فِي مَدْنِكَ مِنْ كُلِّ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، كَمَا يُؤْكَلُ الطَّبِيُّ وَالْأَيْلُ تَأْكُلُهُ: النَّجْسُ وَالطَّاهِرُ يَأْكُلَانِهِ عَلَى السَّوَاءِ. لَكِنْ تَنْبَهُ أَنْ تَأْكُلَ الدَّمَ، فَإِنَّ الدَّمَ هُوَ النَّفْسُ، فَلَا تَأْكُلِ النَّفْسَ مَعَ اللَّحْمِ. لَا تَأْكُلُهُ، بَلْ أَرْقِهِ عَلَى الْأَرْضِ كَالْمَاءِ. لَا تَأْكُلُهُ، فَتُصِيبَ خَيْرًا، أَنْتَ وَبَنُوكَ مِنْ بَعْدِكَ، لِأَنَّكَ تَصْنَعُ الْقَوِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ. وَأَمَّا أَقْدَاسُكَ الَّتِي لَكَ وَنُذُورُكَ، فَاحْمِلْهَا وَأْتِ بِهَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ، وَقَرِّبْ مُحَرِّقَاتِكَ لَحْمًا وَدَمًا عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ إِلَهُكَ، وَدَمُ ذَبَائِحِكَ يُرَاقُ عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ إِلَهُكَ، وَاللَّحْمُ تَأْكُلُهُ. احْفَظْ وَاسْمَعْ جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَنَا أَمُرُّكَ بِهَا لِتُصِيبَ خَيْرًا، أَنْتَ وَبَنُوكَ مِنْ بَعْدِكَ لِلْأَبَدِ، لِأَنَّكَ تَصْنَعُ الصَّالِحَ وَالْقَوِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهُكَ.

البهائم الطاهرة والبهائم البخسة

لَا تَأْكُلْ أَيْةَ قَبِيحَةٍ. هَذَا مَا تَأْكُلُونَهُ مِنَ الْبَهَائِمِ: الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَعْزُ وَالْأَيْلُ وَالطَّبِيُّ وَالْيَحْمُورُ وَالْوَعِلُ وَالرَّئْمُ وَالشَّيْتَلُ وَالْمَعْزُ الْبَرِّيُّ، وَكُلُّ بَهِيمَةٍ ذَاتِ حَافِرٍ مَشْقُوقٍ إِلَى ظُفْرَيْنِ وَهِيَ تَجْتَرُ، مِنَ الْبَهَائِمِ، فَإِيَّاهَا تَأْكُلُونَ. وَأَمَّا هَذِهِ مِنَ الْمُجْتَرَّاتِ وَمِنْ ذَوَاتِ الْحَوَافِرِ الْمَشْقُوقَةِ، فَلَا تَأْكُلُوهَا: الْجَمَلُ وَالْأَرْنَبُ وَالْوَبْرُ، فَإِنَّهَا تَجْتَرُ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِذَاتِ حَافِرٍ مَشْقُوقٍ، فَهِيَ نَجَسَةٌ لَكُمْ، وَالْخِنْزِيرُ فَإِنَّهُ ذُو حَافِرٍ مَشْقُوقٍ، وَلَكِنَّهُ لَا يَجْتَرُ، فَهُوَ نَجَسٌ لَكُمْ. لَا تَأْكُلُوا شَيْئًا مِنْ لَحْمِهَا وَلَا تَمَسُّوا مِيتَتَهَا.

وهذا ما تَأْكُلُونَهُ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْمَاءِ : كُلُّ مَا لَهُ زَعَانِفٌ وَحَرَاشِفٌ،
فَيَأْيَاهُ تَأْكُلُونَ. وَكُلُّ مَا لَيْسَتْ لَهُ زَعَانِفٌ وَحَرَاشِفٌ، فَلَا تَأْكُلُوهُ، إِنَّهُ نَجَسٌ لَكُمْ.

وَكُلُّ طَائِرٍ طَاهِرٍ فَكُلُوهُ. وهذا ما لَا تَأْكُلُونَهُ مِنْهُ: الْعُقَابُ وَكَاسِرُ
الْعِظَامِ وَالصَّقْرُ وَالْحِدَاةُ الْحَمْرَاءُ وَالْحِدَاةُ السَّوْدَاءُ وَالْحِدَاةُ بِأَصْنَافِهَا،
وَجَمِيعُ الْغُرْبَانِ بِأَصْنَافِهَا، وَالنَّعَامَةُ وَالْخَبْلُ وَزُمَجُ الْمَاءِ وَالْبَاشِقُ
بِأَصْنَافِهِ، وَالْبُومَةُ وَالْبُومَةُ الصَّمْعَاءُ وَأَبُو الْمِنْجَلِ، وَالْبَجَعَةُ وَالرَّخْمَةُ
وَالغَاقَةُ، وَاللَّقْلُقُ وَمَالِكُ الْحَزِينِ بِأَصْنَافِهِ وَالْهُدْهُدُ وَالْخُفَّاشُ. وَكُلُّ
الْحَشَرَاتِ الْمُجَنَّحَةِ هِيَ نَجَسٌ لَكُمْ، فَلَا تُؤْكَلُ. وَكُلُّ طَائِرٍ طَاهِرٍ فَكُلُوهُ.

وَلَا تَأْكُلُوا شَيْئًا مِنَ الْجَيْفِ، وَإِنَّمَا تُعْطِيهَا لِلنَّزِيلِ الَّذِي فِي مَدْنِكِ،
فَيَأْكُلُهَا أَوْ تَبِيعُهَا لِلْغَرِيبِ، لِأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ وَلَا تَطْبُخْ
جَدْيًا بِلَبَنِ أُمِّهِ.

الأعشار السنوية :

وَأَدِّ الْعُشْرَ مِنْ جَمِيعِ غَلَّةِ زَرْعِكَ، أَيُّ مَا أَخْرَجْتَهُ الْحَقُولُ سَنَةً
فَسَنَةً. وَكُلُّ أَمَامِ الرَّبِّ إِلَهِكَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَارُهُ، لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ،
عُشْرَ قَمْحِكَ وَنَبِيدِكَ وَزَيْتِكَ وَأَبْكَارَ بَقَرِكَ وَغَنَمِكَ، لِكَيْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ
تَتَّقِي الرَّبَّ إِلَهَكَ كُلَّ الْأَيَّامِ.

وإن طَالَ عَلَيْكَ الطَّرِيقُ، وَلَمْ تُطِقْ حَمْلَ الْأَعْشَارِ، وَبَعْدَ عَنْكَ
الْمَوْضِعَ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهَكَ لِيَجْعَلَ فِيهِ اسْمَهُ، وَبَارَكَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ،

فَأَبْدِلْ بِهِ فِضَّةً وَصُرَّ الْفِضَّةُ فِي يَدِكَ وَامْضِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَارُهُ
الرَّبُّ إِلَهُكَ، وَأَبْدِلْ بِهَا كُلَّ مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ مِنْ بَقَرٍ وَغَنَمٍ وَخَمَرٍ وَمُسْكِرٍ
وَكُلِّ مَا تَطْلُبُهُ نَفْسُكَ، وَكُلَّ هُنَاكَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهُكَ، وَافْرَحْ أَنْتَ وَبَيْتُكَ.
وَلَا تَهْمَلِ اللَّاوِيَّ الَّذِي فِي مَدْنِكَ، إِذْ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مَعَكَ وَلَا مِيرَاثٌ.

الشهود :

لَا يَقُومُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ عَلَى أَحَدٍ فِي أَيِّ إِثْمٍ وَأَيَّةِ خَطِيئَةٍ يَرْتَكِبُهَا،
وَلَكِنْ بِقَوْلِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهَدَاءِ تَقُومُ الْقَضِيَّةُ.

إِنْ قَامَ عَلَى أَحَدٍ شَاهِدٌ ظَالِمٌ فَاتَّهَمَهُ بِتَمَرُدٍ، فَلْيَقِفِ الرَّجُلَانِ
الَّذَانِ بَيْنَهُمَا الدَّعْوَى أَمَامَ الرَّبِّ، أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَالْقُضَاةِ الَّذِينَ يَكُونُونَ
فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. وَلْيَبْحَثِ الْقُضَاةُ جَيِّدًا، فَإِنْ كَانَ الشَّاهِدُ شَاهِدَ زُورٍ وَقَدْ
شَهِدَ بِالزُّورِ عَلَى أَخِيهِ، فَاصْنَعُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَصْنَعَ بِأَخِيهِ، وَاقْلَعِ
الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ، فَيَسْمَعَ الْبَاقُونَ وَيَخَافُوا وَلَا يَعُودُوا يَصْنَعُونَ أَيْضًا
مِثْلَ هَذَا الشَّرِّ فِي وَسْطِكَ. لَا تُشْفِقْ عَيْنُكَ.

شريعة الأخذ بالثأر:

النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ، وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ، وَالْيَدُ بِالْيَدِ،
وَالرَّجْلُ بِالرَّجْلِ.

الحرب والمحاربون :

إِذَا خَرَجْتَ لِلْحَرْبِ عَلَى أَعْدَائِكَ، فَرَأَيْتَ خَيْلًا وَمَرَاقِبَ مَعَ قَوْمٍ

أَكْثَرَ مِنْكَ، فَلَا تَخَفْهُمْ، فَإِنَّ مَعَكَ الرَّبَّ إِلَهَكَ الَّذِي أَصْعَدَكَ مِنْ أَرْضِ
مِصْرَ. وَعِنْدَ اقْتِرَابِكُمْ إِلَى الْحَرْبِ، يَتَقَدَّمُ الْكَاهِنُ وَيُخَاطِبُ الشَّعْبَ،
وَيَقُولُ لَهُمْ: اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلَ، أَنْتُمْ الْيَوْمَ مُقْتَرِبُونَ إِلَى الْحَرْبِ عَلَى
أَعْدَائِكُمْ، فَلَا تَتَرَاخَ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَخَافُوا وَلَا تَضْطَرِبُوا وَلَا تَرْتَعِدُوا مِنْ
وُجُوهِهِمْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ سَائِرٌ مَعَكُمْ لِيُحَارِبَ أَعْدَاءَكُمْ عَنْكُمْ وَيُخَلِّصَكُمْ.

ثُمَّ يَكْلُمُ الْكَتَبَةُ الشَّعْبَ قَائِلِينَ: أَيُّ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا جَدِيدًا وَلَمْ
يُدْشِنْهُ، فَلْيَمْضِ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ كَيْلَا يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيُدْشِنَهُ رَجُلٌ
آخَرُ. وَأَيُّ رَجُلٍ غَرَسَ كَرْمًا وَلَمْ يَأْكُلْ بَاكُورَتَهُ، فَلْيَمْضِ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ
كَيْلَا يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيَأْكُلَ رَجُلٌ آخَرُ بَاكُورَتَهُ. وَأَيُّ رَجُلٍ خَطَبَ امْرَأَةً
وَلَمْ يَأْخُذْهَا، فَلْيَمْضِ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ لئَلَّا يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيَأْخُذَهَا
رَجُلٌ آخَرُ.

ثُمَّ يَعُودُ الْكَتَبَةُ إِلَى مُخَاطَبَةِ الشَّعْبِ وَيَقُولُونَ: أَيُّ رَجُلٍ كَانَ خَائِفًا
وَمُتْرَاحِي الْقَلْبِ، فَلْيَمْضِ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ لئَلَّا يُذِيبَ قُلُوبَ إِخْوَتِهِ كَقَلْبِهِ.
وَمَتَى انْتَهَى الْكَتَبَةُ مِنْ مُخَاطَبَةِ الشَّعْبِ، يُقِيمُونَ عَلَى الشَّعْبِ رُؤْسَاءَ
جُيُوشَ.

فتح المدن :

وَإِذَا تَقَدَّمتَ إِلَى مَدِينَةٍ لَتِقَاتِلَهَا، فَادْعُهَا أَوَّلًا إِلَى السَّلَامِ، فَإِذَا
أَجَابَتْكَ بِالسَّلَامِ وَفَتَحَتْ لَكَ أَبْوَابَهَا، فَكُلُّ الْقَوْمِ الَّذِي فِيهَا يَكُونُ لَكَ
تَحْتَ السُّخْرَةِ وَيَخْدُمُكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ حَارَبَتْكَ فَحَاصَرْتُهَا،

فَلَاذِ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

وَأَسْلَمَهَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى يَدِكَ، فَاضْرِبْ كُلَّ ذَكَرٍ بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا
النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَجَمِيعُ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ غَنِيمَةٍ، فَاغْتَنِمَهَا
لِنَفْسِكَ، وَكُلْ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِيَّاهَا.

هَكَذَا تَصْنَعُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا وَالَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ
تِلْكَ الْأُمَمِ هُنَا. وَأَمَّا مُدُنُ تِلْكَ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِيَّاهَا
مِيرَاثًا، فَلَا تَسْتَبِقْ مِنْهَا نَسَمَةً، بَلْ حَرِّمَهُمْ تَحْرِيمًا: الْحَثِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ
وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفَرِزِيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ،
كَيْلَا يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَصْنَعُوا مِثْلَ قَبَائِحِهِمُ الَّتِي صَنَعُوهَا لِآلِهَتِهِمْ، فَتَخْطَأُوا
إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ مَدِينَةً مَا أَيَّامًا كَثِيرَةً، مُحَارِبًا لَهَا لِتَفْتَحَهَا، فَلَا
تَتَلَفَّ شَجَرَهَا مُلْقِيًا عَلَيْهِ فَأَسًا. إِنَّكَ مِنْهُ تَأْكُلُ، فَلَا تَقْطَعُهُ، فَهَلْ شَجَرُ
الْحَقْلِ إِنْسَانٌ حَتَّى تُعَامِلَهُ كَالْمُحَاصَرِّ؟ أَمَّا الشَّجَرُ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ
شَجَرًا يُؤْكَلُ مِنْهُ، فَاتْلِفْهُ واقْطَعْهُ، وَابْنِ آلَاتِ الْحِصَارِ عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي
تُحَارِبُكَ حَتَّى تَسْقُطَ.

الْأَسِيرَاتُ :

إِذَا خَرَجْتَ لِمُقَاتَلَةِ أَعْدَائِكَ، فَأَسْلَمَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى يَدِكَ،
فَأَسْرَتَ مِنْهُمْ أَسْرَى، وَرَأَيْتَ بَيْنَ الْأَسْرَى امْرَأَةً جَمِيلَةً الْهَيْئَةِ، فَتَعَلَّقْتَ
بِهَا وَاتَّخَذْتَهَا لَكَ امْرَأَةً، فَحِينَ تَدْخُلُهَا بَيْتَكَ، تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتُقَلِّمُ
أَظْفَارَهَا، وَتَنْزِعُ ثِيَابَ أَسْرِهَا عَنْهَا، وَتُقِيمُ فِي بَيْتِكَ فَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا

شَهْرًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَكُونُ لَهَا زَوْجًا، وَهِيَ تَكُونُ لَكَ امْرَأَةً. ثُمَّ، إِنْ لَمْ تَعُدْ تُرِيدُهَا، فَأَطْلِقْهَا حُرَّةً، وَلَا تَبِعْهَا بِفِضَّةٍ، وَلَا تَظْلِمْهَا لِأَنَّكَ أَذَلَّلْتَهَا.

حق البكرية :

إِذَا كَانَتْ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ، إِحْدَاهُمَا مَحَبُوبَةٌ وَالْأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ، فَوَلَدَتَا لَهُ كِلْتَاهُمَا بَنِينَ، الْمَحَبُوبَةُ وَالْمَكْرُوهَةُ، وَكَانَ الْابْنُ الْبَكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ، فَفِي يَوْمِ تَوْرِيثِهِ لِبْنِيهِ مَا يَكُونُ لَهُ، لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ حَقَّ الْبَكْرِ لَابْنِ الْمَحَبُوبَةِ دُونَ ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبَكْرِ، بَلْ يَعْتَرَفُ بِأَنَّ ابْنَ الْمَكْرُوهَةِ هُوَ الْبَكْرُ، فَيُعْطِيهِ سَهْمَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يَوْجَدُ لَهُ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رُجُولَتِهِ، وَلَهُ حَقُّ الْبَكْرِ.

الولد المتمرّد :

إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ ابْنٌ مُتَمَرِّدٌ عَاصٍ، لَا يُطِيعُ أَمْرَ أَبِيهِ وَلَا أَمْرَ أُمِّهِ، وَهُمَا يُؤَدِّبَانِهِ فَلَا يَسْمَعُ لِهَمَا، فَلْيَقْبِضْ عَلَيْهِ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَيُخْرِجَاهُ إِلَى شُيُوخِ مَدِينَتِهِ وَإِلَى بَابِ بَلَدَتِهِ، وَيَقُولَا لِشُيُوخِ مَدِينَتِهِ: إِنَّ ابْنَنَا هَذَا مُتَمَرِّدٌ عَاصٍ، لَا يُطِيعُ أَمْرَنَا، وَهُوَ أَكُولُ شَرِيبٍ. فَيَرْجُمُهُ جَمِيعُ رِجَالِ مَدِينَتِهِ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ، وَاقْلَعِ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ، فَيَسْمَعَ إِسْرَائِيلُ كُلُّهُ وَيَخَافُ.

دفن المشنوقين :

وَإِذَا كَانَتْ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيئَةٌ تَسْتَوْجِبُ الْمَوْتَ، فَقُتِلَ وَعُلِقَتْهُ عَلَى

شَجَرَةٍ، فَلَا تَبْتَ جُثَّتَهُ عَلَى الشَّجَرَةِ، بَلْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَدْفِنُهُ، لِأَنَّ الْمُعَلَّقَ لَعْنَةٌ مِنَ اللَّهِ، فَلَا تُنَجِّسْ أَرْضَكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِيَّاهَا مِيرَاثًا.

فرائض وأحكام مختلفة :

إِذَا رَأَيْتَ ثَوْرَ أَخِيكَ أَوْ حَمَلَهُ ضَالًّا، فَلَا تَتَغَافَلَ عَنْهُ، بَلْ رُدَّهُ إِلَى أَخِيكَ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَخُوكَ جَارًا لَكَ أَوْ لَمْ تَعْرِفْهُ، فَأَوْ الْحَيَّوَانَ إِلَى بَيْتِكَ فَيَكُونَنَّ عِنْدَكَ إِلَى أَنْ يَبْحَثَ أَخُوكَ عَنْهُ فَتُرُدَّهُ إِلَيْهِ. وَكَذَا تَصْنَعُ بِحِمَارِهِ وَكَذَا تَصْنَعُ بِثَوْبِهِ وَكَذَا تَصْنَعُ بِكُلِّ مَا فَقَدَ لِأَخِيكَ، مَا فَقَدَ لَهُ وَوَجَدْتَهُ. لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَتَغَافَلَ عَنْهُ. وَإِذَا رَأَيْتَ حِمَارَ أَخِيكَ أَوْ ثَوْرَهُ وَاقِعًا فِي الطَّرِيقِ، فَلَا تَتَغَافَلَ عَنْهُ، بَلْ أَنْهَضْهُ مَعَهُ. لَا تَكُنْ ثِيَابُ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلَا يَلْبَسُ الرَّجُلُ لِبَاسَ الْمَرْأَةِ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ مُسْتَقْبَحٌ لَدَى الرَّبِّ إِلَهُكَ.

إِذَا صَادَفْتَ عُشَّ طَائِرٍ فِي الطَّرِيقِ أَمَامَكَ أَوْ فِي شَجَرَةٍ أَوْ عَلَى الْأَرْضِ، فِيهِ فِرَاحٌ أَوْ بَيْضٌ، وَالْأُمُّ حَاضِنَةٌ لِلْفِرَاحِ أَوْ الْبَيْضِ، فَلَا تَأْخُذِ الْأُمَّ مَعَ الْفِرَاحِ، بَلْ أَطْلِقِ الْأُمَّ وَخُذْ لَكَ الْفِرَاحَ، لِكَيْ تُصِيبَ خَيْرًا وَتُطِيلَ أَيَّامَكَ.

إِذَا بَنَيْتَ بَيْتًا جَدِيدًا، فَاصْنَعْ دَرَابِزُونَا لِسَطْحِكَ، لِئَلَّا تَجْعَلَ دَمًا عَلَى بَيْتِكَ، إِذَا سَقَطَ عَنْهُ أَحَدٌ.

لَا تَزْرَعُ كَرْمَكَ صِنْفَيْنِ، كَيْلَا يُعَدَّ الزَّرْعُ الَّذِي تَزْرَعُهُ وَغَلَّةُ الْكَرْمِ

جميعاً مُقَدَّساً. لا تَحْرُثْ على ثور وحمار معاً. لا تلبس ثوباً مُخْتَلِطاً من صوفٍ وكتان معاً. واصنع لك أهداباً في أربعة أطراف الرداء الذي ترتدي به.

النيل من سُمعة العروس

إذا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً ودَخَلَ عَلَيْهَا ثُمَّ أَبْغَضَهَا، فَنَسَبَ إِلَيْهَا مَا يَحْمِلُ عَلَى الثَّرَثَةِ، وَأَذَاعَ عَنْهَا سُمْعَةً سَيِّئَةً فَقَالَ: إِنِّي اتَّخَذْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا، لَمْ أَجِدْهَا عَذْرَاءً، يَأْخُذُ الْفَتَاةُ أَبُوهَا وَأُمُّهَا وَيُخْرِجَانِ عَلَامَةَ بَكَارَةِ الْفَتَاةِ إِلَى شُيُوخِ الْمَدِينَةِ، إِلَى الْبَابِ. وَيَقُولُ أَبُوهَا لِلشُّيُوخِ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنَتِي امْرَأَةً لِهَذَا الرَّجُلِ فَأَبْغَضَهَا. وَهِيَ هُوَذَا قَدْ نَسَبَ إِلَيْهَا مَا يَحْمِلُ عَلَى الثَّرَثَةِ قَائِلاً: لَمْ أَجِدِ ابْنَتَكَ عَذْرَاءً. وَهَذِهِ عَلَامَةُ بَكَارَةِ ابْنَتِي. وَيَبْسُطَانِ الْمَنْدِيلَ أَمَامَ شُيُوخِ الْمَدِينَةِ. فَيَأْخُذُ شُيُوخُ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ الرَّجُلَ وَيُؤَدِّبُونَهُ، وَيُغَرِّمُونَهُ مِئَةً مِنَ الْفِضَّةِ يَدْفَعُونَهَا إِلَى أَبِي الْفَتَاةِ، لِأَنَّ الرَّجُلَ أَذَاعَ سُمْعَةً سَيِّئَةً عَلَى عَذْرَاءٍ مِنْ إِسْرَائِيلَ. وَتَكُونُ لَهُ امْرَأَةً، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُطَلِّقَهَا طَوْلَ أَيَّامِهِ.

وإن كان الأمرُ صحيحاً ولم توجدِ الفتاةُ عَذْرَاءً، فليُخْرِجُوا الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا، وَيَرْجُمُوهَا جَمِيعُ أَهْلِ مَدِينَتِهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ، لِأَنَّهَا صَنَعَتْ قَبِيحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِزِنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا، وَاقْلَعَ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ.

الزنى

وإن أخذ رجلٌ يضاجعُ امرأةً متزوجةً ، فليَموتا كلاهما، الرجلُ
المُضاجعُ للمرأةِ والمرأة، واقلعِ الشرَّ من إسرائيل.

وإذا كانت فتاةٌ عذراءٌ مخطوبةٌ لرجلٍ، فصادفها رجلٌ في المدينةِ
فضاجعها، فأخرجوهما كليهما إلى بابِ تلكِ المدينةِ وارجموهما
بالحجارةِ حتى يموتا. أمَّا الفتاة، فلأنَّها لم تصرُخْ وهي في مدينة، وأمَّا
الرجلُ، فلأنَّه اغتصبَ امرأةً قريبه، فاقلعِ الشرَّ من وسطِك. فإن
صادفَ الرجلُ الفتاةَ المخطوبةَ في الحقلِ، فأمسكها وضاجعها، فليمت
ذلكَ الرجلُ المضاجعُ لها وحده. وأمَّا الفتاة، فلا تصنعْ بها شيئاً، إذ
ليسَ عليها خطيئةٌ تستوجبُ الموت، فإنَّما هذا الأمرُ أمرُ رجلٍ وثبَ على
قريبه فقتله. ذلكَ بأنَّه صادفها في الحقلِ، فصرخَتِ الفتاةُ المخطوبةُ،
فلم يكنْ من يخلصُها.

وإذا صادفَ رجلٌ فتاةً عذراءَ لم تُخطبْ، فأمسكها وضاجعها،
فوجدًا معاً، فليُعطِ ذلكَ الرجلُ المضاجعُ لها لأبي الفتاة، خمسَينَ من
الفضَّة وتكونُ له امرأةً، لأنَّه أذلَّها، ولا يحلُّ له أن يُطلقها كلَّ أيَّامه.

لا يتزوَّجَ رجلٌ امرأةً أبيه، ولا ينزعَ ذيلَ رداءِ أبيه.

طهارة المخيم

إذا خرجتَ في جيشٍ على أعدائك، فاحفظْ نفسك من كلِّ أمرٍ

سَيِّئٌ. إِذَا كَانَ فِيكَ رَجُلٌ لَيْسَ بِطَاهِرٍ مِنْ سَيِّلَانِ مَنَوِيٍّ فِي اللَّيْلِ،
فَلْيَخْرُجْ إِلَى خَارِجِ الْمُخَيَّمِ وَلَا يَدْخُلْ إِلَى دَاخِلِهِ. وَعِنْدَ اقْتِرَابِ الْمَسَاءِ،
يَسْتَحِمُّ فِي الْمَاءِ، وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يَدْخُلُ إِلَى دَاخِلِ الْمُخَيَّمِ.

وَلْيَكُنْ لَكَ خَلَاءٌ خَارِجَ الْمُخَيَّمِ تَخْرُجُ إِلَيْهَا. وَلْيَكُنْ لَكَ مِعْوَلٌ مَعَ
عُدَّتِكَ لِتَحْفِرَ بِهِ عِنْدَمَا تَخْتَلِي، وَتَلْتَفِتَ وَتُغَطِّي بِرَأْسِكَ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ
يَتَمَشَّى فِي وَسْطِ مُخَيَّمِكَ لِيُنْقِذَكَ وَيُسَلِّمَ أَعْدَاءَكَ أَمَامَكَ. فَلْيَكُنْ
مُخَيَّمُكَ مُقَدَّسًا، لِئَلَّا يَرَى فِيكَ أَمْرًا غَيْرَ لَائِقٍ، فَيَنْصَرِفَ عَنْكَ.

فرائض وأحكام اجتماعية وطقسية :

لَا تُسَلِّمَ عَبْدًا هَرَبَ إِلَيْكَ مِنْ عِنْدِ سَيِّدِهِ، بَلْ لِيَقِمَ مَعَكَ فِي
وَسْطِكَ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَارُهُ فِي إِحْدَى مُدُنِكَ حَيْثُ يَطِيبُ لَهُ، وَلَا
تَظْلِمُهُ.

لَا يَكُنْ فِي بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ بَغِيٌّ مُكَرَّسَةً، وَلَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ
مَأْبُونٌ مُكَرَّسٌ. وَلَا تُدْخِلْ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ هَدِيَّةَ زَانِيَةٍ وَلَا ثَمَنَ كَلْبٍ
فِي نَذْرٍ مَا، لِأَنَّهُمَا كِلَاهُمَا قَبِيحَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ إِلَهِكَ.

لَا تُقْرِضُ أَخَاكَ بِفَائِدَةٍ فِي فِضَّةٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ شَيْءٍ آخَرَ مِمَّا
يُقْرِضُ بِالْفَائِدَةِ، بَلْ تُقْرِضُ الْغَرِيبَ بِالْفَائِدَةِ، وَأَمَّا أَخُوكَ فَلَا تُقْرِضُهُ
بِالْفَائِدَةِ، لِكِي يُبَارِكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ جَمِيعَ أَعْمَالِ يَدَيْكَ، فِي الْأَرْضِ الَّتِي
أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَرْتَهَا.

فَلَاذِ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، فَلَا تُؤَخِّرْ وَفَاءً، لَأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ يُطَالِبُكَ بِهِ، فَتَكُونَ عَلَيْكَ خَطِيئَةً. وَإِذَا لَمْ تَنْذِرْ نَذْرًا، فَلَا خَطِيئَةَ عَلَيْكَ. وَأَمَّا مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيْكَ، فَاحْفَظْهُ وَاعْمَلْ كَمَا نَذَرْتَ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ كَتَقْدِمَةٍ طَوْعِيَّةٍ، بِحَسَبِ مَا قُلْتَ بِفَمِكَ.

إِذَا دَخَلْتَ كَرَمَ قَرِيبِكَ، فَكُلْ مِنَ الْعِنَبِ عَلَى قَدَرِ شَهْوَتِكَ حَتَّى تَشْبَعَ، وَلَا تَجْعَلْ مِنْهُ شَيْئًا فِي سَلَّتِكَ. وَإِذَا دَخَلْتَ السُّبُلَ الْقَائِمَ الَّذِي لِقَرِيبِكَ، قَاقُطِفْ بِيَدِكَ فَرِيكًا، وَلَا تَلْقَ مِنْجَلًا عَلَى سُنْبُلِ قَرِيبِكَ.

الطلاق :

إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَهَا، ثُمَّ لَمْ تَلَّ حُظْوَةً فِي عَيْنَيْهِ، لِأَمْرٍ غَيْرِ لَاتِقٍ وَجَدَهُ فِيهَا، فَلْيَكْتُبْ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَيُسَلِّمَهَا إِلَيْهَا وَيَصْرِفْهَا مِنْ بَيْتِهِ. فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ وَمَضَتْ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ، فَأَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الْآخَرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ، فَسَلِّمَهَا إِلَيْهَا وَصْرِفْهَا مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ مَاتَ الرَّجُلُ الْآخَرُ الَّذِي اتَّخَذَهَا لَهُ امْرَأَةً، فَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ لِرَجُلٍ الْأَوَّلِ الَّذِي طَلَّقَهَا أَنْ يَعُودَ وَيَأْخُذَهَا لِتَكُونَ لَهُ امْرَأَةً، بَعْدَمَا تَدْنَسَتْ: فَإِنَّ ذَلِكَ قَبِيحَةٌ لَدَى الرَّبِّ. فَلَا تَجْلِبْ خَطِيئَةً عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِيَّاهَا مِيرَاثًا.

تدابير للحماية :

إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً حَدِيثَةً عَهْدَ بِهِ، فَلَا يَخْرُجْ فِي الْجَيْشِ، وَلَا يُحْمَلُ عِبْثًا مَا، بَلْ لِيَتَفَرَّغَ لِبَيْتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً، يَسُرُّ امْرَأَتَهُ الَّتِي اتَّخَذَهَا.

لَا يَرْتَهِنُ أَحَدٌ حَجَرِي الرَّحَى، حَتَّى وَلَا الْحَجَرَ الْأَعْلَى، فَإِنَّهُ
يَرْتَهِنُ نَفْسًا.

إِنْ وُجِدَ إِنْسَانٌ قَدْ خَطِفَ نَفْسًا مِنْ إِخْوَتِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَعَامَلَهَا كَالْعَبْدِ أَوْ بَاعَهَا، فَلَيَمُتِ الْخَاطِفُ، وَأَقْلَعَ الشَّرُّ مِنْ وَسْطِكَ.

تَبَّهْ، فِي أَمْرِ إصَابَةِ الْبَرَصِ، أَنْ تَجْتَهِدَ فِي الْعَمَلِ بِكُلِّ مَا يُعَلِّمُكُمْ
الْكَهَنَةُ اللَّاَوِيُّونَ، كَمَا أَمَرْتَهُمْ تَجْتَهِدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. أَذْكُرُ مَا صَنَعَهُ الرَّبُّ
إِلَهُكَ بِمَرِيمَ فِي الطَّرِيقِ، عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ.

إِذَا أَقْرَضْتَ قَرِيبَكَ قَرْضًا مَا، فَلَا تَدْخُلْ بَيْتَهُ لِتَأْخُذَ رَهْنًا مِنْهُ، بَلْ
قِفْ خَارِجًا، وَالرُّجُلُ الَّذِي أَقْرَضْتَهُ هُوَ يُخْرِجُ لَكَ الرَّهْنَ إِلَى خَارِجٍ. وَإِنْ
كَانَ رَجُلًا فَقِيرًا، فَلَا تَتَمَّ وَرَهْنُهُ عِنْدَكَ، بَلْ، عِنْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، تَرُدُّهُ
إِلَيْهِ، حَتَّى يَنَامَ فِي رِدَائِهِ وَيُبَارِكَكَ، فَيُحْسِبُ لَكَ بَرًّا أَمَامَ الرَّبِّ إِيَّاهُكَ.

لَا تَسْتَغْلِ أَجِيرًا مِسْكِينًا أَوْ فَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ النَّزَّلَاءِ الَّذِينَ
فِي أَرْضِكَ، فِي مَدْنِكَ، بَلْ ادْفَعْ إِلَيْهِ أَجْرَتَهُ فِي يَوْمِهِ، وَلَا تَغِبْ عَلَيْهَا
الشَّمْسُ، لِأَنَّهُ مِسْكِينٌ وَإِلَيْهَا يَطْمَحُ، لِئَلَّا يَصْرُخَ عَلَيْكَ إِلَى الرَّبِّ، فَتَكُونَ
عَلَيْكَ خَطِيئَةً.

لَا يُقْتَلُ الْآبَاءُ بِالْبَنِينَ، وَلَا يُقْتَلُ الْبَنُونَ بِالْآبَاءِ، بَلْ كُلُّ امْرِئٍ
بِخَطِيئَتِهِ يُقْتَلُ.

لَا تُحَرِّفْ حَقَّ نَزِيلِ يَتِيمٍ، وَلَا تَرْتَهِنُ ثَوْبَ أَرْمَلَةٍ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ

_____ فَلَائِدُ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ _____

عَبْدًا بِمِصْرَ وَفَدَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ مِنْ هُنَاكَ ، لِذَلِكَ أَنَا أَمْرُكَ بِأَنْ تَصْنَعَ
هَذَا الْأَمْرَ.

إِذَا حَصَدْتَ حِصَادَكَ فِي حَقْلِكَ ، فَنَسِيتَ حُزْمَةً فِي الْحَقْلِ ، فَلَا
تَرْجِعْ لِتَأْخُذَهَا : إِنَّهَا لِلنَّزِيلِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ تَكُونُ ، لِكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ
إِلَهُكَ فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ يَدَيْكَ .

وَإِذَا خَبَطْتَ زَيْتُونَكَ ، فَلَا تُرَاجِعْ مَا بَقِيَ فِي الْأَغْصَانِ ، إِنَّهُ لِلنَّزِيلِ
وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ يَكُونُ . وَإِذَا قَطَفْتَ كَرْمَكَ ، فَلَا تُرَاجِعْ مَا بَقِيَ مِنْهُ ، إِنَّهُ
لِلنَّزِيلِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ يَكُونُ . وَادْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا بِمِصْرَ ، لِذَلِكَ أَنَا
أَمْرُكَ بِأَنْ تَصْنَعَ هَذَا الْأَمْرَ .

إِذَا وَقَعَتْ خُصُومَةٌ بَيْنَ أَنْاسٍ وَمَثَلُوا أَمَامَ الْقَضَاءِ ، فَلْيَحْكَمْ الْقَضَاءُ
بَيْنَهُمْ وَيُبْرِئُوا الْبَارَّ وَيُجَرِّمُوا الشَّرِيرَ . فَإِنْ كَانَ الشَّرِيرُ يَسْتَحِقُّ الْجُلْدَ ،
يَطْرَحُهُ الْقَاضِي وَيَأْمُرُ بِجُلْدِهِ بِحَضْرَتِهِ ، عَلَى قَدَرِ شَرِّهِ بِالْعَدَدِ . يَجْلِدُهُ
أَرْبَعِينَ وَلَا يَزِيدُ ، لِئَلَّا يُحْتَقَرَ أَخُوكَ فِي عَيْنَيْكَ ، إِذَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ
ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً .

شريعة أخي الزوج

إِذَا أَقَامَ أَخُوانِ مَعًا ، ثُمَّ مَاتَ أَحَدُهُمَا وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ ، فَلَا تَصِرِ
امْرَأَةً أَلْمِيَّةً إِلَى خَارِجٍ ، لِرَجُلٍ غَرِيبٍ ، بَلْ أَخُو رَجُلِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا
وَيَتَّخِذُهَا امْرَأَةً لَهُ ، وَهُوَ يَقُومُ نَحْوَهَا بِوَاجِبِهِ كَأَخِي الرَّجُلِ . وَيَكُونُ

البكر الذي تلده منه هو الذي يحمل اسم أخيه الميت، فلا يمحي اسمه من إسرائيل. فإن لم يرض الرجل أن يتخذ امرأة أخيه، فلتصعد امرأة أخيه إلى باب المدينة إلى الشيوخ، وتقل: قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسمًا في إسرائيل، ولم يرضني زوجة. فيستدعيه شيوخ مدينته ويكلمونه في ذلك. فإن أصر وقال: إنني لا أَرْضِي أَنْ أَتَّخِذَهَا، تتقدم إليه امرأة أخيه بحضرة الشيوخ وتخلع نعله من رجله، وتبصق في وجهه وتجيبه قائلة: هكذا يصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه. فيدعى في إسرائيل بيت المخلوع النعل.

الحياء في المشاجرات :

إذا تخاصم رجلان الواحد مع الآخر ، فتقدمت امرأة أحدهما لتتقد رجلها من يد ضاربه، فمدت يدها وأمسكت بعورته، فاقطع يدها ولا تشفق عينك عليها.

ملحقات :

لا يكن في كيسك ميزانان، كبير وصغير، ولا يكن في بيتك مكيالان، كبير وصغير، بل ليكن لك ميزان صحيح عادل ومكيال صحيح عادل، لكي تطول أيامك في الأرض التي يعطيك الرب إياها، لأن الرب إلهك يكره كل من يفعل ذلك وكل من يعمل بالظلم.

مقتطفات من سفر الحكمة

سليمان والتماس الحكمة⁽¹⁾



على الملوك أن يطلبوا الحكمة :

فاسمعوا أيها الملوك وافهموا!

والافتخرون بجموع أممكم!

لأن سلطانكم من الرب

وقدرتكم من العلي

وهو الذي سيفحص أعمالكم

ويسقضي نيأتكم.

فإنكم أنتم الخادمين لملكه

لم تحكموا بالصواب ولم تحفظوا الشريعة

ولم تسيروا بحسب مشيئة الله.

فسيطلع عليكم مطلقاً مخيفاً وسريعاً

لأن حكماً لا يشفق يجرى على الوجهاء.

(1) سفر الحكمة.

فَإِنَّ الصَّغِيرَ أَهْلٌ لِلرَّحْمَةِ .
أَمَّا أَرْبَابُ الْقُوَّةِ فَبِقُوَّةٍ يُفَحَّصُونَ .
وَسَيِّدُ الْجَمِيعِ لَا يَتَرَجَّعُ أَمَامَ أَحَدٍ
وَلَا يُهَابُ الْعِظَمَةَ
لَأَنَّ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ هُوَ صَنَعَهُمَا
وَهُوَ يَعْتَنِي بِالْجَمِيعِ عَلَى السَّوَاءِ .
لَكِنَّ الْمُقْتَدِرِينَ يَنْتَظِرُهُمْ تَحْقِيقٌ شَدِيدٌ .
فَالْيُكْمُ أَيُّهَا الْمُلُوكُ أَوْجُهُ كَلَامِي
لِكِي تَتَعَلَّمُوا الْحِكْمَةَ وَلَا تَزِلُّوا
فَإِنَّ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ بِقَدَاسَةٍ مَا هُوَ مُقَدَّسٌ
يُشْهَدُ لَهُمْ بِالْقَدَاسَةِ
وَتَعَلَّمُوا يَا قُضَاةَ أَقَاصِي الْأَرْضِ!
أَصْغُوا أَيُّهَا الْمُسَلِّطُونَ عَلَى الْجَمَاهِيرِ
وَالَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَهُ يَجِدُونَ فِيهِ دِفَاعًا .
فَارْغَبُوا فِي كَلَامِي وَاصْبُوا إِلَيْهِ تَتَأَدَّبُوا .

الحكمة تأتي لملاقاة الإنسان

الحكمة ساطعة لا تدبُل

— فَلَائِدُ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

تَسْهَلُ مُشَاهَدَتُهَا عَلَى الَّذِينَ يُحِبُّونَهَا
وَيَهْتَدِي إِلَيْهَا الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَهَا
تَسْبِقُ فَتُعَرِّفُ نَفْسَهَا إِلَى الَّذِينَ يَرْغَبُونَ فِيهَا .
وَمَنْ بَكَرَ فِي طَلَبِهَا لَا يَتَعَبُ
لَأَنَّهُ يَجِدُهَا جَالِسَةً عِنْدَ بَابِهِ .
فَالْتَأَمَّلْ فِيهَا كَمَا لُ الْفِطْنَةِ
وَمَنْ سَهَرَ لِأَجْلِهَا
لَا يَلْبِثُ أَنْ يَخْلُوَ مِنَ الْهُمُومِ .
لَأَنَّ الَّذِينَ أَهْلُ لَهَا هِيَ الَّتِي تَجُولُ فِي طَلَبِهِمْ
وَفِي سُبُلِهِمْ تَظْهَرُ لَهُمْ بَعْطَفُ
وَفِي كُلِّ خَاطِرٍ يَخْطُرُ لَهُمْ تَأْتِي لِلْمُلَاقَاتِهِمْ .
فَأَوَّلُهَا الرِّغْبَةُ الصَّادِقَةُ فِي التَّأْدِيبِ
وَالِاهْتِمَامُ بِالتَّأْدِيبِ هُوَ الْمَحَبَّةُ
وَالْمَحَبَّةُ هِيَ حِفْظُ شَرَائِعِهَا
وَمُرَاعَاةُ الشَّرَائِعِ هِيَ ضَمَانُ عَدَمِ الْفَسَادِ
وَعَدَمُ الْفَسَادِ هُوَ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ .

فَالرَّغْبَةُ فِي الْحِكْمَةِ تَقُودُ إِلَى الْمَلَكُوتِ.
فَإِنْ طَابَتْ لَكُمْ الْعُرُوشُ وَالصَّوَالِجَةُ
يَا مُلُوكَ الشُّعُوبِ
فَأَكْرِمُوا الْحِكْمَةَ لِكَيْ تَمْلِكُوا لِلْأَبَدِ.

سُلَيْمَانُ يَصِفُ الْحِكْمَةَ

وَأَنَا أَخْبِرُكُمْ مَا الْحِكْمَةُ وَكَيْفَ نَشَأَتْ
وَلَا أَكْتُمُ عَنْكُمْ الْأَسْرَارَ.
لَكِنِّي أَتَقَصَّاهَا مِنْ أَوَّلِ نَشَأَتِهَا
وَأَجْعَلُ مَعْرِفَتَهَا بَيِّنَةً
وَلَا أَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ
وَلَا أَسِيرُ مَعَ الْحَسَدِ الْمُذِيبِ
لَأَنَّهُ لَا حَظَّ لَهُ فِي الْحِكْمَةِ.
إِنَّ كَثْرَةَ الْحُكَمَاءِ خَلَاصُ الْعَالَمِ
وَالْمَلِكِ الْفَطِنِ ثَبَاتُ الشَّعْبِ.
فَتَأَدَّبُوا بِأَقْوَالِي تَسْتَفِيدُوا مِنْهَا.

لَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ إِلَّا إِنْسَانًا

إِنِّي أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ

قَابِلٌ لِلْمَوْتِ مُسَاوٍ لِجَمِيعِ النَّاسِ
مُتَحَدِّرٌ مِنْ أَوَّلِ مَنْ جَبَلَ مِنَ الْأَرْضِ
وَقَدْ صُوِّرَتْ جَسَدًا فِي بَطْنِ أُمٍّ
وَفِي مَدَّةِ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ تَكُونُ فِي الدَّمِ
مِنْ زَرْعِ رَجُلٍ
وَمِنْ اللَّذَّةِ الَّتِي تُصَاحِبُ النَّوْمَ.
وَلَمَّا وُلِدَتْ تَنَفَّسْتُ أَنَا أَيْضًا الْهَوَاءَ الْمَشْتَرَكِ
وَسَقَطَ رَأْسِي إِلَى الْأَرْضِ
كَمَا هِيَ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وَكَانَ الْبُكَاءُ صُرَاخِي الْأَوَّلَ
كَمَا هُوَ لِجَمِيعِ النَّاسِ.
وَرُبِّيتُ فِي الْقُمُطِ وَالْهُمُومِ
فَإِنَّهُ لَيْسَ لِمَلِكٍ بَدْءُ وُجُودٍ غَيْرُ هَذَا
بَلْ وَاحِدٌ دُخُولُ الْجَمِيعِ إِلَى الْحَيَاةِ
وَسَوَاءٌ خُرُوجُهُمْ مِنْهَا.

تقدير سليمان للحكمة

لِذَلِكَ صَلَّيْتُ فَأَوْتِيْتُ الْفِطْنَةَ
وَدَعَوْتُ فَأَتَانِي رُوحُ الْحِكْمَةِ.
فَفَضَّلْتُهَا عَلَى الصَّوَالِجِ وَالْعُرُوشِ
وَعَدَدْتُ الْغِنَى كُلَّ شَيْءٍ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهَا
وَلَمْ أُعَادِلْ بِهَا الْحَجَرَ الَّذِي لَا يُقَدَّرُ
لَأَنَّ كُلَّ الذَّهَبِ بِإِزَائِهَا قَلِيلٌ مِنَ الرَّمْلِ
وَالْفِضَّةُ عِنْدَهَا تُحْسَبُ طِينًا.
وَأَحْبَبْتُهَا فَوْقَ الْعَافِيَةِ وَالْجَمَالِ
وَأَثَرْتُ أَنْ أَتَّخِذَهَا قَبْلَ النُّورِ
لَأَنَّ رَوْنَقَهَا لَا يَقَرُّ لَهُ قَرَارُ.
فَأَتَتْنِي مَعَهَا جَمِيعُ الْخَيْرَاتِ
وَعَنْ يَدَيْهَا غِنًى لَا يُحْصَى.
فَسُرَّرتُ بِهَذِهِ الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا
لَأَنَّهَا بِإِمْرَةِ الْحِكْمَةِ
وَلَمْ أَكُنْ عَالِمًا بِأَنَّهَا أُمُّ لَهَا جَمِيعًا.

وَمَا تَعَلَّمْتَهُ بِإِخْلَاصٍ أُشْرِكُ فِيهِ بِسَخَاءٍ
وَلَا أَكْتُمُ غِنَاهَا.

فَإِنَّهَا كَنْزٌ لِلنَّاسِ لَا يَنْفَدُ
وَالَّذِينَ اقْتَتَوْهُ كَسَبُوا صَدَاقَةَ اللَّهِ
وَقَدْ أَوْصَتْهُ بِهِمْ
الْمَوَاهِبُ الصَّادِرَةُ عَنِ التَّأْدِيبِ.

دَعْوَةٌ إِلَى الْإِلَهَامِ الْإِلَهِيِّ

لِيَهَبَ لِي اللَّهُ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِحَسَبِ رَغْبَتِهِ
وَأَنْ أُجْرِيَ فِي خَاطِرِي
مَا يَلِيقُ بِمَا نِلْتَهُ مِنَ الْمَوَاهِبِ
فَإِنَّهُ هُوَ دَلِيلُ الْحِكْمَةِ وَمُرْشِدُ الْحُكَمَاءِ.
وَفِي يَدِهِ نَحْنُ وَأَقْوَالُنَا
وَكُلُّ فِطْنَةٍ وَكُلُّ عِلْمٍ مِنْ عُلُومِ الصَّنَاعَةِ.
فَهُوَ الَّذِي وَهَبَ لِي عِلْمًا يَقِينًا بِالْكَائِنَاتِ
حَتَّى أَعْرِفَ نِظَامَ الْعَالَمِ وَفَاعِلِيَّةَ الْعُنَاصِرِ
وَمَبْدَأَ الْأَزْمِنَةِ وَمُنْتَهَاهَا وَمَا بَيْنَهُمَا

وتَعاقَبَ الاعتِدالاتِ وتَغَيَّرَ الفُصول
ودَوَائِرِ السَّنَةِ ومَراكِزِ النُّجوم
وطبائِعِ الحَيَواناتِ وغَرَائِزِ الوُحوشِ
ونَعَماتِ الأرواحِ وخَواطِرِ البَشَرِ
وأَنواعِ النَّباتِ وخَواصِّ الجُذورِ
فَعَرَفْتُ كُلَّ ما خَفِيَ وكُلَّ ما ظَهَرَ
لأنَّ مُهندِسةَ كُلِّ شَيْءٍ علَّمتني
وهي الحِكمةُ.

مديح الحكمة

فإنَّ فيها روحًا فَطِنًا قُدُّوسًا
وَحِيدًا مُتَشَعِّبًا لَطِيفًا
مُتَحَرِّكًا ثاقِبًا طَاهِرًا
واضِحًا سَلِيمًا مُحِبًّا لِلخَيْرِ حَادًّا
حُرًّا مُحْسِنًا مُحِبًّا لِلبَشَرِ
ثابِتًا آمِنًا مُطْمَئِنًّا
يَقْدِرُ على كُلِّ شَيْءٍ وَيُراقِبُ كُلَّ شَيْءٍ

يَنْفُذُ إِلَى جَمِيعِ الْأَرْوَاحِ
الْفَهْمَةِ مِنْهَا وَالطَّاهِرَةِ وَالْأَشَدَّ لَطَافَةً
لَأَنَّ الْحِكْمَةَ أَكْثَرُ حَرَكَةً مِنْ كُلِّ حَرَكَةٍ
فَهِى لَطَهَارَتِهَا تَخْتَرِقُ وَتَنْفُذُ كُلَّ شَيْءٍ .
فَإِنَّهَا نَفْحَةٌ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ
وَانْبِعَاثٌ خَالِصٌ مِنْ مَجْدِ الْقَدِيرِ
فَلِذَلِكَ لَا يَتَسَرَّبُ إِلَيْهَا شَيْءٌ نَجِسٌ
لَأَنَّهَا انْعِكَاسٌ لِلنُّورِ الْأَزَلِيِّ
وَمِرَاةٌ صَافِيَةٌ لِعَمَلِ اللَّهِ
وَصُورَةٌ لِصَلَاحِهِ .
تَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ وَحْدَهَا
وَتَجَدِّدُ كُلَّ شَيْءٍ وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي ذَاتِهَا
وَعَلَى مَرِّ الْأَجْيَالِ تَجْتَازُ إِلَى نَفُوسٍ قَدِيسَةٍ
فَتُتَشَى أَوْصِدِقَاءَ لِلَّهِ وَأَنْبِيَاءَ
لَأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ إِلَّا مَنْ يُسَاكِنُ الْحِكْمَةَ .
فَإِنَّهَا أَبْهَى مِنَ الشَّمْسِ

وَأَسْمَى مِنْ كُلِّ مَجْمُوعَةٍ نُجُومٍ
وَإِذَا قِيسَتْ بِالنُّورِ ظَهَرَ تَفَوُّقُهَا
لَأَنَّ النُّورَ يَعْقُبُهُ اللَّيْلُ.
أَمَّا الْحِكْمَةُ فَلَا يَغْلِبُهَا الشَّرُّ.
إِنَّهَا تَمْتَدُّ بِقُوَّةٍ.
مِنْ أَقْصَى الْعَالَمِ إِلَى أَقْصَاهُ
وَتَدَبَّرُ كُلَّ شَيْءٍ لِلْفَائِدَةِ.

الحكمة زوجة مثالية لسليمان

وهي التي أَحَبَّتْهَا وَالتَمَسْتُهَا مِنْذُ حَدَاثَتِي
وَسَعَيْتُ أَنْ أَتَّخِذَهَا لِي عَرُوسًا
وَصِرْتُ لِحِمَالِهَا عَاشِقًا.
تُظْهِرُ أَصْلَهَا الْكَرِيمَ بِاشْتِرَاكِهَا فِي حَيَاةِ اللَّهِ
وَقَدْ أَحَبَّهَا سَيِّدُ الْجَمِيعِ
فَهِيَ مُطْلَعَةٌ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ وَالْمُتَخَيِّرَةُ لِأَعْمَالِهِ.
إِذَا كَانَ الْغِنَى مِلْكًا مَرْغُوبًا فِيهِ
فَأَيُّ شَيْءٍ أَغْنَى مِنَ الْحِكْمَةِ

الَّتِي تَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ؟
وإن كَانَتِ الْفِطْنَةُ هِيَ الَّتِي تَعْمَلُ
فَمَنْ أَمْهَرُ مِنْهَا فِي هَنْدَسَةِ الْكَائِنَاتِ؟
وإذا كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ الْبِرَّ
فَاتَّعَابُهَا هِيَ الْفَضَائِلُ
لأنَّهَا تُعَلِّمُ الْقَنَاعَةَ وَالْفِطْنَةَ وَالْبِرَّ وَالشَّجَاعَةَ
الَّتِي لَا شَيْءَ لِلنَّاسِ فِي الْحَيَاةِ أَنْفَعُ مِنْهَا.
وإذا كَانَ أَحَدٌ يَرْغَبُ فِي خَبْرَةٍ وَاسِعَةٍ
فَهِيَ تَعْرِفُ الْمَاضِي وَتَتَكَهَّنُ بِالْمُسْتَقْبَلِ
وَتُحَسِّنُ صَوْغَ الْحِكْمِ وَحُلَّ الْأَلْغَازِ
وَتَعَلِّمُ بِالْآيَاتِ وَالْخَوَارِقِ قَبْلَ حُدُوثِهَا
وَبِتَعَاقُبِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمِنَةِ.

لا يَسْتَغْنَى الْمَلُوكُ عَنِ الْحِكْمَةِ

لِذَلِكَ عَزَمْتُ أَنْ أَتَّخِذَهَا قَرِينَةً لِحَيَاتِي
عَلِمًا بِأَنَّهَا تَكُونُ لِي مُشِيرَةً لِلْخَيْرِ
وَمُسَدِّدَةً فِي الْهُمُومِ وَالْغَمِّ

فَيَكُونُ لِي بِهَا مَجْدٌ عِنْدَ الْجُمُوعِ
وَكِرَامَةٌ لَدَى الشُّيُوخِ مَعَ صِغَرِ سِنِّي
وَيَجِدُونَنِي ثَاقِبَ الْفِكْرِ فِي إِجْرَاءِ الْحُكْمِ
وَيُعْجَبُونَ بِي أَمَامَ الْمُقْتَدِرِينَ.
وَإِذَا صَمْتُ يُنْتَظِرُونَنِي
وَإِذَا تَكَلَّمْتُ يُصْغَوْنَ
وَإِذَا أَفْضْتُ فِي الْكَلَامِ
يَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ.
وَأَنَالُ بِهَا الْخُلُودَ
وَأُخَلِّفُ عِنْدَ الَّذِينَ بَعْدِي ذِكْرًا مُؤَبَّدًا.
أَحْكُمُ الشُّعُوبَ وَتَخْضَعُ لِي الْأُمَمُ.
يَسْمَعُ بِي مُلُوكٌ مَرَّهَوْبُونَ فَيَخَافُونَ
وَأُظْهِرُ فِي الْجَمْعِ صَالِحًا
وَفِي الْحَرْبِ شُجَاعًا.
وَإِذَا دَخَلْتُ بَيْتِي اسْتَرَحْتُ إِلَى جَانِبِهَا
لَأَنَّهُ لَيْسَ فِي مُعَاشَرَتِهَا مَرَارَةٌ.

وَلَا فِي الْحَيَاةِ مَعَهَا غَمٌّ

بَلْ سُرُورٌ وَفَرَحٌ.

سُلَيْمَانُ يَلْتَمِسُ الْحِكْمَةَ

وَبَعْدَ أَنْ فَكَّرْتُ فِي نَفْسِي بِهَذِهِ

واعتَبَرْتُ فِي قَلْبِي

أَنَّ فِي قُرْبِي الْحِكْمَةَ خُلُودًا

وَفِي صَدَاقَتِهَا لَذَّةٌ سَامِيَةٌ

وَفِي أَتْعَابِ يَدَيْهَا غِنًى لَا يَفْنَى

وَفِي الْمُوَاطَّاةِ عَلَى مُعَاشَرَتِهَا فِطْنَةٌ

وَفِي التَّحَدُّثِ إِلَيْهَا سُمْعَةٌ

أَخَذْتُ أَطُوفُ طَالِبًا كَيْفَ أَتَّخِذُهَا لِنَفْسِي.

كُنْتُ صَبِيًّا حَسَنَ الطَّبَاعِ

وَرُزِقْتُ نَفْسًا صَالِحَةً

بَلْ كُنْتُ بِالْأَحْرَى صَالِحًا

فَأَتَيْتُ فِي جَسَدٍ غَيْرِ مُدَنِّسٍ.

وَلَمَّا عَلِمْتُ بِأَنِّي لَا أَكُونُ صَاحِبَ حِكْمَةٍ

ما لم يَهَبْهَا لِي اللَّهُ
وقد كَانَ مِنَ الْفِطْنَةِ
أَنْ أَعْلَمَ مِمَّنْ هَذِهِ النُّعْمَةُ
تَوَجَّهْتُ إِلَى الرَّبِّ وَسَأَلْتُهُ
وَقُلْتُ مِنْ كُلِّ قَلْبِي:

صلاة لبَّيل الحكمة

«يا إِلَهَ الْآبَاءِ ويا رَبَّ الرَّحْمَةِ
يا صَانِعَ كُلِّ شَيْءٍ بِكَلِمَتِكَ
وَمُكَوِّنَ الْإِنْسَانَ بِحِكْمَتِكَ
لِكَيْ يَسُودَ الْخَلَائِقَ الَّتِي صَنَعْتَهَا
وَيَسُوسَ الْعَالَمَ بِالْقُدَّاسَةِ وَالْبِرِّ
وَيُجْرِيَ الْحُكْمَ بِاسْتِقَامَةِ النَّفْسِ
هَبْ لِي الْحِكْمَةَ
الْجَالِسَةَ مَعَكَ إِلَى عَرْشِكَ
وَلَا تَتَبَدَّنِي مِنْ بَيْنِ أِبْنَائِكَ
فإني أنا عَبْدُكَ وابنُ أَمَتِكَ

إِنْسَانٌ ضَعِيفٌ قَصِيرُ الْحَيَاةِ
قَلِيلُ الْإِدْرَاكِ لِلْقَضَاءِ وَالشَّرَائِعِ.
فَلَوْ كَانَ فِي بَنِي الْبَشَرِ أَحَدٌ كَامِلٌ
وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُ الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْكَ
فَلَا يُحْسَبُ شَيْئًا
قَدْ اخْتَرْتَنِي أَنْتَ لِشَعْبِكَ مَلِكًا
وَلَأَبْنَائِكَ وَبَنَاتِكَ قَاضِيًا
وَأَمَرْتَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَيْكَلًا فِي جَبَلٍ قُدْسِكَ
وَمَذْبَحًا فِي الْمَدِينَةِ
الَّتِي نَصَبْتَ فِيهَا خِيَمَتَكَ
عَلَى مِثَالِ الْخِيَمَةِ الْمُقَدَّسَةِ
الَّتِي هَيَّأْتَهَا مِنْذُ الْبَدْءِ.
إِنَّ مَعَكَ الْحِكْمَةَ الْعَلِيمَةَ بِأَعْمَالِكَ
وَالَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً حِينَ صَنَعْتَ الْعَالَمَ
وَهِيَ عَارِفَةٌ مَا الْمَرَضِيُّ فِي عَيْنِكَ
وَالْمُسْتَقِيمُ بِحَسَبِ وَصَايَاكَ.

فَأَرْسَلَهَا مِنَ السَّمَّوَاتِ الْمُقَدَّسَةِ
وَابْعَثَهَا مِنْ عَرْشِ مَجْدِكَ
لِكَيْ تَقِفَ إِلَى جَانِبِي وَتَجِدَ مَعِيَ
وَأَعْلَمَ مَا الْمَرْضِيُّ لَدَيْكَ.
فَإِنَّهَا تَعْلَمُ وَتَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ
فَتَكُونُ لِي فِي أَعْمَالِي مُرْشِدًا فَطِينًا
وَبِمَجْدِهَا تَحْمِينِي
فَتُصْبِحُ أَعْمَالِي مَقْبُولَةً
وَأَحْكُمُ لِسَعْبِكَ بِالْعَدْلِ
وَأَكُونُ أَهْلًا لِعَرْشِ أَبِي.
فَأَيُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ قَضَاءَ اللَّهِ
أَوْ مَنْ الَّذِي يَتَصَوَّرُ مَا يُرِيدُ الرَّبُّ؟
لَأَنَّ أَفْكَارَ الْبَشَرِ مُتَرَدِّدَةٌ
وَحَوَاطِرُنَا غَيْرُ رَاسِخَةٍ
فَإِنَّ الْجَسَدَ الْفَاسِدَ يُثْقِلُ النَّفْسَ
وَالْخِيَمَةَ التُّرَابِيَّةَ

عِبَاءٌ لِلْعَقْلِ الْكَثِيرِ الْهَمُومِ .
وَنَحْنُ بِالْجَهْدِ نَتَكَهَّنُ بِمَا عَلَى الْأَرْضِ
وَبِالْكَدِّ نَهْتَدِي إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِينَا
فَمَا فِي السَّمَوَاتِ مَنْ الَّذِي اكْتَشَفَهُ؟
وَمَنْ الَّذِي عَلَّمَ بِمَشِيئَتِكَ
لَوْ لَمْ تُؤْتِ الْحِكْمَةَ
وَتُرْسِلُ مِنَ الْعُلَى رُوحَكَ الْقُدُّوسَ؟
هَكَذَا قُومَتِ سُبُلُ الَّذِينَ عَلَى الْأَرْضِ
وَتَعَلَّمَ النَّاسُ مَا يُرْضِيكَ
وَبِالْحِكْمَةِ نَالُوا الْخَلَاصَ» .

من أفكار وتعاليم الحكيم الصيني لاوتسي⁽¹⁾



– الطاوُ (TAO) هي المبدأ الأول الذي ينبثق منه كل وجود، وكل تغيير؛ مَعِينُهُ لا ينضب؛ لطفت أنواره وصقلت حواشيه، وهدأت اضطراباته، فأصبح معتدلاً لطيفاً، مثل المياه الهادئة الصافية.

* * * * *

– الحكيم يعمل ولا يملك، ينجز ولا ينتظر جزاء،
يبعث الروح في الأشياء ولا يسعى لامتلاكها.
وبما أنه لا يطلب أيّ جزاء مادي، فهو لا يخشى أن يفقد أيّ شيء.

* * * * *

– الحكيم يختار لسكناه الأماكن المنخفضة،
قلبه يحب ما كان عميقاً ، هادئاً وساكناً.
في كلماته دفء وصفاء، وفي معاملاته

لطافة وإخلاص وصدق. يسعى للسلام،

(1) تمثل تعاليم لاوتسي طريقة روحية ونزعة سلوكية تشبه بعض تعاليم الطريقة الصوفية لدى بعض الجماعات الإسلامية.
وقد عاش الحكيم لاوتسي في القرن السادس قبل الميلاد.

فلأند الذهب في الحكمة والأدب —

لا يجادل ولا يشاكس ، فلا يسمع مكروه الكلام.

* * * * *

— قيّدوا رغباتكم ، أجموا أنانياتكم،

أخرجوا ما في فطرتكم من صفات البساطة

والطهارة والعفوية، تجنبوا المظاهر الجذابة

المغرية، فالناس في حاجة إلى من يعتمدون عليهم.

* * * * *

— من يقف على أصابع رجله لا يقف ثابتاً،

من يخطو بخطوات متوترة لا يذهب بعيداً،

من يرغب في الظهور أمام الناس لا يلمع نجمه طويلاً،

من يحرص على تبرير أفعاله لا تدوم الثقة به،

من يفخر بنفسه تكشفه مراكز المسؤولية.

هذه صفات تعدّ أدنى من حثالة الفضيلة.

* * * * *

— السَّبَّاق الماهر لا يترك أثراً على دربه،

الخطيب البليغ لا يلجأ إلى الانتقاد،

الباب الذي يحكم إغلاقه لا يحتاج إلى قفل،
العقدة المحكمة قد تتم من غير حبل،
سلوك الشرير درس للصالح، وسلوك الصالح درس للضال.

* * * * *

— العنف ليس من طبيعة الطاوية،⁽¹⁾
من ينبذ الطاوية يهلك قبل الأوان،
القائد الحكيم لا يعتمد على القوة،
وإذا فعل لا يتجاوز حدود الهدف،
يعتبر انتصاره ضرورة يؤسف لها،
ينبغي أن يكون الاحتفال بالانتصار في شكل مأتم.

* * * * *

— من يعرف الآخرين يعتبر عالماً،
من يعرف نفسه يعتبر حكيماً،
صاحب العضلات قد يسيطر على غيره،
صاحب القوة الحقيقية يسيطر على نفسه

(1) فلسفة سلوكية مبنية على تعاليم لاوتسي.

— فُلَّادُ الذهب في الحكمة والأدب —

من يترك ذكرا حسناً يعيش طويلاً بعد وفاته .

* * * * *

- عندما تكثر الممنوعات والمحظورات في بلد

ينتشر فيها الفقر والاحتياال،

بقدر ما تنتشر الأسلحة الفتاكة،

ينتشر العدوان والفوضى،

بقدر ما تنتشر المهارات التقنية،

يتقن الأشرار وسائل الخداع والسطو .

* * * * *

- الطاوية سرّ الكون الخفيّ ، إنها كنز الرجل الطيب،

وملجأ الرجل الشقيّ؛

السلوك النبيل هدية ثمينة،

الكلمة الطيبة شجرة طيبة، يمكن للمرء

أن يبيع الكلام الطيب في السوق،

للحكيم مبادئ ثابتة، ليس فيها زوايا حادة،

فهو قويٌّ ولكنه غير متسلط،

نوره يضيئ الدرب، دون أن يزعج البصر.

* * * * *

— الشيء الساكن يسهل إمساكه،

الشيء الخفيّ يمكن تأجيله،

حاول أن تعالج المشاكل قبل أن تتشأ،

ثم قبل أن يتسع الخرق على الراقق،

الشجرة العملاقة من بذرة صغيرة،

رحلة ألف ميل تبدأ بخطوة.

* * * * *

— الحكيم لا يقبض على الشيء بقوة،

لكي لا يكسره أو يضطر لتسليمه.

رغبة الحكيم هي أنه ليس له رغبات،

لا يعطي قيمة للأشياء التي يتعذر نيلها،

يسعى لإصلاح مسيرة الطبيعة من غير

أن يعرقل اتجاهها.

إنه يحذر البداية ويحذر عواقب النهاية.

* * * * *

— فُلَّانُ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

— من ينبذ الحبَّ ⁽¹⁾ ويتبنى التهور، يتخلى

عن التعقل،

من يرفض أن يكون خلف الآخرين،

ويركض أمامهم ، يسعى لحطفه،

الحبَّ ينتصر عند الهجوم ، ويظل حصيناً

عند الدفاع،

إن السماء تسليح من تصطفِيهم بسلاح الحبّ.

* * * * *

— علاج حقد قديم يترك شيئاً منه في أعماق النفس،

— فهل تعتبر ذلك نتيجة مرضية؟

بل ينبغي للحكيم أن يقبل بالنصيب الأقل

من القضية، ولا يلقي اللوم على الطرف الآخر.

الرجل الشرير يسارع إلى إدانة الآخرين،

والعاقل يسعى جاهداً لإصلاح ذات البين.

* * * * *

(1) يعني جميع أنواع الحب: الحب الإلهي، حب الوالدين والأقرباء والأصدقاء إلخ.

الفيلسوف كونفوشيوس⁽¹⁾

(من مآثور أقواله)



- الرجل العادي قد يقع في خطر بسبب حبه للماء؛ والجنتلمان بسبب حبه للكلام؛ والرجل العظيم بسبب حبه للناس. فالماء يهلك لأن الناس ألفوه، فقلّ حذرهم منه؛ وكثرة الكلام تهلك، لأن ألفاظه تنطلق بسهولة، ولكن يتعذر استرجاعها؛ أما خطر الناس فلأن منهم الحقير والجاهل والدينئ، فعلى الحكيم أن يحترمهم ويحذرهم.

- عندما يسود الخير والنظام في بلد، يكون فقراؤها عارا عليها. وعندما تستولى الفوضى على بلد ما، فإن أغنياءها ورجال دولتها يشعرون بالعار للعيش فيها.

- قليل الهمّة والكفاءة لا يصلح أن يتولى منصب وزير في دولة. تجده متلهفاً على المنصب قبل أن يناله؛ ثم خائفاً على فقده إذا ناله؛ وإذا وصل إلى مرحلة الخوف، نجده مستعداً ليفعل أي شيء للبقاء في المنصب.

- إذا كان المرء شديداً على نفسه، متسامحاً مع الآخرين فهو لا يثير مشاعر الكراهية لدى الناس.

(1) ولد سنة 551 - وتوفى عام 479 ق.م .

فلأند الذهب في الحكمة والأدب —

- لا تقلق ممن لا يعرفونك، بل إعمل لتكون جديرًا بأن يسعوا لمعرفتك.
- الكلام الأنيق المصقول كثيرًا ما يجعل من الصعب علينا أن نتبين الصواب من الخطأ، وإن من البلاغة لسحرا قد يقلب المواقف.
- ينبغي ألا نجازي الشرّ بالخير، بل نجازي الخير بالخير، والشرّ بالعدل، فنشجع الأول ونردع الثاني.
- مقابلة الشرّ بالعفو من كرم النفس؛ ومجازاة الخير بالشرّ من صفات المجرمين.
- عندما تتعرف على رجل كريم الخلق، حاول أن تتزود من أخلاقه، وعندما تتعرف على رجل شرير فتش نفسك عن شيء من مساوئه.
- سأله سائل عن عبادة الأرواح السماوية والأرضية فأجاب: ما زلنا لا نعرف كيف نخدم الإنسان، فكيف لنا أن نعرف كيف نخدم الأرواح؟
- وماذا عن الموت؟
- لم نتعلم بعد كل شيء عن الحياة، فكيف نعرف شيئًا عن الموت؟
- وسأله آخر: هل تعلمني عبارة تكون مفتاحًا للسلوك في الحياة؟
- لعلها عبارة «المعاملة بالمثل»، أي لاتفعل لغيرك ما تكره أن يفعل لك.
- إن أسمى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان هو أن يعرف المفتاح الأساسي لوجودنا الأخلاقي الذي يوحدنا مع النظام الكوني، من أجل بلوغ الانسجام مع مخلوقات الكون.

- التواضع أقرب الصفات إلى الانضباط الأخلاقي؛ البساطة في السلوك أقرب إلى الطبيعة؛ الإخلاص أقرب إلى صفاء الضمير. فالتواضع يجنب الوقوع في الأخطاء، والإخلاص يجعل الإنسان موضع ثقة، وبساطة السلوك تجعله كريم الخلق.

- سألته سائل: هل من كان كلامه بطيئاً إنسان كامل الخلق؟

- ألا ترون أنه من العسير على المرء أن ينجز جميع ما يقول؟ أليس من الحكمة أن يبطئ قليلاً في كلامه؟

- الرجل العاقل يهتم بروحه، والجاهل يهتم بممتلكاته؛ العاقل يتذكر أخطائه، والجاهل ما نال من هدايا.

- الحكيم يتساهل أمام آراء الآخرين، وإن كان لا يتبناها جميعها؛ والجاهل لا يسمح لهم بالتعبير عن آرائهم، وإن كان يوافق عليها.

- تعليم الأطفال يبدأ بحفظ شيء من جيّد الشعر، والتدريب على الانضباط في السلوك، ويتواصل بشيء من الموسيقى.

- إذا كان لك من التبصر ما يساعدك على اكتشاف الحقيقة، وليس لك من قوة الإرادة ما يدفعك للتمسك بها، فما جدوى تبصرتك؟ وإذا تمسكت بها، وكنت من رجال الدولة ولا تهتم بالمظهر المناسب لمنصبك، فقليلاً ما تحظى باحترام الناس.

- الرجل الذي يراجع ما قرأ، ويستخرج منه معاني جديدة، يكون جديراً بأن يمتحن التعليم.

_____ فلائذ الذهب في الحكمة والأدب —

- من يقرأ من غير أن يفكر قد يتبلبل فكره، ومن يفكر من غير أن يقرأ قد يصبح تفكيره متقلباً.

- قال كونفوشيوس: هل سمعتم بما قيل عن النقائص الستة؟ قالوا: «لا».

قال: إذا اتصف الرجل بخلق العطف ورقة الفؤاد، ولم يحبّ المطالعة، يكون نقصه هو الجهل؛ وإذا أحبّ الحكمة، ولم يحبّ المطالعة، تكون أفكاره غير سليمة؛ وإذا اتصف بالنزاهة، ولم يحبّ المطالعة، يتمثل نقصه في الميل إلى إفساد ما أصلح؛ وإذا أحبّ التواضع ولم يحبّ المطالعة يشعر بالنقص ويملّ الحياة الرتيبة؛ وإذا اتصف بالشجاعة، ولم يقبل على المطالعة، يتمثل نقصه في العنف والتهور؛ وإذا اتسم خلقه بالالتزام، وعزف عن المطالعة، يتمثل نقصه في العناد والإفراط في الثقة بالنفس.

- سأل كونفوشيوس أحد تلاميذه:

- حدثني عن خصلة من خصالك!

- أققسم مع أصدقائي استعمال عرياتي وخيولي وملابسي الفاخرة، وإذا أسأؤوا استعمالها لا أنزعج.

وطرح السؤال على تلميذ آخر، فأجابه:

- لا أفتخر بمواهبي، ولا بأيّ خدمات أقدمها لغيري.

وسأل تلميذ المعلم كونفوشيوس:

— أذكر لنا بعض رغباتك، أيها الحكيم!

— أن أَلطّف من معاناة الشيوخ، وأحاول أن أحافظ على ثقة الناس، وأن أفعل ما يجلب لي محبة الشباب.

— قال كونفوشيوس: الرجل الصالح النشط يحب الماء؛ والرجل الصالح الهادئ يحبّ الجبال؛ الأول يحبّ الحركة، والثاني يفضل السكون والتأمل؛ الأول يفضل أن يختلط بالناس، والثاني يميل إلى الانعزال، وكل يجد سعادته في ظروف حياته.

— وسئل: إذا قيل لرجل حكيم إن الفضيلة في بئر، هل ينزل إلى داخل البئر ليتناولها؟

— قد يذهب هذا الرجل حتى حافة البئر، ولكنه لا يغامر بالنزول إلى أعماق البئر. فمن الممكن أن يُخدع، ولكن ليس ممكناً أن يفقد عقله.

— الفضيلة أن يحاول الرجل الصالح أن يرفع غيره إلى المستوى الذي يرغب في أن يصل إليه هو نفسه.

— لو سافرت مع رجلين لاتخذت كلا منهما معلماً لي: أتفحص ما في سلوك الأول من حسنات فأقلدها؛ وما في سلوك الآخر من أخطاء فأحاول إصلاحها في سلوكي.

- وسئل : كيف تعظم الفضيلة ؟

- أن تخدم الناس قبل أن تتوقع الجزاء؛ وأن تصحح أخطاءك قبل أن تعاتب غيرك؛ وألا تغامر في لحظة غضب فتعرض حياتك وحياة أهلِكَ للخطر.

- وقال : الرجل الصالح يولي اهتمامه لتسعة أشياء: إذا نظر يركز بصره؛ وإذا استمع يركز سمعه؛ يجعل ملامح وجهه مؤنسة؛ ومواقفه توحى بالإحترام؛ كلماته صادقة؛ ينجز أعماله بالمشابرة والإتقان؛ يبتعد عن الشك بالبحث والسؤال؛ يتجنب عواقب الغضب؛ في سعيه لكسب المال، يفكر في القانون والعدالة.

- كان الجيل السابق يتمسك ببعض الفضائل، تكاد تختفي في هذا الجيل: كانت أصالته في الحرية، وهي اليوم تتمثل في الإباحية؛ كانت كرامته في الاستقامة، تحولت اليوم إلى الفظاظة؛ كانت سذاجته تتمثل في النزاهة، فأصبح اليوم يلجأ إلى الكذب والاحتيال.

- وسئل: هل من أهل الخير والصلاح من يحمل الحقد والكراهية؟

- أجل، الرجل الخيّر يكره من ينشرون عيوب الناس؛ ومن يحقرون غيرهم ويغتابونهم؛ ويكره الرجل الشجاع الذي لا يحترم الشعائر والطقوس؛ ويكره المغامر من ذوي التفكير الضيق، والمتعصبين المتهورين.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

— وسأل أحد تلاميذه:

— هل تكره في الناس بعض الصفات؟

— أجل يا سيدي، أكره من ينسب إلى نفسه أقوال الآخرين
وكتاباتهم، ليظهر أنه من أصحاب المعرفة؛ وأكره من يقل أدبهم
واحترامهم ويحسبون ذلك شجاعة؛ ومن يشهرون بعيوب الناس،
ويحسبون ذلك من الصراحة.

— وقال كونفوشيوس: ليس من السهل التعامل مع من زادت غباوتهم
على ذكائهم: فإذا عاشرتهم بلطف وتواضع ظنوك ضعيفاً؛ وإذا
عاملتهم بجدٍّ، ولم تندمج معهم، كرهوك.

* * * * *

من تعاليم شوانغتسي⁽¹⁾



عندما توفيَّ الحكيم لاوتسي ذهب تشين يي لتشيع جنازته،
فأطلق ثلاث صيحات وغادر المكان. فسأله أحد التلاميذ:

— ألم تكن من أصدقاء معلمنا لاوتسي؟

— أجل.

— فهل تظن أن صيحاتك الثلاثة كافية للتعبير عن حزنك على وفاة
صديقك؟

— أجل. لقد كنتُ دائماً أعرف أنه معرض للموت مثل غيره، أما الآن
فأعرف أنه ليس كذلك. وعندما حضرت لتشيع جنازته، وجدت
شيوخاً يكون كأنهم فقدوا أطفالهم، وأطفالاً يكون كأنهم فقدوا
أمهاتهم. ومن يبكي بهذه الطريقة على الميت يعني أنه يجهل مبدأ
الحياة والموت، مبدأ الطبيعة، ويستغرق في الارتباط بالناس،
متجاهلاً المنبع الذي نتلقى منه الحياة. لقد كان القدماء يسمون
هذا السلوك «التهرب من مكافأة السماء».

لقد جاء المعلم لاوتسي إلى الحياة عندما حان موعد ميلاده، ثم

(1) Chuangtse توفي حوالي 275 ق.م. كان أول من عمل على تطوير تعاليم لاوتسي،
وكتب رسائل مطولة عن فلسفة الطاوية.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

ذهب عندما دق جرس سفره. ومن يتقبلون المجرى الطبيعي لتتابع الحوادث يصبحون فوق مشاعر الفرح والحزن، وقد قال الحكماء عن الموت «إنه الخلاص من الرق».

* * * * *

روى شوانغتسي قال:

— قال كونفوشيوس: عندما نميز الأشياء بعضها عن البعض الآخر، إنما نتحدث عن الفرق مثلاً بين الكبد والمرارة، بين دولة شمالية وأخرى في الجنوب، ولكن عندما نتحدث عن تشابه الأشياء، نجدها جميعها تعود إلى أصل واحد. ومن ينظر إلى الحياة بهذا المنظار، لا يكثر كثيرًا لما يصل إلى وعيه عن طريق حواس السمع والبصر، بل يترك فكره يحلق في أجواء الانسجام والتناغم بين الأشياء والمخلوقات. فهو يشاهد ما في الكون من وحدة، ولا يتوقف عندما يلاحظ من فقدان مواد صغيرة. إن الإنسان لا يشاهد نفسه في المياه الجارية، ويجد اللطف والراحة في الماء الهادئ الصافي.

* * * * *

وقال:

— قال كونفوشيوس لدوق ولاية «لو»:

شاهدت ذات يوم مجموعة من جراء الخنازير ترضع أمها، وكانت الأم قد فارقت الحياة. وبعد فترة غادرها الجراء لأنها لم ترعها،

فلأند الذهب في الحكمة والأدب —

ولم تنتظر إليها. فما كانت تريده الجراء هي صفة الأم، وليس مجرد جسدها؛ وعندما يقتل جنود في معركة، لا يبحث المسؤول عن صناديق ليدفّنوا فيها؛ والرجل الذي تقطع رجله لا يقدم له الناس زوج أحذية هدية، فهذه الأمثلة تظهر الأهمية التي يوليها الناس للجسد عندما يكون كاملاً متكاملاً. فما هي إذا قيمة من يحافظ على فضائله كاملة؟

ألا ترى أن الرجل، قبيح المنظر، الذي نتحدث عنه، لم يقل ولم يفعل شيئاً يلفت النظر، ومع ذلك فإن رجل الدولة أوكل إليه مسؤولية إدارة جهاز الدولة.. فلا شك أن مواهب هذا الرجل كانت مثالية وفضائله غطت على قبح منظره، ورفعته فوق الجميع.

– الدوق: ماذا تعني أن مواهبه كانت مثالية؟

– كونفوشيوس: الحياة والموت، الثروة والفقر، النجاح والفشل، الفضيلة والرذيلة، الخير والشر، الحر والبرد، الجوع والعطش... جميعها تغيرات وتحولات تحدث في الأشياء أثناء المسيرة الطبيعية للحوادث.

الليل والنهار يتتابعان، ولا يسأل أحد عن مصدرهما، ولذلك لا ينبغي أن نسمح لهذه التغيرات أن تعرقل انسجامنا مع الطبيعة، ولا أن تدخل في مجال الروح. بل ينبغي للمرء أن يعيش بأسلوب مريح يجعله متناغمًا مع العالم من حوله، لينعم بما في مسيرة الطبيعة، في تعاقب الفصول، والليل والنهار، من خيارات.

— الدوق : وما هي الفضيلة من غير أشكالها الخارجية؟

— كونفوشيوس: الماء الهادئ يكون في حالة سكونه المثالية. فليكن ذلك نموذجاً لك، هادئاً ساكناً، رائقاً صافياً في داخل نفسك، من غير أية اضطرابات خارجية. فمن هذا الانسجام الداخلي تنشأ الفضيلة. فالإنسان يخشى أن تفارقه الفضيلة فقط عندما تتخذ أشكالاً خارجية، أو تأتي من منابع خارج نفسه.

الحكيم لا يرسم الخطط، ويستتبط الوسائل، ويتدخل في ما لا يعنيه، ولهذا فهو لا يحتاج إلى كل العلم، وهو لا ينفر من الناس، ولا ينبذهم، لذا فهو لا يحتاج إلى وسائل لتوثيق العلاقات؛ وهو لا يسعى لامتلاك الدنيا، ولذا ليس له شيء يخشى أن يخسره. إنه يعيش في هيئة الإنسان، ولكنه ليس له مشاعر خاصة، ولذلك فهو لا يخضع لقضايا الخطأ والصواب.

— وهنا سأل سائل شوانغْتْسِي قائلاً :

هل يمكن حقاً أن يكون المرء بدون مشاعر ؟

— أجل ، هو كذلك؛

— ولكن ما الذي يجعله إنساناً في هذه الحال؟

— إن الطاوَّ (TAO) ⁽¹⁾ تهب الإنسان وسائل التعبير، والإله يهبه الشكل، فكيف لا يصبح إنساناً؟

(1) TAO هو المبدأ الأول الذي ينبثق منه كل وجود وكل تغيير في هذا الكون، هذا لدى الطاوية، أما لدى الكونفوشيوسية فإن الطاوَّ (TAO) هو سبيل الفضيلة.

— فلائذ الذهب في الحكمة والأدب —

- ولكن إذا كان إنساناً، فكيف يكون بدون مشاعر؟

- ما أعنيه بالمشاعر هو فكرة الخطأ والصواب. أعني أن المرء بدون مشاعر لا يسمح للأشياء التي يحبها (المرغوبات) والأشياء التي يكرهها (المكروهات) أن تعكر نظامه الداخلي، بل ينسجم مع الطبيعة، ولا يحرص على تحسين وسائل حياته الخارجية.

- ولكن كيف يتمتع المرء بحياته الجسدية، إذا لم يحاول أن يحسن ظروف حياته المادية؟

- قلت إن الطاوَّ تعطيه «وسائل التعبير»، والإله يعطيه «الشكل».

* * * * *

الكائن الأسمى



- من يعرف حقيقة الإله وحقيقة الإنسان فقد بلغ أعلى درجات الحكمة والمعرفة، فهو لا يظلم الضعيف، ولا يلجأ إلى القوة لبلوغ أهدافه، إذا فشل لا يجد سبباً للندم، وإذا نجح لا يجد سبباً للبهجة، فهو يصعد دون أن يتبلبل فكره، ويمرّ في الماء دون أن تبطل ثيابه، ويقترّب من النار دون أن يحترق، يظل هادئاً راضياً، ... يتنفس من أعماق أحشائه، والجاهل يتنفس من حلقه. إنه لا يقدر الحياة ولا يكره الموت، لا يبتهج بميلاد، ولا يتذمر من مواجهة الفناء، لا ينسى من أين جاء، ولا يتساءل عن عودته إلى منبعه الأول.

* * * * *

حكم ومواعظ من الهند القديمة

«الضمابادا» The Dhammapada



كلمة «الضمابادا» هذه تعني العقيدة، وهي كتاب في البوذية يجمع عدداً كبيراً من الحكم والمواعظ والأقوال المأثورة، وتنسب للمعلم بوذا المستنير.

موعظة:

- الإنسان نتاج أفكاره وخلاصتها. فإذا وجه خياله إلى أفكار شريرة يتألم ويكتئب ويحزن عاجلاً أم آجلاً. وإذا تحدث بأفكار إيجابية سليمة يشعر بالرضى وراحة البال.

- يقول المرء: أساء إليّ فلان، أهانني، إحتقرني... وما دامت شعلة هذه العواطف تضطرم في أحشائه لا يزول حقدّه. فالحقد لا ينطفئ بالحقد، بل بالتسامح والمودة والعفو والتراحم.

- الإنسان الذي يسارع للملذات، ولا يكبح جماح حواسه ومشاعره، ولا يحدّ من رغباته في الشرب والطعام، ولا يعطي جسده حقه من الحركة.. سينهزم، وتطيح به رياح الشهوات العاتية كما تطيح بالشجرة الضعيفة.

_____ فلائذ الذهب في الحكمة والأدب —

- المشاعر السلبية تنفذ إلى الفكر المبلبل، كما ينفذ المطر إلى منزل
بلي سقفه.

* * * * *

الفكر والتفكير:

- يضطرب تفكيرنا أثناء الغضب كما تتقلب السمكة التي ترمى على
اليابسة.

- أحسن ترويض فكريك يألفك وتألفه، وتنعم براحة البال. فإذا ألفتَه
يمكنك أن تقوده وتقومه كما يقوم السهم صانعه.

- من يلجم تفكيره الجامع يتحرر من طغيانه ، ويخرجه من متاهة
المشاعر.

- حصّن فكريك كما تحصن القلعة تتغلب على الغضب والقلق،
ويسترخي جسدك المضطرب.

- الفكر السليم يخدمك أكثر مما يخدمك والداك، والفكر الجامع
يفعل بك ما لا يفعل عدوك.

* * * * *

الزهور:

- على الحكيم أن يعيش في قريته مثلما تمرّ النحلة بين الزهور، تجمع
منها الرحيق، وتغادر، دون أن تؤذي الزهور، ولا عطرها، ولا لونها.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

- الكلام المزخرف الذي لا يتبعه العمل، مثل الزهرة بلا عطر.
- عطر الزهور لا يسافر عكس اتجاه الريح، أما سمعة الرجل الطيب فتطير في كل اتجاه.
- تلاميذ بوذا المستنير يسطعون بالحكمة والمعرفة فوق جميع من أعمت الدنيا بصائرهم؛ وهم في ذلك يشبهون الزهور الجميلة بعطرها المنعش، رغم أنها تنمو على أكوام الفضلات على جانب الطريق.

* * * * *

الأحمق:

- المجنون الذي يعرف أنه مجنون، ويلتزم بحدود القانون، فهو حكيم.
- لا يتعرف المجنون على الحقائق إلا بقدر ما تتذوق الملعقة لذة الطعام.
- من تدمع عيناه عندما يتلقى هدية على عمل أنجزه، يعني أنه لم يتقن ما أنجز.
- هناك طريق يقود للثروة، وطريق يقود للخير الأسمى، ومتى اختار تلميذ بوذا طريقه فإنه لا يطمح للمجد والشهرة، بل يسعى للانفصال عن العالم المحدود.

* * * * *

الرجل الحكيم :

- الحكيم لا يفره المدح، ولا يزعجه الذم.
- إختَرْ أصدقاءك، تجنّب الأشرار، إحدَرِ اللئام، المفسدين في الأرض.
- الحكيم يحيا وسط التشريعات بنفس هادئة راضية، وتكون حياته مثل بحيرة عميقة هادئة صافية طاهرة.
- العاقل لا يشتدّ في طلب الأولاد والمال والسلطة، ولا يلجأ إلى الوسائل الملوثة لاكتسابها.
- الحكيم يركز تفكيره على منابع العلم، لا يتعلق بمتاع الحياة، يقيّد شهواته، ويكبح رغبات الجسد، ويسعى لما ينير سبيل الصراط المستقيم، ذلك هو المؤمن الحرّ الصادق في حياته الأولى وما يتلوها.

* * * * *

خير من مائة :

- ليس من ينتصر في الحرب ويغلب بالقتل بطلا، بل من ينتصر على نفسه، ويعيش في رعاية التشريعات السماوية.
- خير لك أن تقدم ولاءك وإجلالك للعالم الصادق المؤمن، من أن تقدم مائة قريان.
- من يواظب في سلوكه على تحية كبار السن وإكرامهم، ترزقه الروح السامية بأربع فضائل: الحياة الراضية، الجمال، القوة، والسعادة.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

- لأنَّ تحيا سنة واحدة في ظل قوانين السماء ورعايتها، خير لك من أن تعيش مائة عام خارج ملكوتها .

* * * * *

الخير والشر :

- قد يتمتع فاعل الشر إلى حين، ولكن له الويل عندما تتضج شروره، وتبت أشواكها وأظافرها وأنيابها .

- لا تستهن بصغائر السيئات، فالشرور تتراكم في هدوء وغفلة مثلما يمتلئ الإناء بقطرات الماء الصغيرة .

- من يسيئ إلى شخص بريئ ينقلبُ شرّه عليه، كمن ينثر الغبار في وجه رياح تداهمه .

- لا يخلو امرؤ من سوء نية، سوء عمل، أو سوء تفكير ولو صعد إلى السماء، أو اختفى في أعماق الغابات والجبال والبحار .

* * * * *

العقاب :

- كل إنسان يخشى العقاب، ويُرعبه الموت، ويتعلق بالحياة، وأنت منهم . فلم تعاقب، وتقتل، وتتسبب في عذاب الآخرين؟

- قَيِّدْ غضبك! لا ترفع صوتك! فالغضب يُوتر العضلات، ويسرع باللكمات .

— فَلَائِدُ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

- كِبَرُ السِّنِّ يَسُوقُ النَّاسَ نَحْوَ الْقُبُورِ، كَمَا يَسُوقُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ نَحْوَ الْإِصْطَبْلِ.

- مَنْ يَنْزِلُ الْعِقَابَ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ، سَيَجِدُ نَفْسَهُ قَرِيبًا فِي إِحْدَى الْحَالَاتِ التَّالِيَةِ:

- فَقْدَانُ التَّفْكِيرِ السَّلِيمِ، وَآلَامُ فِي الْأَحْشَاءِ؛

- يُنْهَبُ مَالُهُ، يَصْفَرُّ وَجْهُهُ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ الْإِتهَامَاتُ؛

- يَحْتَرِقُ مَنْزِلُهُ، تَتَكَسَّرُ رِجْلُهُ، ثُمَّ عَذَابُ الْآخِرَةِ.

- الْفَرَسُ الْأَصِيلُ لَا يَفْعَلُ مَا يَجْعَلُ صَاحِبَهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالسِّيَاطِ، وَالرَّجُلُ الْكَرِيمُ يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ مَنْ أَنْ يَجْلِبَ لِنَفْسِهِ اللَّوْمَ وَالتَّأْنِيبَ.

- أَهْلُ الْخَيْرِ يَوْصِلُونَ الْمَاءَ إِلَى حَيْثُ يَنْفَعُ النَّاسَ وَالزَّرْعَ، وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ يُقَوِّمُ نَفْسَهُ كَمَا يَقَوِّمُ النَّجَّارُ الْخَشَبَ، وَيَقَوِّمُ صَانِعُ السَّهَامِ سَهَامَهُ.

* * * * *

كِبَرُ السِّنِّ:

- كَيْفَ تَضْحَكُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ وَتَبْتَهِجُ؟ وَأَنْتِ تَعِيشُ فِي عَالَمٍ يَحْتَرِقُ؛ أَلَا يَبْحِثُ عَنِ النُّورِ مَنْ كَانَ يَعِيشُ فِي الظُّلَامِ؟

- أَنْظِرِي إِلَى هَذِهِ الرِّزْمَةِ الْهَشَةِ الْمَغْلُفَةِ فِي مَلَابِسٍ فَضْفَاضَةٍ، رِزْمَةٌ ضَعِيفَةٌ، مَرِيضَةٌ، ذَابِلَةٌ.. وَلَكِنْ رَأْسُهَا مَمْلُوءٌ بِالْمَشْرُوعَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

- أرى كتلة من العظام مغلقة بالجلد والدم، تنسلخ منها قوتها وغرورها؛ إنها الشيخوخة، والنهاية معروفة.
- الرجل الذي لم ينظم طاقته في شبابه، ولم يخطط لمستقبل أيامه، يعيش شيخوخته مثل طائر الحزين في بحيرة خالية من الأسماك.

* * * * *

العالم:

- أنظر إلى العالم كما تنظر إلى فقاعة كبيرة، وكما تنظر إلى سراب، عندئذ لا يفاجئك شيء.
- العالم من حولنا يجري مثل مركبة سريعة، الأحقق يحاول اللحاق بها، والحكيم يراقبها ويتأملها عن كثب.
- من تكثر سيئاته، ثم يستقيم ويجتهد ليغطيها بحسناته، يصبح مثل القمر الذي ينسلخ من السحب لينير ما حوله.
- إذا خالف رجل قوانين السماء، واستهتر وكذب واستهزأ بحياة العالم الآخر، سهل عليه أن يفعل أي شيء آخر.
- لأنَّ يخطو المرء خطوة صالحة لينال جزاء قدسيا، خير له من أن يملك العالم.

* * * * *

السَّعَادَةُ :

- يعيش المرء هنيئاً راضياً إذا خلا قلبه من الحقد والبغضاء، كما يعيش الرجل سليماً مطمئناً ولو كان وسط المرضى والحمقى.
- الانفعالات شعلة متأججة، والحقد والغضب أشدها اشتعالاً.
- من يرافق الحمقى يثقل عبؤه، ويتبلبل فكره، وتقلق نفسه.
- القناعة ألا تقول هذا ملكي؛ والكرم ألا تقول هذا ملكي وحدي.

* * * * *

المتعة والبهجة :

- ترك الملذات فيه ألم الحرمان، والانغماس فيها يجلب ألم الندامة.
- لا شك أن فقدان شيء ثمين أو شخص عزيز شيء مؤلم، ولكن من أوصاك أن تتعلق به دون التفكير في العواقب؟
- الملذات مصدر المتعة المؤقتة، ومصدر القلق والخوف والحزن في نهاية المطاف، فاحذر اللذة المؤقتة.
- الحب منبع الحزن والخوف، وهو متعة مؤقتة، فَتَحَرَّرْ منه، فمالك تصبح عبداً لعاطفة تورثك الألم في نهاية المطاف؟
- الأقرباء والأصدقاء يرحبون بالمرء عندما يعود بعد غياب طويل، وأعماله الصالحة ترحب به عندما تلقاه في العالم الآخر.

* * * * *

الغضب :

- الغضب الهائج يشبه عربة تتدحرج في منحدر وعر، والقائد البارع من يحسن كبح جماحها دون أذى أو خسارة كبيرة.
- هل تودّ أن تقترب من الآلهة؟ إملك نفسك عند الغضب! أأحمد شعلة الشر بالحب والعفو! تغلب على الجشع بالكرم! تخلّ عن القليل بالتسامح، إذا يجنبك العداوة!
- لا يخلو امرؤ من العتاب والمعاتبة. فأناس يعاتبون من يسكت طويلاً، أو يتكلم كثيراً، ومن يتكلم قليلاً، ومن يمشي ببطء، ومن يمشي بسرعة... لأنّ المعايير نسبية؛ وفي النهاية، للمدح نهاية وللعتاب نهاية. ولكن إذا كان معدن المرء صافياً مثل الذهب، فإن البرّهمي نفسه يمدحه.

* * * * *

النفس الطاهرة والنفس الملوثة :

- العيب في الصلاة أن يهملها المرء أو لا يكررها؛ وعيب المزاج الكسل؛ وعيب الحارس غفلته؛ وعيب فاعل الخير بخله؛ وعيب المنزل إهماله؛ ورأس العيوب الجهل.
- من كان قليل الحياء قد يجد حياته ميسرة، لأن الوقاحة تقتل الضمير، وتدفن الكرامة؛ وعلى عكس ذلك يلاقي الرجل الطيب المتواضع العراقيل لأنه هادئ الطبع كريم الخلق.

— فَلَائِدُ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ —

- من يكذب يدفن الحقيقة؛ ومن يغتصب ما ليس له يدفن الحياة؛ ومن يطمع في زوجة جاره، ومن يتعاطى المخدرات، ومن يشهد الزور.. جميعهم آثمون، يجتثون جذور الأخلاق الحياتية، وجزاؤهم جهنم وبئس المصير.
- المشاعر شعلة متأججة، الحقد ثعبان، الحماسة فخ، والجشع سيل يجرف الأخلاق الفاضلة.
- من يجتهد ليكشف عيوب غيره، فعليه أن يشكر من يسعى لكشف عيوبه.

* * * * *

العدل والعادلون :

- لا ينال الرجل لقب كبير الجماعة أو لقب المسؤول الرشيد لمجرد أن شعر رأسه قد شاب، بل كبير القوم هو من عرف بالحكمة والتقى والاعتدال والعدل وطهارة النفس والإحسان وكرم الأخلاق.
- لا يقدم الرجل في المجالس، ويمنح التقدير والاحترام لثروته، أو حسن ملامحه، أو جمال هندامه، أو شهرة عائلته... فهذه مظاهر لا تمنع من أن يكون أنانيًا، بخيلًا، سيئ الخلق.
- ليس بزاهد من يلاحق متاع الدنيا، بل الزاهد المتسك من يكبح جماح رغباته، ويلجم شرور نفسه، ويحارب الفساد في الأرض، وينشر السلام.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

- من يرفع نفسه فوق الخير والشرّ، ويظهر نفسه من الأطماع، ويقاوم المغريات، يحق له أن يدعى قسّاً وزاهدا ورعاً.
- إنما يدعى حكيماً من يميز بالتبصر والعلم بين الصلاح والفساد، ويزن بالوعي منابع الخير والشرّ، فيتبنى الأول، ويحارب الثاني.
- ليس من الثقة من يحارب المخلوقات البكماء، ويؤذي الحيوانات، بل التقي من يخشى الله فيها ويحسن معاملتها.
- لا ينال المرء درجة «النيرفانا» ويعتق نفسه من قيود الحياة، إلا بالانضباط، والوفاء بالندى، والتعمق في المعرفة الكونية.

* * * * *

تلميذ البوذا :

- تلميذ البوذا يقظ، تتجه أفكاره نحو المعبد، نحو البوذا، ونحو جسده. أفكاره مفعمة بالرحمة، مركزة على التأمل.
- ليس من السهل على تلميذ البوذا أن يلجأ إلى التقشف والتسك، وأن ينضم إلى مجموعات الأخويات الدينية، وأن يعتمد في معاشه على التسوّل. بل لا أنصح أحداً أن يتبع طريق التسوّل والتقشف ليتجنب الألم.
- المؤمن الطيّب ، تلميذ البوذا، يسطع نوره من بعيد مثل الثلج على قمة الجبال؛ والرجل الشرير لا يلقي اهتماماً من أحد، إنه مثل سهم يرمى به ليلاً، فيتيه في الظلام.

* * * * *

الطريق المنحدر:

- خير للرجل أن يبتلع قطعاً معدنية من أن يعيش على الأعمال الخيرية.
- الشرير الذي يلاحق زوجة غيره تلحق به أربعة مصائب: العقاب في الدنيا، سوء الخلق، سوء المصير، ونار جهنم.
- من لا يحسن استعمال المنجل قد يقطع أصابعه، ومن لا يحسن الزهد والتقشف قد يقوده الدرب إلى الهلاك.
- لا ترجو خيراً ممن لا يتقن عمله، ولا يحافظ على مواعده، ولا يلزم الانضباط ويحترم النظام.
- الحاج المهمل لا يزيد على أن ينشر غبار الطريق على الآخرين.
- من يستحون من أفعال لا توجب الحياء، ولا يستحون من أفعال توجب الحياء، ويخشون ما لا يخشى، ولا يخشون ما ينبغي أن يخشى، ويرون الإثم حيث لا يوجد إثم، ولا يرون الإثم فيما هو مَرْتَع للإثم، أولئك عميت قلوبهم وبصائرهم، ولهم سوء المصير.

* * * * *

الفيل:

- إذا كان الرجل ضخماً الجثة، بديناً، نؤوماً، يتأرجح في بطن، ولا يسعى لإصلاح حياته، فإنه سيولد من جديد (التقمص) في هيئة خنزير ضخماً مثل الفيل.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

- كان فكري يجول ويسرح كما يحلو له، والآن استيقظتُ، سأربطه إلى عمود شديد كما يربط الفيل الجموح.
- الوحدة خير من رفيق السوء. فإذا لم تجد لسفرك رفيقاً حكيماً، إذهب وحدك؛ ولتكن رغباتك محدودة، كمثل فيل يتجول في الغابات.
- الرفاق الصالحون مسرة ومتعة طيبة في المناسبات الطيبة، ومن الطيبات أن يهجر المرء الاكتئاب والحزن.
- أنقذ أفكارك من مسلسل الفساد، أنظر إلى الفيل كيف يخرج من بركة الوحل سالماً.
- من متع الحياة العيش بالقرب من الأم والأب، ولا يفوق ذلك إلا الارتقاء بالروح إلى ملكوت الخير الأسمى (النيرفانا).
- ومن متع الحياة التمسك بالفضيلة حتى آخر الشيخوخة، عندما تسكن جذور الإيمان في الأعماق.

* * * * *

العطش :

- ينمو عطش روح من كان تفكيره سطحيًا ومحدودًا مثلما تنمو النباتات الزاحفة المتسلقة، وهذا يؤلمه؛ أما من استطاع أن يروى عطشه من منبع الإيمان والحكمة، فإن آلامه تتسلخ منه مثلما تنزلق قطرات الندى من أوراق اللوتس.

— فلأند الذهب في الحكمة والأدب —

- ما لم ترّو جذور هذا العطش الروحي، يظل الألم ينخر جسمك.
لاحظوا أن الشجرة تظل تنمو وإن قطعت أغصانها، فاحرصوا على
اجتثاث منابع العطش.

- ملذات الحياة ووسائل الترف والرفاهية مغرية، تجنح بصاحبها نحو
التطرف والتهور؛ وما دام المرء مستسلماً لها، منغمساً فيها،
ستتواصل حالات تقمّصه وعذابه؛ ومن يدري في أيّ شكل ستكون
حياته التالية.

- ليست القيود المؤلمة هي تلك التي تصنع من الحديد أو من الخشب
أو الحلفاء، بل إنها القيود التي تربط الإنسان بالزوجة والأولاد،
وزينة الحياة الفانية.

- القيود المؤلمة هي تلك التي تجرّ صاحبها وتتحكّم فيه بالمشاعر، تشتدّ
تارة وتسترخى حيناً، إنها القيود التي تربطه بمتاع الدنيا، وتطمس
على روحه بزخرفها وملذاتها، ومن يتحرر منها كأنما ملك العالم
كله. ومن يستسلم لها يكون مثل الذبابة التي وقعت في شبكة
عنكبوت جبارة.

- تخلّ عما خلفك، وعما أمامك، وعما بينهما. فإذا سافرت إلى العالم
العلوي وأنت حرٌّ طليق، لا شيء يدعوك للعودة إلى سلسلة الحياة
والفناء من جديد.

- من بلغ إيمانه درجة اليقين لا يضطرب، لا يحمل ذنباً، لا يحمل
قيوداً، ليس به عطش، لا يخشى دورة التقمص، بل يكون جسده ذاك

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

هو آخر شكل في الحياة الدنيا، إنه يعرف بالرجل الكامل، الرجل العظيم، الرجل السعيد .

- لقد ملكْتُ كل شيء، جربتُ كل شيء، تخلَّيتُ عن كل شيء، تحررتُ من بوائق الدنيا وشروور هذه الحياة، أنا حرٌّ الآن، عرفت نفسي وعلمتها وصننتها، فمن أختار الآن ليكون أستاذي؟

- العواطف، المشاعر، الانفعالات تفسد الإنسان مثلما تفسد الحشائش الضارة زهور البستان. تذكروا: الأنانية، الحقد، الغرور، الظلم، الشهوات.. ألا يستحق الإجلال من حرَّ نفسه منها؟

* * * * *

البرهمي⁽¹⁾ :

- البرهمي يحفظ بصره وسمعه ولسانه ويجنبها الحرام. إنه زاهد، قانع، راضي، يتقيد بالتشريعات، يتأمل نصوصها ويستذكرها ويحيا بها. يلجم الأفكار الطائشة، والحواس الطاغية، ولا يبتهج بالخير ولا ينفر من الألم، ولا يخطئ الصراط المستقيم.

- الزاهد يرضى بالقليل، لا يحسد الآخرين، لا يهتم بالألقاب والأشكال والمظاهر؛ يسعى للخير والسلام وخلود الروح.

- التأمل يقود للعلم ، والعلم يعمق التأمل.

(1) البرهمي أو البراهمان هو أحد أفراد طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس. وتطلق على القس الورع الزاهد كذلك.

— قلائد الذهب في الحكمة والأدب —

- البرهمي الزاهد يفكر في أصل العناصر، من أين نشأ الإنسان، وفي الفناء؛ وعندئذ يشعر براحة النفس وبالسعادة العليا التي هي جزاء من يسعون لمرحلة النيرفانا (الخلود).

* * * * *

البرهمي (ملحق) :

- أيها البرهمي، عندما تدرك عمق الدمار الذي سيلحق بكل موجود، تدرك أهمية الخلق الجديد.

- من لا يوجد في تفكيره هذا الجانب القريب من شاطئ الحياة، ولا ذلك الجانب البعيد من الشاطئ، ولا تخشى نفسه أية شواطئ، بل هي جزء من الكون الفسيح، ذلك الرجل أسَمَّيه برهمياً حقاً.

- الشمس تسطع في النهار، والقمر في الليل، والجندي في درعه... أما البرهمي فيسطع في تأملاته. والمعلم بوذا المستتير يسطع في الليل والنهار.

- البرهمي (المؤمن الصادق) هو من سلم الناس من لسانه ومن تفكيره، ومن جسده كله.

- ليس البرهمي برهمياً بصفائر شعره، ولا بأسرته، ولا بميلاده، ولا بلقب أجداده، بل البرهمي الحق من آمن بالحق واتبع شرائع الصراط المستقيم.

- ما فائدة الشَّعْرِ المضافور، أيها الأحمق؟ وماذا في أن تلبس جلود

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الماعز؟ إن كان في داخلك حيوان مفترس، فما يفيدنا أن تجعل
مظهرك مزخرفاً بريئاً؟

- لا أَسْمِي برهميًّا من يفتخر بأصله أو بماله، بل البرهميُّ هو ذلك
الفقير الذي حرّر نفسه من قيود الحياة؛ هو من يكتُم الغيظ، ويقهر
الطمع، وينجز المواعد، ويتحمل المظالم... ويعيش في جسده الأخير،
لأنه تحرّر من مسلسل التقمص.

- البرهميُّ الحق من يطلب الحكمة، من صفت سريره، وحلّقت روحه
في ملكوت السماوات؛ البرهمي هو من لا يؤذي المخلوقات صغيرها
وكبيرها، هو الرجل المتسامح الذي هجر الكبرياء، والنفاق،
والحسد، واعتبر نفسه ذرة سابحة في هذا الكون الفسيح.

- البرهمي الحق هو المؤمن الصالح القويّ النبيل، المؤمن الواعي
المتكامل المعتدل، والرجل الحكيم المنتصر الذي حرر نفسه من الإثم
وملوثات الروح، وأطل على ملكوت الخير الأسمى، واقترب من عتبة
الخلود.

* * * * *

حول مصر القديمة⁽¹⁾



في 3200 قبل الميلاد، وحَّدَ الملك Narmer، ويعرف أيضاً باسم Menes، إقليم مصر العليا (الجنوب) وإقليم مصر السفلى (الشمال)، فأنشأ بذلك أول أمة في العالم، وشيّد عاصمة جديدة هي ممفيس.

وفي ذلك العهد البعيد جاد شعب مصر القديمة على العالم بحضارة عريقة، وسبق غيره إلى تطوير فن الكتابة، ونهض بالفنون والآداب والعلوم والفلسفة والرياضيات، وبصفة خاصة بالهندسة الزراعية العملية. وبرع ذلك الشعب، قبل خمسة آلاف سنة، في فنون العمارة والنحت والنقش والرسم، وأنشأ نظاماً للتعليم؛ وكوّن إدارات منظمة ترعى شؤون السكان، وتحافظ على الأمن، وطوّرت نظام البريد والمواصلات.

وبدأ المصريون آنئذ يمتهنون الطب على أساس التخصص، فمنهم من يعالج جهاز الهضم، وآخرون الرأس، أو العيون، أو الأسنان... وبرع شعب مصر القديمة في صناعة الزجاج، وصياغة الحلّي، وصنع الأثاث، ونسج الكتان، وصناعة الملابس، وغير ذلك من الفنون والمهن.

(1) المرجع هيرودوت صاحب أهم كتاب تاريخ قصصي للعالم القديم. ولد هيرودوت في مدينة «هاليكارناسوس» (حالياً بودروم في تركيا) نحو سنة 484 ق.م، وتوفي نحو سنة 420 ق.م.

وبرع قدماء المصريين في التقويم الزمني فقسموا السنة إلى 365 يوماً ؛ وصنعوا ساعة تحسب مرور الزمن على أساس الماء المتدفق من داخلها. وتفننوا في المفاهيم العقائدية، وابتكروا في ميدان تشييد المعابد، والمذابح، ورسم صور الحيوانات والناس على الحجارة، ومنهم من دعا إلى التوحيد؛ وتبنوا عملية الختان التي سارع اليهود إلى ممارستها. وقد انتقلت جميع هذه العلوم والفنون إلى الشعوب المجاورة مثل الفنيقيين واليونان والرومان وغيرهم. وفيما يلي فكرة موجدة عن عملية التحنيط التي أتقنها قدماء المصريين، وأظهروا فيها براعة فريدة.

* * * * *

التحنيط⁽¹⁾ لدى قدماء المصريين



... يستخرج خبراء التحنيط من جثة الميت أولاً الدماغ عن طريق الأنف بخطاف معدني، ثم ينظفون الجمجمة بمواد كيميائية. ثم يفتحون بطن الميت ويخرجون المعدة والأمعاء، ويغسلون ذلك التجويف غسلاً جيداً بنبيذ النخيل، ويكررون غسله بنقيع الأعشاب العطرية المسحوقة. ويدعك الجلد بالزيت والمرّ النقي والعطور الذكية.

ثم يحشى تجويف البطن بأصناف من التوابل والأعشاب العطرية، ومسحوق القرفة، والمرّ النقي، والقثاء الهندي، والملح، وقليل

(1) ملخص مما يرويهِ المؤرخ هيرودوت (484 - 420 ق. م.) وغيره من المؤرخين عن عملية تحنيط الموتى.

_____ فَلَائِدُ الذَّهَبِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ _____

من البصل، وخليط من النشارة والكتان، والصودا.. وأحياناً تحقن الأوعية والشرابين بمواد كيميائية.

بعد ذلك تخاط فتحة البطن ، وتوضع الجثة في منقوع النطرون (خليط من الصوديوم والألومنيوم)، وتترك فيه لمدة 70 يوماً، لا تزيد يوماً واحداً، وتغطى تغطية محكمة. وبعد ذلك تغسل الجثة، وتقمط بإحكام، من الرأس حتى القدمين بضمادات من الكتان الرقيق المشمع، وتطلى الجثة كلها بالصمغ الذي كان قدماء المصريين يستعملونه بدل الغراء.

عندئذ تسلم الجثة إلى أقارب الميت، فيضعونها في تابوت خشبي على شكل بدن الإنسان، ثم يحكمون إغلاق التابوت، وكانت عملية التحنيط المذكورة مكلفة.

وإذا كان أقارب الميت غير قادرين على تحمل التكلفة، بوسعهم أن يختاروا طريقة أرخص للحنيط، تتلخص في أن يحقن تجويف جهاز الهضم بزيت شجر الأرز بكمية كافية، ويغلق المنفذ الذي يمكن أن يخرج منه هذا السائل، وتترك الجثة مغمورة في سائل النطرون طيلة المدة المطلوبة (70 يوماً). وكانت فعالية الزيت المذكور قوية لدرجة أنه عندما يفتح المنفذ في الجثة، يخرج الزيت وقد أذاب جميع الأحشاء، وتكون مادة النطرون قد أذابت اللحم ، فلا يبقى من الجثة إلا الجلد والعظام، فتعاد إلى الأسرة.

وهناك طريقة ثالثة تلجأ إليها الأسر الفقيرة، تتلخص في أن

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

ينظف المحنط أحشاء الجثة بحقنة شرجية، وتترك في سائل النطرون 70 يوماً، ثم تعاد إلى الأقارب.

ومن الواضح أن الهدف الأول من عملية التحنيط هو إزالة الماء من الجسد. وقد يستعين المحنطون بحرارة الشمس، أو بالنار الهادئة لتجفيف رطوبة الجثة. وتستغرق عملية التحنيط أحياناً بضعة شهور.

ويلاحظ المؤرخ هيرودوت، بهذه المناسبة، أن نساء العائلات الشهيرة والفتيات الجميلات، لا تسلم جثثهن إلى عمال التحنيط مباشرة بعد الوفاة، بل تترك على حالها مدة ثلاث أو أربعة أيام حتى تتغير ملامحها، وذلك خشية أن يسيئ عمال التحنيط إلى الجثة وهي لا تزال حسنة المظهر.

* * * * *

قدماء المصريين يكرهون الخنزير،

ويحترمون التمساح



- ومما يرويه المؤرخ هيرودوت أن المصريين كانوا يعتبرون الخنزير حيواناً غير طاهر. فإذا لمس رجل خنزيراً، ولو صدفة، فإنه يسرع إلى النهر ويقفز فيه بملابسه. ويمنع رعاة الخنازير ومن يربونها من دخول أي معبد؛ كما أن الرجل لا يزوج ابنته لراعي الخنازير أو مربيها، ولا يتزوج منهم. ومربوا الخنازير لا يقدمون قرابين من

_____ فلائذ الذهب في الحكمة والأدب —

خنازيرهم لألهتهم، باستثناء الإله باخوس (إله الخمر)، والإله «قمر»، الذي يُقدم له القربان يوم اكتماله.

* * * * *

- ومن عادات قدماء المصريين وشعائهم أن من يفترسه تمساح، أو يغرق في النيل، يجبر القانون سكان القرية المجاورة للمكان الذي وقع فيه الحادث أن يتولوا تحنيط جثة المقتول، وأن يدفنوه في أحد الأماكن المقدسة. ولا يسمح القانون لأي شخص أن يلمس جثته ؛ بل يتولى كهنة النيل تكفينه ودفنه ، والسبب هو أن جثته تعتبر مقدسة نتيجة الطريقة التي مات بها.

* * * * *

أفكار⁽¹⁾



ما الذي يحقق الشهرة والتقدير للناس، وللأعمال، وللقوانين وللعظماء؟ إنها موهبة الخيال؛ وجميع ثروات الأرض لا تكفي في هذا المجال بدون هذه الموهبة...

لا تقل لي أن ذلك القاضي الذي تفرض شيخوخته الموقرة الاحترام على جميع السكان، إنما ينقاد للعقل الصرف، ويصدر أحكامه على الوقائع حسب طبيعتها ومعطياتها، دون أن يتوقف عند ظروف خلفية لا تؤثر إلا على خيال الضعفاء؟

أنظروا إلى هذا القاضي الموقر، وهو يلقي موعظة، إنه يلجأ إلى حماس الرجل الورع، ويدعم منطقته بحديث الرحمة والرفقة والإحسان، وبمظهر هندامه ونبرات صوته.. وهنا يستمع الجميع إلى حديثه باحترام وتقدير.

ولكن إذا ظهر هذا الواعظ وقد أعطته الطبيعة صوتاً أبح، وكانت ملامح وجهه غريبة، ومظهره غير منظم، فإنني أراهن على أنه سيفقد من جاذبيته، ومن اهتمام الناس بمواعظه.

ولنفرض أن فيلسوفاً وجد نفسه فوق لوحة، وكان تحتها هوة

(1) يرى باسكال (1623 - 1662) أن قوة خيال الإنسان من العوامل الأساسية التي تؤثر على تفكيره وتبليبل عقله، لأن الخيال، في نظره، منبع الخطأ والتزييف.

_____ فلائذ الذهب في الحكمة والأدب _____

عميقة، واللوحة واسعة مكينة، وقال له عقله أنت في مأمن، وأوحى له خياله بأنه غير آمن، فلا شك أن الغلبة تكون لهذا الأخير، لخياله؛ بل إن كثيراً من الناس يصيبهم الرعب فوق تلك اللوحة.

ولا أود هنا أن أسترسل في ذكر الظروف المماثلة، التي وإن كانت بسيطة، فإنها تبلبل عقل المرء وتثير مشاعره، كرؤية القطط أو الفئران (ليلاً)، أو الشعور الذي يحدثه المشي على قطعة فحم... بل إن اختلاف نبرات الصوت قد تخدع الرجل الحكيم، وتغير مجرى الخطاب.

أجل، الخيال يؤثر على المشاعر، وشعور الحب أو الكراهية قد يغير مجرى الحكم مواجهة... وكم من محام قبض مبالغ كبيرة، فأصبح يرى أن القضية التي يدافع عنها قضية عادلة. وكم من محام يتقن اللجوء إلى المبادرات المبتكرة، والسلوك الجريء، ويساعده الخيال على سبك الحوادث بطريقة ذكية وأسلوب بليغ، فيظهر أنه الأفضل في عين القاضي الذي ينخدع بالمظاهر. فيا له من عقل ممتع، ذلك العقل الذي تحركه رياح الخيال في كل اتجاه!

* * * * *

- عندما أشاهد الإنسان، هذا المخلوق الشقي الذي يعيش في بؤس وضلال، وهو ينظر إلى الكون العميق الصامت من حوله، يعيش في ظلام كأنه تائه لا يعرف من أين أتى به القدر إلى هذه الزاوية من الكون السحيق، وماذا يفعل هنا، وما مصيره بعد الموت، فإنني يستولى عليّ الفزع مثلما يحدث لرجل نقل وهو نائم إلى جزيرة نائية

مهجورة، ثم يستفيق وهو لا يعرف مكانه في العالم، ولا سبيل له للخروج من مكانه. وأتعجب كيف لا ييأس الإنسان عندما يجد نفسه تائهاً في ظروف قاسية كهذه.

أَنظُرُ حولي فأشاهد كثيراً من الأشقياء التائهين وجدوا أشياء مغرية أعجبوا بها فألهتهم، أما أنا فلم تثر هذه الأشياء إعجابي، بل رحت أفكر فيما إذا ترك لنا الإله أشياء هامة تدل على حكمته ووجوده.

* * * * *

- الناس لا يهتمون بالحاضر ، ويبدو لهم قدوم المستقبل بطيئاً، فينتظرونه بلهفة. وقد نحصر على استرجاع الماضي كأننا نحاول أن نبطئ ابتعاده عنا. وهذا ما يجعلنا نضيع في بحر الزمان الذي لا نملكه (الماضي والمستقبل)، ونهمل الحاضر الذي هو واقعنا وحياتنا.

ولعل السبب في هذا السلوك هو أن الحاضر يؤلنا، فنحاول أن نخفيه أو نبعده عن ذاكرتنا؛ أما إذا كان بهيجاً ممتعاً فينقضي بسرعة، ونأسف على زواله. وعندما يستجمع المرء أفكاره يلاحظ أنها متجهة نحو الماضي أو المستقبل. وعندما ينشغل بالحاضر فهو يفعل ذلك ليستتير بوقائعه لمواجهة المستقبل.

فالماضي والحاضر ليسا نهاية في حد ذاتها بالنسبة لنا، بل نعد فيهما إمكانياتنا لنجعلهما منصة انطلاقنا نحو المستقبل. وعلى هذا فنحن لا نعيش حقيقة، بل نأمل أن نعيش، ونعد أنفسنا لمستقبل نأمل أن نستريح فيه ونتمتع. ولكن هل تتحقق الأمناني والآمال؟

* * * * *

— فلائذ الذهب في الحكمة والأدب —

- لا يعرف الإنسان الحقيقة عن طريق العقل وحده؛ بل كذلك بواسطة القلب (الإحساس والمشاعر) . فبهذه الطريقة نتعرف على المبادئ والمسلّمات الأساسية. ولا يضطلع العقل بدور في هذا الموضوع، لأن إدراك هذه المبادئ الأولية، كوجود الفضاء والحركة والزمن والعدد.. معرفة متأصلة أكثر من أي معرفة يستنتجها العقل.

والعقل يعتمد على هذه المعارف «الغريزية» ويبني عليها خطابه. فالمبادئ الأولية تأتي من الإحساس، والافتراضات تأتي بعدها بالاستنتاج. ومن غير المجدي أن يطلب العقل الدلائل من القلب على ما توصل إليه من معارف أولية، ليوافق عليها. كما أنه من السخرية أن يطلب القلب من العقل أن يجعله يشعر بجميع ما يستنتج من نظريات، ليتبناها.

ولعل هذا العجز في جانب العقل يجعله يشعر بالإهانة، لأنه يريد أن يحكم على كل شيء وفي كل أمر يهمه، كأنه هو وحده منبع جميع المعارف. ومن فضل الله أننا نصل إلى المعرفة كذلك عن طريق الغريزة والحواس والشعور. غير أن الطبيعة ضيّقت المجال، وجعلت الإنسان لا يتوصل إلى كثير من العلوم والمعارف إلا عن طريق العقل.

ولهذا نلاحظ أن الذين هداهم الله إلى الإيمان عن طريق مشاعر القلب هم السعداء حقاً لأنهم أشدّ اقتناعاً بعقيدتهم. أما الذين لم تقدّم قلوبهم إلى الإيمان، فلا بد من اللجوء إلى العقل لإقناعهم، في انتظار أن يهدي الله قلوبهم.

* * * * *

جميع الناس يبحثون عن السعادة، ويتبعون لبلوغها سبلاً مختلفة. بعضهم يمتحن الحرب، وكثيرون يفرون منها؛ والهدف واحد مهما اختلفت السبل والوسائل. والرغبة تدفع الإنسان وتوجهه نحو طموحات قد تكون فيها سعادته، وربما شقاؤه وهلاكه...

ونلاحظ في الحياة أن جميع الناس يشكون: الأقياء، والضعفاء، العلماء والجهال، الأصحاء والمرضى، الشباب والشيوخ. والأمراء والنبلاء وعامة الناس، في كل زمان ومكان. وكان يفترض أن التجارب الطويلة التي مرّت بها البشرية تقنعنا بأننا عاجزون عن الوصول إلى الخير والفضيلة والسعادة بجهودنا الشخصية. فالحاضر لا يرضينا، والمستقبل ليس بين أيدينا، والتجارب تخادعنا، والزمان يقودنا من سيء إلى أسوأ، حتى الموت.

وهل يوحى لنا عجزنا اليوم بأن الإنسان كان في الزمن الماضي ينعم بسعادة حقيقية؟ وهل يجدي الإنسان أن يملأ ما يحيط به من فراغ روحي ومعنوي وأخلاقي بأشياء مادية؟ لقد أصبح هذا الفراغ هوة سحيقة لا يملأها إلا وحيٌّ خالد منزل من السماء، من عند الله. هذا هو الخير الأعظم، ومنذ أن أنكره الإنسان لم يجد في الكون ما يخلفه: فلا النجوم، ولا السماوات والمجرات، ولا الأرض بجبالها وبحارها، ولا الأوبئة والمجاعات، ولا حتى الحروب الطاحنة وما ينجم عنها من دمار وفساد، يخلف ذلك الخير الأسمى.

* * * * *

— قلائد الذهب في الحكمة والأدب —

- ليس عارًا على الإنسان أن يموت بسبب الألم، ولكن العار أن يموت تحت عبء الملذات. فلماذا يمجّد العقل الذي يذهب ضحية الألم؟ ولماذا ينسب العار إلى العقل الذي يتحطم تحت ضغط الملذات؟

إن الألم لا يغري الإنسان، وليس فيه ما يجذب الإنسان إليه. وقد يسير الإنسان طوعًا نحو الألم من أجل أن يسيطر على المواقف ويتحكم في الظروف. وفي هذه الحال نجد أن الإنسان يقضي على نفسه بنفسه.

أما الملذات فهي التي تغري الإنسان، وقد تطغى عليه فيقع في شباكهها إلى أن تحطمه. وليس مجد الإنسان في تحمل الآلام، ولا في الانغماس في الملذات، بل في السيطرة على النفس، والسعي نحو الخير الأسمى.

* * * * *

بعض أنواع الأدب⁽¹⁾



المسرحية أفضل فن يعكس حياة الإنسان. وهي تتضمن ثلاث مراحل. في المرحلة الأولى تحاول المسرحية أن تثير اهتمام الناس بموضوعها، وينشط الممثلون في تمثيل أدوارهم لجعلها مشابهة لأدوارنا في الحياة اليومية. وتتوالى الحوادث فيضاف إلى المسرحية بعض الظرف والمزاح، أحياناً، لتلطيف الجو المسرحي.

وفي المرحلة الثانية تركز المسرحية على العواطف، وتسعى لإبراز دور البطل والتعاطف معه. والمهم هنا أن يشارك الجمهور ويظهر اهتمامه بسير الحوادث وتعاطفه مع بطل المسرحية. وقد تسلك الحوادث مسلكاً يثير الشفقة أو الحزن، غير أن الحوادث تكون سلمية مرضية.

وتبلغ المسرحية ذروتها في المرحلة الثالثة، وهي أصعب المراحل. ففي هذه المرحلة تنزع المسرحية نحو الهدف المأسوي، وتشتد المواجهة مع مشاكل الحياة، وتظهر توتراتها وعواصفها. وقد يتجه الهدف إلى إبراز عدم جدوى الجهود التي يبذلها الإنسان. وتحاول المسرحية أن توجه الجمهور إلى ترك الصراع والرضى بحكم القدر، أو تعزف نغمات تحدث في نفوسنا صدى للمشاعر التي تهدف إليها المسرحية.

يقال «إن أصعب الأمور بدايتها»، أما في المسرحية فالأمر عكس ذلك، لأن الصعوبة تظهر في نهايتها، لأنه من السهل أن تخلط الأمور

(1) ملخص من مقال للأديب الفيلسوف شوبنهاور (1788 - 1860).

فلاذ الذهب في الحكمة والأدب —

في البداية، ولكن يصعب بعد ذلك فك العقد وترتيب الحلول للوصول إلى نتيجة مرضية سواء كانت سعيدة أو مأسوية، على أن تعكس ما يحدث في حياة الناس، وتكون في الوقت نفسه مفاجأة لم يتوقعها الجمهور.

التاريخ نوعان: التاريخ السياسي، وتاريخ الأدب والفنون. الأول تاريخ الإرادة، والثاني تاريخ الفكر. الأول يقص حوادث البلايا والكوارث والحروب، ويسجل أخبار الصراع والخداع والمجازر الجماعية؛ أما الثاني فيروي ساعات البهجة والسرور والهناء.

.... الحياة قصيرة، وهناك وحش مخيف نسميه النسيان ينتظر البشر فاغرا فكيه، ليبتلعهم فيختفون من غير رجعة. لذلك يسعى الإنسان إلى إنقاذ ما يمكن من الحوادث الهامة، ومن أخبار الشخصيات التي لعبت دوراً كبيراً على مسرح التاريخ.

ومن جانب آخر، يمكننا أن ننظر إلى التاريخ على أنه تكملة لعلم الحيوانات وتطورها. ولكن بينما يكفي في هذا الأخير أن نراقب تطور الأنواع، فإنه بالنسبة للإنسان ينبغي دراسة الأشخاص المهمين وتعليل تصرفاتهم⁽¹⁾.

تعتبر الصحافة أحد عقربي ساعة التاريخ؛ غير أن هذا «العقرب» ليس مجرد قطعة معدنية، وهي كثيراً ما تقع في الخطأ. وما

(1) لخصت فقرتين من هذا الموضوع في كتاب «حصاد الأيام».

يسمى في الصحافة «المقال الافتتاحي» هو جوقة مسرحية الحوادث الراهنة. وتعتبر المبالغة بجميع أشكالها من ضروريات الصحافة، تمامًا كما هي ضرورية في فنون الدراما، لأن هدف الصحافة هو أن تجعل الحوادث تصعد أو تتحدر إلى أقصى حد ممكن. ولهذا نلاحظ أن الصحفيين، بحكم طبيعة عملهم، يسارعون إلى إثارة المخاوف والآمال، لأن هذا يجعل القراء يهتمون بمتابعة ما يكتبون. فالصحافي في هذا المجال يشبه الجرو، كلما تحرك شيء حوله، يطلق نباحًا حادًا.

وما علينا إلا أن نضبط بعناية مقدار ما نؤليه من اهتمام لأبواق الخطر، لكي لا تعكر عصارة مَعدَاتنا. ولنعرف أن الصحيفة (أو المجلة) هي في أحسن الأحوال مرآة مكبرة، وفي أغلب الحالات مجرد ظل على الجدران.

* * * * *

... القلم للتفكير مثل العصا للمشي، فالإنسان يمشي بسهولة أكبر عندما لا يركز على العصا، والمرء يفكر بسهولة أكبر عندما لا يستخدم القلم.. وليحوز الإنسان الخلود ينبغي أن يخلق عددًا من الإبداعات بحيث يتعذر على شخص بمفرده أن يحوط بها جميعها في ظرف محدود. ثم يخلق في كل جيل من يدرك محتوى بعض تلك الإبداعات، ويقدر قيمتها ومغزاها. وبهذه الصورة تتواصل سمعة ذلك الإنتاج الأدبي والفني على مر القرون، على الرغم من تغير اهتمامات الناس.

ويبلغ الأديب المبدع درجة التميز وصفة الاستمرارية عبر الأجيال لأن إنتاجه يعبر عن مشاعر إنسانية عامة، ولأنه ساهم في إثراء الفكر

فلاذ الذهب في الحكمة والأدب —

البشري. ولو لم يكن فريداً في إبداعاته لما أدرك الناس لماذا لم تندثر آثاره مثل كثير من سكان المعمورة.

* * * * *

أما فيما يتعلق بالمطالعة، فليس باستطاعة الإنسان أن يحتفظ في ذاكرته بكل ما يقرأ، مثلما لا يقدر أن يحتفظ بجميع ما يأكل. فالنوع الأول يوفر له غذاء الفكر، والثاني غذاء الجسد. والملاحظ أن البدن يمثل فقط ما يطيب له من الطعام، والفكر يحتفظ بما يهمه ويفيده من المعلومات.

الحياة قصيرة، والوقت والطاقة محدودان، وعلى المرء أن يطالع الأهم فالهم من أمهات الكتب. والتكرار يدعم المعرفة، فعلى المرء أن يقرأ الكتاب المهم مرتين، إن استطاع، لأن القراءة الثانية تعمق إدراكه للعلاقة بين مختلف أقسام الكتاب، ولأن الجزء الأول منه قد لا يستوعب مغزاه إلا بالاطلاع على القسم الأخير. ثم إن مزاج الإنسان قد لا يكون في الحالة النفسية ذاتها أثناء القراءة الأولى والثانية، وكثيراً ما تثير القراءة الثانية اهتمامات جديدة، وتلقي أضواء جديدة على الموضوع.

إن ما ينتجه الأديب من آثار فنية وأعمال أدبية هو خلاصة فكره. وحتى لو كان المؤلف من ذوي العبقریات المتواضعة فإن إنتاجه لا يخلو من مواد تثقيفية، لأنه لا ريب ثمرة مطالعته وتجاربه. وعندما ينال المرء قدراً وافراً من الثقافة، ينزع إلى طلب المتعة، في معظم الحالات، من المطالعة أكثر مما يطلبها من مصاحبة الناس.

* * * * *



أضواء على مسرح الحياة



المقدمة

يشتمل هذا الجزء من سلسلة «عالم الثقافة» على مجموعات من الأقوال المأثورة التي سجلها الأدباء والفلاسفة عبر القرون. إنها ثروة ثمينة من الحكم والنصائح والتأملات الجدية والأفكار القيّمة التي استخلصوها من تجاربهم وثقافتهم.

لقد حلقت هذه الأفكار والأقوال المأثورة فوق جسور المكان وأمواج الزمان، وها هي اليوم تثري أفكارنا، وتثير آفاق حياتنا، وتزود الأجيال بما تركه الماضي من تراث ثمين، ونظرات أدبية وعلمية حول موضوعات شتى، جميعها مرتبطة بسلوك الإنسان في مواقفه وعلاقاته واختياراته في الحياة. وفيما يلي ملاحظات موجزة عن بعض الموضوعات التي يتناولها هذا الكتاب.

* * * * *

الطبيعة :

هل الطبيعة صديقة الإنسان أم عدوته؟ هل هي أم حنون؟ أم زوجة أب قاسية؟ أم إنها ملخوق عادل ومحيد؟ والطبيعة ليست فقط ما يحيط بنا من بساتين جميلة وأنهار وربي وسهول... بل إنها كذلك مئات ملايين المجرات والنجوم والكواكب، وما يسبح بينها في أعماق

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

هذا الكون العجيب. ومن الطبيعة كوكبنا الجميل المتواضع الذي كاد أن يكون صخوراً متجمدة لولا أن من الله عليه فجعل أشعة من نجم مجاور تتسكب نحوه فتدفئه، وتجعل الحياة تتعش على سطحه وفي أعماق محيطاته.

ودارت عجالات الزمان دوراتها، فتحركت عناصر الطبيعة على كوكبنا لتحقيق أهدافاً جديدة، وبدأت حرارته تتخفض تدريجياً، وتضاعفت سحب، وتجمعت مياه، وهبت رياح، ونشأت طحالب وهلاميات، وخلايا وأسماك وزواحف؛ وواصلت الحياة مسيرتها وتطورها وتنوعها على سلم الرقى.

الطبيعة أم عادلة في أحكامها، لا تجامل ولا تحابي ولا تقسو بغير سبب؛ ولا تبخل بالنتائج سواء كانت جوائز أو عقوبات. وسواء استجابت الطبيعة للإنسان في العاجل أم الآجل، وسواء تحركت بسرعة وعنف، أم سارت بهدوء، فهي تتجه نحو أهدافها بعزيمة وانسجام، لا تعرف الإهمال والكسل والانحياز واليأس. وحتى عندما يتدخل الإنسان في مسيرة الطبيعة، فإنه إنما يتدخل في حدود قوانينها، فلا شيء يخلق من لا شيء؛ ولا يمكن لشيء أن يصبح لا شيء. وقد قال الأديب الكبير فولتير: إن هذا الكون العجيب يحيرني، ولكن هذه الساعة الرائعة لا يمكن أن توجد من غير خالق مقتدر حكيم.

الإنسان :

قد يقلق الإنسان عندما يجد نفسه، منذ نشأته، محاطاً بقوى

أضواء على مسرح الحياة —

تتحكم في مصيره؛ وكثيراً ما يشعر أنه مخدوع وقع في فخ الحياة، ضحية لقوى تعطي وتأخذ متى تشاء وكيفما تشاء، قوى غامضة ساحرة، تحسن إليه حيناً، وتصبّ عليه أنواع الحرمان والآلام أحياناً. والحياة، كما يقول أحد الحكماء، مسرحية يبدأها القدر.. ثم يتدخل الحب والمال والحظ وشيء من إرادة الإنسان، فتزخرف حوادث المسرحية حيناً من الدهر، ثم يأتي الموت فينهي كل شيء.

وتجدر الإشارة إلى أن الناس مختلفون فيما يطلبون من الحياة. فبينما يرضى بعضهم بحياة متواضعة تحقق له الضروريات والسكينة وراحة البال، ينافس معظمهم من أجل الحصول على الثروة والمركز والجاه. وهل الحياة المثلى تتحقق بالأفعال الصالحة والأفكار النبيلة والمشار الطيبة؟ أم إنه من الضروري أن يلجأ المرء إلى الأنانية والاحتيال والعدوانية ليسيطر على من حوله ويقضي على منافسيه؟

يَحْضُرُنِي فِي هَذَا الصَّدَدِ مَا قَالَهُ أَدِيبٌ فِي حَدِيثٍ عَنِ الْبَشَرِ وَسُلُوكِهِمْ وَمَنْطِقِهِمْ: «إنكم تمدحون الكلب الذي يهجم على الأرنب، والصياد الذي يصرع الخنزير البري، ولكن إذا شاهدتم كلبين يقتتلان تعتبرون ذلك حماقة؛ وإذا شاهدتم جمعاً من القطط ينقض بعضها على البعض الآخر تعتبرون ذلك وحشية؛ وأنتم، «أيها العقلاء المهذبون المفكرون» هل نسيتم أنكم تقتتلون في معارك ضارية، ولا تكتفون بأظافركم وأنيابكم لتمزيق بني جنسكم، بل تستخدمون الحديد والنار والأسلحة الفتاكة التي تدمر الإنسان والحياة والطبيعة؟

ويتحدث الأديب الأمريكي مارك توينٌ بلهجة متشائمة فيقول ما

مفاده أن الإنسان حيوان شرير، بغيض، متوحش، لأنه يتقن أساليب الخبث والحقْد، ويتفنن في ضروب المكر والانتقام؛ وهو من بين المخلوقات يملك غرائز قبيحة لا إنسانية، فهو مثلاً يتسلّى بصيد الحيوانات وتعذيبها لمجرد الترويح عن النفس. إن الإنسان مخلوق شرير، كريه، مقرف، أناني، متوحش، مفسد، يمثل خطراً على نفسه، وعلى الطبيعة، وعلى الحياة فوق البسيطة.

ويتدخل أديب آخر فيشفق على الإنسان، ويخفف من هذا الحكم القاسي عليه، ويعزى القارئ بشيء من التفاؤل، فيؤكد أنه لا بدّ أن يوجد في مستتقع الجنس البشري الجاهل والغبيّ والمنحرف والسخيّف والقاسي والمهلوس والظالم والمظلوم والمعتدي والضحية... ولولا هذا التنوع في السلوك وهذا التباين بين الأجناس لكانت الحياة رتيبة ومملة.

ومهما اختلفت تصرفات الناس بين الطيّب والخبث، والمصلح والمفسد، فإنه لا يمكن لأحد أن يستغني كلياً عن الناس، ولذلك لا بدّ أن يسود شيء من التقارب والتعاون ليواصل كل فرد مسيرته، ويحقق ضروريات الأمن والبقاء.

* * * * *

الخير والشر:

يتأمل الإنسان محيطه فيلاحظ أن نزعة الإنسان إلى الشر أقوى من ميله إلى الخير؛ والهدم أسهل من البناء؛ والانتقاد ونكران المعروف أقرب إلى النفس من الوفاء بالعهد ومجازاة الإحسان بالإحسان؛

أضواء على مسرح الحياة —

ومشاعر الحقد والانتقام أعمق أثراً من مشاعر الخير؛ والطريق إلى مجالس العلم والمساجد والجمعيات الخيرية متعب وشاق، أما المقاهي والحانات فمزدهمة؛ وأن من يهتمون بإصلاح المجتمع يكتفون بقطع أغصان الأذى، بدلاً من اقتلاع جذور الشرور؛ وأن الإقبال على اقتناء آلات الحرب والدمار أشد من التركيز على بناء المؤسسات العلمية والمستشفيات...

والخلاصة أن المساحات التي تغطيها الظلمات في هذا الكون الفسيح أوسع بكثير من المساحة التي تثيرها خيوط الأشعة المنبعثة من النجوم؛ وأن نزعة الإنسان إلى الشر تجعل نزوله إلى الجحيم أسهل من صعوده إلى السماء.

* * * * *

الحقائق والأوهام:

هل الحقائق مطلقة، تنطبق على جميع العوالم، والمخلوقات، في جميع العهود والأزمنة؟ وهل هي حقائق الرياضيات والعلوم، أم حقائق الخرافات والتخيلات الصوفية؟ يختلف معنى الحقيقة في ذهن الرجل العادي عن معناها في ذهن العالم المثقف، لأن هذا الأخير يساعده تفكيره على القفز إلى أعماق واسعة من المعاني السامية التي تكمن وراء الكلمات.

توجد حقائق تتبع من العقل والمنطق، غير أن تأثيرها يظل محدوداً، لأن كثيراً من الناس، بل عامة الناس، يفضلون مشاعر قوية

صادقة تتبع من القلب، وتساعدهم على تحديد مواقفهم، بدلاً من حزمة من الحقائق الجافة التي تدخلهم إلى متاهات الجدل والقوانين. الناس في حاجة إلى الحقائق التي تساعدهم في اتصالاتهم ومعاملاتهم اليومية؛ غير أن بعض الحقائق قد تصبح مملة، أو تعجز عن قضاء الحاجات وتيسير العلاقات، لذلك يحتاج الناس إلى بعض الخيال، والكذب، والنفاق.. لتلطيف قساوة الحقائق.

ويلاحظ أن الناس يتمتعون بالأحاديث والأخبار البعيدة عن الحقائق، ويرغبون في الاستماع إلى حكايات العجائب والغرائب والأساطير، والمغامرات الخيالية، والمعجزات والخوارق، بل وأحاديث الخرافات كذلك، لأنها تعرض عليهم مشاهد وعوالم واسعة، وتصورات من الماضي السحيق أو المستقبل المجهول. غير أنه مهما كانت عوالم الخيال منعشة ومغرية ومسلية، يعود المرء إلى الواقع ليوصل مسيرته نحو أهداف واضحة، وإنجازات عملية.

* * * * *

العدالة والقانون :

لقد أمر الله أن يسود الحق والعدالة والقانون، ولكن الإنسان فرق بين هذه المبادئ السماوية، وتجاهلها، وعاث فساداً في الأرض. ويجدر التساؤل: أين العدالة؟ وقد أصبح القانون، على مستوى الأفراد والدول، مثل شبكة العنكبوت تصيد الضعيف، ويمزقها القوي. ولكن أليس من الأفضل أن يعيش الناس في متاهة القوانين من أن يتيهوا في غابات طغيان الأقوياء؟

أضواء على مسرح الحياة —

ألا نلاحظ أن قوانين كثير من الدول والمنظمات الدولية تتحدث عن حق المواطن في العمل، والتعليم، والعلاج، والكفالة في مرحلة الشيخوخة، وبعضها ينص كذلك على حرية التفكير. ولا ننس أن القوانين ليست في واقع الأمر سوى مجموع العادات والأفكار والمبادئ التي حاول بها الإنسان، عبر العهود الماضية، أن يعالج مشاكل الناس ونزاعاتهم.

وفي صدد الحديث عن القانون قال أحد الحكماء: عندما يتولى محاميان قضية، كل منهما يدافع عن حق موكله، فإنهما يصبحان مثل طرفي المقص، يقطعان ما بينهما دون أن يؤذي أحدهما زميله. ومن أقوال الأديب فولتير في هذا السياق: لم أخسر سوى مرتين، الأولى عندما كسبت قضية في المحاكم (ويعني أنه دفع للمحامين مبالغ ضخمة)؛ والثانية عندما خسرت قضية في المحاكم.

* * * * *

العلم والعمل :

ليس العلم بركة ماء راكد، بل ينبوعٌ ينعش القلوب، وأشعة تنير الأفكار السليمة الهادفة إلى رقي الإنسان الروحي والمادي. سئل أرسطو ما منزلة العلم من الجهل؟ فقال: منزلة الحياة من الموت. وقال جيمز آدمز: هناك نوعان من التعليم، الأول يعلمنا كيف نكسب العيش، والثاني يعلمنا كيف نحيا ونرتقي. ويقول حكيم آخر: العلم يعلمك كيف تصالح بين الخير الكبير الذي تظنه في نفسك، والخير القليل الذي تظنه في الناس. ويقول الفيلسوف الانكليزي بيكون: إن العلم لا يصبح

قوة مفيدة إلا إذا ساهم في ميدان الإنتاج. فالعمل هو القوة الحقيقية، ولكنه لا يحقق أعظم الإنجازات إلا إذا قاده العلم؛ والمعرفة الصالحة المفيدة هي المعرفة التي ترافق الإنسان في المختبرات وورشات العمل، وتساعده ليخرج أفضل ما في نفسه، وتوجه منجزاته لخدمة الإنسانية.

سئل فيلسوف يوناني: ما هو أهم أهداف فن الخطابة؟ فأجاب «العمل»؛ وما هو أهم ثاني أهدافها؟ فقال «العمل»؛ وما ثالثها؟ فأجاب «العمل». وقال حكيم آخر: العمل يضيف على صاحبه وزناً اجتماعياً؛ والعلم يضيف عليه إشعاعاً، والناس يهتمون بالإشعاع فقط ليعثروا على الوزن. وقال الأديب راسكين: لا يمكن للفكر أن يكون سليماً إلا بالعمل؛ ولا يمكن للعمل أن يزدهر إلا بالعلم. ومن مآثر الكلام أنه عندما يكون الرجل عاطلاً عن العمل يحوط به سبعة شياطين، ويجلس الثامن في حضنه؛ والدماغ الفارغ ورشة عمل الشيطان.

* * * * *

العظمة، الشهرة :

ويتناول الكتاب موضوع العظمة والشهرة والسلطة. ويجدر أن نتساءل: ما هي العظمة، وما الشهرة؟ هل الرجل العظيم هو الشجاع والقائد الغازي الذي يشن الحروب، ويدمر المدن، ويهلك الحرث والنسل ليسيطر على الشعوب المستضعفة؟ هل الرجل العظيم هو من يكرس مواهبه وحياته لخدمة بني جنسه؟ أم العظيم هو الرجل الصالح الورع المتعبد في خلوته؟ أم هو من يسعى جاهداً لتنظيم الحياة

أضواء على مسرح الحياة —

الاجتماعية، وتحقيق العدالة والعيش الكريم لمواطنيه؟ أم الرجل العظيم هو ذلك المعلم الذي يكرس وقته للبحث والتأليف، وينتج أفكارًا ونظريات تثير دروب الحياة؟

وهل الشهرة هي ما يعتز به الفرد من تصنيف الجمهور في النوادي، وهتافهم في الشوارع؟ أم ما يفتخر به المرء من إنجازات عملية وأخلاق فاضلة؟ أم الشهرة هي ما يفتخر به الرجل من ميراث أجداده؟ أم هي ما يشتريه الغني من ألقاب وما يوهب من نياشين؟ وهل تقاس الشهرة بمدى سطوة مركزك وسلطانك وسعة ثروتك؟

يحدثنا الأديب الفرنسي La Bruyere عن العظمة فيقول ما مفاده أن العظمة الحقيقية طبعها الثقة والوقار والتواضع والكرم والاحترام؛ فيمكن أن تتخلى عن امتيازاتها وتختلط بالطبقات الدنيا، لأنها قادرة على إثبات مزاياها. أما العظمة الزائفة فتخشى أن تبرز للمواجهة، لأنها تشعر بمواطن ضعفها. ويقول شكسبير في هذا الصدد: بعض الناس يولدون عظماء؛ وبعضهم يكسبها بجهد؛ وبعضهم تساق إليه دون أن يستحقها. ويقول حكيم آخر: ليست العظمة لمن يملك القوة، بل لمن يعرف كيف ومتى يستعملها.

فلنترك لمصفاة التاريخ مهمة غريبة أعمال العظماء ومنجزاتهم، وسنجد أماننا، في نهاية المطاف، سجلين متباينين، سجل العمران، والإصلاح، والتطور، يزخر بالعلم، والأمن، والازدهار؛ وسجل الحروب، والعدوان، والفساد في الأرض.

* * * * *

المال ، الثروة :

كثيراً ما يُطرح السؤال: ما الهدف من جمع المال وتكديس الثروات؟ فإذا كان هو التمتع بالحياة، والشعور بالأمن، فإنه يكفي القليل من المال، على أن يرافقه الحب وراحة البال. أما إذا كان الهدف هو السعي وراء الجاه والمركز والشهرة... فإن الطموح المفرط لا يجلب السعادة.

نصح حكيم الأثرياء المولعين بجمع المال فقال: اجعلوا لأفئدتكم جيوباً واسعة، لتتقلوا أموالكم معكم عساكم تشتتوا قصوراً شامخة في الآخرة. ويقول حكيم آخر عن رجل ثري كان يكثر المال ولا ينفقه في سبيل الله: إنه يرقد الآن في قبره داخل صندوق من أغلى أنواع الخشب، ويستضيف أطفأ أصناف الديدان؟ ويقول حكيم آخر: إن الأثرياء البخلاء، الذين لا ينفقون أموالهم لصالح البلاد والعباد، تقودهم الشياطين يوم القيامة إلى مستشفيات العلاج من الأمراض النفسية.

ولكن مهما كتب الحكماء وحدث الوعاظ، منذ قدم الزمان، لم يقلل من سحر المال وغوايته وتهافت الناس على جمعه. والحديث عمن يكثرزون الثروات.. لا يقلل من أهمية المال وما له من آثار إيجابية يجعل كثيراً من الناس يضحون بأنفسهم من أجل حماية ممتلكاتهم. إن المال يسهل الصعب، ويغطي العيوب، ويفتح الأبواب، ويجمل القبيح، ويعالج المريض، ويجعل المتشرد سائحاً محترماً... وكما قيل لا يوجد مكان لا يصعد إليه حمار، مهما ارتفع، إذا كان الحمار محملاً بأكياس الذهب.

* * * * *

الأخلاق:

يمكن القول بصفة عامة أن الأخلاق هي مجموع المبادئ والمفاهيم والعادات التي تنظم السلوك البشري، بطريقة موضوعية، أو غير موضوعية، بناء على ما يعتبره الناس سلوكاً سليماً مقبولاً، أو خاطئاً منبوذاً، في زمن من الأزمنة ومكان من الأماكن. فالأخلاق الفاضلة هي ما ترضى به القبائل والمجتمعات، والأخلاق الرذيلة هي ما ترفضه وتعاقب عليه. وتشمل معايير الأخلاق الواجب، والمستحب، والمباح، والمكروه، والمحرم، وغير ذلك مما يدخل في مجال الحق والباطل، والصالح والفساد، والخير والشر.

الفضيلة ليست مجرد الامتناع عن الرذائل وتجنب المساوئ. فردا اتخذ المرء موقفاً محايداً بين الخير والشر لا يعتبر فاضلاً، إذ لا بد أن يقوم بأعمال صالحة نافعة لينتمي إلى ساحة الفضيلة. بل إن الانخراط في الأعمال الخيرية يعتبر أفضل سبيل لتجنب فئات الشر والفساد.

إن العبادات هي مواقف التقوى والورع والأفعال التي يتجه بها المؤمن نحو خالقه. وهي وحدها لا تكفي لكي نحكم عليه بأنه من ذوي الفضل والأخلاق الكريمة. فالمؤمن الذي يعتكف في مسجد أو كهف (أو دير)، منعزلاً عن معترك الحياة اليومية وسط البشر، لا يعتبر من أهل الخير والفضل والصالح، لأنه في عزلته لا يواجه المغريات والمفاسد والشرور التي تمتحن إرادته وصبره وقوته وتقواه. وهو في عزلته لا ينفع الناس بشيء، لا يأمر بمعروف ولا ينهي عن منكر؛ فكيف نحكم على سلوكه في عزلته، وعلى أي أساس نضمه إلى ساحة أهل

الخير والفضل والصالح، وهو بعيد عن بيئة العلاقات والمعاملات اليومية التي تعتبر المحك الذي يخرج ما في النفوس من خير أو شر.

قد تختلف العبادات والشعائر العقائدية باختلاف الملل والطوائف، ولكن المبادئ الأخلاقية الأساسية تظل مشتركة بين البشر. وما أعظم «الدين المعاملة»، إذ من مزايا الأخلاق الحميدة أنها تنشر المودة والثقة بين الناس، وتزرع التسامح والكرم والتعاون، وتلطف من استبداد المشاعر السلبية، وتخفف من قساوة العقل والعلم والقوة، ومن طغيان الأنانية، وتلين من تعصب المتزمتين، وتسعى إلى إصلاح الضال، وتقويم المعوج، ومواساة المصابين، وتوزيع الخيرات بين المحرومين. فمن يفعل الخير لا يعدم جوازيه، ومن يزرع الريح يحصد العواصف.

* * * * *

الجمال :

تعددت أوصاف الجمال واختلفت، فشملت الجوهر والمظهر. وهل الجمال هو الملامح المتناسقة والقدر المشوق؛ أم هو في العقل الحصيف والفكر الرزين، أم في المشاعر الصادقة؛ أم الجمال هو الحقيقة والفضيلة؟

وهل الجمال في الأشياء النادرة الثمينة، أم في الأشياء المتواضعة المتاحة للجميع، هل هو في القصور أم في الأكواخ؟ وهل هو في المتع والملذات، أم في الزهد والقناعة والتقشف؟ وهل هو في حيوية الشباب

أضواء على مسرح الحياة —

واندفاعهم، أم في وقار الشيوخ وحكمتهم؛ وهل الجمال كله خير، أم فيه كثير من الشر؟

من الحكماء من وصف الجمال بأنه تحيز من طرف الطبيعة؛ ومن قال إنه هبة من الآلهة؛ ومن قال إنه خداع، غش، واستبداد، ومن قال إنه امتيازات موروثية. وأخيراً هل الجمال قيم مطلقة؟ أم مجرد أذواق وآراء شخصية؟

* * * * *

الدعابة والابتسامة :

هناك ابتسامة الحب والرضى والفرج والأمل، وابتسامة الغش والسخرية والمكر. إن الابتسامة الصادقة مثل الكلمة الطيبة، فهي شعاع على نافذة الوجه، والعطر الذي ينعش النفس، واللون البهيج الذي يكسو الملامح؛ قد لا تكون الابتسامة إلا ومضة عابرة، ولكن أثرها يدوم طويلاً.

من الناس من يظنون خطأ أن الدعابة والظرف والفكاهة لا تليق بأخلاق الرجل المجد الوقور. فنراهم يضعون على وجوههم أقنعة مصطنعة، ويستقبلونك بملامح عابسة متجهمة، ظناً منهم أن ذلك يزيدهم قدراً وجدية. والواقع أن مثل هذا السلوك يعبر عن الغرور، وانعدام الثقة بالنفس.

وما أكثر ما يواجه المرء من هموم الحياة وعبوسها؛ وكل هم يدق

في نعيشه مسماراً؛ وكل لحظة طرب وضحك وابتهاج تنزع من ذلك
النش مسماراً. فالقدر المتوازن من الدعابة الطيبة و الضحك البرئ
يساعد على استرخاء الجسد، وتحسين التنفس، وتلطيف الأجواء
المتوترة، كما يساعد على شحذ الهمم، وتوثيق العلاقات بين الناس،
ونشر المودة، وفتح أبواب التفاؤل والأمل.

يروى أن العالم فرويد كان يستقبل زائريه بطرفة من تاريخ
اليهود، فتشرح نفوسهم ، ويهدأ قلقهم. ألا نشاهد أن الناس يسرعون
إلى مجالس الظرف، ويلتفون حول صاحب الدعابة والضحكة
الصادقة، وينفرون من النكد والأحزان، والتشاؤم والوجه العبوس. وقد
قيل إن الوجه الذي لا يبتسم مثل البرعم الذي لا يزهر.

الأزرق بن علو

الحياة

أنغام سيمفونية حياتي هي أن أقنع وأعيش بوسائل قليلة متواضعة، أن أبحث عن الأناقة بدلاً من الكماليات؛ وعن الرقة والصفاء بدلاً من ملاحظة أزياء الملابس المتجددة؛ هي أن أكون ذا كفاءة وليس ذا ثروة؛ أن أدرس بجد ومثابرة؛ أن أفكر في سكينه وهدوء؛ أن أتحدث بلطف وكياسة، وأعمل بإخلاص؛ أن أستمع إلى النجوم، والطيور، وصغار الأطفال، وإلى الحكماء بقلب منشرح؛ وأن لا أستعجل الحوادث، ولا أنافس أحداً، ولا أستبق الأقدار، بل أنتظر أن تسنح لي الفرصة؛ وأن أفتح المجال للجانب الروحي لكي ينتعش وينمو من خلال الجانب المادي.

William H. Channing

* * * * *

إنما يعيش المرء بأفعاله وأفكاره، وليس فقط بالتنفس وعدد السنين؛ يعيش بمشاعره الطيبة وليس فقط بالأرقام التي تشغل حياته. إن الأعمال الحميدة والمشاعر النبيلة هي التي تجعل الحياة مزدهرة راضية.

Bailey

* * * * *

الحياة الحقيقية هي أن يتعلم المرء شيئاً جديداً كل يوم، وأن ينتج

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

شيئاً جديداً كل يوم، وأن يسمع شيئاً جديداً؛ وأن يفكر في شيء جديد. ومن لا يتعلم شيئاً، ولا يطمح إلى شيء، فهو لا شيء.

* * * * *

الحياة التي تحملها وتحملك عبء مقدس؛ تأملها! احملها كأمانة سماوية! لا تفشل أمام الأحزان؛ ولا تستسلم للخطيئة! بل انهض وتقدم صعوداً ونزولاً إلى أن تبلغ هدفك.
Francis A. Kemble

* * * * *

مهمتنا الأولى ليست أن نتَّظر إلى الأشياء التي تبدو باهتة على مسافة، بل أن ننجز ما هو واضح أمام أعيننا.
Carlyle

* * * * *

تخلصوا، أصدقائي، من كل ما هو غير ضروري! ينبغي للمركب الذي ينقلكم عبر الحياة أن يكون خفيفاً. إذا لا تأخذوا معكم إلا بيتاً متواضعاً، وضروريات المتع البسيطة، وبعض الأصدقاء المخلصين، وشخصاً تحبونه ويحبكم، وكلباً وقطاً وجليونا، وما كان ضرورياً من الطعام والشراب والثياب.
Jerome K. Jerome

* * * * *

أعدوا، ابتداء من هذا اليوم، موازنة واضحة لحياتكم، وبناء على ماضيكم وظروفكم، قررروا كيف سيكون مستقبلكم، وقررروا أن تعيشوا بطريقة كريمة بحيث تستفيدون، وتفيدون غيركم.

Aristide Quillet

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

هل تجد حياتك كريمة؟ إنني أجدها ممتعة. هل أضعت مرحلة شبابك سدى؟ إنني حافظت عليها، وأحسنتُ استعمالها. هل تضعف ملذاتك بمرور السنين؟ إنني أنعشها فلا تضعف. هل تتقضي أيامك بغروب شمس حياتك؟ إنني أعتقد أن شمسي لا تغرب إلا لتشرق من جديد.

Robert Browning

* * * * *

صحيح أنني لا أساعد الشمس على شروقها، ولكن من المهم جداً أن أكون حاضراً لمشاهدتها تصعد في السماء. Henry de thoreau

* * * * *

أحبب حياتك مهما كانت فقيرة؛ فلا شك أنك تنعم من حين إلى حين بساعات من السكينة والهناء والاسترخاء في بيتك الفقير، لأن أشعة الشمس التي تنفذ إلى مأوى الفقراء لا يقل دفؤها ونورها عن الأشعة التي تنفذ إلى قصور الأثرياء. Thoreau

* * * * *

مادة الحياة ثمينة ينبغي أن لا نضيعها في تصحيح الانطباعات الخاطئة المعقدة؛ ولعله من الأفضل أن يعيش المرء في هدوء وسكينة في ظل شيء من التصورات الخاطئة، بدلاً من أن ينهك نفسه في الخطب والرسائل المطولة. George Eliot

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الحياة كنز ثمين، حتى الشيخ، والفقير، والمتسول، والكلب..
يأسف على فراقها.

* * * * *

الحياة قصيرة جداً، وساعات السكينة والطمأنينة قليلة، فلا يجوز
لك أن تضيعها في مشاهدة الأفلام الرخيصة، وقراءة الكتب التي
لا فائدة فيها.

* * * * *

الحادثات مثل الخناجر، إما أن تخدمنا إذا أمسكناها من
القبضة، أو تجرحنا إذا أمسكناها من النصل.
James Lowell

* * * * *

نلاحظ أن من يقلقون من الحياة، ومع ذلك لا يرغبون في الموت،
هم أولئك الذين يعيشون بدون هدف، فهم أشخاص يتنفسون، ولكنهم
لا يعيشون.

* * * * *

ينبغي لكل إنسان أن يتساءل، ويبحث، ويتأمل الحياة بشيء من
الفضول؛ لأنه إذا فارقها بدون أن يطرح سؤالاً، فماذا أفاد بوجوده؟

Frank M. Colby

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

من يدري؟ لعل ما نظنّه الحياة هو الموت؛ وما نظنّه الموت هو الحياة!

Euripides

* * * * *

الوجود انسجام وتناسق وقدسية وخلود، فمن زاد يقينه بهذا
تحسنت معنوياته، وتطهرت أخلاقه، وزادت حسناته، وطابت ظروف حياته.

* * * * *

أهم أهداف الحياة: أن تولد، أن تفعل، أو لا تفعل، ثم تسافر.

* * * * *

يمكن للمرأة أن يعيش بدون كتب، فالمعرفة أحزان وخيبة أمل؛
ويمكنه أن يعيش بدون أمل، فالآمال أحلام؛ وأن يعيش بدون حب، فالحب
آلام ومعاناة؛ ولكن من هو الرجل الذي يستطيع أن ينام من غير عشاء؟

Alexander Smith

* * * * *

أن تعيش وتفسح المجال لغيرك ليعيش، دون ضجيج ولا تمييز؛
وتكتب كلمة الحق على قلبك، ذلك هو سبيل العيش السليم.

* * * * *

الحياة مثل الحصاة التي نرميها في النهر، وأفعالنا هي الدوائر
التي تروح متسعة حولها.

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

لعل الطريق السليم للحياة هو أن نتناول الموجود، ونستغل الحاضر،
ونعصر الظروف المواتية لنخرج عصارتها بدلاً من التوقعات والأحلام.

John A. Joyce

* * * * *

ما هي الحياة؟ وهم، ظل، هذيان... لا يجدي فيها مال ولا بنون؛
أجل إنها أحلام، مجرد أحلام مرة أو لذيذة.

calderon de la Barca

* * * * *

الحياة عشرة في المائة ما تفعله بها، وتسعون في المائة ما تفعله بك.

Irving Berlin

* * * * *

الحياة مثل الحشائش والأزهار التي تنمو في الخلاء، تأتي عليها
الرياح فتتطاير أوراقها، وتذبل عيدانها، ويأتي الزمان على آثارها.

العهد القديم

* * * * *

إذا كانت الحياة حياة بؤس وشقاء، فهي مضنية يصعب تحملها؛
وإذا كانت سعيدة مريحة، يعيش المرء في فزع من فقدانها؛ ألا ترى أن
الحالتين متشابهتان؟
La Bruyere

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

هناك عالمان، عالم نمكث فيه، وقتاً قصيراً، ثم نخرج منه دون رجعة؛ وعالم آخر سندخله قريباً، ولن نغادره أبداً. الشهرة، والسلطة، والثراء، والأصدقاء، والمحابة... من خصائص العالم الأول؛ واحتقار هذه المزايا يصلح للعالم الثاني. فعليك أن تختار.

La Bruyere

عش شبابك بحيث تنعم فيه براحة نفسية وبدنية ترافقك عندما يفارقك؛ وتذكر أن للنهار مساء، مهما طال، وأنت لن تتمتع بنهارك إلا مرة واحدة، فعليك أن تزرع وتحصد جميع المون التي توفر لك حياة طويلة سعيدة.

Walter Raleigh

المسنون والشباب ينظرون إلى الحياة من زوايا منظر مكبر.. متقابلة، فالفئة الأولى تبدو الحياة قصيرة، والفئة الثانية تبدو طويلة.

Henry W. Beecher

ما أحلى أن ينفض المرء عن نفسه قيود الرأي العام، وأن ينسى شخصيته المتعبة الملتصقة به، ويفلت من الروابط فيصبح ابن الساعة الحاضرة، أعني أن يعيش «لنفسه»، أن يجرب الحياة كمتفرج عن كذب، يراقب مشاهد الحادثات والأحياء، يتأمل ما يجري في العالم من حوله، من غير أن يكثر من التدخل في مجرى الحوادث.

William Hazlitt

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

عندما أفكر في الحياة أجد أنها خدعة كبيرة؛ ولكن الأمل يخدع
الناس فيسيرون وراء الخدعة.
J. Dryden

* * * * *

الحياة ظل يتحرك مثل ممثل بئس على خشبة المسرح، يتبخطر
ويتململ نصف ساعة ثم يختفى.
Shakespeare

* * * * *

إذا عشت يوماً، فكأنك عشت قرناً: الشمس نفسها، الأرض
ذاتها، العالم نفسه، المشاعر والإحساسات نفسها... وقد يتمنى
الإنسان أن يتخلص من مادة الجسد ليكون روحاً صرفة، غير أنه يكره
أن يحدث هذا عن طريق الموت. ولو خيّر لفضل أن يعيش دهرًا طويلاً.
فالآلام والأمراض تفجعه، وفكرة الانتقال إلى عالم مجهول يروعه،
ولا يخفف من روعه إلا الإيمان الصادق والعقيدة الخالصة العميقة.

La Bruyere

* * * * *

لو كانت جميع لحظات حياتنا مشمسة وسعيدة لما اهتممنا بها
كثيراً، ولربما كنا مثل ساعة مدينة البندقية التي لا تحسب الساعات
عندما تغطي السحب سماء المدينة.
W. Hazlitt

* * * * *

الحياة قصيرة جداً، فلا تضعها في نباح التهكم ونقنقة النقد،

— أضواء على مسرح الحياة —

ولا في غمرات التنازع والتفاخر. فعمما قريب سيطبق علينا الظلام؛
فانهض لأهدافك، للحياة، وليكن الرب في عونك!
Emerson

* * * * *

فن الحياة أشبه بفن المصارعة منه بفن الرقص؛ لأنه عليك أن
تقف منتبهاً مستعداً للضربة المفاجئة، وأن تحذر السقوط.

Marcus Aurelius

* * * * *

مهما اشتكى المرء من ظروف حياته، فإن مما يجعله يرضى بها
هو أن يتبادل المكان والظروف مع جيرانه ولو لبضعة أيام.

* * * * *

ليس المهم فقط ما ننال من الحياة، بل كذلك ما نضيف إليها.

* * * * *

أن يولد المرء سيِّداً فهو مجرد صدفة، أما أن يصبح سيِّداً فهو
إنجاز العظماء.

* * * * *

لا يستطيع المرء أن يعيش حاضره فقط، لأن الخوف، والرغبة،
والطموح، والأمل، تدفعه نحو المستقبل.
Montaigne

* * * * *

العالم مهزلة ممتعة، لو لم أكن مجبراً لأمثل فيها دوراً.

Diderot

* * * * *

لم يطلب مني واجب ولا قانون أن أكافح وأقاتل، ولم يطلب مني ذلك مسؤولون، ولا دفعني جمهور يصفق لي، بل كانت نزعة غريبة من البهجة دفعتني إلى الدخول في هذا القدر الكامن وراء السحاب... وقد وازنت الأمور، وتأملت الحادثات، فوجدت أن السنين الخوالي كانت قفراء مجدبة، وعسى أن لا تكون السنين المقبلة ضياعاً للجهد، والهدف هو تكافؤ ميزان الحياة.

William B. yeats

* * * * *

ستنتهي حياة البشر على هذا الكوكب يوماً ما، وستكون نهايتها مروعة. ويبدو لي أن عهدنا يقترب من هذه النهاية، ليس بسبب شيء تحدثه الطبيعة، بل نتيجة حماقة الإنسان وجشعه.

J.Holmes

* * * * *

لقد وهبنا الله الحياة لنحقق أهدافاً سامية، وليس لنضيعها في التقاط المخلفات التافهة التي رماها الأجداد.

Samuel Johnson

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

أيها الشيخ لماذا لا تهدأ وتجلس جانباً مثلما ينسحب الضيف بعد
أن يشبع؟ ألا تود أن تراقب الحادثات في راحة وهدوء ونفس راضية كريمة؟

Lucretius

* * * * *

بيننا وبين الجنة أو جهنم لا يوجد سوى جسر الحياة، وهي من
مادة سريعة العطب.

Blaise Pascal

* * * * *

الحياة فتاة حسناء، وأنت الألوان المزخرفة على لعبتها، وهي
مولعة بك تلحسك حسب هواها.

O'Henry

* * * * *

الحياة حلم مخادع، ولكننا نراهن عليه بأعز الأشياء، تماماً كما
تفعل النساء اللواتي يضعن ثقتهم في الخرافات والأساطير والتنبؤات
الوهمية الخيالية.

UGO Foscolo

* * * * *

داخل كل إنسان شعور بوجود قوى تتحكم فيه؛ وشعور بالامتعاظ
يجعله يكره الحياة، إنه يشعر أنه مخدوع، وقع في فخ، فريسة، ضحية
لقوة تأخذ وتعطي كما تشاء، تستغله وتطرحه متى تشاء، لا عهد لها
ولا ميثاق وميقات محدود؛ وهذه القوى التي تتحكم في حياته تصب
عليه أنواع المتاعب والإهانة والحرمان، فهو يشعر بالأسى ويأسف على

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

حاله، وتضعف إرادته، كمخلوق حساس ومفكر، في التأثير على مجرى
Valery الحوادث.

* * * * *

هناك قاعدتان في الحياة عليك أن تستحضرهما: أنه لا يوجد
شيء صالح أو سيء إلا في الإرادة؛ وأن المرء لا يستطيع دومًا أن يقود
Epictetus الحوادث، فعليه أن يلحق بها.

* * * * *

William Cooper التغيير والتنويع والتجديد توايل الحياة.

* * * * *

سأعلمكم حياة الرجل الأمثل (السوبرمان)، لأن حياة الرجل
العادي، انقضى عهدها.

زرادشت

* * * * *

لا تضع ما بقي من حياتك في توقعات تتعلق بسلوك الناس، لأنك
Marcus Aurelius بذلك تتعب نفسك، ولا تسعد الآخرين.

* * * * *

بالأمس كنت مضغة في بطن أمك، وبعد حين غبارًا في أعماق

أضواء على مسرح الحياة —

الأرض، إذا عش ما منحت من الزمن بعقلانية، وغادر الحياة ببشاشة
مثلما تسقط حبة التين أو الزيتون بعد نضجها، وتمجد الموسم الذي
أنضجها.
Marcus Aurelius

* * * * *

فوق اليابسة وفوق الأمواج كل شيء يخضع لتقلبات القدر؛ أربعة
عميان يقودون الناس: القدر، الحب، الثروة، الموت. فالحياة أشبه
بحفلة رقص، يبدأها القدر، كيفما كان، ويأتي المال والحب فيزخر فنان
الحفلة فترة، ثم يأتي الموت فيختمها.

* * * * *

اهربوا من الأفكار المتعصبة والأدمغة الضبابية، واعشقوا الحياة
على رغم الحمقى المتزمطين، فهم متطفلون على الحياة مثل الحشرات.
Sacha Guitry

* * * * *

ما أشبه حياتنا بأمواج الأخاديد البيضاء التي تتركها المراكب
وراءها وهي تعبر بحر الزمان.
Mansi

* * * * *

هذا التراب الساكن كان يوماً شباباً وفتيات، سادة وسيدات، كان
حيًا يتنفس، يضحك، ينشط... كان خصلات شعر زاهية، وملابس
فاخرة، وعيوناً ساحرة، وقلوباً نابضة.
Emily Dickinson

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الحدود التي تفصل بين الحياة والموت غامضة، ومن ينبئنا بصدق
أين تنتهي الأولى، وأين تبدأ الأخرى.
Edgar A. Poe

* * * * *

لو كان للحياة طبعة ثانية لغيرت أشياء كثيرة سجلتها في الطبعة
الأولى.

* * * * *

ضحكتُ مما يحوط بي من الفناء، لكي لا أحزن ولا أبكي.
Byron

* * * * *

الحياة بدأت من الطين، وفي الطين معادن مختلفة.

* * * * *

الحياة قصيرة، فلا تحرص على إنجاز الأشياء التي يمكنك أن
توكلها لغيرك.
S. Maughm

* * * * *

نطق الحياة فقالت: البقاء للأصلح.

* * * * *

ليس في قدرتك أن تعيش حياة طويلة، ولكن بوسعك أن تعيش
حياة نبيلة طاهرة.
Seneca

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —————

اندماجك في العالم إما أن يكسر قلبك، أو يزيده قساوة وصلابة.

N.S.Chamford

* * * * *

معرفتك للعالم تعني بكل بساطة أن تتعرف على نقائص الناس

ومساوئهم ورغباتهم.

Charles Dickens

* * * * *

أفضل سياج تبنيه ضد العالم هو أن تزيد علمك به.

Lock

* * * * *

الإنسان، الناس

أيُّها الحيوانات العاقلة الرائعة المجيدة، يا من تكرهون الأجناس الأخرى وتحتقرونها، وأنتم لا تصلُّون إلى مستوى الأفيال والحيتان.. تقولون: الذئب تنهب وتخطف، والأسود مروعة وحشية، والقردة مأكرة... وأنتم، من أنتم؟

تقولون « الإنسان حيوان ناطق، عاقل! ومن سمح لكم بهذا التعريف؟ هل أجازت لكم مملكة الحيوانات الأخرى ذلك؟ ومن سمح لكم أن تأخذوا لأنفسكم الصفات الحميدة، وتعطوا لرفاقكم من الحيوانات الصفات الدنيئة؟

أيُّها البشر، فلنتحدث بصراحة عن طيشكم، وحماقاتكم، ونزواتكم، ووحشيتكم التي تجعلكم أدنى من... أجناس السلاحف والقطط... التي تتبع غرائزها الطبيعية بحكمة وقناعة.

تقولون عن الصقر إنه قوي وجميل، وتمدحون الكلب الذي يهجم على الأرنب، وكذلك عن الرجل الذي يلحق بالخنزير البري ويصرعه، ولكن إذا شاهدتم كلبين يتقاتلان تعتبرون فعلهما حماقة، وإذا قيل لكم إن جميع القطط تجمعت في الخلاء، وانقض بعضُها على البعض الآخر، وأنه بعد معركة وحشية، قتل منها عشرة آلاف قط وقطة، وإن جثثها لوثت الهواء في مساحة واسعة، تعتبرون ذلك حدثاً شنيعاً. وإذا

أضواء على مسرح الحياة —————

تجمعت حشود الكلاب والذئاب واقتتلت في مجازر ضارية، ماذا تقولون عن ذلك؟

أما أنتم، أيها البشر، فلستم مثل الحيوانات غير العاقلة التي تكتفي بأنيابها ومخالبها، كلا! فأنتم عقلاء مفكرون وأذكياء، لذلك تستخدمون في معارككم الحديد والنار.. وأنواع الأسلحة الفتاكة.

La Bruyere

* * * * *

الإنسان، من بين جميع المخلوقات، هو المخلوق الأناني البغيض؛ فهو يتقن أساليب الخبث والحقْد والانتقام، وفيه غير ذلك من العيوب والغرائز القبيحة؛ وهو الحيوان الوحيد الذي يعذب الحيوانات الأخرى للترويح والتسلية، وهو يشعر أنه يعذب الحياة؛ والإنسان، من بين مخلوقات الله، يملك فكراً كريهاً، شريراً، متوحشاً، مقرفاً، فاحشاً، مفسداً، خطيراً على الحياة.

Mark Twain

* * * * *

ليس الإنسان مَلَكاً ولا حيواناً، ولكن إذا حاول أن يصبح مَلَكاً تحول إلى حيوان.

Molière

* * * * *

أعتقد أن أحمق مخلوق من مخلوقات الله التي تدبّ على الأرض، أو تسبح، أو تطير.. هو الإنسان.

Boileau

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

خلق الله الأشياء على أحسن حال، وتلاعب بها الإنسان فأفسدها.

Rousseau

* * * * *

أعتقد أنه يوجد في الإنسان عنصر قدسي كان فيه قبل أن تخلق
العناصر، بل وقبل أن تخلق الشمس.

* * * * *

عندما قال أفلاطون عن الإنسان «إنه حيوان ذو رجلين، من غير
ريش»، نتفد الفيلسوف ديوجينس ريش ديك، وجاء به إلى الأكاديمية
وقال: هذا هو إنسان أفلاطون. وبعد ذلك أضاف أحدهم مازحاً: «وله
Marcus Aurelius أظافر مسطحة».

* * * * *

لم أر في العالم معجزة ولا وحشاً أكبر مني.

Montaigne

* * * * *

قلب الإنسان هو مقر الشيطان، إنني أشعر أحياناً أن جهنم داخل
نفسي.

Sir thomas Brown

* * * * *

ما زالت الأشياء اليوم كما كانت في العهود الغابرة، وما زال

أضواء على مسرح الحياة —————

الإنسان أشد الحيوانات فساداً في الأرض. Marcus Aurelius

* * * * *

الإنسان عدو نفسه، وكيف يسعى إلى تحسين حياة الآخرين من
يسعى لتحطيم حياته. Sir Thomas Brown

* * * * *

أعلم أن ما أسعى إليه شر وفساد في الأرض، ولكن ميولي
وغرائزي تتغلب على حكمتي وتعقلي. Euripides

* * * * *

هل الإنسان قرد أم ملك؟ أشهد أنني أميل إلى جانب الملائكة،
وأبغض النظريات الجديدة حول هذا الموضوع. Benjamin Disraeli

* * * * *

الإنسان حيوان عسكري، يمجّد السلاح ويزهو باستعراضات القوة.

Bailey

* * * * *

كون الإنسان يميز بين الخير والشر، والحق والباطل، هذا يؤكد
تفوقه على المخلوقات الأخرى، وكونه يرتكب الجرائم والمفاسد يؤكد
انحطاطه تحت مستوى الحيوانات.

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

ما خلق الله الإنسان إلا بعد أن خاب ظنه بخلق القرد .

M. Twain

* * * * *

الإنسان أوحش جميع الحيوانات، فهي تصطاد لتعيش، أو تهاجم
دفاعاً عن حياتها؛ أما الإنسان فيعيش ليعتدي بصفة منتظمة على
الحيوانات وعلى بني جنسه .
W. James

* * * * *

الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يتميز بصفة الخجل، وما ذلك
إلا لسوء أفعاله .
M. Twain

* * * * *

الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يبقى على علاقة صداقة مع
ضحيته إلى أن يفترسها .
Samuel Butler

* * * * *

الأفعى الضخمة التي تعصر ضحيتها، عندما تشبع تنام، ولا
تتحرك حتى تجوع؛ ليت الإنسان كان كذلك .
Bertrand Russell

* * * * *

لقد كان آدم (عليه السلام) بشراً مثلاً، فهو لم يأكل التفاحة
لكونها تفاحة، بل أكلها لأنها حُرمت عليه .
M. Twain

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —————

إذا أطعمت كلبًا جائعًا وأحسنْتَ إليه فإنه لا يعضك، هذا هو
الفرق بين الكلب والإنسان.
M. Twain

* * * * *

الإنسان حيوان نبيل ومتحضر، يحتفل بالمناسبات، ويزخرف
القبور، وينظم احتفالات رائعة للحياة، ولكن ينبغي له أن لا ينسى
غرائزه الوضيعة.
La Rochefoucauld

* * * * *

الإنسان لا يستقيم حبًّا للعدالة، بل خوفًا من العقاب.
La Rochefoucauld

* * * * *

حالة الإنسان الملل، القلق، التقلب، التناقض، والفساد في الأرض.
* * * * *

الإنسان مخلوق محدود في طبيعته، ولكن لا نهاية لـرغباته، فهو
يشبه إلها سقط من السماء، ما زال يتذكر النعيم المفقود.

Lamartine

* * * * *

لعل كرامة الإنسان الوحيدة هي كونه قادرًا على احتقار نفسه.
Santayana

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

لا يفرط الإنسان في تقدير نفسه لو نسب إفراطاته إلى الغرور،
وأفعاله الدنيئة إلى الخوف، وتصرفاته الأخرى إلى العادة.

* * * * *

الإنسان مصدر الفساد على الأرض، اللهم احفظ الكواكب
الأخرى من شروره.
H. Ellis

* * * * *

يقلق الإنسان لأنه لا يدرك العدم الذي أتى منه، ولا اللانهاية
التي تغمر مستقبله.
Pascal

* * * * *

العالم معبد كبير، ولكنه مكرس للنزاع والحروب، واستبداد الأقوياء.
Voltaire

* * * * *

تقف روح الإنسان بين عالمين: عالم النور وعالم الظلام، عالم
الضرورات وعالم الإرادة الحرة.
Carlyle

* * * * *

أنا حزمة من المحاولات، والاجتهادات، والصراعات، يشدها رباط
القدر.

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —————

ما هو الإنسان؟ طفل أحمق، دماغ منتفخ بالغرور؛ مخلوق ضعيف
يصارع مرتبكاً، ساعياً وراء كل شيء، وفي النهاية لا يستحق سوى
حفرة، قد توضع فوقها صخرة.
Carlyle

* * * * *

الإنسان نسيج من العلاقات، حزمة من الجذور، وأزهاره وغللاته
هي العالم.
Waldo Emerson

* * * * *

أعظم الجهود التي بذلتها البشرية تعود إلى كون الإنسان يحب
ال عمران والتمجيد، وأعظم الكوارث إلى كونه مخلوقاً أنانياً مولعاً بالملذات.

John Ruskin

* * * * *

الإنسان أكثر الحيوانات مرونة، يمكنه أن يتعود على أي شيء،
وأن يتكيف مع الخير والشر.
Dostoyevski

* * * * *

الإنسان حيوان ممسوخ مسخاً مشوهاً، وهو معرض، من حين
لآخر، لردود أفعال غريبة تتبع من مجالات نفسية عميقة وغير محددة.

Kipling

* * * * *

يتكون الإنسان من جسد، وفكر، وخيال. وللجسد عيوبه ونقائصه؛ والفكر يصيب ويخطئ؛ ولكن الخيال هو الذي جعله مخلوقاً متطوراً متميزاً.

John Mansfield

* * * * *

إنما نحن أرواح مقنعة، فالإنسان قد لا يعرف حقيقة أخيه الإنسان. ولكن نحاول الاتصال لإزالة ظلال الحجاب اللامرئية.

Christopher Gauch

* * * * *

مما يميز الإنسان أنه ذلك المخلوق الفضولي الذي ما انفك يتساءل عن وجوده وأهميته؟ فهو يستطيع بخياله أن يقف جانباً، وأن ينظر إلى نفسه بمنظار الخلود والفناء، ويصدر حكمه بأن الإنسان «مخلوق ضئيل، قليل الأهمية في هذا الكون الفسيح».

Carle L.Becker

* * * * *

أعتقد أن الإنسان سيصبح، في المستقبل البعيد، مخلوقاً فيه من صفات الكمال ما ليس فيه اليوم. وإنه لما يحزن حقاً أن البشرية جمعاء، وما حولها من مخلوقات، محكوم عليها بالفناء، بعد ما حققتها من تطور عبر ملايين السنين. أمّا بالنسبة لمن يؤمنون بخلود الروح فإن دمار هذا العالم لا يبدو لهم أمراً محزناً.

Darwin

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

جميع هذه المساعي والجهود والصراعات الهادفة إلى تحسين
أوضاع العالم لا تجدي. لا شك أن تحسين ظروف الحياة شيء مفيد،
ولكن الصراع هو أسوأ ما يفعله الإنسان من أجل تحسين أي شيء.

George B.Shaw

* * * * *

الناس يرفضون أنبياءهم، ويقتلونهم؛ ولكنهم يحبون شهداءهم،
ويقصدون اليوم الذين قتلوهم بالأمس.

Dostoyevski

* * * * *

تذكر دائماً أن المخلوقات العاقلة خدم بعضها للبعض الآخر، وأن
الصبر غصن في شجرة العدل، وأن كثيراً ما يذنبون دون أن يرغبوا في
ارتكاب الإثم والمظالم.

Marcus Aurelius

* * * * *

لو لم يكن بين الناس الجاهل، والثائر، وغريب الأطوار،
والمنحرف، والمهلوس، والسخيف المضحك، وأنصاف المثقفين، وكثير من
أشكال المخلوقات التي تعيش في مستنقع الجنس البشري، لولا كل هذا
التنوع والتباين والتعايش، ما كان الأفق ليعرض علينا كل مساء
ابتسامته العريضة الساخرة.

Frank M.Colby

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

أثبتت التجارب أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يأكل شقاء
أبناء جنسه، انظر إلى استغلال الأقياء للضعفاء.

Thomas Jefferson

* * * * *

تهدت أُمي حائرة عندما قفزتُ إلى هذا العالم المخيف عارياً
ضعيفاً، كأنني سأظل لقمة سائغة للقدر.

* * * * *

الخير من الله، والشر من الإنسان، والجميع تحت رحمة القدر.

Epictetus

* * * * *

البشرية فرس مسرح تمتطيه الأقدار والحوادث.

Emerson

* * * * *

ليست الظروف هي التي تخلق الإنسان، بل الإنسان هو الذي
يخلقها.

* * * * *

هناك نوعان من الناس: فئة ترفع، وفئة تستند عليها.

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —————

للإنسان الطبيعي حاجتان: أن يكسب، وينجب.

* * * * *

هناك ثلاث طبقات من الناس: الأولى تفهم الأمور تلقائياً؛
والثانية تقدر ما يدركه الآخرون؛ والثالثة لا تدرك الأمور بنفسها،
ولا تقدر ما ينجزه الآخرون؛ فالأولى ممتازة، والثانية متوسطة، والثالثة
لا تفيد شيئاً.

* * * * *

بوسعك أن ترضي الناس بشيئين: أن توفر لهم الغذاء، وميادين
التسلية والترفيه.

Juvenal

* * * * *

المركز والسلطة تكشف طبع الإنسان، لأنها تبرز عواطفه ومواطن
ضعفه.

Plutarch

* * * * *

في مدينة بوسطن يسألونك: ما هو مستوى ثقافتك؛ وفي نيويورك:
ما مستوى ثروتك؛ وفي مدينة فيلادلفيا، يسألونك: من هم أجدادك.

M. Twain

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

يقضي الإنسان معظم حياته يناقش الماضي ، ويشكو الحاضر،
ويخشى المستقبل.
A.Rivarol

* * * * *

هناك حوافز هامة تشغل فكر الإنسان، أهمها الرغبة في
الملاذات، والخوف من الألم.
S.Johnson

* * * * *

مما يشغل فكر الإنسان الرغبة في الجنس، والخوف من الموت.
Claude Mauriac

* * * * *

يجد المرء راحته في عزلته أكثر مما يجدها وسط الناس؛ فهو
في عزلته يفكر في الأشياء، أما في وسط الناس فيجد نفسه مضطراً
ليفكر في الناس.
Chamfort

* * * * *

أفضل أن أجلس تحت شجرة اليقطين، وتكون لي وحدي، من أن
أجلس على أريكة فخمة وسط جمع من الناس.
H.D.Thoreau

* * * * *

الناس الذين نلقاهم كل يوم، في الشوارع، لا يوحون إلينا بصورة

أضواء على مسرح الحياة —————
الإنسان المطمئن، إنهم تبدو على وجوههم علامات القلق والذهول
والاستعجال، كأنهم يساقون بالسياط.

Emerson

* * * * *

لم يعد الإنسان كما كان «إنساناً»، بل أصبح آلة مبرمجة.

G.B.Shaw

* * * * *

الأشخاص الأذكياء والذين ليس لهم نقاط ضعف متعبون، لأنهم
لا يتركون لك فرصة لاستغلالهم.

A. France

* * * * *

كم مرة، عندما تكون في عزلة، تفكر بشيء من اللذة أو الألم،
وتتساءل: ماذا يظن بي الناس؟ خيراً، أم شراً؟ أهم موافقون محبذون،
أم مخالفون مستكبرون؟

Darwin

* * * * *

لا يقلقني أن الناس لا يعرفونني، بل ما يقلقني هو أنني لا أعرفهم
حق المعرفة.

Le Ly-kin

* * * * *

أعتقد أن أفضل تعريف للإنسان هو أنه مخلوق يستطيع أن
يتعود على كل شيء.

Dostoyevski

* * * * *

من الذي قال إن الإنسان حيوان عاقل؟ إنه يمكن وصفه بأي شيء، ما عدا بأنه مخلوق عاقل.
O.Wilde

* * * * *

الإنسان، من حيث تكوينه البيولوجي، هو أشد الحيوانات الضارية وحشية وخطورة وأنانية. إنه الحيوان الوحيد الذي يدمر بني جنسه بطريقة منظمة مقصودة.
W. James

* * * * *

ينبغي أن نحافظ على الإنسان ونتلطف معه كما نتلطف مع اللوحة الجميلة التي نختار لها مكاناً مضيئاً يليق بها.
Emerson

* * * * *

من بين جميع الحيوانات التي تحلق في السماء، وتدبّ على الأرض، وتسبح في البحار، من الهند إلى روما، ومن باريس إلى بيرو، فإن أشد مخلوقات الله غباوة وحماقة وأنانية هو الإنسان.

Boileau

* * * * *

عرفت أين سعادتي، وعرفت أنه في عالمنا هذا لا يمكن لأحد أن يستغنى تماماً عن الناس، وبعد أن تأكدت من ذلك أصبحت أحب الإنسان، بل أحب جميع الناس.
Sully-Prudhomme

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —————

المال والثروة



ألا ترون أن السماء لم تَصْطَفِ أحد الأغنياء لتبليغ رسالتها.

Thackeray

* * * * *

قد يسعى المرء لجمع المال ليتمتع بالحياة، وقد يفعل لمجرد توسيع نطاق ثروته، وهذا الهدف الأخير نزعة مقرفة، ونوع من المرض الذي ينبغي أن يحال صاحبه إلى عيادة الأمراض النفسية.

J.M.Keynes

* * * * *

كتب على شاهد قبر رجل غني: «إنه الآن يرقد داخل صندوق من أرفع أنواع الخشب، ويستضيف أرفع أنواع الديدان».

Dorothy Parker

* * * * *

إذا كنت غنياً فأنت فقير، لأنك تحمل عبء ثروتك طيلة رحلة،
مثلما يحمل الحمار كتلاً معدنية، وفي نهاية مطافك سيزيل الموت
عبئك عن ظهرك.

Shakespeare

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

تباهي الرجل وافتخاره بأنه ترك ثروة عظيمة يثير ضحكاً
John Foster ساخرًا مدوياً في جهنم.

* * * * *

B.Franklin ليس المال لمن يملكه، بل لمن يتمتع به .

* * * * *

T.Dekker قناع من الذهب يغطي جميع العيوب.

* * * * *

لقد صنعتم لأنفسكم آلهة من الذهب والفضة، فما الفرق بينكم
وبين من عبدوا الأوثان؟ لعلهم يعبدون صنماً واحداً وأنتم تعبدون
Dante أصناماً عديدة.

* * * * *

لأن تكون غنياً قبيحاً، خير من أن تكون نبيلاً فقيراً.

M. Reigner

* * * * *

من يملكون بعض المال يظنون أن أعظم شيء في الحياة هو
الحب، ولكن الفقراء يعلمون أن هذا غير صحيح.
G. Brenan

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

يعتقد بعض الناس أن الغنى يساعدهم على نيل الشهرة، ولكنه لا يزيد على أن يكشف حماقاتهم.

* * * * *

لا شيء يرهق الإنسان أكثر من قلقه المتواصل من أجل الحصول على وسائل العيش... فالمال هو الحاسة السادسة التي لا نستطيع بدونها أن نستغل الحواس الأخرى.
W.S.Maugham

* * * * *

كل باب قابل للانفتاح أمام شلال من الذهب.
Carlyle

* * * * *

يروى أن ماكيا فيلي قال: نادراً ما تجتمع الثروة والفضيلة في رجل واحد.
R. Burton

* * * * *

ليس من السهل على صاحب الثروة والمركز أن يميز بين الصديق والمرائي.
Horace

* * * * *

من الذي ندعوه جَنَّتَمَان (السيد النبيل)؟ أهو الوغد؟ الأحمق؟ اللئيم؟ الغبي المغفل؟.. أجل كل هؤلاء إذا كانوا يكسبون الذهب والفضة، ويرتدون «بدلة البلاط».
Eliza Cook

* * * * *

إذا جمع الشريد ثروة يدعى سائحاً .

* * * * *

إن الإفراط في الاهتمام بالثروة وجمع المال هو الذي يمنع الناس
من أن يتمتعوا بحياة حرة، كريمة، نبيلة.
B.Russell

* * * * *

الثروة والشهرة، الامتيازات والممذات والشهوات تعرقل حاجة
الفكر إلى أنواع الغذاء الروحي؛ والفقر والشقاء هما الشراب المر الذي
يشحذ الشهية إلى هذا الغذاء.
Bishop Horne

* * * * *

لا يوجد مكان لا يصعد إليه حمار، مهما علا وارتفع، إذا كان
الحمار محملاً بالذهب.

* * * * *

الذهب مثل الشمس، فهو مثلها يذيب الشمع، ويجعل الطين
حجراً، يشرح النفوس العظيمة، ويضيق القلوب الشريرة.

Antoine Rivarol

* * * * *

الذهب أشد السموم فتكاً بروح الإنسان، وكم تسبب في النزاع

أضواء على مسرح الحياة —————

والدمار في هذا العالم البغيض، وربما تجاوزت شروره ما تحدثه
مُرَكَّبَات السموم. Shakespeare

* * * * *

المال والثراء بحر يغرق فيه الشرف، والضمير، والحق، والحقيقة.

* * * * *

المال حجاب الحمقى، إنه يغطي جميع نقائصهم.

* * * * *

من لا يمكن ثروته من أن تقدم خيراً للآخرين وهو على قيد
الحياة، فإنه يمنعها من أن تقدم له خيراً وهو في العالم الآخر.

Colton

* * * * *

من يموت غنياً يموت وهو مغضوب عليه. A.Carnegie

* * * * *

رُبَّ ثروة تصرخ بمالكها البخيل قائلة: أيها الغبي الأحمق!

E.J. Goncourt

* * * * *

عندما أفكر في جميع المتاعب والحرمان والهموم التي تحملتها
خلال مراحل حياتي من أجل الحصول على بضعة جنيهات فوق
مرتبي، فإنني مشدوه لمدى تأثير المال على حياة الناس.

G.Gissing

* * * * *

من السهل القول بأن الفقر ليس عيباً. ولو كان الأمر كذلك لما
خجل المرء، ولكان يحلو له أن يتباهى به؛ فالمقولة خطأ، وما زال الفقير
منبوذاً عبر العالم.

J.K. Jerome

* * * * *

الثروات الدنيوية أشبه بغلة الجوز، لا بد أن تنزع عنها قشوراً
عديدة، وقد تكسر سنك قبل نيلها، ولكنها لا تملأ البطن.

* * * * *

عندما يجتمع الأثرياء ليهتموا بشؤون الفقراء، يسمى اجتماعهم
«إحساناً»؛ وإذا اجتمع الفقراء ليهتموا بعمل الأغنياء، يسمى اجتماعهم
«فوضى».

Paul Richard

* * * * *

إن الحب، والأسرة، والعقيدة، والوطنية، والفرن... كلها ليست
سوى أفكار نظرية بالنسبة لرجل يعاني من الجوع.

Goldworth

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

الثراء أبو الرفاهية، والكسل والفقر مصدر اللؤم والفساد، وكلا
الثراء والفقر منبع القلق والاستياء.
Platon

* * * * *

الفقر يبطئ نمو قيمة الإنسان ومهاراته وكفاءاته. S.Johnson

* * * * *

من الصعب أن تظل أفكار الإنسان نبيلة إذا كان منهكاً في السعي
وراء قوت يومه.
J.J.Rousseau

* * * * *

أنت مضطر لتترك هذه الملايين وراءك، فليس للكفن جيوب.

J.A.Joyce

* * * * *

كثيراً ما تكون الثروة بلية على الأولاد؛ إنها تضعف العضلات
والمفاصل، وتفرغ رؤوسهم من الطموح ومن الأفكار النبيلة، وتدفع
النفوس إلى اللامبالاة وسوء التصرف أحياناً.

* * * * *

ثروة الرجل هي الأشياء التي يحبها ويباركها، وهي الناس الذين
يحبهم ويحبونه.
Carlyle

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

المحك يختبر الذهب، والذهب يختبر أخلاق الرجال.

* * * * *

شعار الرجل المغرور هو «اكتسب الذهب، وتزين به»؛ وشعار
الرجل الكريم هو «اكتسب الذهب، وشارك غيرك في منافعه»؛ وشعار
البخيل «اكتسب الذهب، واكنزه». وشعار المبذر «اكتسب الذهب،
وبذره»؛ وشعار السمسار «اكتسب الذهب، واقرضه»؛ وشعار المقامر
«اكتسب الذهب، واخسره»؛ وشعار العاقل «اكتسب الذهب، وأنفقه
بحكمة قبل وفاتك».

* * * * *

من الناس من ليس لهم من ثرواتهم إلا الخوف على فقدانها.

Rivarol

* * * * *

ثروتك هي ما يكفيك لاشباع بطنك وفكرك. Abbe Prevost

* * * * *

يتجنب كثير من الناس أن يكشفوا مستوى دخلهم ومصادره، ولكن
كل رجل يفتخر بأملكه. Montaigne

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

من العسير على الغني البخيل أن ينعم بخيرات الجنة؛ وقد لا يكون من السهل على الفقير أن يفلت من المطهر⁽¹⁾.

F.P.Dunne

* * * * *

الملكية ليست سرقة، ولكن كثيراً من أنواع السرقات تصبح ملكية.

R.H.Tawney

* * * * *

ألا ترون أن كثيراً من عمليات الإجرام إذا نجحت تسمى إنجازات وفضائل.
Seneca

* * * * *

ليست أنواع التجارة المشهورة سوى اتفاق بين الشركات على الغش والمخادعة والاحتيال في وضوح النهار.
Thomas Fuller

* * * * *

إنه لأشد خطراً أن يكون المرء شاعراً فحلاً، أو نبياً عظيماً، من أن ينشئ عشرين شركة ليسلب مدخرات الناس البسطاء.

B.Shaw

* * * * *

(1) المَطْهَر (عند النصارى): مكان تطهّر فيه النّفس بعد الموت بعذاب موقوت.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الذهب يشبه المرأة التي تكشف لصاحبه وجوه الآخرين، وتخفي عنه وجهه.
J.Swift

* * * * *

Moliere ما أجمل ملامح خزانة مالي.

* * * * *

Cervantes كلمتان مشؤومتان: ملكي، وملكك.

* * * * *

الواقع أن أصحاب الثروة هم الذين يجدون الوقت للتفكير في المزعجات التافهة.
W.Mcfee

* * * * *

Byron مصباح علاء الدين هو المال في الجيب.

* * * * *

S.Johnson لأن تعيش غنيًا، خير لك من أن تموت غنيًا.

* * * * *

W.Cooper الثروة لها أجنحة، والشهرة من أعز أحلامها.

* * * * *

لم أترك دينارًا واحدًا، عليّ ديون كثيرة، وأهب الباقي للفقراء.
F.Rabelais (وصية رجل يموت)

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —————

Cervantes الميراث الكبير يخفف من حزن أقارب المتوفى.

* * * * *

لك الحق في أن تملك ما تشاء من المال، ولكن ليس لك الحق في
Pope Leo أن تتفقه كما تشاء.

* * * * *

ما تصدقت به ما زال عندي؛ ما أنفقته اكتسبته؛ وما تركته ورأى
خسرته.

(كتب على شاهد قبر)

* * * * *

قد لا يشتري المال الأصدقاء، ولكنه يقرب إليك أفضل الأعداء.

* * * * *

لا يوجد صديق حميم ومخلص للعاقل مثل الدينار.

* * * * *

F.Bacon المال مثل السماد، لا ينفع إلا إذا تم نشره.

* * * * *

J.Swift الحكيم يجعل ماله في فكره، وليس في قلبه.

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

ما أحقق الرجل الذي يحرم نفسه ويترك ماله للورثة؛ لأنه بذلك
يحول الأقرباء إلى أعداء، ذلك أن فرحتهم يوم وفاته تكون بقدر ما
خلف لهم من ثروته.
Seneca

* * * * *

إذا كانت ثروتك عزيزة عليك، ورغبت في أن تصحبها معك إلى
الآخرة، حولها إلى أعمال خيرية.

* * * * *

الثروة تكسب بالتعب والشقاء، وتحفظ بالخوف والهموم، وتضيع
بالحزن والاكتئاب.
Sir R. L'Estrange

* * * * *

الثروة تتجنب أصحاب العقل الهادئ الرشيد، وتحب المغامر
الجريء، ومن لا يخشى أن يقول: قضي الأمر.
Erasme

* * * * *

ليس في الثروة ما يغريني، ولا أضيع جهودي سعيًا وراء شهرتها
المخادعة، إذ على من يصعد إليها أن يقطع ألف مرتبة؛ ولا يحتاج إلا
إلى غلطة واحدة ليسقط من علياء شهرته.

مجهول

* * * * *

الثروة فكرة نسبية، لأن من يملك قليلاً، ويقنع بأقل من ذلك،
يعتبر أغنى ممن يملك كثيراً، ويرغب في المزيد.
Colton

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

عندما يفقد المرء الثروة والحظوة والامتيازات التي كان ينعم بها،
تتكشف فيه جميع الحماقات التي كانت تخفيها شهرته.

La Bruyere

* * * * *

لا التعاليم الأخلاقية، ولا المبادئ والمصالح المشتركة، تقنع
الإنسان بأن يقتسم ثروته مع غيره؛ بل سيظل مدفوعاً بأنانيته، يحتج
بأن نصيبه أسوأ من غيره، وبذلك ينتشر الحسد والغيرة، ويشتد بين
الناس التشكي والتنازع، إلى أن يهاجم القويّ منهم الضعيف.

F.Dostoyevski

* * * * *

كيف يستسيغ رجل حديثك عن العقيدة، والجوع يلدغ أحشاءه.

G.B.Shaw

* * * * *

الناس في عالم الطبقات الثرية الأنيقة قد يرتكبون أفعالاً وسخة
وشريرة بسبب التملق والتظاهر بالعظمة والكبرياء، قد تكون أسوأ مما
يرتكبه الأشقياء بسبب فقرهم وسوء ظروفهم.

R.de Flers et F.de Croisset

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

H.Thoreau الغنيُّ حقاً من كانت أساليب متعته لا تكلفه كثيراً .

* * * * *

الشيء الذي أصبح ملكاً لك، بين يديك، نادراً ما يحتفظ بذلك
السحر الذي كان له عندما كنت تسعى للحصول عليه.

Pliny the younger

* * * * *

من قست الظروف عليه وقيدت مواهبه، لا يرتقي إلى سلم المجد
بسهولة. Juvenal

* * * * *

ثروة الأمة هي ما تتركه من حكمة وعلوم.

* * * * *

العهد القديم (كتاب اليهود المقدس) يبارك الثروة والازدهار
والعهد الجديد (الإنجيل) يبارك الشدائد والمستضعفين.

* * * * *

R.Burton الأثرياء ليسوا أحراراً، إنهم عبيد لثرواتهم.

* * * * *

أتعرف ما هو أعظم الشرور، وأسوأ ألوان الإجرام؟ إنه الفقر.

G.B.Shaw

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

أسوأ ما في الفقر أنه يجعل الإنسان عرضة للسخرية والمظالم،
يهدر حقوقه، ويزري بكرامته.
Juvenal

* * * * *

سئل الفيلسوف المتقشف ديوجينيس: ما هو أفضل وقت لتناول
العشاء؟ فأجاب: إذا كنت غنياً، عندما تشتتهي نفسك؛ وإذا كنت فقيراً
عندما تجد شيئاً يؤكل.

* * * * *

عندما تمتلئ البطون يستوي الغني والفقير.

* * * * *

هل خلق المال ليكنز في الخزائن؟ بينما مكانه في بطون الجوعى!

St. Jerome

* * * * *

الفرق بين من يدعون بالرفقة العادية، ومن يعرفون بالرفقة
«الجيدة الأنيقة»، هو فقط أننا نسمع الكلام نفسه يتردد إما في غرفة
متواضعة، على ضوء شمعة؛ أو نسمعه حول طاولة مزخرفة في صالون
كبير.
Alexander Pope

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

لو أن الإله كان يعتبر الثروة شيئاً مشرفاً، لما أعطاهما للمفسدين
من عباده. J.Swift

* * * * *

من بين الاعتداءات الشنيعة للإنسان على الإنسان، لا شيء أسوأ
من الانتقادات التي يوجهها ذوو النعمة والرفاهية إلى عادات الفقراء
والمحرومين. H.Melville

* * * * *

المعدة الممتلئة قوة مثل أيّ قوة أخرى، تحمل جرعة من الغطرسة،
وكثيراً ما تظهر هذه الغطرسة الوقحة عندما يحدث الرجل المنتفخة
بطنه، الفقير الجائع عن آثار الفقر والحرمان. Chekhov

* * * * *

ثلاثة أرباع المطالب والاحتياجات المنتشرة في العالم إنما هي
مطالب رومانتيكية، مبنية على الرؤى، والأحلام، والمثاليات، والآمال،
والميل، والنزعات.. والواقع أن تنظيم الإنفاق هو في جوهره تنظيم
القلب وتربية الخيال. Ruskin

* * * * *

من يترك المال للمشاريع الخيرية في وصيته الأخيرة، فهو إنما
يتصدق بمال لا يملكه. Voltaire

* * * * *

النجاح، الحظ، الأمل



إذا سعيت إلى النجاح فاجعل المثابرة صديقك، والتجربة مشيرك،
والحذر نصيحك، والأمل قائدك.
J. Addison

* * * * *

هناك ثلاثة عوامل أساسية لمن يريد النجاح في أية مهنة:
الطبيعة، الدراسة، الممارسة.

* * * * *

في كثير من الحالات لاحظت أن أسباب نجاح الرجال أو فشلهم
تتوقف على الطريقة التي يوفقون بها بين تصرفاتهم وبين الزمان.
فالنجاح هو من يستطيع أن يوفق بين مواهبه وإمكانياته وبين الفرص
المتاحة والظروف المواتية.
Machiavelli

* * * * *

النجاح هو الحكم الوحيد الذي يقرر ما هو صحيح وما هو خطأ.

A. Hitler

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

مجالات أفكارنا محدودة، ولكننا محاطون بإمكانيات وظروف
وتحولات غير محدودة، ومن دواعي النجاح أن يحسن المرء اختيار
الهدف المناسب في مرحلة مبكرة من حياته. A. N. Whitehead

* * * * *

النجاح في الحياة لا يبنى على الموهبة والفرصة فحسب، بل أهم
من ذلك أن يلتزم المرء بالثابرة والجدية والإتقان في عمله.

* * * * *

المبادئ تعليمات منقوشة على الرمل؛ تأتي الأمواج عليها
فتمحوها؛ أما النموذج العملي فممنقوش على الصخر، ويبقى مثلاً حياً
للدروس والمقارنة فترة طويلة. W.E. Channing

* * * * *

إنما يفوز بقصب السبق المجدُّ المتحمّس الذي يحتفظ بهدوئه.

William Mcfee

* * * * *

لا تنتظر الظروف الاستثنائية لتتج شيئاً مفيداً، بل استغل
الظروف العادية. J.P. Richter

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

الظروف تتحكم في الضعيف؛ ولكنها لا تلبث أن تصبح وسائل
مفيدة في يد الحكيم المتبصر.
Samuel lover

* * * * *

صاحب العزيمة والقرار الحاسم يفوز بالقيادة قبل المثقف قليل
الطموح.

* * * * *

النجاح منصة يرفع صاحبه ويجعله يبدو أكبر، ما لم نتأمل جيّدًا
الظروف التي قادتته إلى النجاح.
J. Joubert

* * * * *

لا شيء ينجح مثل النجاح.

* * * * *

من ملابسات النجاح أنه يلقي ستارًا على نقائص كثير من الناس
فيحجبها.
Demosthenes

* * * * *

الشخص الذي لم يتعلم أن يقول «لا» بقوة، سيظل ضعيفًا
مستغلا وبئيسًا طوال حياته.

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الناس لعبة في يد الظروف، بينما يبدو لنا أن الظروف لعبة في
أيدي الناس.
Lord Byron

* * * * *

عندما تبلغ المشاكل مرحلة اليأس، وتتطلب علاجاً عاجلاً، يصبح
الحذر ضرباً من حماقة.
S. Johnson

* * * * *

أقرب طريق للفشل أن ينخدع المرء بالكلام المزخرف، وعبارات
المدح والتودد، ويظن نفسه أذكى من مخاطبه.

* * * * *

لللنجاح والفشل نتائج متشابهة؛ فالناس يكرهون الشخص الناجح،
ويخافونه، ويحسدونه، ولكنهم يتملقون ويصادقون.. والناس يتجنبون
الفاشل، ويرثون لحاله.
S. Johnson

* * * * *

هي ذي قصيدتي، فاسمعوها! بوسعي الآن أن أسخر من النجاح
والمراسم والتشريفات، ومن الجاه والثروة، وأنا أتجول على ضفاف النهر.

هل تريدون رضى الناس؟ وكم يدوم رضاهم؟ إنه لمن حماقة أن
نغتر ونصدق كل ذلك؛ وهل نصدق أن مياه نهر «هان» تصعد نحو منبعها.

Li Tai Po

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

الحظوظ المواتية قد ترفع صفار النفوس، وتلبسهم مظاهر
العظمة؛ ولكن في الظروف العصيبة لا تثبت إلا النفوس العظيمة.

* * * * *

وهل العقل، والشجاعة، والعزيمة إلا ضربة حظ.

* * * * *

ليس الحظ إلا لقبا آخر للقدر.

* * * * *

كم من زهرة ضاع عبيرها في الوديان، دون أن تراها العيون، أو
تتعم بعبيرها النفوس.

* * * * *

عندما بلغ فليب، ملك مقدونيا، أخباراً عن انتصاراته العديدة في
يوم واحد، قال: أيها الحظ السعيد، ألا تمنحني خبراً يقلقني قليلاً،
مقابل كل هذه الانتصارات العظيمة.
Plutarch

* * * * *

بما أن الأرض تواصل دورانها، نصفها في الشمس ونصفها الآخر
في الظل، فليتك تفكر دائماً في نصفها المشمس.
T. Moore

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الأمل عنصر قوي، إنه يدفع القلب والفكر للعمل، ويزيد الحماس
ليبذل المرء أقصى جهده.
J. Collier

* * * * *

أحلى عنصر في كعكة الزواج هو فاكهة الأمل.

* * * * *

الأمل وهم، وهل تقبض بيدك على الأمواج والظلال. V. Hugo

* * * * *

ألجم أحلامك قبل أن تمتطيها.

* * * * *

يرى المتفائل أننا نعيش في أفضل عالم ممكن، والمتشائم يخشى
أن يكون ذلك صحيحاً.

* * * * *

المتشائم هو الشخص الذي إذا دقت الفرصة على باب داره،
يشتكي من الضجيج.

* * * * *

إذا تشاءم المرء من جميع المخلوقات البئيسة التي يلقاها، لا يبقى
في قلبه قدر من الطاقة للأعمال المفيدة.

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —————

المتفائل شخص ينظر إلى عينيك، والمتشائم ينظر إلى رجلك.

* * * * *

قضى فلان حياته يرمي دلاء فارغة في آبار فارغة، وهو الآن
يضيع شيخوخته في سحب الدلاء.
Sidney Smith

* * * * *

يأمل فلان أن تسقط السماء ليصطاد العصافير.

Rabelais

* * * * *

نبتت شقائق النعمان، وأزهار كثيرة جميلة في الحديقة، حيث
تتألم الكآبة بين الحب والإهمال.
G. Apollinaire

* * * * *

من يحدق في النجوم يمكن أن يقع في حفرة وحل.

* * * * *

عندما تطمح إلى ما هو بعيد، لا تهمل ما هو قريب منك.

Euripides

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

إذا طمحت إلى أعلى المراكز، لا عار عليك أن تقنع بالمركز الثاني،
أو حتى المركز الثالث.
M. Tullius

* * * * *

من يطمح إلى ما دون النجوم، يكن طموحه قاصراً.
E. Young

* * * * *

تجنب ما يجلب العار؛ لا تحرص على بلوغ المجد، إنه يكلف غالياً.
W. Scott

* * * * *

إن افتتاني بما هو صعب المنال جفف نسغ الحياة في عروقي،
ونزع المتعة العفوية والرضى الطبيعي من قلبي.
W.B. yeats

* * * * *

معتقدات، مبادئ، آراء



إن حكمك على كون «هذا صحيح»، و«هذا غير صحيح»، له تاريخ سابق في غرائذك تتمثل في ما تحب، ما تكره، في تجاربك، سلبية أو إيجابية. وعليك أن تتساءل: كيف نشأت هذه التجارب والأفكار؟ وما الذي يجعلني أستمع إلى ندائها؟
Nietzsche

* * * * *

ما أكثر الآلهة! ما أكثر العقائد! ما أكثر السبل الملتوية، والآراء المتناقضة! بينما كل ما يحتاج إليه العالم هو المحبة والإحسان.

Ella L. Wilcox

* * * * *

هناك مجالات وحدود يخفق العقل عندها ويعجز عن تجاوزها؛ وهذه الحدود هي التي تطرح الأسئلة المتعلقة بالإله، بالروح، بالحرية والإرادة، بالخلود...
Emmanuel Kant

* * * * *

العقائد تنظر دائماً نحو الأعلى، وتحدث عن موضوعات عميقة أو بعيدة أو محيرة؛ أما العقل فيفضل أن يكشف الأشياء القريبة والممكنة، ولا يرتاح للأشياء التي تحلق بعيداً.
F. Quarles

* * * * *

تسير العقائد السليمة دومًا على دروب الإصلاح والتقدم. إنها
تقف إلى جانب الحياة الراقية، والأخلاق الفاضلة، والسلطة الحرة،
والفلسفة العميقة، والإنسانية النبيلة.
T.T. Munger

* * * * *

تنمو أغصان العقائد وفروعها عبر القرون، حتى لتكاد تخفى
حقيقة الإله.
L. W. Roche

* * * * *

يغزل الناس لأنفسهم شبكات من الآراء والمبادئ يستخرجونها من
أدمغتهم، وينسجون منها عقائد يعتبرونها خاصة بهم. إنهم يصدون عن
الدين الذي أوحاه الله لهم، لأنهم يفضلون عقائد تلبى رغباتهم، وتبيح
لهم إشباع شهواتهم، والانغماس في أنانيتهم وكبريائهم، عن العقيدة
التي تدعو لنكران الذات.

* * * * *

قيل إن العلم، في بعض الحالات، يناقض الدين ولا ينسجم معه.
غير أن الواقع هو أن جميع العلوم ترتكز على أساس الإيمان، لأنها
تفترض أن القوانين الطبيعية ثابتة، متسقة ومنظمة، وهذا شيء لا يمكن
إثباته بالبراهين.
Tryon Edwards

* * * * *

جميع العقائد والحكم والفنون تهدف إلى شيء واحد: تشجيع

أضواء على مسرح الحياة —

الإنسان على الخروج من عزلته ليتصل بما في السماوات من آيات،
بالأرواح، وبما تتصل به الأرواح، وهو ما نسميه الإله.

Donald R. Perry

* * * * *

جميع أهل الوعي السليم والبصيرة السامية على دين واحد . وما
هو هذا الدين؟ لم يخبروني بذلك.
Benjamin Disraeli

* * * * *

ليست الديانات سوى خيال الكون الفسيح الذي يخلق فوق فكر
الجنس البشري.
V. Hugo

* * * * *

إن العقائد التي تهز العالم لا تنشأ على أساس العقل، بل كثيرًا
ما تزدهر على أفكار ومبادئ مخالفة للعقل والمنطق.

G. Le Bon

* * * * *

إن أساس الصحة والطهارة والخلاص والخلود هو الإيمان
القاطع بأن الله هو الفكر المقدس الأوحد. ولكن لا يكفي أن نؤمن بهذا
عن كذب، إيماناً سطحيًا، بل يجب أن ندرك طبيعته وجوهره.

Marry B. Eddy

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الديانة الحقيقية هي ما ينسجم مع العقل والمعارف الإنسانية،
وهي العلاقة التي تربط الإنسان بالحياة اللانهائية التي تحيط به،
وتوجهه إلى الخير في تصرفاته اليومية.
Leon Tolstoi

* * * * *

حاولت أن أبرهن على أن الله غير موجود، واستحال على ذلك،
إذاً فهو موجود.

* * * * *

لا شيء ينظر إلينا نظرة مزعجة مقلقة مثل الحق إذا لم يكن في
جانبنا.

* * * * *

بوسع المرء أن يناقش بروح سمحة مرحلة الموضوعات التي لا
تمس عقيدته ومصالحه.
S. Johnson

* * * * *

من السهل أن يكافح المرء من أجل مبادئه، ولكن ليس من السهل
عليه أن يقضي كل حياته على أساس قواعدها.
Alfred Adler

* * * * *

من يعرف جانباً واحداً فقط من القضية، فكأنه لا يعرف عنها
شيئاً.
John S. Mill

* * * * *

إن الدين قوة عظيمة، بل إنها أقوى حافز في الحياة. ولكن الذي لا تدركون ، أيها السادة، هو أنه ينبغي أن تحركوا الإنسان من طريق عقيدته، لا عقيدتكم.

B. Shaw

من أعظم ما جاءت به المسيحية هو الإيمان بالثواب والعقاب في الآخرة. وأيّ ديانة لا تتضمن مثل هذه الفكرة علينا أن لا نعتبرها ديانة كاملة.

المشاعر العقائدية حقائق مثل غيرها من المشاعر التي تغمر الوعي البشري. وعلى الجانب الشخصي الآخر تتصارع موجات العلم دون حدود.

J. Tyndall

العهود التي يسود فيها الإيمان هي عهود خير وازدهار؛ أما عهود الكفر والإلحاد فمهما تألقت زخارفها، تظل قاحلة من الخير المستديم.

J.W. Goethe

نسمع ونقرأ كثيراً لأناس يتحدثون ويكتبون بأساليب لازعة
يرفضون فيها وجود الله؛ ومع ذلك لم نعثر، فيما أعلم، على ملحد
واحد ينفي بطريقة قطعية وجود الشيطان.

H. Von Kleist

❖ 221 ❖

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

لكي يعرف المرء الحقيقة جيداً، ينبغي له أولاً أن ينكرها، ويجادل
ضدها. Novalis

* * * * *

النظريات والمدارس المختلفة مثل المكروبات والخلايا الحية، يدمر
بعضها البعض الآخر، ولكن الحرب بينهما تساعد على استمرار الحياة.

Marcel Proust

* * * * *

إذا وقف شخص واحد إلى جانب الإله، تكون له الأكثرية.

* * * * *

من الوعاظ والدعاة من يتحدث عن الله، وكأنه يتمتع باحتكار
الموضوع.

* * * * *

من بين الأوبئة التي تصيب البشر، وجدت طغيان رجال اللاهوت
أشدّها ضرراً. D. Defoe

* * * * *

أشد ما يسيء إلى علاقات الناس هو مساوئ الفرق والممل والعقائد.

F. Bacon

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

إن إلحادي يشبه إلحاد الفيلسوف سبينوزا، يعني أنني أؤمن
إيماناً خالصاً بالكون، ولكنني أرفض تلك الآلهة التي صنعها البشر
لتخدم مصالحهم.
Santayana

* * * * *

الصلاة تتهد، وتحسر، وتلهف، ودمعة، ونظرة نحو السموات
العلا، عندما لا نشاهد إلا من في السماء.
J. Montgomery

* * * * *

الخوف من القوى السماوية المجهولة هو ما يدفع الناس للطاعة.
R. Burton

* * * * *

إذا كان الناس على هذه الحالة من الفساد وهم يؤمنون بالعقيدة،
فماذا يكون حالهم بدونها؟
B. Franklin

* * * * *

إن العقيدة المتعصبة إذا اعتنقت أفكاراً خاطئة، تبنتها بقوة حتى
تعمى بصائر من يتبعونها.
T. Moore

* * * * *

ييدي بعض الناس حماساً شديداً في التعبير عن رغباته

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

والتمسك بآرائه، والواقع أنه كثيراً ما تتم الموافقة على نظرية ما من غير أن يفرضها العلم أو الحقيقة، ولكن لمجرد إرضاء ذوي القوة والسلطان.

Mark Rutherford

* * * * *

أفضل ما يريح البال أحياناً، أن لا يكون للمرء رأي في موضوع معين.

* * * * *

من لا يسحبون رأيهم أبداً، يحبون أنفسهم أكثر من حبهم للحقيقة.

Joubert

* * * * *

يتعجب كثير من الناس عندما تنتقل المناقشة من الموضوع إلى الشخص المحاور. والواقع أن المناقشة تتبع من شخصيتها، لأن آراءنا جزء منا؛ ونلاحظ في النهاية أننا عندما ندعم آراءنا، فإننا نساند أنفسنا.

E. Fitzgerald

* * * * *

التعصب هو أن يضاعف المرء جهوده وعناده، عندما ينسى هدفه.

Santayana

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

ليست العقيدة في لون الرداء والثياب المزخرفة، ولا في شكل العصا التي يحملها رجل الدين، ولا في عمامته، ولا في رماد جثته.. والديانة تنكر الحلقات التي تعلق في الأذان، ولا تهتم بحلاقة اللحية أو شعر الرأس، ولا بالنفخ في الأبواق والمزامير.

فإذا كنت تبحث عن درب العقيدة الحقيقية عليك أولاً أن تحرر نفسك وفكرك من الخرافات، وبدنك من رجس الدنيا ومظاهرها.

Nanak

* * * * *

يوجد في قلب كل رجل افتراضان متوازيان: أحدهما في اتجاه الإله، والآخر في اتجاه الشيطان.

Baudelaire

* * * * *

الاختلافات الناتجة عن تعدد العقائد والمذاهب تتسبب في نزاعات أشد تعصباً وضرراً من الاختلافات السياسية.

* * * * *

أعتبر العقيدة المسيحية أكبر لعنة وأعظم ضلال؛ أعتقد أنها لطخة خالدة على وجه البشرية.

Nietzsche

* * * * *

لا لوم على المسيحية إذا ارتكب المنافقون إثماً.

St. Jerome

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

إذا نفذ المرء إلى أعماق عقيدته، فإنه يصل إلى قلب العقائد الأخرى.

Ghandi

* * * * *

ما هو جوهر الديانة؟ قليل من الأخطاء، كثير من عمل الخير، كثير من الحب والرحمة، اتباع الحقيقة، وحياة طاهرة مستقيمة⁽¹⁾.

* * * * *

ماذا يجدى الإيمان بدون العمل الصالح؟

* * * * *

الأفكار التي جاء بها دعاة «اليوتوبيا»⁽²⁾ (UTOPIA) جميلة ولكنها ضعيفة، ذلك أنها تتناول المشاكل الهامة من حياة الإنسان، ولكنها تقدم عروضاً واقتراحات لمعالجة المشاكل الصغيرة فقط.

G. K. Chesterton

* * * * *

العهد القديم (كتاب اليهود المقدس) يبارك الثراء والازدهار؛ وكتب الإنجيل تبارك التقشف والشدائد.

* * * * *

(1) فقرة من نص لمراسم نقشت على دعامة صخرية تعرف بمراسيم «أوزاكا» وهو إمبراطور هندي توفي حوالي 238 قبل الميلاد.
(2) UTOPIA خطط ومشروعات (خيالية) للإصلاح الاجتماعي.

— أضواء على مسرح الحياة —

T. Carlyle المعجزات أساس العقائد والإيمان والعبادات.

* * * * *

يقال إن إلهًا جاء إلى الدنيا وضحى بحياته من أجل إنقاذ البشر
وإصلاح مفاسدهم، فماذا استفاد البشر من مجيئه إذا كان العالم، بعد
عشرين قرنًا، ما زال منغمسًا في الضلال والفساد.

James Roche

* * * * *

بوسع المرء أن يؤلف مجلدات عن «لاتقوى» التقاة والدعاة.

H. Spencer

* * * * *

الديانة هي تنهدات المخلوقات الكادحة، وأنين المحرومين
والضعفاء، إنها قلب عالم ليس له قلب، وروح عهد ليس له روح، إن
الديانة أفيون الشعوب.

K. Marx

* * * * *

لا يشرف العقيدة أن تتصور نفسها عدوًا للأفراح والمباهج
ومسرات الحياة، وأن تسبغ على وجهها ملامح الكآبة، بدعوى المهابة
والجلال.

W. Scott

* * * * *

الآراء التي تبرر الوحشية تنشأ عن دوافع إجرامية.

* * * * *

الشخص المتعصب يجعل هدفه أثناء الحوار الانتصار على
محاوره؛ وليس الانتصار للحقيقة، وبقدر ما يزيد جهله يتعمق تعصبه.

Socrates

* * * * *

العبارات والأفكار التي يسمعها المرء باستمرار تتفد تدريجياً إلى
أعماق نفسه، وتصبح جزءاً من معتقداته، وربما تؤدي إلى تحجر
عنصر تفكيره.

Goethe

* * * * *

ليس من اللياقة أن يمدح المرء نفسه، غير أنه عندما يثني على
طائفته وشيعته يعتبر فعله من أسمى الواجبات.

Leo Shestov

* * * * *

كثير من الخرافات والبدع تمثل معتقدات ما زالت شائعة، وقد
تزيد الأحلام في تمكين هذه الخرافات من نفوس الناس، ويبالغ
الجهال في تفسير الأحلام والتمسك بالخرافات، مثلما يشتد تعلق
المقامر بطاولة القمار.

Kierkegaard

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

الخرافات جزء من حياة الإنسان، وقد تختفي فترة، ثم لا تلبث أن تظهر بمجرد أن تجد ظروفًا اجتماعية مناسبة.
Goethe

* * * * *

دعوتك إلى العقيدة لا تعني أن تكون أفضل من غيرك، بل الأفضل أن تكون أفضل من نفسك.
H. W. Beecher

* * * * *

تحلو معارضة الشخص الذي يغطي مفسده تحت ستار الدين.
G. Eliot

* * * * *

الفلسفة الصارمة تخلق عددًا قليلًا من الحكماء؛ والسياسات القاسية تخلق عددًا كبيرًا من المواطنين المتدمرين؛ والديانات الصارمة تكسب عددًا قليلًا من الأتباع الأوفياء.

* * * * *

للتطرف جانبان: الأقصى، والأدنى؛ الأكبر والأصغر؛ الأشد والأخف؛ الأعلى والأسفل... وهذان الجانبان يوجدان في كل شيء. ألا ترى أنه من الصعب علينا أن نقرر من يتعب أكثر في عمله؟ أهو رئيس الدولة في القمة؟ أم الفلاح في حقله؟

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

أكبر طوفان ستتحصّر مياهه؛ وأعنف الزوابع ستهدأ رياحها؛
وأشد نيران الحب اشتعالاً ستبرد يوماً؛ ومن أعمق الرغبات وألذ المتع
ينبع حقد القاتل.

Socrates

* * * * *

لا تثق بالشخص الذي يرى في كل شيء خيراً؛ ولا في الذي يرى
في كل شيء شراً؛ ولا تثق خاصة بمن لا يبالي بأيّ شيء.

J. K. Lavater

* * * * *

لا الفقر المدقع، ولا الغنى الفاحش ينصت للحق.

H. Fielding

* * * * *

للتطرف جانبان متناقضان، ولكن لهما نتائج متشابهة. أقصى
درجات الحرارة تقتل، وكذلك أقصى درجات البرد؛ وأشد درجات
الحب تورث التهمة، وأقصى درجات الحقد مضرة؛ والقسوة والصرامة
الأخلاقية قد تدفع للرديلة؛ وكذلك تفعل الحرية المطلقة إذا أسيئ
استغلالها.

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

العدالة والقانون



العدالة تنبذ القرابة، والصداقة، والحزبية.. ولذلك يرمزون لها
بأنها عمياء. J. Addison

* * * * *

ينبغي أن يكون هدف القوانين مثل هدف الأخلاق، توفير قدر من
السعادة لأكبر عدد من المواطنين. F. Hutcheson

* * * * *

الحرية! المساواة! إنها عبارات فارغة. بل المبدأ الحقيقي الوحيد
لصالح البشرية هو العدالة. والعدالة تعني أولاً حماية الضعيف ورعايته.

H. F. Amiel

* * * * *

القانون والعدالة شيئان جمعهما الله، ولكن الإنسان فرق بينهما.

Colton

* * * * *

إذا قلت بأن الناس يولدون أحرارًا متساوين، وتعني «جاءوا إلى

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الحياة» كذلك فهذا صحيح. ولا يصدق القول فيما بعد ذلك، لأن ظروف الميلاد، والاستعدادات، والمواهب، والعمل، والفضائل، والعناية الإلهية.. جميعها تتدخل وتتفق على التمييز بين الناس.

Eugene Edwards

* * * * *

القانون يطحن الضعيف، أما الأغنياء والأقوياء فيطحنونه.

Goldsmith

* * * * *

من يلجأ إلى المحاكم كمن يخسر بقرة ليحصل على قطعة.

مثل صيني

* * * * *

القوانين مثل شبكة العنكبوت، تصيد الضعيف والصغير، أما

القوي فيزدريها ويخترقها.

Anacharsis

* * * * *

القانون بئر لا قعر له، إنه طفيلي شره يلتهم كل شيء.

* * * * *

لا ينبغي أن نحكم على الناس من أول نظرة، كأنهم تماثيل أو

أضواء على مسرح الحياة —

لوحات فنية على جدار، فلإنسان أعماق وتاريخ يجب اكتشافه، وقلب ومشاعر ينبغي التعرف عليها. وقد يخفي حجاب التواضع ميزات ومؤهلات إيجابية، كما قد يخفي قناع النفاق مساوئ كثيرة.

La Bruyere

* * * * *

القانون علم تمويه ومخادعة، يبتسم في وجهك، في الوقت الذي يسلب من حسابك.

* * * * *

قال فولتير: لم أخسر سوى مرتين، مرة عندما ربحت قضية في المحاكم، وأخرى عندما خسرت قضية في المحاكم.

* * * * *

التجارب تؤكد أنه قبل أن نحكم على أي شخص ينبغي أن نبحث عن أفعاله الإيجابية فيما سبق من حياته: هل كان صالحاً أم شريراً؟

T. Carlyle

* * * * *

من الحكمة أن لا تصدر حكماً حتى تستمع إلى الطرفين معاً.

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

اللجوء إلى القانون عبارة عن شخصين يشعلان نارًا على حسابهما، لتدفئة أناس آخرين، بينما النار تحرق أصابعهما.

* * * * *

من الخطأ أن نقول بأن المساواة بين الناس من قوانين الطبيعة، إذ إن هذه القوانين بعيدة عن المساواة، بل تتلخص في التبعية وخضوع الضعيف للقوي.

* * * * *

القول بأن الناس متساوون بالطبيعة، كلام بعيد عن الحقيقة؛ ألا ترون أنه كلما تنافس شخصان يصفق الناس لأحدهما.

S. Johnson

* * * * *

من يحاولون معالجة المظالم باللجوء إلى القانون يكونون مثل قطيع الغنم الذي يركض إلى ملجأ وسط غابة من نبات العليق.

* * * * *

سكان «اليوتوبيا» لا يوجد بينهم محامون، لأنهم يعتبرون أن مهمة هؤلاء هي إخفاء الحقائق.

T. Moore

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

نصب الوالي قاضياً، ثم لاحظ أنه يصبغ شعر رأسه ولحيته،
فعرّله قائلاً: من ليس وفياً لشعره لا يكون وفياً لأحكامه. Plutarch

* * * * *

لعله من الأفضل أن لا تكون لدينا قوانين، بدلاً من أن نعيش
وسط غابة من القوانين. Montaigne

* * * * *

أفضل لنا أن نتقذ مذنباً من أن نحكم على بريء.

* * * * *

قد يتحمل الرجل قدرًا من الظلم، ولكن ما يؤلمه هو تحيز العدالة.

H. Mencken

* * * * *

إذا كنت قلق الطبع، قاسي السلوك، عكر المزاج، متقلب الهوى،
فأنت لا تصلح أن تكون حكماً ولا قاضياً. G. Herbert

* * * * *

ليس صحيحاً قول بلوتارك بأنه كلما زاد تفكيرنا قلّت مشاعرنا؛
ولكن يمكن القول إنه بقدر ما نبالغ في الحكم على الناس، تقل محبتنا
لهم، ويزيد نفورهم منا. Chamfort

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

لا توجد مساواة حقيقية بين الناس، أفراد أو جماعات، والحديث
عن تساوي الحقوق وهم؛ فالعقلي وضعيف العقل لا يستويان أمام
القانون ولا في الحياة اليومية.
Dr. A. Carrel

* * * * *

من مواد دستور الاتحاد السوفياتي (سابقاً) ما يلي:

- كل مواطن سوفياتي له الحق في العمل؛
- كل مواطن سوفياتي له الحق في الراحة؛
- كل مواطن سوفياتي له الحق في التعليم
- كل مواطن سوفياتي له الحق في الإعالة والكفالة في مرحلة الشيخوخة.

* * * * *

إنه لأمر غريب أن يسأل بعض الناس الإله العادل أن يساعدهم
على كسب عيشهم من عرق جبين أناس آخرين.
A. Lincoln

* * * * *

علم التشريع والقانون، بما فيه من عيوب ونقائص، وغزارة
وإسهاب وأخطاء.. ليس سوى مجموع التقاليد والأفكار والمبادئ والعادات
التي حاولت، عبر الزمن، أن تعالج مشاكل البشر.
E. Burke

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —————

للإجرام أبطاله، وللأخطاء ضحاياها، وما أتعس القضاة.

Voltaire

* * * * *

لا تكن مسرفاً في عدلك، ولا تتجاوز الحدود في حكمتك، وهل
تود أن يقال عنك إنك غبي. (العهد القديم)

* * * * *

إننا لا نحكم على الناس بما هم عليه في حقيقتهم، بل بما هم
عليه بالنسبة لمصالحنا.

* * * * *

نحن نحكم على أنفسنا بما نشعر أننا قادرون عليه، أما الآخرون
فيحكمون علينا فقط بما أنجزنا. Longfellow

* * * * *

لا أثق بحكم أيِّ إنسان في قضية يكون لرغباته أدنى دور فيها.

* * * * *

المحاميان في قضية، لطرفين متنازعين، يشبهان طرفي المقيص،
إنهما يقطعان كل ما يقع بينهما من دون أن يجرح أحدهما الآخر.

* * * * *

R. B. Sheridan كن عادلاً أولاً، ثم كريماً إن شئت.

* * * * *

لماذا نهاجم السهم ، وراميه أمامنا .

مثل هندي

* * * * *

لا توجد حقوق طبيعية؛ فليست هذه العبارة سوى ترهات.
فالحقوق تحددها العادات والقوانين، ولم يكن يوجد قبل ذلك سوى
Stendhal قانون الأقوى، قانون البقاء.

* * * * *

ميزان العدالة الأخير في يد الله؛ فالخير في يده اليمنى
للأخيار، والشر في يده اليسرى للأشرار.

Philip J. Bailey

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

الخير والشر



أيها البشر لم تخلقوا فقط لصنع السيوف، فلم لا تركزون على
صنع المحاريث؟
Charles mackay

* * * * *

من دلائل نزعة الإنسان نحو الشر أنه في جميع الأمور المتعلقة
بالخير والصالح، يكون الربح عسيراً والخسارة سهلة؛ بينما في الأمور
السيئة الشريرة يكون اندماج الإنسان فيها سهلاً وسريعاً، والخلاص
منها عسيراً.

* * * * *

يتعلم الإنسان أحياناً من مشاهد الشر أكثر مما يتعلم من مشاهد
الخير؛ ومن المفيد أن نتعود على كيفية التعلم من مواقف الشر لأنه
منتشر؛ بينما لا نلقي مواقف الخير إلا قليلاً.
Pascal

* * * * *

ما أسهل النزول إلى الجحيم، فأبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً؛ ولكن
ما أصعب الصعود إلى السماء لنستشق عطور جنة النعيم.
Virgil

* * * * *

لسنا مسؤولين عن الأفكار الشريرة التي ترفرف حول أدمغتنا
أكثر مما تكون الفزاعة⁽¹⁾ مسؤولة عن إبعاد الطيور التي تحوم حول
المزروعات. والمسؤولية في الحالة الأولى هي منع الأفكار السيئة من أن
تستحوذ على الفكر.
Churton Collins

* * * * *

هناك مائة شخص يقطعون أغصان شجرة الفساد، وهناك
شخص واحد يسعى لاقتلاع جذورها.
Henry de Thoreau

* * * * *

لا يقف الإنسان عند نكران المعروف، بل يتجاوز ذلك إلى الحقد
على من أحسن إليه. ذلك أن الجهد الضروري لمجازاة فاعل الخير
يبدو للإنسان كأنه نوع من الاستبداد، فينفر من الخضوع له.

La Rochefoucauld

* * * * *

لقد أصبح الشيطان ذكياً، فقد كان يمتحن إيمان الناس بالفقر؛
فصار يمتحنهم بالغنى.
A. Pope

* * * * *

كيفما كانت طبائع الأشرار، فإنهم لا يجراًون على إعلان عداوتهم
(1) الفزاعة هي ذلك الشكل الذي ينصب في المزارع لإبعاد الطيور.

أضواء على مسرح الحياة —

للفضيلة صراحة. لذا عندما يريدون مهاجمتها يزعمون أنها مزورة، زائفة،
غير مشروعة.. أو ينسبون إلى أهلها أصنافاً من الاتهامات.

La Rochefoucauld

* * * * *

ظلام الكون يتجاوز ضياءه بكثير، ومن يدري متى يتعادل الضياء
والظلام.

T. Brown

* * * * *

تعود الناس أن ينقشوا الأعمال السيئة على الرخام؛ والأعمال
الصالحة على الرمل.

T. Moore

* * * * *

يذكر الناس من أحرق معبد ديانا⁽¹⁾، وينسون من شيده.

* * * * *

إن كثيراً مما ندعوه شراً قد يكون خيراً مقنعاً، ولا ينبغي لنا أن
نسارع إلى الخصام عندما نواجه المشاكل، قبل أن يتضح جوهرها، بل
علينا أن نفكر فيما قد يكمن وراءها من فوائد.

T. Brown

* * * * *

(1) إلهة القمر والصيد والحيوانات الضارية في الميثولوجيا اليونانية.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

كثيراً ما ننسى أن هناك شيئاً من «الروح الطيبة» في الأشياء
الشريرة، بل يمكن القول إنه توجد، أحياناً، «روح الحقيقة» في الأشياء
الخاطئة.
H. Spencer

* * * * *

هناك ثلاث وسائل تساعد على مواجهة مشاكل الحياة ومصائبها:
- باللامبالاة، وهي الأكثر انتشاراً؛
- بالفلسفة، وهي منهج الحكمة والفخر؛
- باللجوء إلى العقيدة والإيمان، وهذا أشد الأساليب فعالية.

Colton

* * * * *

شيّد الرب كنيسة، وبنى الشيطان معبداً، وللأسف شاهدت
معظم الناس يتجهون إلى بيت الشيطان.
Daniel Defoe

* * * * *

من بنى كنيسة لوجه الله لا ينقش اسمه على جدارها.
A. Pope

* * * * *

لا تحتقر أيّ جهد مهما كان صغيراً، فالموجة الصغيرة في أعماق
المحيط تساهم في حركة المدّ والجزر؛ وكل قطرة مطر تساعد على
إنعاش زهرة؛ وكل مثقال من عمل البر يخفف من شقاء الإنسان.

Charles Mackay

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

دَع العلماء يبحثوا، دَع الفقهاء يعظوا؛ إن الذي يُحَبِّبُ الرجل ويرفع ذَكَرَه هو المال الذي ينفقَه في البر والإحسان. W. Somerville

* * * * *

طلب من ملك أن يحكم بين شخصين متنازعين، واكتشف أن كليهما من الأشرار، فأمر أحدهما أن يغادر البلاد، وأمر الآخر أن يلاحقه.

Plutarch

* * * * *

حتى الشيطان نفسه يمكنه أن يستشهد بآيات من الإنجيل.

* * * * *

الشروع نبات متوحش يمكن أن ينتعش في كل تربة.

* * * * *

احذر الشروط «المعقولة» التي تملئها أفكار شيطانية.

Shakespeare

* * * * *

إن أبشع ما يرتكبه الإنسان من شرور، وهو يستبشر خيراً، هو ما يرتكبه باسم الدين. Moliere

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الكبرياء، الغرور، الحسد، الحقد والأنانية هي الشرور الكبرى
Dante Alighieri التي تشعل النيران في قلوب الناس.

* * * * *

الجرائم لا توزن بنتائجها فحسب، بل توزن كذلك بنوايا مرتكبيها.
M. Tullius

* * * * *

Bidpai من يزرع الشوك لا يجني الزهور.
* * * * *

St. Jerome أفضل الصدقات أن لا تترك شيئاً لنفسك.
* * * * *

حبة تين طيبة على غصن تينة يانعة قد يعلمك من ملامح الخير
والشر ما لم يتحدث عنه العلماء.
* * * * *

للوحشية قلب الإنسان، وللغيرة ملامح وجهه، وللأسرار ثيابه، أما
الإرهاب فهو مخادع، ليس له ملامح، خاصة عندما يزعم أنه من وحي
W. Blake السماء.
* * * * *

يوم واحد من الحياة المفعمة بالبر والرضى خير من حياة طويلة
W. Scott في ظلال المكر والفساد.
* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

لو أستطيع أن أساهم في تحسين أيّ ظرف من ظروف حياة هذا
الإنسان البئيس، لابتسمت عندما يناديني الأجل لأن حياتي لم تضع سدى.

J. Addison

كيف تعرف أن الذنب الذي اقترفته قد تم غفرانه؟ عندما تتوقف
نهائياً عن ارتكابه.

لا يحدث شر إلا ويتبعه ، عاجلاً أم آجلاً، بعض الخير
والتعويض، كثير أو قليل؛ فإذا قلت شهرتك، أو ثروتك؛، قل حاسدوك؛
وحتى عندما ينتابنا الهم لشيء فقدناه، فإن ما يقلقنا ليس الشيء
المفقود، بل لأننا نعلق عليه أهمية أكثر مما يستحق.

Seneca

لا يوجد ربح دنيوي دون أن يتبعه بعض الخسارة؛ كما أنه لا
توجد خسارة من غير أن يصحبها بعض الفائدة. فإذا فقدت شيئاً من
مركزك، قلت متاعبك؛ وإذا أثر المرض على ملامحك، فإنه يقلل من
كبريائك؛ وإذا قارنت بين ما يصيبك من خير أو شر، وبين الربح
والخسارة، في الأمد الطويل، ستجد أنك لم تخسر شيئاً ذا أهمية،
هذا مع شيء من الحكمة والاعتدال.

Francis Quarles

الطبيعة: المبدأ والمنتهى



الطبيعة! إنها تحيط بنا، تحضننا، تمسكنا في قبضتها، تأخذنا في مسيرتها ودورانها، وتسرع بنا إلى أن تنهكنا فنسقط من قبضتها.

Pliny the Elder

* * * * *

من المحتمل أن يكون وجودنا على هذا الكوكب التائه مجرد صدفة، ألا ترون أننا نواصل مسيرة حياتنا القصيرة في زاوية منعزلة مظلمة، لولا ما ينسكب نحو كوكبنا من نور الشمس ودفئها. إنها لحكاية خيالية كأنها من تأليف الجن! ولكن عالمنا جميل، تطيب فيه الحياة؛ ولعل الكون الفسيح يخفي لنا مفاجآت عظيمة.

Clarence Day

* * * * *

تتحرك الطبيعة نحو أهدافها بسرعة وعنفة؛ ولكن الأشياء في داخلها تتحرك نحو أهدافها بهدوء وانسجام.

F. Bacon

* * * * *

تتضمن العناصر الكونية الجلال والكمال لتظهر أنها صورة الإله؛ وتظهر فيها بعض العناصر السرية لتؤكد أنها مجرد صورة للإله.

Pascal

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

الكون الفسح يحيرني، ولكن لا أعتقد أن هذه الساعة الرائعة
وجدت من غير خالق عظيم.
Voltaire

* * * * *

من العسير التأكيد ما إذا كانت الطبيعة أمًا حنونًا أم زوجة أب
قاسية.
Pliny the Elder

* * * * *

الطبيعة في مجموعها نظم رمزية واسعة، ولكن كل مادة مهما
صغر حجمها تحتضن في داخلها حقائق روحانية كونية.

E.H. Chapin

* * * * *

أنظر إلى العالم في ذرة رمل، وإلى السماء في زهور البراري،
فتشاهد الزمن في ساعة واحدة.

* * * * *

قال العالم راسكين: للصخرة الرمادية وظيفتها؛ ولليعسوب
وظيفته؛ ونحن نقول عن هذا إنه حيّ، وعن الصخرة أنها ميتة. ولكن
لكل منهما دور هام في التفاعل مع محيطه. وإذا جعلنا «الحياة» عاملاً
مميزاً بينهما فكأننا نضفي عليهما صفات اصطناعية.

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

J. Holmes هل الكون عدو؟ هل هو صديق؟ كلا! إنه محايد.

* * * * *

الهدوء الأبدي في هذه الأكوان اللامتناهية يخيفني.

* * * * *

كل شيء في الطبيعة يحتوي على جميع قوى الطبيعة؛ كل شيء
Emerson مركب من عناصر واحدة خفيفة ودقيقة.

* * * * *

ليس التطور في العالم الفسيح نتيجة الصدفة، بل إنه تفاعلات
هائلة ضخمة رائعة، إنه الطبيعة.

* * * * *

كوكب مضطرب، سحب ملتهبة سوداء، بلوريات، هلاميات،
خلايا... ثم زواحف، بشر يعيشون في الكهوف، ثم عادات ومعاني،
وأشكال مادية متنوعة... بعض الناس يسمون هذا مجرد تطور،
W. H. Carruth وآخرون يقولون إنه من الرب الأعلى.

* * * * *

لا شيء يأتي من لا شيء؛ كما أن الشيء لا يمكن أن يصبح لا شيء.

M. Aurelius

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

إنما تبدو النجوم صافية لامعة جميلة لأنها بعيدة، ولأننا لا نعرف شيئاً عن حياتها الداخلية.
Heine

* * * * *

لنترك الطبيعة تأخذ مجراها، إنها تدرك مصالحها، وتعرف طريقها أفضل منا.
Montaigne

* * * * *

الطبيعة تحب التغيير، وكل ما هو موجود إنما جاء نتيجة التغيير؛ وأنت وأجدادك وأولادك وأحفادك دليل على ذلك.
M. Aurelius

* * * * *

إذا كان عالمنا هذا هو أفضل العوالم التي أمكن خلقها، فكيف يكون حال العوالم الأخرى؟

* * * * *

لا شيء مستحيل في الظواهر فوقطبيعية؛ بل يبدو لي حدوثها جدّ محتمل.
Santayana

* * * * *

الطبيعة تعظنا وتعلمنا من غير أن تلقي خطبا رنانة، هل سمعت من الصخور والوديان والأمواج محاضرات؟
Brett Harte

* * * * *

عندما يتفجر نبع بين الروابي والمروج، لا يهتم ما إذا جاء
الإنسان ليشرب منه أم لا؛ وتهب عاصفة فوق البحر، فلا يهتمها إذا
كان في طريقها مركب؛ وتتفتح الزهور في حديقتك، فلا يهتمها أن
تقترب لتستشوق رحيقها.
Donne (1620)

* * * * *

ليس كوكبنا إلا جزءاً ضئيلاً من العالم، فربما يوجد مكان آخر ما
زال المسيح (عليه السلام) حياً يرزق في نعيمه.
Graham Greene

* * * * *

يتعجب الجاهل من الأشياء والحوادث الاستثنائية؛ ويتعجب
الحكيم من الأشياء العادية؛ وأعظم العجائب ما نشاهده من انتظام في
الظواهر الطبيعية.

* * * * *

العالم كله عبارة عن فقاعة هواء، وحياة الإنسان فيه لحظة عابرة.

Bacon

* * * * *

قد ينفر الإنسان من الحيوان لأنه يشعر في داخله بأنه يوجد في
أعماق دماغه قطعة قريبة جداً من ذلك الحيوان، فيخشى أن يتعرف عليه.

Walter Benjamin

* * * * *

لعل السلطعون⁽¹⁾ يسخر من الإنسان عندما يراه يمشي إلى الأمام.

* * * * *

* * * * *

* * * * *

* * * * *

* * * * *

* * * * *

❖ 251 ❖

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

ليس العالم مسرحاً ولا فندقاً، بل إنه مستشفى يأتي الناس إليه
ليعالجوا، ويموتوا.
Thomas Brown

* * * * *

كانت بعض قوانين الطبيعة مخفية في الظلام، ثم قال الإله
لنيوتن (Newton) كن! فخرجت القوانين إلى النور.
A. pope

* * * * *

الأرض لا تعرف اليأس، ففي أماكن التفسخ والتعفن، نرى أجيالاً
قادمة.
G. Meredith

* * * * *

لا شيء مما نشاهد في الأرض ولا في السماء مستقر؛ القمر
ينمو ويزدهر؛ والسحب تتحول إلى مطر، وهذا يتبخر ويتحول إلى
سحاب، وعجلة الطبيعة تدور؛ وغداً يصبح الصبي رجلاً.

Longfellow

* * * * *

من لم يقرأ تاريخ الطبيعة عليه أن يتجول على شواطئ بلاده، أو
في أعماق الوديان ليكتشف مشاهد تزخر بالأعمال الفنية، تسعة
أعشارها مغمورة في التراب.
T. H. Huxley

* * * * *

ما من بستان إلا فوقه نجم.

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

الإنسان فن الطبيعة، والطبيعة فن الإله.

* * * * *

لو أن الضفدعة تدرك أن الإنسان يضعها في صنف القشريات،
لثارت عليه، وطلبت منه أن يعتذر.
William James

* * * * *

خلية النحل: الذكور منها ينهضون بالعمل بإخلاص وإتقان؛ نشاطها
الجنسي قليل، فهي تركز على العمل الفني؛ الأنثى ملكة كثيرة الإخصاب،
مثابرة على نشاطها في الفقس والحضانة، ولكن من غير عدل.

* * * * *

إن نصف ما نعانيه من الضعف والشقاء سببه أننا قطعنا
علاقاتنا بالأرض، وتركنا الجذور التي تربطنا بها تتعفن وتموت. أهملنا
الطبيعة فأهملنا نفوسنا.
Pierre Von Passen

* * * * *

مالجدوى؟ بالأمس بيضة، وغداً مكنسة ريش لنفض الغبار.
M. Anderson

* * * * *

أجمل الأشياء التي ينبغي أن نجربها هي الأشياء الغامضة
الخفية التي تكتنفها الأسرار؛ إنها منبع الفنون، والعلوم، والحقائق.

A. Einstein

* * * * *

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

يبدو لي العالم كرسـم كاريكاتوري غامض، نشاهد فيه من حين
لآخر مشاهد للسخرية، والجدية، والمتناقضات، تماماً عكس ما يريد
Santayana أن يقنعنا به.

* * * * *

الحيوانات التي نعتبرها من الطبقة «السفلى»، وحظها من
التفكير ضعيف، ومع ذلك فنادرًا ما ترتكب خطأ؛ بينما الإنسان
C.S. Pierce «العاقل» حدث ولا حرج.

* * * * *

كلما تشاهد حيواناً عن قرب، تشعر أن بداخله إنساناً.

Elias Canetti

* * * * *

كبرياء الطاووس من سخاء الإله؛ وشهوة الماعز هبة من الإله؛
W. Blake وصولة الأسد من حكمة الإله؛ وحنان المرأة من روح الإله.

* * * * *

F. Bacon الله بدأ بخلق بستان، والإنسان لجأ إلى المدن.

* * * * *

أصبح الإنسان أشد حساسية لما يفعله ضد التقاليد، مما يفعل
Plutarch ضد الطبيعة.

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

الإنسان الذي يستمد نبلة من الطبيعة هو ذلك الإنسان الذي يحمل قلبه في كفه.

من يغرس حديقة يجد يد الله تشدّ على يديه.

ربما كان ما يميز الإنسان عن الحيوان هو الشعور أكثر من العقل؛ فقد لاحظت أن القط في أحيان كثيرة يفكر، ولم أشاهد قطاً يضحك أو يبكي. ولعله يضحك أو يبكي داخل نفسه؛ وعندئذ يمكننا القول إن السلطعون⁽¹⁾ يحل معادلات من الدرجة الثانية داخل نفسه.

Miguel de Unamuno

إن اللانهائية التي تحرك مشاعرنا تتبعث من التنوع والكثرة المنسجمة في تشكيلة منتظمة. أنظر إلى كثرة أضواء المدينة، وهي تتعكس على سطح المياه والشوارع، إنها تحدث شعوراً يشبه ما تحدثه النجوم في السماء؛ بينما لا يحدث مشهد النجمة الواحدة تأثيراً شديداً في النفس.

Santayana

دع الحقول والجداول تغازلني! دعني أعشق المروج، والهضاب، والينابيع والأنهار!

Virgil

(1) السلطعون (أو السرطان) : CRAB.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

الطبيعة صنعتنا لنعجب بها، لنكون لأنفسنا، لا لنتظاهر للآخرين.

Montaigne

* * * * *

ما هي الأعشاب الضارة؟ نباتات لم تكتشف بعد منافعها.

Emerson

* * * * *

الضجيج أسوأ حدث يعرقل التركيز، يبلبل الفكر، ويقطع سلسلة الأفكار.

* * * * *

عدم الرضى بالعالم الذي نعيش فيه، والتفكير في عوالم أخرى أفضل، قضية سادت التفكير الحديث.

* * * * *

أسوأ طريقة لإصلاح العالم هي أن تحكم عليه بأنه غير صالح.

* * * * *

العالم مسرحية هزلية لمن يفكر، ومسرحية مأسوية لمن يشعر.

H. Walpole

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

لم أحب العالم، ولم يحبني؛ لم أذوق روائحه الكريهة ولم
أمدحها؛ ولم أركع أمام أوثانه؛ ولم أجعد وجنتي لأبتسم له؛ ولم أرهق
صوتي لأردد أصداً شعاراته.
Byron

* * * * *

خلق العالم من الحب، وهو مدعوم من الحب، ومنتجه إلى الحب،
وسيدخل في الحب.

(من كتاب هندي مقدس)

* * * * *

عندما يكون كل العالم على خطأ، فكل العالم على صواب.

* * * * *

صنع الإنسان بيئة اصطناعية فأصبحت تتحكم في بيئته
الطبيعية؛ وأصبح مؤكداً أن الأولى وحش جبار لا يرحم الحياة، وسوف
يقضي عليها إذا استمر الإنسان في فساد.
A. Toynbee

* * * * *

جميع الناس يعجبون بمن يضحى من أجل بلاده، ولكن قليل من
يشجع مدينة تضحى بقميص من أجل كوكب الأرض.
E.B. White

* * * * *

هناك خمسة أشياء منافية للطبيعة: امرأة جميلة بدون حب؛
مدينة تجارية لا يوجد فيها سراق؛ أطفال صغار من غير ضجيج،
مخزن غلال من دون فئران؛ وكلاب بدون براغيث.

* * * * *

بماذا يذكركم الحمّام؟ الزيوت، العرق، الأوساخ، وأشياء أخرى
منفرة... هذه هي الحياة في جميع أشكالها وظروفها، وهذا هو مصير
المادة مهما اختلفت عناصرها.
M. Aurelius

* * * * *

يمكننا أن نبرر إجراء التجارب على الحيوانات إذا كان الهدف من
ذلك البحث العلمي المفيد، وليس لمجرد إشباع فضول الإنسان.

Darwin

* * * * *

أفكر في العودة إلى الحياة مع الحيوانات، إنها مسالمة، قانعة،
راضية، قادرة على كبح جماح مشاعرها ما لم تستفز. ولقد تأملت
حياتها طويلاً، فلاحظت أنها لا تشتكي، ولا تتذمر من ظروف
معيشتها، ولا يتعبها الأرق، ولا تأسف على سوء سلوكها، ولا تزعجني
بطول الحديث عن الحقوق والواجبات، وليس بينها من يندب سوء
حظه، ويخشى سوء مصيره، ولا يصاب بالهوس والغيرة لأنه لا يملك ما
يملك جاره، ولا من يركع أمام الآخر؛ وليس بينها العالم والجاهل،
والمهذب والشقي سيئ السمعة.
W. Whittman

* * * * *

أضواء على مسرح الحياة —

أصف من تتعلق قلوبهم بقطعة الأرض التي يسكنونها، فوق هذه الكرة الأرضية الصغيرة الجميلة، أصفهم بأنهم «بدائيون»؛ فهم لا يقدرون العوالم الواسعة وراء المساحة التي يعيشون فيها؛ وحياتهم محدودة داخل تلك البقعة التي يضعون علامات على حدودها.

La Bruyere

* * * * *

لا أعجب من أن الشخص الذي يقف على حجرة صغيرة أن يترنح لأقل جهد يقوم به لاكتشاف الحقيقة؛ وكيف لمن كان نظره قصيراً، وفكره محدوداً، أن يخترق عقله الأجواء العليا، ويستلهم النجوم والكواكب، ويصل إلى الخالق.

ومن كان لا يقدر عظمة العقل وكرامة الروح، فكيف يروى حاجتهما إلى عقيدة يكرمهما بها الإله.. وكم من الأفكار المحدودة والعقول الساذجة تضيع في خضم اللامبالاة والإلحاد.

La Bruyere

* * * * *



الرحلة



المقدمة



هل تؤدّ أيها القارئ الكريم أنّ ترافقني في جولة ممتعة نستهلها بعرض بعض الأساطير التي كان يلجأ إليها الإنسان في العهود الغابرة، محاولاً أن يفسر كيفية نشوء العالم، ساعياً لإدراك الظواهر الطبيعية، وقوى الخير والشر، ومعنى الحياة والموت والخلود . وكانت هذه الأساطير تعبر كذلك عن مخاوفه وآماله وكفاحه من أجل البقاء .

وننتقل من عالم الخوف والجهل والخرافات إلى عالم بدأت فيه بوادر المعرفة والحكمة تنير مسيرة الإنسان، فتلقي نظرة على ما ترويها التوراة (العهد القديم) عن رحلة سيّدنا إبراهيم (عليه السلام) من مدينة أور، ثم من حران، بصحبة أسرته وابن أخيه لوط (عليه السلام)، إلى أرض كنعان، وسفر سيدنا إبراهيم إلى مصر .

ثم نتابع قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) وإخواته، ومع "الغاوية" في مصر كما ترويها التوراة . وننتقل إلى عهد آخر لنلم بحياة سيدنا موسى (عليه السلام) وهو يناضل من أجل تبليغ رسالته للفرعون ، وخروجه مع العبرانيين من مصر ، وتلقيه الوصايا العشر . بعد ذلك نتتبع بوذا الحكيم وهو يبحث عن الحقيقة، عن مغزى الحياة وعن خلاص الإنسان من الخطيئة والشقاء؛ وولتفت إلى المعلم العظيم كونفوشيوس، وهو يسعى جاهداً ليعلمّ الساسة والمواطنين كيف يربطون أعمالهم بالقيم الأخلاقية .

ونلتقي بسقراط، فيلسوف اليونان العظيم، الذي ظل ينتظر بشجاعة اللحظة التي يتناول فيها جرعة السم، بعد أن حكم عليه بالموت، بتهمة إهمال الآلهة وإفساد عقول الشباب. ونصت إلى حوار بين الإسكندر المقدوني والفيلسوف المتكشف «ديوجينيس»؛ ونتدبر معاً حياة سيدنا المسيح كما يرويها الإنجيل.

بعد ذلك نتطرق إلى دنيا الملوك وساحة الغزاة، عالم البناء والصراع والحروب، فنبتهج بما خلفوا لنا من حضارة وعمران، ونأسى لما تسببت فيه حروبهم من وحشية ودمار. نشاهد الملك حمورابي وهو يجمع القوانين وينقشها على لوحة صخرية، ونستمع إلى الفرعون الشاب أخناتون وهو ينادي بوحدانية الإله أتون «الشمس»، ويمجده بإيمان عميق وعبارات صادقة؛ ونتابع الفرعون رمسيس الكبير، صاحب معركة قادش، الذي شيد أكبر عدد من المباني والمعابد لتخليد اسمه. ونراقب عن كثب الملك نبوخذ نصر، صاحب الحقائق المعلقة، وهو يغزو مدينة أورشليم وينقل عدداً من سكانها إلى بابل؛ ونرحل إلى أثينا لنلتقي بالزعيم بركليس وعشيقته أسباسيا، وهو الحاكم الذي ازدهرت في عهده أثينا. ونرافق الفتى الطموح، الإسكندر المقدوني في حملته ضد مصر وفارس؛ والبطل القرطاجي حنبعل العظيم الذي قاد جيشه عبر جبال الألب وغزا الروم في عقر دارهم.

ونلقي نظرة على حياة الإمبراطور يوليوس قيصر الذي جمع بين الحنكة العسكرية والبراعة السياسية، وبلاغة اللسان، والقوة البدنية؛

ونلقت إلى الملكة كليوباترا التي سحرت قائدين من أعظم قواد روما؛
ونواصل جولتنا لتتعرّف على ملوك وقواد آخرين ليسوا أقل أهمية ممن
سبقهم ، مثل نيرون ، جنكيز خان، نابليون وغيرهم.

نسلك درباً آخر لتتعرّف على عدد من رجال العلم والأدب ممن
أناروا دروب الفكر، واكتشفوا مجالات عديدة من حياة الإنسان وعالمه
الأوسع. هيا بنا نجالس الشاعر اليوناني الكبير هوميروس لنطلع على
نبذة من ملحمتيه الخالدين الإلياذة التي تحدثنا عن حرب طروادة،
والأوديسة التي تقص علينا مغامرات أو ليس، أحد أبطال طروادة.

ونرحل إلى عهد آخر من الزمن لتلتقي بالشاعر دانتي، ونستمع
إلى نبذة من كتابه «الكوميديا الإلهية»؛ كما نسعد بقاء شاعرين
عظيمين هما بوكاتشو وتشوسر، وقد تركا لنا مجموعة من الحكايات
المسلية ؛ ونقف لحظة مع المصلح الديني الثائر مارتن لوتر؛ ونتتبع حياة
العالم غاليلي وما لقي من الكنيسة من متاعب وضغوط بسبب نظرياته
العلمية؛ وننصت باهتمام إلى ماكيافيلي وهو يلقي على مسامعنا بعض
نصائحه التي تجعل المصلحة الشخصية فوق أية اعتبارات أخلاقية.

لنحي الآن الشاعر العالمي شكسبير، ونصافح عدداً من الشعراء
والكتاب ممن تركوا آثاراً عميقة على الأدب الإنكليزي والفرنسي مثل
بيكون وملتون وموليير ولافونتان وغيرهم؛ ونرحب بالعالم نيوتن الذي
أكد لنا من جديد بأن كوكبنا ليس إلا جزءاً صغيراً جداً من الكون
الفسيح ، وأن الشمس هي مركز عالمنا؛ ونستعرض نبذة من حياة بعض

الكتاب والفلاسفة الذين أثروا الفكر الإنساني مثل فولتير: جوتي، هوجو، داروين ، تولستوى، فرويد وغيرهم.

ويحق لنا أن نستمع ببعض ما أنتجه هؤلاء الشعراء والعلماء، فنستعرض موجزاً من حكايات بوكاتشو وتشوسر حول دهاء النساء وسلوك بعض القساوسة ؛ ونستمع إلى نبذ من مسرحيات شكسبير، وقصتي ملتون ، الفردوس المفقود ، حول الصراع بين حواط وآدم والشیطان وخروجهما من الجنة ، والفردوس المسترد ، الذي مثل انتصار السيد المسيح (عليه السلام) على إغراء الشيطان.

بعد ذلك نقضي لحظات مع الشاعر لافونتان وهو يلقي علينا حكاياته المسلية التي لا تخلو من نصائح وحكم ومواعظ؛ ومع الكاتب الساخر سويفت لنرافقه (رحلات جاليفار) الخالية التي تسلي الصغار، وتعلم البالغين أموراً كثيرة عن سلوك الإنسان وشؤون الحياة؛ ونصغي إلى فولتير وهو يثدي تجادبنا بالحكم والتجارب الإنسانية التي تفيض بها قصصه .

ونشاهد نبذة عن مسرحية جوتي "فاوست" التي تعرض علينا مشاهد من الصراع القديم بين الخير والشر ، وطموح الإنسان الذي يبيع نفسه للشیطان؛ ونطالع قصة تولستوي «النساک الثلاثة»؛ وحكاية «آلف المحار»؛ ومغامرة الرجل الذي خرج من قبره ، وغيدها من الحكايات الممتعة، مثل قصة تمثال "الأمير السعيد" الذي انفجر قلبه الحديدي بسبب ما شاهده من حرمان الفقراء وقساوة الأثرياء .

ونتعرف في ختام جولتنا على عدد من النساء اللواتي تركن بصماتهن على سجل التايخ؛ ونتدبر بعض تعاليم الهندوسية، الديانة الغنية بآلهتها وثقافتها ومعتقداتها؛ ثم نلقي نظرة على عجائب العالم القديم ، والألعاب الأولمبية التي كانت تنظم عدد من المدن اليونانية منذ القرن الثامن قبل الميلاد؛ ونتوجه بعد ذلك إلى القارة الأمريكية لنطالع أخبار السكان الأوائل وهم يجوبون ربوع القارة الفسيحة طيلة آلاف السنين، ليستقروا في النهاية وينشؤوا حضارات ازدهرت قرونًا طويلة إلى أن دمرها المستعمرون الأسبان .

نتنقل بعد ذلك إلى منطقة أخرى لنتتبع حملات الصليبيين الذين عاثوا فسادًا في الأراضي المقدسة طيلة قرنين تقريبًا؛ نتبع ذلك بسرد بعض تعاليم الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية؛ ثم نستمع إلى «نبي» المرمون يحدثنا عن رسالته وتعاليم كنيسته؛ يتلو ذلك موضوعات أخرى منها أقوال ماثورة عن المرأة والحب والمال والزواج؛ وفكرة عن بعض الخرافات الشائعة؛ وفي نهاية المطاف نلقي نظرة إلى كوكبنا الجميل وهو يحلق حول الشمس، وهي تسبح على جناح من أجنحة مجرة تحتضن مئات ملايين النجوم .

(سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط عليهما السلام⁽¹⁾)

خرج سيدنا إبراهيم (من مدينة أور ، أرض الكلدانيين ، واتجه إلى منطقة حاران في شمال شرق سوريا . وتروي التوراة أنه خرج من أرض حاران مع أسرته ولوط ، ابن أخيه ، وساروا نحو أرض كنعان فبنى هناك مذبحا للرب . وكان عمره عندئذ 75 سنة . وكانت مجاعة في الأرض فاتجه نحو أرض مصر حتى وصل إلى مدينة GOSHEN الواقعة شرق دلتا النيل ، وتروي التوراة أنه لما قارب أن يدخل أرض مصر قال لزوجته سارة :

«أنا أعلم أنك امرأة جميلة المنظر، فيكون، إذا رآك المصريون، أنهم يقولون: «هذه امرأته» فيقتلونني ويبقونك على قيد الحياة. فقولني إنك أختي، حتى يحسن إليّ بسببك وتحيا نفسي بفضلك» ولما دخل أبرام مصر، رأى المصريون أنّ المرأة جميلة جدًا. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيته، فأحسن إلى أبرام بسببها فصار له غنم وبقر وحمير وخادmates وحمائر وجمال. فضرب الربّ فرعون وبيته ضربات شديدة بسبب سارة أي امرأة أبرام. فاستدعى فرعون أبرام وقال له: «ماذا صنعت بي؟ لماذا لم تعلمني أنها امرأتك؟ لم قلت: هي أختي، حتى أخذتها لتكون لي امرأة؟ والآن هذه

(1) كل ما ورد من تحريف في العهد القديم (التوراة)، والعهد الجديد (الإنجيل) يصحح على أساس ما جاء في القرآن وتعاليم الإسلام .

امراتك: خذها وامض». وأمر فرعون قوما فشيّعوه هو، وامراته وكل ماله»⁽¹⁾.

وعاد سيدنا إبراهيم وأهله إلى أرض النقيب، إلى المكان الذي خيم فيه من قبل وبنى فيه المذبح. وتروي التوراة أنه حدثت خصومات بين رعاة ماشية لوط ورعاة ماشية إبراهيم (عليه السلام)، فقال سيدنا إبراهيم لابن أخيه: أرض الله واسعة، فاختر أن تتجه نحو اليسار أو نحو اليمين. فاختر لوط سهل الأردن وأقام سيدنا إبراهيم في أرض كنعان. وتقص التوراة خبر مولد سيدنا إسماعيل، وقصة تدمير مدينتي سدوم وغمورة، ثم تتحدث عن مولد سيدنا إسحاق، وتقول إنّ الرب أراد أن يمتحن سيدنا إبراهيم فأمره بذبح إسحاق (عليه السلام)^(*).

(1) قال بعض العلماء : إن إبراهيم قال قولاً يشبه الكذب في الظاهر وليس بكذب، وأنه من المعارض، والمعارض لا تدم خصوصاً إذا احتج إليها. وقال النخعي : لهم كلام يتكلمون به إذا خشوا من شيء يدرؤون به عن أنفسهم. وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف. انظر: ابن الجوزي، زاد المسير ، ج 5 / ص 362.

(*) هذه مغالطة من اليهود، فالذبيح هو سيدنا إسماعيل عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم.

قال ابن كثير : الذبيح إنما هو إسماعيل وأنه يمتنع أن يكون هو إسحق لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب؛ فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خلف فيه، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه؛ فتعين أن يكون هو إسماعيل. وهذا من أحسن الاستدلال وأصح وأبينه ولله الحمد.

انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2/ ص453.

الرحلة

وتحدث في بضعة أسطر عن سلالة إسماعيل (عليه السلام)، ثم تروي بالتفصيل مولد ولدي إسحاق التوأمين وهما عيسو ويعقوب. وسمي الأول كذلك لأنه أصهب اللون، وسمي الثاني «يعقوب» لأنه كان يمسك بعقب أخيه عندما خرج من بطن أمه.

وهناك أمر غريب ترويهِ التوراة عندما تقصّ خبر تدمير مدينتي سدوم وغموره، لاشك أنه من قبيل التحريف. جاء الملكان إلى سيدنا لوط (عليه السلام)، وطلبا منه أن يخرج وزوجه وابنتاه من مدينة سدوم قبل أن يدمرها الله لما كان يأتيه أهلها من فساد. وفيما يلي نص التوراة :

«وأمر الرب على سدوم وغمورة كبريتا وناراً من السماء، وقلب المدن وكل السهل وجميع سكان المدن ونبات الأرض. فالتفتت امرأة لوط إلى ورائها فصارت نصب ملح».

... وصعد لوط من صوعر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه لأنه خاف أن يقيم في صوعر، فأقام في مغارة هو وابنتاه».

فقالت الكبرى للصغرى: «إن أبانا قد شاخ، وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة أهل الأرض كلها. تعالى نسقى أبانا خمراً ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً». فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، وجاءت الكبرى فضاجعت أباهما ولم يعلم بنيهما ولا قيامها. فلما كان الغد ، قالت الكبرى للصغرى ها أنا قد ضاجعت أمس أبي، فالنسقه

خمرا هذه الليلة أيضاً، وتعالى أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلاً». فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . فحملت ابنتا لوط من أبيهما . وولدت الكبرى ابنا وسمته مؤآب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم. والصغرى أيضاً ولدت ابنا وسمته بنعمي، وهو أبو بني عمّون إلى اليوم⁽¹⁾.

(1) جميع ما جاء به العهد القديم والعهد الجديد يصحح على أساس ما ورد في القرآن الكريم.

موسى عليه السلام (عليه السلام)

في مطلع الألف الثانية قبل الميلاد (تقريباً) نزح سيدنا إبراهيم وأسرته إلى مصر. ووصل سيدنا يوسف وأبوه يعقوب وإخوته إلى مصر حوالي القرن السابع عشر ق.م. وأولاد يعقوب الإثنا عشر هم الأسباط الذين تفرعت منهم القبائل العبرانية. وأقام المسيح ابن مريم وهو طفل، مع أسرته فترة في مصر كذلك. أما سيدنا موسى (عليه السلام) فقد ولد وترعرع في مصر، في أواخر القرن الرابع عشر ق.م. على وجه التقريب. أبوه عمران وأمه يوكابد، وأخوه هارون وأخته مريم. وقد انحدر من قبيلة (LEVI) التي كانت تقطن في مصر. والفرعون الذي ورد في التوراة⁽¹⁾. أنه كان يضطهد بني إسرائيل (دون أن تذكر اسمه) هو SETHOS الأول الذي حكم مصر من 1318 إلى 1304 ق.م. ولما لاحظ هذا الفرعون أن عدد العبرانيين يتكاثر باطراد، وأصبحوا يشكلون خطراً على مصر، قرر أن يقلل من عددهم، فأمر أن يقتل كل مولود ذكر من الأسر العبرانية.

وتروي التوراة كيف وضعت يوكابد (أم موسى) مولودها في سلة من نبات البردي، ووضعتها في النيل، فالتقطتها ابنة الفرعون التي كانت تستحم في النيل، وأسماها موسى وسهرت على تربيته.

وكلمة موسى MOSE مصرية، تعني «وُلِدَ». ونشأ موسى

(1) التوراة : تعني القانون، التعاليم.

(عليه السلام) في قصر الفرعون⁽¹⁾ فتعلم الفروسية، واطلع على الشؤون الدينية والعسكرية، وعلى أحوال البلدان التي كانت خاضعة لمصر. وعندما عرف أنه من أصل عبراني سعى إلى التعرف على أهله والعطف على قومه. وفرّ من مصر عندما قتل رجلاً مصرياً، فاتجه إلى مدين (في شرق خليج العقبة) حيث تزوج بابنة سيدنا شعيب (رعوئيل في التوراة) واسم الفتاة «صفورة».

وبينما هو يرعى ماشية صهره، إذ ترائى له الرب ذات يوم، وطلب منه أن يذهب إلى فرعون ليبلغه رسالته ويدعوه إلى دين الحق؛ وليخرج بني إسرائيل من مصر. رفض الفرعون رسالة موسى وأن يسمح لقومه بمغادرة مصر فسلط الله عليه وعلى مصر كوارث مثل تحول ماء النيل إلى دم، والصفادع، والبعوض، والذباب، والقروح، والبرد والظلام، ومات أبنائهم، ونفقت ماشيتهم. وأخيراً خرج موسى وقومه من مصر في عهد الفرعون رمسيس الثاني الذي حكم البلاد مدة 67 سنة من عام 1304 إلى 1237.

وتروي التوراة أن عدد العبرانيين⁽²⁾ الذين قادهم موسى عليه السلام خارج مصر كان ستمائة ألف من المشاة ما عدا العيال، وأن مغادرتهم مصر تمت بعد أن مكثوا فيها 430 سنة، واجتازوا البحر وغرق فرعون وجنوده.

(1) «فرعون» مأخوذة من المصرية «برعا» أي البيت الكبير. ثم أصبحت تطلق على شخص الملك

(2) عبري (HEBREW) وتعني المتجول : التائه ، (البدو الرحل).

الرحلة

وقاد موسى قومه إلى جبل سيناء (حريب) حيث تجلى له الرب وأنزل عليه الوصايا العشر. وكان ما كان من عصيان بني إسرائيل نبيهم، وتاهوا في الصحراء مدة طويلة. وبعد حوادث مطولة ومتنوعة، تروي التوراة أن آخر عمل أنجزه سيدنا موسى (هو أنه جدد لقومه العهد الذي تلقاه من ربه في سيناء، ثم صعد إلى برية مؤاب، إلى جبل نبو، إلى قمة جبل تجاه أريحا، وتوفي، هناك وكان عمره 120 سنة ، قضى منها نحو 40 عاماً في مصر. ولكن ما تزال قصة وفاته ومكان دفنه مجهولين . وقاد بني إسرائيل بعده يشوع بن نون.

* الوصايا العشر التي جاء بها موسى (عليه السلام) قومه :

- لا يكن لك آلهة أخرى غيري.
- لا تصنع لك منحوتاً، ولا أية صورة، ولا تسجد لها ولا تعبدوها.
- لا تلفظ اسم الرب باطلاً.
- احفظ يوم السبت ولا تعمل فيه عملاً.
- أكرم أباك وأمك.
- لا تقتل.
- لا تزني.
- لا تسرق.
- لا تشهد على قريبك شهادة زور.
- لا تشته امرأة قريبك، ولا بيته، ولا حقله، ولا شيئاً مما يملكه.

* من أحكام التوراة

- من ضرب أباه أو أمه ، فليقتل قتلاً.
- من لعن أباه أو أمه ، فليقتل قتلاً.
- كل من أتى بهيمة ، فليقتل قتلاً.
- ساحرة لا تبق على قيد الحياة.
- النفس بالنفس، والعين بالعين، والسن بالسن، واليد باليد، والرجل بالرجل.
- إن أخذ رجل يضاجع امرأة فليموتا كلاهما.
- لا تقرض أخاك بفائدة في فضة أو طعام...، بل تقرض الغريب بالفائدة.
- إذا حصدت حصادك في حقلك، فنسيت حزمة في الحقل ، فلا ترجع لتأخذها ، إنها للنزير واليتيم والأرملة. وإذا قطفت كرمك، فلا تراجع ما بقي منه، إنه للنزير واليتيم والأرملة.

● سقراط :

ولد سقراط في أثينا عام 469 قبل الميلاد . كان قصير القامة، جاحظ العينين، فجمع بين قبح المنظر والفقر، ولكنه كان كريم الأخلاق صبوراً قوي التحمل شديد الذكاء. تزوج في سن متأخرة من كسانثيبي. ويزعم البعض أنها كانت سليطة، وربما كانت من ذوات المزاج الحساس لا غير؛ أنجب ثلاثة أولاد. وقد تجنب سقراط أن يتولى المناصب الهامة لأنه كان يخشى أن يؤثر ذلك على نزاهته ويضطره للتخلي عن مبادئه.

كان سقراط يقضي معظم وقته متجولاً في الأسواق والأماكن العامة، يلقي تعاليمه على الناس، ويجيب على أسئلتهم. كان يعتقد أنه يحمل رسالة دينية، وأنه موجه من قبل صوت داخلي. ولم يكتب سقراط شيئاً، ولكن حفظت تعاليمه وآراؤه في «حوار أفلاطون». ومن تعاليمه أن الروح خالدة، وأنها ستواجه الجزاء يوم القيامة خيراً أو شراً. ومن آرائه أن الإنسان ليس شريفاً بطبيعته ولكن بسبب الجهل، وعليه أن يسعى لاكتشاف الخير والفضيلة، وكان يقول بأن هناك أشياء ترغب الآلهة في أن تظل خفية، ولا يروق لها أن يسعى الإنسان لاكتشاف أسرارها.

ألصقت بسقراط تهمتان : إفساد عقول الشباب، وإهمال آلهة البلاد واتباع ممارسات جديدة. وكان المدعى العام الذي حاكم سقراط

رجلاً غير ذي شأن، يدعي ميليتوس، ولكن ساندته في اتهام سقراط رجال من ذوي السلطة. وحكم عليه مجلس قضاة (بأغلبية ضئيلة) بالموت. وقد وضع صديقه كريتو خطة للفرار من السجن، غير أن سقراط ردّ عليه بأنه على الرغم من أن الحكم عليه كان على أسس مخالفة للحقائق، فإنه صدر عن محكمة شرعية، ولذلك يجب قبوله. وظل سقراط ينتظر تنفيذ الحكم، بأن يشرب السم، مدة ثلاثين يوماً، وشهد له جميع معارفه بأنه كان يعيش حياة هادئة مريحة. وعندما حان الموعد تناول السم بشجاعة.

• ديوجينيس المتقشف

فيلسوف يوناني ولد عام 412 ق.م. في مدينة سينوبي SINOPE . كان شديد التقشف ، ويحكى أنه عندما قدم إلى أثينا كان ينام داخل جرة كبيرة، وفي الصيف ينام في الخلاء. ورأى ذات يوم فأرا فقال له: سنظل أنت وأنا ننتقل من جحر إلى جحر إلى أن يقضي علينا القدر.

وكان يقول : إن أكبر اللذات أن تحتقر الملذات. وبقدر ما تقل ممتلكاتك، تقل همومك . إن الإنسان يعيش عبدا لرغباته ومطامعه، ولا يكون حراً إلا إذا زهد في أشياء كثيرة، ولا يحقق الأمن لنفسه إلا عن طريق القناعة.

والتقى ذات يوم بالاسكندر المقدوني فجرى بينهما الحوار التالي:

ديوجينيس - ما هي أكبر رغبات جلالتك في الوقت الحاضر؟

الإسكندر - أن أسيطر على اليونان بأجمعه.

ديوجينيس - ثم ماذا ؟

الإسكندر - أن أسيطر على آسيا الصغرى.

ديوجينيس - وماذا بعد ذلك؟

الإسكندر - أسترخي وأتمتع بالحياة.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

ديوجينيس - ولماذا لا تتمتع بها الآن؟

الإسكندر - هل لك طلب يمكن أن ألبيه لك؟

ديوجينيس - نعم، أبعد ظلك قليلاً فقد حجب عني الشمس.

فضحك الإسكندر وقال : لو لم أكن الإسكندر، لوددت أن أكون

ديوجينيس. فأجابه هذا الأخير : لو لم أكن ديوجينس لاخترت أن أكون

أي إنسان آخر ما عدا الإسكندر.

• المسيح⁽¹⁾ عيسى ابن مريم (عليه السلام) (حسبما ترويهِ الأناجيل)⁽²⁾

عند الحديث عن حياة سيدنا عيسى ابن مريم، يعتمد الباحثون على ما ورد في الأناجيل، إذ إنه لا توجد مصادر تاريخية مؤكدة في هذا الموضوع⁽³⁾. وقد اختلف في تاريخ ميلاده، هل كان سنة 4 أو 6 (قبل الميلاد) أو قبل ذلك أو بعده؟ كما اختلف في يوم وشهر ميلاده، هل هو 19 أفريل، أم 17 نوفمبر، أم غير ذلك. وبعد مدة طويلة اتفق رجال الكنيسة على أن يكون يوم ميلاده 25 ديسمبر، لأنه كان يوماً مشهوراً يحتفل فيه الناس بعيد إله الشمس، MITHRA. أما سنة ميلاده فحددت بعام ٤ قبل الميلاد على وجه التقريب. وتجدر الإشارة إلى أن فكرة «قبل الميلاد» و«بعد الميلاد» لم تستعمل إلا ابتداء من القرون الوسطى.

ويروي القديس مَتَّى في إنجيله أنه عندما ولد يسوع المسيح في مدينة بيت لحم، قدم إليه رجال منجمون (أو كهنة) من الشرق فسألوا عن المولود الجديد الذي سيكون ملكاً، ثم زاروه وهو في المهد، وقدموا له الهدايا. وسمع الملك هيرودس أنتباس بخبر ميلاد هذا الطفل الذي سيكون خطراً على ملكه، فأمر بأن يقتل جميع الأطفال دون سنتين من العمر. فهربت أسرة يوسف النجار بالطفل إلى مصر،

(1) «مسيح» من مسح أي دهن بالزيت. وكان اليهود يدهنون رئيس الكهنة بالزيت عند تنصيبه.

(2) كلمة «إنجيل» يونانية، وتعني «البشرى» واستعمل القديس بولس (تلميذ المسيح) هذه الكلمة بمعنى «التبشير» بالخلاص على يد المسيح.

(3) باستثناء القرآن.

ومكثوا هناك إلى أن سمعوا بخبر موت هيرودس، فرجعوا إلى موطنهم، وأقاموا بمدينة الناصرة.

ترعرع المسيح في أسرة يهودية يسودها جو التقوى واحترام قوانين التوراة، وعمل فترة في النجارة تحت رعاية يوسف النجار، واهتم بالمسائل الدينية وقرأ جزءاً من التوراة . غير أن أخباره اختفت فجأة عندما بلغ 12 سنة، إلى أن ظهر من جديد على مسرح الحياة وعمره نحو 30 سنة . ولا يعرف شيء عن حياته بين 12 و 30 سنة من عمره.

كان يوحنا المعمدان، حسبما تروي الأناجيل، قديساً يبشر الناس بقدوم المسيح ، وينذرهم بقرب يوم القيامة، ويدعوهم إلى التوبة. وكان يعمّد التائبين في مياه نهر الأردن. وهنا تسجل الأناجيل أول حادثة للمسيح ، بعد انقطاع أخباره، وهي تعميده على يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن، وكان عمره حينئذ نحو 30 سنة.

كانت حادثة تعميده نقطة تحول في حياته، وتركت أثراً عميقاً في نفسه. فمنذ ذلك الوقت شعر بأنه صاحب رسالة إلهية يجب أن يبلغها للناس؛ وانعزل فترة في الخلاء ليتأمل في الكون ويفكر في عبء رسالته، وفي حياة الناس من حوله.

عاش عيسى ابن مريم في فترة كانت فيها فلسطين تزرع تحت حكم الروم. وكان بعض السكان في الجليل قد قاموا بثورة عام 4 ق.م. ضد أعباء الضرائب التي فرضها الملك هيرودس أنتباس عليهم.

الرحلة

وفشلت هذه الثورة. وكان الشعب اليهودي منقسماً إلى فرق وأحزاب منهم من يدعو إلى استخدام القوة ضد الروم، ومن يركز على التعايش السلمي، ومن ينادي بتطبيق قوانين التوراة، ومن يعتزل منتظراً مجيء المسيح الموعود.

في هذه الظروف بدأ يسوع المسيح رسالته، التي تدعو إلى الحب والتسامح، وراح ينشر تعاليمه متجولاً بين الناس بصحبة تلاميذه. وكان الناس يجتمعون حوله فيحدثهم ويرشدتهم، ويعلمهم ويعظهم. ولم يكن أسلوب تعليمه يعتمد على سرد قوانين التوراة، بل كان يكلم الناس بأسلوب شعبي، ويشرح لهم رسالته بسرد الحكايات ذات المغزى الأخلاقي والاجتماعي. وسرعان ما ذاع صيته نتيجة للمعجزات التي بهرت الناس، وجعلتهم يهرعون إليه طالبين المساعدة. ومن معجزاته إبراء الأبرص، وشفاء المقعد، والأعمى والأخرس.. الخ.

وزار ذات يوم بيت المقدس فلقى سكانها بالترحيب وتجمعوا لمشاهدته. وكان قد بدأ يشعر بعبادة كبار كهنة اليهود لرسالته، فجمع تلاميذه للعشاء الذي عرف «بالعشاء الأخير»، وعددهم اثنا عشر.

وشعر زعماء اليهود بخطر رسالة المسيح على تعاليمهم، وقد رأوا شهرته تزداد، وأتباعه يتكاثرون، فتدبروا الأمر وفكروا في وسيلة للتخلص منه. ووجد أنه لا يكفي أن توجه إليه اتهامات دينية، بل لابد من اتهامه بإثارة الشغب وتحريض الشعب على الثورة ضد سلطة روما، وأنه يزعم أنه ملك يحاول تحرير الشعب. فما كان من الحاكم الروماني

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

بونُس بلاطس إلا أن وقع على قرار الصلب⁽¹⁾ إرضاء لكبار كهنة اليهود وزعمائهم.

● من أقوال المسيح (عليه السلام) :

- لماذا تنظر إلى القذى في عين أخيك، وتتسى العود في عينك.
- لا تدينوا لئلا تدانوا؛ فكما تدينون تدانون.
- عاملوا الناس بما تودون أن يعاملوكم به.
- لا تهتم كثيراً بهموم الغد، فلكل يوم من العناء ما يكفي.
- لا تستطيع أن تخدم سيدين: الله والمال.
- من يتزوج من امرأة مطلقة فهو زان.
- ماذا يفيد الإنسان إذا كسب العالم وفقد روحه.
- لا تترك يدك اليسرى تعرف ما تتصدق به يدك اليمنى.
- من كان بلا ذنب فليرم المذنبه بالحجرة الأولى.
- أترك فيكم وصية أخرى هي أن يحب بعضكم البعض الآخر.
- سيكون أسهل على الجمل أن يمر داخل عين الإبرة ، من أن يدخل الغني ملكوت الرب.

(1) حسب اعتقاد المسيحيين.

الرحلة

- أنا زرعت، أبولو سقى، والإله ضاعف الثمار .
- ستخرج من الدنيا ويدك فارغة ، كما دخلتها .
- ليس بشيء من كان له من الإيمان ما يحرك الجبال، وقلبه خال من الإحسان .
- كل إنسان يحصد ما زرع .
- لا تترك الشمس تغرب وقلبك يخنقه الغيظ .
- الشرارة الصغيرة أم الحريق الكبير .
- لا تظلم الأرملة، أعط الفقير، دافع عن اليتيم، واكس العريان.
- لا يدنس الإنسان ما يدخل في فمه، بل ما يخرج منه .

● الإسكندر المقدوني :

ولد عام 356 ق.م. في مدينة بيلا Pella بمقدونيا . أبوه فيليب الثاني ملك مقدونيا، وأمه أولمبياس. تتلمذ على أرسطو، ولم يوافق على رأي معلمه بأن غير اليونانيين يجب أن يعاملوا كالعبيد .

أظهر شجاعة وبراعة عسكرية وهو شاب في السادسة عشرة من عمره. وعندما قتل أبوه عام 336 ق.م. تولّى الحكم وعمل على إحكام القبضة على مختلف مناطق اليونان. بعد ذلك توجه نحو مشروعه الكبير وهو غزو بلاد الفرس، واصطحب معه عدداً من العلماء والمهندسين وغيرهم .

انطلق الإسكندر من مدينة بيلا مسقط رأسه عام 334 ق.م. متجهاً نحو آسيا الصغرى، فاستولى في طريقه على عدد من المدن حتى وصل إلى مدينة إسوس حيث انتصر على جيش ملك الفرس داريوس الثالث في أكتوبر عام 333 ق.م. سار بعد ذلك بمحاذاة ساحل سوريا حتى مدينة صور فدمرها بعد حصار دام عدة أشهر، ثم استولى على غزة، ودخل مصر التي كانت خاضعة لحكم الفرس.

أمر ببناء المدينة التي تحمل اسمه حتى اليوم، ثم ذهب إلى واحة أمون في سيوه، حيث استرشد الإله «أمون» عن نجاح حملاته. واتجه نحو ممفيس حيث نظم الأمور المتعلقة بإدارة مصر أثناء غيابه، ورجع متجهاً نحو بلاد فارس لملاقاة داريوس الثالث الذي أعاد تنظيم جيشه، وهزمه عام 331 ق.م. ثم اتجه نحو الجنوب الشرقي فاحتل بابل، سوز، وبيرسيبوليس، عاصمة إمبراطورية الفرس، فأمر الجيش بنهبها.

الرحلة

اتجه نحو الشمال الشرقي نحو بحر قزوين، ثم نحو أفغانستان، وواصل مسيرته حتى الهند فدخل البنجاب. واجتاز نهر الهندوس، بعد أن هزم جيوشاً كانت تستخدم الفيلة في المعارك. بعد ذلك شعر أن جيوشه تعبت وقطعت مسافات كبيرة، فكرّ عائداً نحو مدينة بابل التي قرر أن يجعلها عاصمة ملكه، وهناك توفي وعمره لا يتجاوز اثنين وثلاثين عاماً، وكان قد مضى عشر سنوات منذ أن غادر اليونان.

كان الإسكندر يتمتع بقوة بدنية كبيرة، وكان قاسياً لا يرحم في الحرب، وحتى في معاملة أقرب الناس إليه. فقد قتل بيديه كليتوس، وهو أقرب أصدقائه إليه. وادعى أنه من سلالة الآلهة، وأنه ينحدر من سلالة هيركول العظيم من جهة أمه. وسعى إلى تأكيد ذلك عندما فتح مصر، إذ عمل على أن يعترف له كبار الكهنة من ممفيس بأنه ابن الإله «أمون». وكانت الأساطير اليونانية تذكر بأن أبطالاً مثل هيركول وديونيسوس بلغوا مستوى الآلهة بفضل منجزاتهم العظيمة.

ومن منجزات الإسكندر الكبير، بالإضافة إلى كونه نهب مدنا وأراق الدماء، أن غزواته أحدثت تغييراً هاماً في تاريخ أوروبا وآسيا. وقد بنى مدنا عديدة، وأنشأ مراكز تجارية وثقافية تمتد من البحر المتوسط حتى الهند. تزوج ROXANA ابنة أحد نبلاء الفرس⁽¹⁾، وطلب من ضباطه وجنوده أن يتزوجوا من الفارسيات رغبة في توثيق العلاقات بين الشعبين ونشر الثقافة الهيلينية.

(1) وبرسين : ابنة داريوس.

● حنبعل :

حنبعل (247 - 183 ق.م) قائد حربي عظيم، حارب الروم الغزاة بكل ما أوتي من قوة وشجاعة وذكاء وحب للوطن. أبوه الجنرال باركا، لقب بهملكار (البرق) لأنه كان يقوم بهجمات سريعة صاعقة على الروم. وقبل موته عام 231 ق.م. أوصى ابنه بمحاربة الروم حتى الموت. كان حنبعل سياسياً ماهراً، بالإضافة إلى كونه قائداً عظيماً . وكان في الوقت نفسه متواضعاً، لا يخصص نفسه بشيء يميّزه عن جنوده، كان يأكل معهم وينام بينهم . وكان أبوه هملكار قد خاض حرباً ضروساً ضد الروم. وعندما تولى حنبعل قيادة الجيش عام 221 ق.م.، وضع نصب عينيه الانتقام من الروم الغزاة.

فكر حنبعل، وقرر أن ينقل الحرب إلى أرض إيطاليا، فجمع جيشاً من خمسين ألفاً من المشاة، وتسعة آلاف من الفرسان و37 فيلاً، وقاده عبر أسبانيا، حتى وصل إلى جبال الألب، بالقرب من ممر «سان برنار» عام 218 ق.م. وقد لقي جيشه صعوبات جمة في اجتياز جبال الألب، الفيلة خاصة، وفقد حنبعل عدداً كبيراً من جنوده في الطريق بسبب البرد والجوع.

وصل حنبعل إلى شمال إيطاليا، واشتبك مع الروم في المعركة الأولى عند نهر «بو» فهزّمهم . ووقعت معركة ثانية قرب بحيرة ترانسيما عام 217 ق.م.، كتب فيها النصر كذلك للقائد القرطاجي. واتجه حنبعل نحو الجنوب فاشتبك مع جيش روما في معركة ضارية بالقرب من «كان» Cannes عام 216 ق.م.

كانت هذه المعركة فاصلة، وكان النصر فيها حليف جيش قرطاج حيث قتل نحو خمسين ألفاً من جيش الروم، وأسر حنبعل عشرة آلاف، كما قتل فيها أحد قواد جيش العدو، وكذلك ثمانون من أعضاء مجلس الشيوخ الذين شاركوا في المعركة.

وبعد انتصار حنبعل في معركة Cannes أصبح الطريق إلى روما مفتوحاً أمامه. ولكن لماذا لم يزحف نحو روما لمحاصرتها، حيث إنه لم يعد لها جيش قوي يحميها؟ الواقع أنه لم يكن لدى حنبعل وسائل الحصار التي تمكنه من هدم الأسوار أو تسلقها. وظل ينتظر وصول أخيه بالإمدادات. غير أن هذا الأخير واجه قوات روما في شمال إيطاليا، وقتل في المعركة.

كان قائد جيش الروم يدعى شيبليون الإفريقي، وكان معجباً بأسلوب عدوه حنبعل وشجاعته، وقرر أن ينقل الحرب إلى قرطاج، فأسرع حنبعل راجعاً (عن طريق البحر) للدفاع عن وطنه، واشتبك مع قوات روما في معركة «زاما» عام 202 ق.م.، ولم يكتب النصر لجيش حنبعل، فاضطرت قرطاج لطلب الصلح.

وظل هدف حنبعل الوحيد أن يجمع قوات جديدة لمحاربة الروم، غير أن الفئات المعادية لحنبعل أبلغوا الروم أنه مازال يحرض على محاربتهم. فتوجه نحو الشرق وتتبع الروم أثره للقبض عليه. وفي النهاية، فضل أن ينتحر عندما حاول أحد الملوك الذي استضافه أن يسلمه إلى الروم خوفاً من بطشهم، وكان ذلك عام 183 ق.م.

• يوليوس قيصر :

مما يروى عن يوليوس قيصر في شبابه، أنه بينما كان ذاهباً إلى جزيرة رودس ليتعلم فن الكلام والخطابة، أسره قرصان، فجمع مبلغاً من المال افتدى به نفسه، ثم قال للقرصان سأقتلكم جميعاً. وبالفعل جمع قوة، وركب سفينة وفتش عنهم وصلبهم جميعاً. هذا هو القيصر العظيم الذي عمّت شهرته الآفاق . لقد كان يتمتع بقدرة على التحمل لا يفوقها إلا ذكاؤه. فبالإضافة إلى كونه قائداً عسكرياً ماهراً كان خطيباً بليغاً، وكاتباً قديراً، وسياسياً محنكاً.

ولد يوليوس قيصر عام 100 ق.م. وفي عام 84 ق.م. تزوج كورنيليا، ابنة أحد النبلاء ممن شاركوا في ثورة سابقة ضد نظام القنصل الحاكم سولا (SULLA). وبعد أن نجح هذا الأخير في إخماد الثورة طلب من يوليوس أن يطلق زوجته كورنيليا فرفض. وبذلك عرض نفسه ومستقبله للخطر. واضطر أن يرحل إلى آسيا لينضم إلى الجيش الروماني هناك. وقد أظهر منذ شبابه اهتمامه بالشؤون السياسية، وبالعامل على إصلاح الأوضاع المتدهورة في الإمبراطورية الرومانية. فبدأ يوطد سلطته بالتعاون مع قائدين مشهورين هما بومبي وكراسوس. وعندما عين قائداً للجيش الروماني في بلاد الغال حقق انتصارات كبيرة، وكون جيشاً منظماً مدرباً وفيّاً لقائده الذي كان يقوده من نصر إلى نصر ، ويدفع لجنوده مرتبات سخية.

غير أن أعداء يوليوس قيصر في مجلس الشيوخ بدأوا يشعرون بالقلق من طموح هذا القائد القوي، فطلب منه أن يتخلى عن قيادة

الرحلة

الجيش ويعود إلى روما . ولما رفض، اتهم بالعصيان، وأعلن المجلس أنه أصبح عدواً لروما . واتجه يوليوس جنوباً حتى عبر نهر «الروبيكون» بجيشه، وبذلك تجاوز حدود المناطق التي كان مسؤولاً عنها، واعتبر عملاً عدوانياً . عندئذ طلب المجلس من القائد بومبي (وكان قد بدأ يحقد على يوليوس) أن يقود جيش روما لحماية البلاد . وكانت حجة يوليوس في اتجاهه نحو روما، أنه إنما يأتي ليحمي إيطاليا من فساد الحكام، وليصلح نظام الحكم ويعيد الاستقرار للبلاد . وبذلك بدأت الحرب الأهلية .

تغلب يوليوس على جيش بومبي وأخرجه من إيطاليا ؛ ثم توجه نحو أسبانيا حيث هزم جيشاً كان معارضوه قد أعدوه لمحاربته . بعد ذلك قاد جيشه لملاحقة بمومبي عبر الأدرياتيك، وانتصر عليه في معركة PHARSALUS الحاسمة عام 48 ق.م . وتتبع بومبي حتى مصر حيث قتل هذا الأخير . وفي مصر تدخل يوليوس في حرب أهلية بين كليوباترا وأخيها لصالح الملكة السمراء التي وقع في حبها . وعاد إلى روما حيث كانت انتصاراته قد مهدت له السبيل ، فصوّت مجلس الشيوخ لجعله دكتاتوراً مدى الحياة . ولم تطل إقامته في روما، إذ سرعان ما قاد جيشه متوجهاً نحو إفريقيا ليحارب جيشاً أعدّه أعداؤه . فسحق جيشهم وعاد إلى روما، ولكن ليرحل بجيشه مرة أخرى إلى أسبانيا ويسحق تمرداً قاده أعداؤه .

وبينما كان يوليوس قيصر في قمة مجده وسلطانه تأمر عليه أعداؤه، واغتالوه في مبنى مجلس الشيوخ، في روما في مارس من عام

44 ق.م.⁽¹⁾ كان يوليوس قيصر مشرعاً بارعاً وقائداً عظيماً أثرت منجزاته على مصير الحضارة الغربية قروناً طويلة. وعاد النظام الجمهوري إلى روما بعد اغتاليه، ولكن أعماله (ومنها التقويم الحديث على أساس 365 يوماً في السنة) بقيت تشهد بقوة شخصيته. ولم يمر وقت طويل حتى انتشرت الأنباء بين السكان أن القيصر لم يكن بشراً بل إلهاً.

(1) انظر مسرحية شكسبير «يوليوس قيصر» في قسم «حكايات ، قصص ومسرحيات».

● شكسبير:

المعلومات المؤكدة عن حياة شكسبير قليلة جداً. وقد ولد في أفريل عام 1564، في عهد الملكة إليزابيث الأولى، في مدينة STRATFORD-ON-AVON. كان أبوه رئيس البلدية، كما اشتغل في تجارة الصوف والقفافيز. وتعلم شكسبير في المدرسة حتى مستوى التعليم المتوسط. تزوج وسنه ثماني عشرة سنة بامرأة تكبره بثماني سنوات، أنجبت له ذكراً وابنتين.

ويقال إنه اضطر لمغادرة مسقط رأسه خوفاً من تهديد أحد الأثرياء، كان شكسبير انتهك حرمة أراضيه. ويبدو أنه اشتغل بالتعليم فترة. وبعد الحادث المذكور، لا يعرف شيء عن حياته إلى أن تظهر أخباره في لندن، حيث يبدو أنه وصلها عام 1586، وبدأ يقوم بأعمال ثانوية في أحد المسارح⁽¹⁾.

وفي عام 1592 تتأكد أخباره ككاتب مسرحي وممثل (لأدوار صغيرة). وبعد سنتين نجده يكتب مسرحيات لشركة CHAM- LORD BERLAYNE للتمثيل، وهو عضو فيها. وظل يعمل معها طيلة خمسة عشر عاماً. وبدأ نجمه في الصعود، وزملاؤه يعترفون له بالأولوية في فن المسرحيات، كما أصبح يملك أسهما في هذه الشركة التي زاد شأنها عندما تبناها الملك جيمز الأول، بعد وفاة الملكة إليزابيث الأولى.

وظل شكسبير يعمل ويعيش في لندن إلى أن قرر عام 1610 أن

(1) يقال إنه كان يحرس الخيل أمام مدخل المسرح.

يعود إلى مسقط رأسه. وكان قبل ذلك قد اشترى منزلاً فخماً هناك. غير أنه لم يتوقف عن الإنتاج، وظلت مسرحياته تمثل على المسرح المسمى theatre Globe الذي كان يعمل فيه. ويبدو أن علاقاته بالشركة المذكورة استمرت حتى عام 1613. توفي هذا الشاعر العظيم في 23 من شهر أفريل 1616. وقد قال عنه أحد معاصريه : «إنه لا ينتمي لعصره، بل لجميع العصور».

ومن أقواله :

- الهموم ليست علاج المشاكل بل صدؤها .
- ما كل سحابة تحمل عاصفة .
- أفضل صحبة أحرق تزيد مرعى، من صحبة عاقل تزيد أحزاني .
- سأجعلك تحسب الإوزة غراباً .
- الغضب يفقد المرأة رقتها كما يفسد الوحل صفاء النبع .
- الجمال يستفز الرجل كما يغوي الذهب اللصوص .
- قساوة رياح الشتاء البارد ألطف من نكران الجميل .
- العالم مسرح كبير، والمخلوقات تمثل أدوارها .
- تذمر المرأة، إذا استمر ، يسمم البدن أكثر من عضه الكلب المسعور .

- مشاهدة العنف تمهد الطريق لارتكابه.
- حتى الشيطان يمكنه أن يستشهد بالكتاب المقدس.
- قد يصطاد المرء سمكاً بديدان أكلت من لحم الملك.
- كمن يغني وهو يحفر القبور.
- أظهر أقل مما تملك، وتحدث بأقل مما تعرف.
- غناؤها يجعل الدب قطعاً أليفاً.
- الإشاعات مزمار ينفخ فيه الشك والغيرة.
- يعتقد الأحق أنه حكيم، ويعرف الحكيم أنه أحق.

• فرانسيس بيكون :

ولد عام 1561 في لندن، ودرس في كمبردج. كان أبوه يحتل وظيفة هامة لدى الملكة اليزابيث الأولى. ذهب إلى باريس مع سفير إنكلترا ليتعلم فن الدبلوماسية، وعاد عند وفاة والده، فقرر أن يدرس القانون، ثم بدأ ممارسة المهنة. وقضى سنوات عديدة يعمل في ظل شخصيات هامة مثل ESSEX OF EARL الذي ساعده في مهنته، وإن كان قد حصل على مقعد في البرلمان بمساعدة عمه. غير أنه عندما قُدّم ESSEX للمحاكمة بتهمة الخيانة، وقف بيكون إلى جانب الملكة، وطالب بمعاقبة الإنسان الذي أحسن إليه.

عندما جلس الملك جيمز الأول على العرش حظي برعايته وتقل في وظائف هامة، فتولى منصب النائب العام، والرئيس الأعلى للقضاء وغيرها. ولكن في 1621 اتهم بالرشوة (واعترف بذلك) وحكم عليه بالسجن وبغرامة كبيرة، وحرم من تولي أي وظيفة في الدولة، ف قضى بقية وقته في البحث والكتابة. وتجدر الإشارة إلى الفرق الكبير بين تعاليم بيكون السامية وسلوكه الدنيء والانتهازي. وقد قال عنه أحد الأدباء، هو ألكسندر بوب، «إنه أحكم البشر، وأذكاهم، وأحقّهم».

اشتهر بيكون بمؤلفاته الفلسفية، فقد كان يرى أن فلسفة أرسطو فلسفة «قاحلة لا تنتج الأعمال التي يستفيد منها الإنسان». لذلك كان يطمح إلى إنشاء نظام فلسفي يحل محل فلسفة أرسطو. وكان أسلوبه عملياً وتجريبياً يدعو إلى استخدام العقل والمنطق من أجل تطوير العلوم وجمع المعلومات كما حاول أن يجعل العلوم في متناول الجميع.

الرحلة

واشتهر بكون كذلك بمقالاته التي تحتوي على تأملات حول الحياة وسلوك الإنسان. توفي في شهر أبريل من عام 1621 نتيجة الإصابة بـ زكام بينما كان يجري تجربة لحفظ اللحوم في وسط الثلج. وفيما يلي مقتطفات من بعض مقالاته :

- الفضيلة مثل الحجرة الكريمة، لا تحتاج إلى زخرفة.
- الفضيلة مثل العطور الثمينة، تنشر عطرها عندما تسحق أو تحرق، ذلك لأن الثراء يكشف عن الرذيلة والشدائد تكشف عن الفضيلة.
- الجمال مثل فاكهة الصيف، سرعان ما تفسد.
- بعض الكتب تذاق فقط، وبعضها تبتلع بسرعة، وقليل منها تحتاج إلى المضغ والهضم.
- الزوجات عشيقات للشباب، رفيقات لمتوسطي العمر، وممرضات للكهول.
- يخاف الناس من الموت كما يخاف الأطفال من الظلام.
- اغضب ولكن لا تذب، ولا تترك الشمس تغيب قبل أن تطرد غضبك.
- صاحب الوظيفة العالية عبد لثلاث : للسلطان، للشهرة، وللمهنة.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

- العظمة الحقيقية أن يجتمع في المرء ضعف الإنسان وأمن الإله.
- الإفراط في طلب السلطة أدى إلى سقوط الملائكة، والإفراط في طلب العلم أدى إلى سقوط الإنسان.
- يروى عن ARAGON OF ALONSO أنه قال يحمد القدم في أربعة: الحطب القديم للتدفئة، والخمر القديم للشرب، والصديق القديم للثقة، والمؤلف القديم للقراءة⁽¹⁾.
- في العهد القديم (التوراة) الثروة نعمة؛ في العهد الجديد (الإنجيل) الشدائد نعمة.

(1) هذا القول بصدد مدح كبر السن.

• مونتيسكيو :

ولد عام 1689 في مدينة Bréde La بالقرب من بوردو. وضع وهو طفل تحت رعاية أسرة فقيرة لكي يتعلم مبادئ الأخوة بين جميع الناس. ثم أرسل إلى مدرسة لدراسة الأدب والتاريخ والعلوم، وبعد ذلك بدأ يعد نفسه ليعمل في مجال القانون. وبعد وفاة أبيه تولى عمه رعايته . وبعد وفات عمه ورث ممتلكاته وسمعته ووظيفة رئيس برلمان مدينة بوردو. وفي عام 1727 أصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية. وقام برحلة إلى مدن أوروبية زار خلالها فيينا، إيطاليا، وانكلترا، فأعجب بالنظام السياسي التحرري في انكلترا. وجمع أثناء جولته معلومات عن المؤسسات الاجتماعية والقانونية إذ بدأ يخطط لكتابه الشهير «روح القوانين».

كتب مونتيسكيو بحوثاً عن موضوعات متنوعة مثل تاريخ الرومان؛ وحركة البحار؛ والصدى؛ وأسباب التسمم؛ وشفافية الأجسام ووزنها؛ والبقايا الاحفورية، وغير ذلك. ونال شهرة كبيرة عندما نشر كتابه «الرسائل الفارسية» وهي مراسلة خيالية بين رجلين من بلاد فارس يزوران أوروبا، ينتقد المؤلف على لسانهما حماقات المجتمع الفرنسي ومساوئ مؤسساته.

وفي سنة 1748 أصدر كتابه الشهير «روح القوانين» الذي ظل يعمل نحو عشرين عاماً على تأليفه. ولم يلق هذا الكتاب قبولاً حسناً من أصدقاء النظام الحاكم في فرنسا، ولكن كان حظه أوفر في البلدان الأوروبية الأخرى، وخاصة في إنكلترا. وفي هذا الكتاب يحلل

مونتيسكيو أنواع النظم الحكومية، آخذاً في الاعتبار تأثير الظروف الجغرافية والتاريخية والعادات والتقاليد على القوانين الموجودة في البلدان المختلفة، وينتقد النظام الملكي في فرنسا، ويدعو إلى نظام ملكي متحرر.

وأود أن أشير بإيجاز إلى الانتقادات الجائرة التي وجهها مونتيسكيو في هذا الكتاب إلى الإسلام، فهو يقول مثلاً بما أن الديانة المسيحية توصي بأن يحب الناس بعضهم البعض الآخر، فإنها بدون شك صالحة لأن تجعل أيّ أمة تنعم بأفضل القوانين المدنية والسياسية.

ويقول: «إن الحكم المعتدل المرن يلائم الدين المسيحي أما النظام الاستبدادي فيلائم الدين الإسلامي، لأن ما تضمنه الإنجيل من اعتدال ورحمة وتسامح ينافي الاستبداد الأعمى الذي يعامل به الأمير رعاياه». ويضيف قائلاً: «بما أن الدين المسيحي يحرم تعدد الزوجات فإن ذلك يمكن الحاكم من الاتصال برعاياه مما يشجعهم على تقبل القوانين».

ويرى مونتيسكيو في كتابه «روح القوانين» أن الحكام في الإسلام يفكرون دوماً في قتل منافسيهم على الحكم، وهم بدورهم معرضون للقتل. بينما «نجد الحكام في المسيحية أقل عنفاً وأكثر ثقة برعاياهم. فما أسعد الدين الذي يلح على العمل لنيل سعادة الآخرة، ولا ينسى إسعاد الناس في الدنيا». ويقول بينما ينبغي ألا تنسى ما تسبب فيه القواد اليونانيون والرومان وملوكهم من دمار، وما أحدثه غزاة مثل جنكيز خان وتيمورلنك من قتل وخراب، فإننا مدينون للمسيحية بقوانين دولية تتعلق بالحروب. وبفضل ذلك فإننا عندما

ننتصر يوفر انتصارنا مزايا كبيرة للمغلوبين على أمرهم، بأن تترك لهم حريتهم وثرواتهم، وقوانينهم، وبصفة خاصة دياناتهم، وذلك عندما يكون المنتصر واعياً لمصالحه.

ويقول هذا الكاتب ما معناه: وبالنتيجة فإنه بالنظر إلى مزايا الدين المسيحي وخصائص الدين الإسلامي، ينبغي لنا دون مزيد من البحث، الإقبال على الأولى والابتعاد عن الثانية. وإنه لمن سوء حظ الفطرة الإنسانية أن يفرض المحتل ديانته على المغلوبين على أمرهم. والدين الإسلامي الذي لا يتحدث إلا بحد السيف، مازال يعامل الناس بتلك الروح الهدامة التي كانت دعامة تأسيسه. فهل أصدر مونتيسكيو هذا الحكم الجائر على الإسلام عن جهل؟ أم تعصباً لمسيحيته. وأثناء زيارة لباريس نهاية عام 1754 أصيب مونتيسكيو بالحمى، وتوفي في شهر فيفري من عام 1755.

● فولتير:

اسمه الأصلي هو Arouet Marie Francois ولد في باريس عام 1694. أبوه موثق، ولا يعرف شيء عن أمه التي توفيت وعمره سبع سنوات. بعد أن أنهى دراسته، توظف فترة في السفارة الفرنسية في لاهاي. بدأت متاعبه مع السلطات عام 1717، عندما كتب مقالاً سخر فيه من وصي العرش (دوك أورليان) فسجن لمدة أحد عشر شهراً في سجن الباستيل. وفي العام التالي كتب مسرحية «أوديب»، واختار لنفسه اسم «فولتير».

وفي عام 1726 تشاجر مع أحد النبلاء الذي سخر من اسمه فدعاه فولتير إلى المصارعة. ولكن في الموعد المحدد لهذه المصارعة سيق إلى السجن، ثم اضطر إلى الرحيل إلى إنكلترا. وتعلم اللغة الإنكليزية، وعاشر النوادي الأدبية والشخصيات الهامة، وأعجب بما وجد من حرية التعبير، وأنعش خياله ما لاحظ من جدة وتغيير في المجتمع الإنكليزي.

عاد فولتير إلى فرنسا عام 1729، وكتب تراجيدية Brutus، وزائير، وتاريخ شارل الثاني عشر وغيرها. ونشر كتاباً هاماً عنوانه «الرسائل الفلسفية» عام 1734، ناقش فيه موضوعات أدبية واجتماعية وسياسية ودينية في إنكلترا، مع المقارنة بالأوضاع في فرنسا.

وكان فولتير عندما يمدح في هذا الكتاب، ما يتمتع به المجتمع الإنكليزي من حرية أو الملكية البرلمانية، يهاجم تعصب رجال الكنيسة

الرحلة

واستبداد الحكام في فرنسا. وعندما يشيد بالفلاسفة الإنكليز، ينتقد الاتجاهات الفلسفية السائدة في فرنسا.

كان فولتير مستعداً لانتهاز الفرصة فيجرد قلمه في سبيل الحرية الأدبية والسياسية والدينية. ولذلك واجه بشجاعة النفي والسجن عدة مرات. وهذا ما حدث عندما نشر الكتاب المذكور «الرسائل الفلسفية»، إذ أصدرت السلطات الفرنسية الأمر بالقبض عليه، ففر إلى منطقة اللورين (Lorraine) حيث عاش مع السيدة La Châtelet du Marquise في قصر CIREY. وأثناء هذه الفترة كتب عدة مسرحيات، وبدأ العمل في كتابه ((عصر لويس الرابع عشر))، وغيره؛ عاش مع هذه السيدة مدة عشر سنوات. كانت مولعة بالفيزياء والرياضيات فأنشأ معها مختبراً للعلوم الطبيعية.

وفي 1744 استدعى إلى فرساي حيث حظي بالترحيب والتكريم، وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية، كما أصبح مؤرخ الملك لويس الخامس عشر. ولم تخل إقامته في فرساي من المقلقات، إذ أن الفئات المتعصبة في القصر لم ترتح لوجود هذا الكاتب الثائر. بل حتى الملك نفسه سرعان ما بدأ يبدي امتعاضه من وجوده. ثم جاءت وفاة السيدة du Châtelet عام 1749، فحزن لذلك حزناً عميقاً.

كان فولتير قد تصادق، في فترة سابقة، مع ولي عهد بروسيا أثناء إقامته في فرنسا، وعندما تولى العرش ألح على فولتير ليرحل لزيارته، فلبى الدعوة في جوان 1750، وأقام لديه في برلين وبوتسدام. غير أن فولتير لم ينسجم مع الظروف الجديدة طويلاً،

ودخل في نزاعات شخصية، وانتقد رئيس أكاديمية برلين، فأغضب ذلك الملك الذي عزم على معاقبته.

ترى إلى أين المفر هذه المرة؟ كان الملك لويس الخامس عشر منعه من الدخول إلى باريس، فقرر في النهاية أن يقيم في جنيف حيث اشترى منزلاً، واتجه إلى البحث والإنتاج فأتم كتابه «عصر لويس الرابع عشر»، وكان يبدأ تأليف كتاب ويتركه ثم يعود إليه بعد حين. ورغم ما لقي في البداية من ترحيب في جنيف، إذ أصبح كثير من الناس يرى فيه رائد التحرر وعدو الاستبداد والتعصب، لم يدم استقراره طويلاً. فقد كانت موسوعة DIDEROT تتضمن مقالاً لفولتير أثار فيه غضب رجال الدين وكثير من المثقفين في سويسرا. وكتب جان جاك روسو مقالاً شذب فيه فكرة إنشاء المسارح التي دعا إليها فولتير عندما انتقد أهل سويسرا لكونهم لا يهتمون بالأعمال المسرحية.

في نهاية 1758، اشترى فولتير مزرعة FERNEY، في فرنسا بالقرب من حدود سويسرا. وقام بأعمال عديدة بالإضافة إلى التأليف، فبنى كنيسة، وأنشأ المصانع. وكان يستضيف في مزرعته الكبيرة عدداً كبيراً من الزائرين حتى أصبح منزله يعرف بفندق أوروبا. وقد ألف فولتير كتباً كثيرة لا مجال لحصرها هنا. منها قصته المشهورتان «كنديد» و«زاديك» و«القاموس الفلسفي»، و«فلسفة التاريخ»، وغيرها. وقد دافع عن المظلومين وضحايا الاضطهاد الديني والسياسي، ونادى باحترام حقوق الإنسان، وثار ضد الاستبداد، وكان لأفكاره تأثير كبير على زعماء الثورة الفرنسية.

الرحلة

عاد فولتير إلى باريس عندما بلغ ٨٤ سنة، وتوفي يوم ٣٠ ماي عام ١٧٧٨ ونقلت رفاته بعد اندلاع الثورة الفرنسية إلى البانتيون.

ومن الغريب أن نجد بين مؤلفات هذا الكاتب العظيم بما له من أفكار تحررية، مسرحية تدعى "MAHOMET" هاجم فيها الرسول (ﷺ)، وادعى بأنه رجل مخادع دجال.

ومن أقواله :

- لأن نرتكب خطأً من أجل أن ننقذ مذنباً خير من أن نغامر للحكم على رجل بريء.
- أسعد مخلوق من يرتفع فوق مستوى ممتلكاته.
- هناك حقائق لا تصلح لكل زمان ومكان.
- العمل ينقذنا من ثلاثة شرور: الملل، والفساد، والحاجة.
- قد لا أوافق على ما تقول، ولكنني أدافع حتى الموت عن حقك في أن تقول ما تريد.

• جان جاك روسو :

ولد عام 1713 في جنيف لأسرة بروتستانتية، وماتت أمه بفترة قصيرة بعد ولادته. كانت مهنة أبيه صنع الساعات، وقد شجعه كثيراً على القراءة في سن مبكرة، وقرأ معه عدداً من الكتب. ولكن أباه اضطر لمغادرة جنيف فرباه خاله. وبعد إتمام تعليمه الابتدائي حاول أن يتعلم مهنة النقش، غير أنه لم يثبت على ذلك.

وفي عام 1728، فر من جنيف بمساعدة جماعة كاثوليكية في منطقة سافوا (SAVOIE) والتقى بالسيدة وارنز، في مدينة (ANNECY)، وقد أقنعتة هذه السيدة باعتناق المذهب الكاثوليكي، واهتمت بتعليمه، وأرسلته إلى مدينة تورينو ليتلقى دروساً دينية، غير أنه لم يشارك فيها إلا أياماً قلائل، ثم عاد إلى منزل هذه السيدة ليواصل تعليمه الديني. وحاول أن يتعلم مهنة، كما اهتم بدراسة الموسيقى. وأقام معها حتى عام 1740 انكب أثناء هذه الفترة على دراسة التاريخ والفلسفة، والشعر، وغير ذلك. ووفرت له الرعاية والحماية، وأصبحت عشيقته، وإن ظل هو ينظر إليها كأُم.

بعد أن غادر السيدة وارنز، راح يعلم الموسيقى ليكسب عيشه، وعمل كمعلم خصوصي لدى أسرة ثرية في مدينة ليون، بضعة أشهر، ثم ذهب إلى باريس، وبعد مدة قصيرة غادرها إلى البندقية حيث حصل على وظيفة كاتب في السفارة الفرنسية. ولم يمكث إلا شهراً في هذه الوظيفة.

وعاد إلى باريس عام 1744، حيث كان عمله في الموسيقى مصدر عيشه واتصل بالنوادي الأدبية، وساهم في موسوعة كان يعدها جماعة من الأدباء بمعرفته في ميدان الموسيقى. وتعرف على امرأة أمية تعمل في الفندق الذي كان يقيم فيه وأنجبت له خمسة أطفال أرسلهم إلى دار اللقطاء. وأخيراً تزوج هذه المرأة، واسمها Thérèse Levasseur في عام 1768. وتبسم له الحظ فتمكن من أن يحصل على وظيفة كاتب لدى أسرة Duppin، وثبت في هذا العمل من 1745 حتى 1752.

وبدأ عمله الأدبي عندما طرحت أكاديمية DIJON جائزة لأحسن مقال عن موضوع «هل تقدم العلوم والفنون يؤدي إلى إصلاح الأخلاق أو إفسادها؟» وحصل روسو على الجائزة الأولى نال بها شهرة. واختار أن يعيش بين أحضان الطبيعة فعاش خلال الفترة 1756 - 1762 في منزلين بالقرب من باريس، وكرس وقته للكتابة فأنتج كتابيه المشهورين «إميل، أو التعليم»، و«العقد الاجتماعي»، نشر كليهما عام 1752. ويركز كتابه الأول على موضوع تعليم الأطفال، وأنه يجب أن يتم على الأسس التي تملئها الطبيعة، وينبغي حفظهم من مضار الحضارة، كما نصح بأن يكون التعليم بأسلوب التعاون الحر بين المعلم والتلميذ.

أما «العقد الاجتماعي» فلخص فيه آراءه السياسية التي تدور حول حرية الناس وتساويهم في الحقوق، وسيادة الشعب، وأن أسس المجتمع السليم ترتكز على عقد اجتماعي يرفع المصالح المشتركة، ويحمي حقوق جميع السكان. وكتب روسو كتباً ومقالات أخرى هاجم

فيها أسس المجتمع ، وقال إن الملكية هي سبب الظلم وعدم المساواة. وانتقد البرلمان، والكنيسة وأصحاب السلطة. وقد تأثر زعماء الثورة الفرنسية بأرائه.

وأثارت آراؤه حول السياسة والديانات زوبعة كبيرة، فصادر برلمان باريس كتابيه «إميل» و«العقد الاجتماعي»، وثار السكان ضده، وطالب مسؤولون في جنيف بحرق هذين الكتابين. واضطر روسو للفرار إلى سويسرا عام 1762، وعاش هناك عيشة غير راضية حتى عام 1765. وفي نهاية عام 1764 أرسل إليه منشورا يهاجمه هجوماً عنيفاً، وقد أزعجه كثيراً أن يكتشف أن كاتب هذا المنشور هو فولتير. وتحت تأثير هذه الصدمة بدأ يؤلف كتابه «الاعترافات».

ولم يجد الراحة والاطمئنان في سويسرا، فرحل إلى إنكلترا في سبتمبر 1765، وعاش هناك في ضيافة الفيلسوف الإنكليزي David Hume، غير أن هذه الصداقة لم تدم طويلاً. ورجع روسو إلى فرنسا في العام التالي، فاتخذ اسماً مستعاراً وظل يتنقل من مدينة لأخرى، وتزوج السيدة Thérèse كما سبق، وواصل عمله في كتابه الضخم «الاعترافات»، وهو تسجيل لسيرته وقصة حياته. وعاش في الفقر والعزلة إلى أن مات في جويلية من عام 1778 ومن أقواله :

- ما لم يكن المرء مجنوناً، يمكن علاجه من أي داء، ما عدا الغرور.
- أسعد الناس أقلهم معاناة، وأشقاهاهم أقلهم قدرة على التمتع بالحياة.

الرحلة

- هناك كتاب يوفر ، في رأي ، أفضل وسيلة للتعليم الطبيعي .
هل هو أرسطو؟ هل هو بلايني أم بوفون؟ كلا! إنه روبنسون كروسو .
- يولد المرء حراً ولكنه يعيش طول حياته في الأغلال .
- ما أصعب أن يكون المرء نبيلًا إذا كان كل همه أن يحصل على قوت يومه .
- شيء واحد يبرر احتلال بلد لبلد آخر هو منطق القوة .

• سنوحي⁽¹⁾:

أنا سنوحي، الخادم الوفي للفرعون العظيم، أمنمحات الأول، الذي أوكل إلى الإشراف على ابنته الأميرة وعلى حريم القصر الملكي. ومات سيدي الفرعون، فصعدت روحه إلى السماء حيث اتحدت مع قرص الشمس. وساد القصر سكون رهيب، وخيم الحزن فراح الناس ييكون رحيله في كل مكان. وكان الفرعون قد أرسل ابنه الكبير «سانو» في جيش عظيم ليخضع القبائل البربرية في الصحراء الليبية، وصدر الأمر إلى جميع الأمراء في القصر ألا يفشوا خبر وفاة الفرعون. ولكنني كنت ممن سمعوا هذا الأمر داخل القصر، فقلت لنفسي «أنت في خطر يا سنوحي، لأنه إذا انتشر الخبر الخطير سيظن الجميع أنني أنا الذي أفشيت السر».

شعرت بخوف شديد، فخرجت من القصر ورحت أفتش عن مكان أختبئ فيه مؤقتاً. بدأ قلبي يدق بسرعة، ورجلاي ترتجفان، والعرق يتصبب على جبيني. وتصورت أن الصراع قد بدأ داخل القصر بين من يتنافسون على عرش الفرعون، فقررتُ ألا أعود إلى القصر. مشيت ليلاً ونهاراً، وسافرت طويلاً، ونال مني العطش والجوع والتعب حتى كدت أموت. وذات يوم لقيت قبيلة بدوية، فعرفني شيخها لأنه كان قد أقام عندنا في مصر. رحب بي بحرارة وسرت مع أفراد القبيلة كأنتي واحد منهم حتى وصلت إلى سوريا فأقمت بها.

(1) ملخص من قصة DIVIN MARGUERITE .

وذات يوم استدعاني أمير البلاد ورحب بي، وكان بعض المصريين ممن يعيشون في دياره أبلغوه خبري. ورغب الأمير في أن يعرف ماذا حدث في قصر الفرعون، ومن خلفه في السلطة، ولماذا خرجت من مصر. فأخبرته بحقيقة الأمر، وهي أنني سمعت خبراً لم يكن من حقي أن أسمعه، فخفت على حياتي وغادرت بلادي. كما حدثته عن «سانو» ابن الفرعون الذي سيتولى السلطة بعد أبيه، وأضفت أنه رجل صالح وحليم، وأني أود أن يسمع الفرعون الجديد أخباراً حسنة عن الأمير حتى إذا أرسل حملة إلى هذه البلاد سيعامل الأمير بما يستحق من تقدير واحترام.

لقيت معاملة حسنة من الأمير، فزوجني ابنته، وأقطع لي أرضاً على الحدود تتوافر فيها جميع الخيرات من نخيل وعنب وتين وزيت وخمور وأغنام وقمح وخيول، وجعلني رئيس القبيلة في تلك المنطقة. عشت في هذه الديار سنين عديدة حتى كبر أولادي وأصبح كلٌّ منهم رئيس قبيلة. ولم أنس خلال إقامتي أن أطعم الجائع وأروي العطشان وأغيث التائه والمظلوم. ألم أخرج من بلادي خائفاً، تائهاً لا أملك شيئاً؟! وكلفني الأمير بالدفاع عن حدود بلاده ضد البدو المعتدين. ولا أخفي أنني كنت في كل حملة أخوضها برجلي أعود بالأسرى وقطعان الماشية، وكان الأمير يمدح حسن تدبيري ورباطة جأشي.

ومرت السنين وبدأت الشيخوخة تدب في جسمي. وزادت رغبتني في العودة إلى بلادي، فكتبت رسالة إلى الفرعون أطلب عفوهُ وأستسمحه في العودة إلى مصر. وكم كان فرحي شديداً عندما وصلني جواب منه يأمرني بالعودة حتى لا أموت في بلد أجنبي،

ويعدني بأنني سأجد في مصر كل ما يسرني. نظمت حفلاً كبيراً
لأسلم أثنائه جميع ممتلكاتي لأولادي، وأصبح كبيرهم هو رئيس
قبيلتي، وسلمته عبيدي وقطعاني، ثم خرجت في جماعة من رجال
قبيلتي رافقوني حتى الحدود.

أرسل قائد حرس الحدود المصرية إلى الفرعون يخبره بوصولي،
فبعث الفرعون سفينة محملة بالهدايا لتوزع على البدو الذين رافقوني؛
ثم ودعتهم وركبت السفينة والسعادة تغمر قلبي. وكان ريان السفينة
رجلاً كريماً، يحضر لي الجعة كل يوم إلى أن وصلنا إلى مدينة تايثو.
وهناك لقيني عشرة رجال قادوني إلى القصر، ثم صحبني رجال
آخرون إلى قصر الفرعون. ولما لقيته رميت نفسي أمامه، فخاطبني
بعبارات لطيفة. نطقت بكلمات التقدير واعتذرت عن غيابي، وقلت
هذه إرادة الإله آمون رع، وفي يد جلالتك الحياة والموت، وأنا خاضع
لإرادتكم راض بحكمكم. والتفت الفرعون إلى الملكة قائلاً : هو ذا
سنوحي لقد أصبح أشبه بالبدوي منه بالمصري.

وحضر أطفال القصر فأنشدوا نشيداً في مدح الفرعون، وفيه
عبارات تسأله أن يعفو عني. أمر الفرعون أن يصحبوني إلى القصر
لأعيش بين الحكماء والمستشارين الذين يحيطون بالفرعون. حلقت
ونظفت شعر رأسي، وتخلصت من الملابس القديمة وتعطرت، فشعرت
كأن الشباب يعود لي وبعد مدة رحت أفكر في مثواي الأخير الذي
سيكون مقر خلودي، فبنوا لي هرمًا لأدفن فيه، كما أعدوا صندوق
الدفن، والتمائيل والأثاث والعطور وجميع الأدوات واللوازم التي توضع
في قبري عندما يحين الوقت. وعشت أنعم برعاية الفرعون ورضاه في
انتظار اليوم الموعود.

• من حكايات كانتربري للشاعر الإنكليزي تشوسر

الحكاية التي يقصها القسيس :

كانت أرملة فقيرة تعيش مع ابنتيها في كوخ صغير، وكان لها عدد من الحيوانات في حظيرتها، من بينها ديك له صوت جميل، يعيش وسط سبع دجاجات. وذات صباح، بينما كان يتجول بجوار الكوخ وجد نفسه فجأة أمام ثعلب كان يرصد حركاته. وفكر الديك في الفرار غير أن الثعلب بادره. قائلاً : ما أحلى نغمات صوتك أيها الديك الجميل، أرجوك أن تمتعني بصوتك لحظة. ومدّ الديك عنقه وأغمض عينيه ليطلق أنغامه، ولكن الثعلب انقض على رقبتة وفر به. ساد الحظيرة ضجيج كبير إذ صاحت الدجاجات بأعلى صوتها، وصاحت معها بقية الحيوانات، وخرجت الأرملة وابنتاها فركضن وراء الثعلب وركض معهن الجيران.

طلب الديك من الثعلب، وقد كاد يختفي وراء الأشجار، أن يبلغ من يركضون وراءه بأنهم لن يستطيعوا أن ينقذوا الديك، وفتح الثعلب فاه ليتحداهم فقفز الديك إلى شجرة قريبة. وحاول الثعلب أن يخدع الديك مرة أخرى بمزيد من الشئ، غير أن الديك تعلم أن الغرور يهلك صاحبه، كما تعلم الثعلب أن الكلام في غير وقته خسارة تجلب الندامة.

● مقدمة حكاية امرأة من «بات» :

لقد تزوجتُ مرات عديدة، وتمتعتُ بذلك كثيراً، غير أنني مازلت أتساءل: كم مرة يجوز للمرأة أن تتزوج؟ يروى أن المسيح لم يحضر حفل زواج إلا مرة واحدة، فهل معنى هذا أنه لا يجوز للمرأة المسيحية مثلى أن تتزوج إلا مرة واحدة؟! وإلا فما هو عدد الأزواج الذي تسمح به شريعتنا للمرأة؟ وبكل صراحة إنني لا أرغب بأن أبقى بدون زوج. وسأرحب بزواج آخر إذا تقدم إلى الرجل المناسب. ألا تنصحننا الشرائع بأنه أفضل للمرء أن يتزوج من أن يقع في مستنقع الخطيئة؟

وهذا سيدنا إبراهيم تزوج أكثر من امرأة ؛ وكذلك فعل سليمان ويعقوب وغيرهم من أنبياء الله. ولذلك فإنني لم أحفل بكلام الناس، وكنت كلما توفي زوج فتشت عن زوج آخر. قولوا لي أيها الناس لماذا خلقت أعضاء التناسل؟ فهل خلقت للتبول فقط؟ كلا! لقد خلقت للتناسل والمتعة. أو لم يرد في الكتاب المقدس أنه يجب على الزوج أن يقوم بواجبه الجسدي نحو زوجته؟!

دعوني ... أقص عليكم حكاية زواجي بكل صدق وصراحة؛ وأرجو ألا تشمئزوا من صراحتي فقصدي هو الترفيه عليكم كذلك. كان ثلاثة من أزواجي مسنين، ولكنهم كانوا أثرياء ومواطنين صالحين. وكان اثنان منهم قساة أشراً. وكان الثلاثة الأوائل لا يقدرّون على أداء واجبهم نحوي إلا بمشقة لكبر سنهم. وكانوا يشعرون بإنهاك طوال الليل لما يبذلون من جهد عند مضاجعتي. ومن حق زوجي أن يتمتع بجسدي، ولكنه يجب أن يكون مطيعاً، وأن ينفذ مطالبي ولو أزعجه ذلك وأتعسه.

والحق أقول إنه بعد أن منحني الثلاثة الأوائل أموالهم وعقاراتهم، لم أعد في حاجة للتودد إليهم ولا لبذل أي جهد لإرضائهم . وكانوا يشعرون بالغبطة والسعادة إذا عاملتهم بلطف، ويجلبون لي مزيداً من الهدايا . أيتها الزوجات التعسات، اسمعن نصيحتي، وتعلمن كيف تلجأن للحيلة والمخادعة للسيطرة على أزواجكن . إن المرأة تتقن الكذب والمراوغة وأساليب القسم والتذمر والتحسر أحسن من الرجل، وهذا يساعدها على نيل ما تريد لأنه ينكد حياة زوجها .

لقد سيطرتُ على أزواجي الثلاثة المسنين، وكنت أوجههم، حسب الحاجة، بالأسلوب المناسب . أستعمل اللين والملاطفة حيناً، والحيلة والمراوغة تارة، والجرأة والشدة والعناد أحياناً أخرى . كنت أبدأ بالشكوى ولو كنت مخطئة، وأتهمهم بأنهم يحبون غيري ويسهرون مع معشوقاتهم، مع علمي أنهم منهكون بسبب الشيخوخة ومضاجعتي .

وقد منحني الله دهاء فطرياً؛ والقدرة على الكذب والمراوغة، فساعدني على امتلاك قلوب هؤلاء الأشقياء الثلاثة وأموالهم . وكنت أتظاهر بالمتعة معهم في الفراش، وألاطفهم ولو كانت نفسي تشمئز من مضاجعتهم . ولكنني كنت أستغل فرصة العناق في الفراش فأرفض لهم بقية المتعة حتى أحصل على ما أريد . وكان منهم من يظهر بمظهر الأسد في البداية، ولا يستسلم لطلبي بسهولة، غير أن رغبته الشديدة في التمتع بجسمي الجميل تجعله يستسلم مثل الخروف .

أما الزوج الرابع فكانت له عشيقة يلتمس المتعة معها . فلجأت إلى إثارة الغيرة في قلبه، ورحت أنتهز فرص لقائنا مع أصدقائه،

وأعاملهم بلطف زائد وإغراء يلهب مشاعرهم؛ وأقسم إنني لم أضاجع واحداً منهم. وكان زوجي التعس يشتاط غيظاً من شدة الغيرة. ولا أنسى أن دفنه كلفني غالياً لأنه كان يحب البذخ. فلينزل الرب الرحمة على روحه. وكان زوجي الخامس قاسياً في معاملتي ومع ذلك كنت أحبه حباً شديداً. وحتى عندما يضربني كان يحظى برضائي بعد قليل. ومن الغريب أن النساء يحببن الرجل الذي يصعب إرضاؤه ، لأن ذلك يخولهن اللجوء إلى الإغراء والحيلة لإرضائه أو السيطرة عليه.

ولم يكن الزوج السادس يتجاوز العشرين، بينما كنت قد بلغت الأربعين. غير أن جسمي كان جميلاً وشهواتي عارمة. ولم يكن هذا الزوج غنياً، بل طالبا في جامعة أكسفورد. وكان شاباً لطيفاً ومؤدباً، وكنت قد جمعت ثروة لا بأس بها من أزواجي السابقين. وقد أصبحت ذات خبرة، متمرسّة بشؤون الرجال. واستسلمت بكل جوارحي لهذا الشاب القوي، وسلمته جميع أموالي وعقاراتي. غير أن حكايتي معه كانت حزينة.

فقد جلس ذات ليلة كعادته يقرأ كتاباً يروى حكايات كثيرة عن نساء شهيرات تسببن في شقاء أزواجهن وهلاكهم. منها قصة حواء التي أغرت آدم وأخرجته من الجنة إلى دار العناء والشقاء، وتسببت في تعاسة ذريته حتى يومنا؛ وقصة شمشون الذي قصت عشيقته شعر رأسه، ففقد قوته وبصره؛ وقصة هيركول (هرقل) الذي تسببت زوجته في هلاكه؛ وسقراط العظيم الذي سكبت زوجته البول على رأسه؛ وليفيا التي سممت زوجها؛ ولوسيا التي سقت زوجها شراباً مثيراً للشهوات كي يبقى معها طول الوقت، فمات بسبب هذا الشراب.

وحكاية لاتوميوس الذي ذكر لصديقه آريون أن ثلاثاً من زوجاته شنقن أنفسهن في شجرة في حديقته، فقال صديقه «أرجوك أن تعطيني غصناً من هذه الشجرة أغرسه في حديقتي».

واستمر زوجي الشاب يتحدث عن غدر الزوجات وخيانتهم، مستشهداً بأمثال كثيرة. وساءني جداً أن يذكر كل هذه الأخبار السيئة عن النساء، فأخذت الكتاب المشؤوم ومزقت منه ثلاث صفحات . وفاجأني الشقي بضربة قوية على رأسي فوقعت على الأرض، وبسببها فقدت السمع بإحدى الأذنين. وأسرع فاعتذر عما فعل، فلطمته بقوة على وجهه. وفي النهاية وافق على أن يحرق ذلك الكتاب اللعين، وأن يسلم لي سلطة إدارة المنزل والأراضي التي كنت أملكها. ولما نجحت في السيطرة على الأمور بقيت مخلصه له. وأسأل الرب أن ينزل مزيداً من الرحمة على روحه.

• الحكاية التي تقصها المرأة من «بات»

تبدأ حوادث هذه القصة في قصر الملك آرثر؛ حيث اغتصب أحد الفرسان امرأة فحكم عليه بالإعدام. وطلبت الملكة من الملك أن يعفو عنه، فوضع هذا الأخير حياة الفارس بين يديها. وأبلغت الملكة هذا الفارس بأنها ستعفو عنه إذا أجاب على السؤال: «ما هو الأمر الذي ترغب فيه المرأة أكثر من أي شيء آخر». وأمهلتها مدة عام ويوم ليعود إليها بالجواب.

وزار الفارس أقطاراً كثيرة، وجال شرقاً وغرباً، ولكنه لم يجد شخصين متفقين على جواب واحد على السؤال المذكور. وفي طريق عودته إلى قصر الملك آرثر، شاهد ذات يوم مجموعة من النساء يرقصن في غابة؛ ولما اقترب منهن ليسألهن السؤال نفسه، اختفين جميعاً فجأة، وظهرت له عجوز شمطاء. طرح عليها الفارس السؤال فقالت بأنها ستعطيه الجواب إذا عاهدها بأن ينجز ما تطلب منه. وافق على طلبها فأسرت له بكلمة في أذنه وواصل طريقه.

وفي القصر أعلن الفارس، أمام الملكة والمجتمعين، بأن الشيء الذي ترغب فيه المرأة دائماً هو أن تسيطر على زوجها. وافقت النساء على أن هذا هو الجواب السليم، ونال الفارس حريته. وفجأة ظهرت له العجوز الشمطاء وطلبت منه أن يفي بوعدته ويتزوجها. عبثاً حاول أن يرضيها بأي حل آخر، ولكنها أصرت على الزواج. تزوجها الفارس وفاء بوعدته؛ وعندما اختلى بها سألتها ما إذا كان يرضى بها كما هي عجوز

الرحلة

قبيحة ولكن وفية، أم يريد لها صغيرة السن جميلة ولكنها مستهترة. فكر الفارس ملياً ثم قال إنه يضع أمره بين يديها ويترك لها الاختيار. وفجأة تحولت إلى فتاة رائعة الجمال، وأقسمت له إنها ستكون زوجة وفية مخلصه، لأنه ترك لها الاختيار ولم يفرض إرادته عليها. وعاشا سعيدين إلى آخر حياتهما.

• الحكاية التي يقصها بائع شهادات الغفران :

كانت مجموعة من الشبان في إحدى مدن فلاندرز (FLANDERS) منغمسين في شرب الخمر ولعب القمار ومعاشرة العاهرات، متنافسين على ارتكاب المعاصي. وذات يوم سمعوا بموت صديق لهم، فأقسموا أن ينتقموا من الموت وراحوا يبحثون عنه. وفي طريقهم عثروا على رجل مسن أخبرهم بأن الموت يوجد تحت شجرة في غابة مجاورة. فسخروا منه، وقصدوا تلك الشجرة. وجدوا عند الشجرة كنزاً من الذهب ألهاهم عن هدفهم. اتفقوا على أن يتركوا الكنز حتى يأتي الليل لكي لا يثيروا شكوك الناس. وأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليأتيهم بقليل من الأكل والشراب.

أثناء غيابه اتفق رفيقاه على قتله عند رجوعه لينفردا باقتسام الكنز دونه. وفكر صاحبهما كذلك في أن يقتلها لينفرد بالكنز، فوضع سماً في زجاجتين من الخمر وعاد إلى رفيقيه. وما إن حضر حتى هجما عليه وقتلاه، ثم جلسا للأكل والشراب مبهتهجين بكنزهما. ولكن الموت كان لهم جميعاً بالمرصاد تحت الشجرة، كما قال الرجل.

• الحكاية التي يقصها ناظر الضيعة :

كان طحان يعيش قرب مدينة كمبردج، وكان عمله ناجحاً لأنه اعتاد أن يسرق من الحبوب التي يجلبها الزبائن إلى طاحونته. وكان له ابنة عمرها عشرون سنة وطفل لم يتجاوز ستة أشهر من عمره. وذات يوم حضر إلى الطاحونة طالبان، جون وألان، وقررا أن يلتزما الحذر لكي لا يسرق الطحان من دقيقتهم. وفكر هذا الأخير في حيلة يخدعهما بها، ففك رباط حصانهما وعاد إلى عمله. ولما خرج الطالبان ليفتشا عن الحصان، سرق الطحان بعض الدقيق وطلب من زوجته أن تصنع منه خبزاً.

وكان الليل قد خيم على القرية عندما عاد جون وألان بالحصان مرهقين، وطلبيا من الطحان أن يأويهما حتى الصباح. وأرسل هذا الأخير ابنته لتأتيهما ببعض الطعام، وآوى كل إلى فراشه. ولما تعالى شخير الزوجين تسلل آلان إلى فراش الفتاة وتمتع بها إلى آخر الليل، أما رفيقه جون فقد لجأ إلى الحيلة. لاحظ أن مهد الطفل أمام سرير أبويه فجذبه بالقرب من فراشه وبقي منتظراً. أثناء الليل قامت زوجة الطحان وذهبت إلى المرحاض، وعند عودتها راحت تفتش عن مهد الطفل الذي كان قريباً من سريرها. كان الظلام دامساً، ولم يخطر ببالها أن الطالب وضعه بالقرب من سريرها. واضطجعت في فراش جون الذي قضى معها وقتاً ممتعاً، ولا شك أنها سعدت هي الأخرى بين أحضان الضيف الشاب.

نهض ألان ليهمس في أذن رفيقه جون عن مغامرته مع الفتاة،
ولما لمس مهد الطفل أمام سريرته ظن أنه سرير رب المنزل، فتسلل إلى
السريـر الآخر وراح يهمس في أذن رب البيت (وهو لا يدري) بما فعله
مع ابنة الطحان طوال الليل. وهجم عليه هذا الأخير واشتد العراك ،
واختلط الحابل بالنابل في ظلام الليل. وفي النهاية نجح الطالبان في
الفرار بالدقيق والخبز وهما معجبان بمغامرتهما .

• الحكاية التي يقصها التاجر:

كان يعيش في مدينة بافيا بولاية لومبارديا (إيطاليا) تاجر غني. عاش حياة اللهو والمتعة ولم يتزوج حتى بلغ الستين من عمره. عندئذ بدأ يفكر في البحث عن امرأة تسعده ويقضي برفقتها بقية حياته. وشجعه على الزواج ما سمع من أن الزوجة الطيبة الصالحة تجعل حياة زوجها مفعمة بالراحة والهناء. وجاء اليوم المنتظر، وحضر الأصدقاء حفل زواج التاجر، وتمنوا له حياة زوجية حافلة بالمسرات.

كان للتاجر غلام يخدمه ويرعى مصالح منزله ويسهر على راحته، شاب عرف فيه الوفاء والإخلاص. غير أن الغلام، واسمه دميان، سرعان ما وقع في حب الزوجة الفتية الجميلة، فأصبح يتحين الفرص ليتحدث إليها، ويعرب لها عن حبه لها وإعجابه بها. ولما علمت الزوجة «مايو» بذلك امتلأ قلبها عطفاً على هذا الشاب اللطيف وأبلغته أنها ترغب في لقائه سرّاً. وازداد الشاب تفانياً في خدمة سيده حتى لا يشعر بأي تغير في سيرته. وكان للتاجر حديقة عالية أسوارها لا يملك مفتاح بابها غيره. وكان يتجول فيها صيفاً برفقة زوجته، ويقضيان لحظات ممتعة بين الأشجار والحشائش والزهور.

أصيب التاجر بمرض عضال فقد بصره على إثره، فساءت حالته النفسية، وأصبح يغار على زوجته، ويخشى أن يلعب بقلبها رجل آخر. وقد كانت مايو صغيرة السن، رشيقة القد، ذات جمال ساحر. وفي يوم من أيام الصيف الجميلة، دخل التاجر مع زوجته إلى الحديقة ليقضيا لحظات سعيدة على انفراد. وكانت مايو قد احتالت على زوجها

وصنعت مفتاحاً لباب الحديقة سلمته للخادم دميان. وفي ذلك اليوم أشارت إليه بأن يدخل الحديقة قبلها. ودخلت مايو تقود زوجها خلال ممرات الحديقة، تحدثه عما تشاهد من زهور وأشجار. وراح هو يعرب لها عن حبه، ويطمئنهما على مستقبلها. وشاهدت مايو دميان وراء شجرة فأومأت إليه أن يتسلق شجرة الكمثرى.

حدث في ذلك اليوم أن نزل «بلوتو» ؛ ملك الجن، وزوجه إلى حديقة التاجر ليُشاهد ما يجري فيها. فاغتاظ بلوتو من خيانة مايو لزوجها الأعمى المسكين، وقال لزوجها إنه سيعيد له بصره ليعرف ما يجري حوله. فردت زوجة الجن مهددة بأنه إذا فعل ذلك ستمنح زوجة التاجر، وجميع النساء بعدها، القدرة على اختلاق الأعذار واللجوء للحيل للدفاع عن أنفسهن.

أما مايو فقد جلست وزوجها تحت شجرة الكمثرى، وطلبت من زوجها أن يساعدها على تسلقها لقطف بعض الثمار. فانحنى التاجر، وقفزت مايو على ظهره فتسلقت الشجرة. وبينما كان دميان يعانقها ويقبلها بحرارة ولكن بهدوء، ظلت هي تحدث زوجها وتشد له أناشيد الحب. وبين أغصان شجرة الكمثرى وثمارها أشبع دميان ومايو رغبتهما.

وأشفق بلوتو على التاجر فأعاد إليه بصره. وما إن شاهد منظر العاشقين حتى صاح وشمتم ولعن وتوعد. غير أن زوجته طلبت ألا يستعجل في تفسير ما شهد حتى تشرح له حقيقة الأمر. ولما نزلت أكدت له أن ملكة الجن طلبت منها أن تتصارع مع شاب فوق رأس

زوجها لتعيد إليه بصره. وأضافت أن ما شاهده إنما هو من خداع البصر، لأنه لا يمكن أن يرى الأشياء على حقيقتها إلا بعد مرور فترة على استرجاع بصره. وقالت له «إن ما شاهدته وهم، فاصبر قليلاً، فكر بعقلك، ولا تسئ الظن بزوجتك التي تحبك، دع بصرك ينال قسطاً من الراحة، فقد تعبت وقاسيت مدة طويلة، والآن ستعود المياه إلى مجاريها». ومدت يديها نحوه فضمّتها إلى صدره، وأغمض عينيّه وهو يقبلها ويلمس كل عضو من جسدها الغض برفق وحنان.

• الحكاية التي يقصها البحار:

كان يعيش في قرية من سان دينى، بالقرب من باريس، تاجر غني. وكانت له زوجة فتية ذات جمال. وكان يتردد على منزل التاجر صديق شاب اسمه جون، وسيم الطلعة، يقول إنه من أقرباء التاجر. وكان هذا الأخير يقدر صداقته ويرحب به في منزله. وذات يوم عزم التاجر على السفر، فطلب من الصديق جون أن يزوره ليقضيا معاً بعض الوقت. وفي الصباح الباكر دخل التاجر مكتبه ليراجع حساباته، ويعد قائمة بضاعته. ونزل الصديق ليتجول في البستان، فلحقته الزوجة ودار بينهما الحديث التالي :

الصديق : أنا سعيد لوجودي في منزلكم. أرى أن صديقي يبذل قصارى جهده لإسعادك. غير أنني ألاحظ مسحة حزن على وجهك الجميل.

الزوجة: ليس من حقي أن أشكو من زوجي، بل يجب أن أَرْضَى بنصيبِي.

الصديق : كأن لك سرّاً يزعجك يا ابنة العم. تعالي، صارحيني بمشكلتك، فأنا لست غريباً، أعدك أنني سأحفظ سرّك حتى الموت.

الزوجة : لا أدري كيف أبوح لك بالسّر، وهو يتعلق بحياتي الخاصة مع زوجي. وأكثر ما يمكن أن أقوله لك هو أنه بخيل جداً. ولعلك تعرف أن المرأة ترغب في أن يعطيها زوجها ويكرمها بالهدايا، وأن يكون نشطاً في الفراش. وأقسم لك إنني اقترضت مائة فرنك،

الرحلة

وعلي أن أردّها يوم الأحد القادم؛ ولكن من أين لي هذا المبلغ. ولو علم زوجي بهذا لكانت الفضيحة. ولذلك أرجو أن تقرضني مائة فرنك لأردّ ديني ، وأعدك بأنني سأجازيك أحسن الجزاء، وسأقدم لك أي خدمة ترغب فيها .

حان موعد سفر الزوج، فانفرد به الصديق وراح ينصحه، ويدعو له بالتوفيق في تجارته، مؤكداً أنه مستعد أن يقوم بأي خدمة يوصيه بها. وفي النهاية سأله أن يقرضه مائة فرنك يعيدها له عند رجوعه سالماً إن شاء الله. وفي اليوم التالي عاد الصديق من باريس إلى القرية، وقد تزين ولبس أحسن لباسه. ورحبت به الزوجة، فقبلها وقدم إليها مائة فرنك ، فعانقته وسمحت له أن يقضي الليل في فراشها .

وبعد أن رجع التاجر من رحلته التقى بصديقه جون في باريس، فرحب به وشكر الله على عودته سالماً، ثم أخبره أنه أعاد مبلغ المائة فرنك إلى زوجته أثناء غيابه. ولما وصل الزوج إلى منزله لقيته زوجته مرحبة به فحفاطها وداعبها، ثم عاتبها لكونها لم تخبره بأن جون أعاد إليها المائة فرنك التي اقترضها منه .

احتفظت الزوجة بهدوئها وقالت: أليس السيد جون من أقاربك؟ لقد ظننت أنه قدم لي ذلك المبلغ إكراماً لك لكي أشتري لي وللمنزل ما يبهج نفسك ويزيد راحتك. وعلى أيّ حال اعتبر هذا المبلغ ديناً على ذمتي سأرده لك بالتقسيط في الفراش، ولك أن تتمتع بجسدي متى تشاء وكيفما تشاء. ورأى الزوج أنه لا فائدة من النزاع وقد أنفقت المبلغ كله، فأوصاها أن تكون حذرة في المستقبل وصفح عنها .

● من مسرحيات شكسبير روميو وجوليت :

روميو شاب من عائلة مونتاجو ، يحضر مقنعاً حفلة في منزل عائلة كابوليت، وبين الأسرتين عداوة قديمة وحقد شديد. يلتقى بجوليت فيتحابان من أول نظرة. وتقسم جوليت إنها لن تتزوج غيره، رغم علمها بأنه من أسرة مونتاجو. يذهب روميو إلى صديقه الراهب لورانس، ويطلب منه أن يساعده على الزواج من جوليت. يوافق الراهب آملاً أن يساعد هذا الزواج على إنهاء العداوة بين الأسرتين. وتذهب مربية جوليت خفية إلى روميو لترتيب اللقاء بين الحبيبين في غرفة الراهب الذي يزوجهما في اليوم نفسه.

يضطر روميو لمبارزة تيبالت (من أسرة كابوليت)، ويقتله؛ ويجبر على مغادرة المدينة (فيرونا) لأن الأمير حكم بذلك. أثناء ذلك قرر أهل جوليت أن يزوجوها بباريس. واتفقت جوليت مع الراهب على أن تتناول مشروباً يجعلها تبدو وكأنها ميتة لمدة أربعين ساعة، ثم يحملها إلى سرداب الموتى، ويخبر روميو بذلك ليأخذها. غير أن رسول الراهب لا يبلغ الرسالة. ويأتي الخبر إلى روميو بأن جوليت ماتت ودفنت، فيسرع إلى قبرها ويتناول جرعة من السم ويسقط ميتاً على صدرها.

يسرع الراهب لورانس لينقذ جوليت في انتظار وصول روميو، ولكنه يجده ميتاً. وتستفيق جوليت، ويحاول الراهب إخراجها من المقبرة فترفض. يهرب الراهب من هذا الموقف الحرج، وتتحرر جوليت بخنجر روميو. تصل الأسرتان فتشاهدان مغبة الحقد والعداوة، وتتعاقدان على الصداقة، وبينان نصباً تذكاريّاً للحبيين⁽¹⁾.

(1) مغزى هذه القطعة هو أن العداوة والحقد يحطمان حياة الأبرياء، وأن الحب ينتصر ولو بالموت.

• تاجر البندقية:

يضطر أنطونيو لاقتراض مبلغ من المال من عدوه شايлок اليهودي، لمساعدة صديقه بوسانيو. يشترط شايлок على أنطونيو أنه في حالة عدم الوفاء بدفع المبلغ في التاريخ المحدد، يقطع رطل لحم من جسده؛ ويكتبان بذلك عقداً.

تحدث ظروف تمنع أنطونيو من الوفاء بوعده، فيطالب شايлок القضاء بتنفيذ الشرط المتفق عليه، وقطع رطل من لحم أنطونيو. وتتكرر بورشا، وهي حبيبة الصديق الذي ساعده أنطونيو، في لباس القاضي الذي يحاكم هذا الأخير، وتصدر حكماً ضد شايлок، وتتجح في إنقاذ الرجل الذي أحسن لصديقها⁽¹⁾.

(1) مغزى هذه القطعة هو أن الرجل الشرير لا يمكنه أن يتغلب على الرجل الصالح الذي قدم خدمات عديدة لأصدقائه.

• يوليوس قيصر

يوليوس قيصر رجل طموح، حقق بانتصاره في الحروب شعبية كبيرة، وأصبح ذا سلطة عظيمة في روما. وخشى مجموعة من النبلاء أن يصبح دكتاتوراً، ويقضى على حرية الشعب الروماني فتآمروا عليه ليتخلصوا منه. ومن هؤلاء بروتوس، وهو رجل وطني، ظل متردداً بين حبه للقيصر وانضمامه للمتآمرين. وأخيراً يقنعه كاسيوس، وهو رجل أناني طموح.

وفي قاعة مجلس الشيوخ أحاط المتآمرون بيوليوس قيصر، متظاهرين في البداية بأنهم يريدون أن يعرضوا عليه مشروعاً. ثم نزلوا عليه طعناً بالخناجر. بعد قتل القيصر، يخطب بروتوس في الناس فيقنعهم بأن التخلص من القيصر كان من أجل المصلحة العامة. ثم يخطب بعده مارك أنطونيو فيقنع الناس بأن القيصر كان صديق الشعب، ويشيرهم ضد المتآمرين.

يوحد أنطونيو قواته العسكرية مع جيش أكتافوس، القيصر الشاب، لمحاربة جيش المتآمرين الذي ينهزم في المعركة. وينتحر بروتوس وكاسيوس خشية أن يقبض عليهما⁽¹⁾.

(1) مغزي هذه المسرحية هو أن الثورة الدموية ليست السبيل الوحيد لإصلاح أمور الدولة.

• عطيل :

عطيل لواء في جيش دولة البندقية، يتزوج ديسدمونيا سرّاً بسبب معارضة أبيها. يرسل عطيل إلى قبرص، قائداً للجيش لمحاربة الأتراك، وترافقه زوجته. يرقى عطيل الشاب كاسيو إلى رتبة ملازم أول، ولكن ياغو يعتقد أنه أولى بهذه الترقية، ويبدأ في التخطيط للانتقام من عطيل، يبدأ بتشكيكه في وفاء زوجته له، ويستخدم جميع الحيل لإقناعه بخيانتها له.

أولاً يوقع كاسيو في عمل يجعل عطيل يجرده من رتبة الملازم، وفي الوقت نفسه ينصحه بأن يستجد بزوجة عطيل لتدخل لدى زوجها كي يعيد له رتبته، فتوافق. ثانياً يطلب ياغو من زوجته أن تسرق من زوجة عطيل منديلا ثميناً كان أهدها لها، ويدبر المناسبة لكي يشاهد عطيل منديل زوجته لدى كاسيو. ثم يدبر موقفاً آخر يمكن فيه عطيلاً من أن يسمع (من وراء الحجاب) كاسيو يفتخر بحب «هذه المرأة وشغفها به». ولم يكن في الواقع يتحدث عن زوجة عطيل.

يتأكد عطيل من خيانة زوجته فيطلب من ياغو «الوفى» أن يقتل كاسيو، ويتجه هو نحو منزله فيقتل زوجته، ويخرج للناس فيبلغهم بسبب قتله لها. تسمع زوجة ياغو الخبر المؤلم فتفضح مناورات زوجها. يصاب عطيل بصدمة عندما يكتشف أنه قتل زوجته البريئة فينتحر بخنجره.

● الملك لير:

يقرر الملك لير المسن تقسيم مملكته على بناته الثلاث، فيسألهن: «من منكن أشد حباً لي؟» تجيبه الكبرى «أحبك أكثر من ثروة العالم كله، أكثر من عيني». فيعطيها الملك ثلث المملكة. وتجيب الوسطى أن حبها أشد وأعمق مما ذكرته أختها، فيعطيها ثلث مملكته. يأتي دور البنت الصغرى، كورديليا، وهي أقربهن إلى قلب أبيها وأعزهن عليه، فتجيب، وقد أغضبها ما سمعت من نفاق أختيها «ليس لي جواب على سؤالك يا أبي». ويتعجب الملك ويكرر سؤاله، فترد عليه بنفس المعنى.

يشدد غضب الملك فيوزع الثلث الباقي على ابنتيه، ويشترط عليهما أن يحتفظا لنفسه بمائة فارس، ويلقب الملك، وأن يقيم وفرسانه مع ابنتيه، بالتناوب. يعجب ملك فرنسا بكورديليا ويتزوجها. وتمر الأيام، وسرعان ما تضيق البنتان ذرعاً بأبيهما «الملك»، فتختلقان الأعذار للتخلص من فرسانه أولاً، ثم منه بعد ذلك، وأصبح الملك يطوف في الخلاء لا يجد من يأويه.

وتأتي كورديليا من فرنسا بجيش لإنقاذ أبيها الذي أصبح مجنوناً. وتعتني به وتلبسه لباس الملك، وتوصي طبييها بمعالجته. يعود الملك إلى وعيه، وينحني على ركبتيه ليطلب من ابنته أن تسامحه، فتلاطفه وتمنعه من الانحناء أمامها. غير أن الجيش الإنجليزي يكسب المعركة، وتقع كورديليا والملك في الأسر. وفي النهاية تشنق كورديليا ويموت أبوها وهو يبكي عليها. وتسمم إحدى الأختين الأخرى، ثم تنتحر⁽¹⁾.

(1) مغزى هذه القطعة هو أن نكران الجميل شر شنيع يعود بالوبال على صاحبه.

● مكبث :

مكبث وبانكو هما لواءان في جيش الملك دنكان، ملك اسكتلندا، يعودان بعد تحقيق انتصار كبير في معركة ضد الثوار، ويلتقيان بثلاث عرافات تتنبأن لمكبث بأنه سيصبح حاكم كودور ثم ملك اسكتلندا، وتتبنن بانكو بأن أولاده سيصبحون ملوكاً. بعد ذلك بقليل يُعَيِّنُ الملك مكبث حاكماً لمقاطعة كودور، فيتحقق أول تنبؤ من تنبؤات العرافات الثلاث، وهذا يشجع اللواء مكبث على التخطيط ليصبح ملكاً.

ذات يوم يزور الملك مكبث في حصنه. وكانت لمكبث زوجة شديدة الطموح، تحرضه على اغتنام الفرصة وقتل الملك، فيفعل ذلك، وينصب نفسه ملكاً على اسكتلندا. غير أن للملك ولدين ينجوان من القتل. ويستأجر مكبث رجالاً للقضاء على القائد بانكو لكي لا ينافسه على الملك، فيقتلونه، ويهرب ابنه.

ويشتد انزعاج مكبث عندما يمثل أمامه شبح القائد بانكو أثناء مأدبة عشاء أعدها لكبار النبلاء. ويحيط به اليأس فيعود إلى العرافات مستهدياً بتنبؤاتهن، فيبلغنه بأنه سوف لا يصيبه أي أذى من ابن امرأة. أما زوجته فيستولى عليها الندم وتقض مضجعها إراقة الدماء، فتسوء صحتها وتقضى نحبها.

وأثناء ذلك يحاصر القصر (قصر مكبث) الجيش الإنكليزي الذي يقوده ابن الملك المقتول دانكان، وقائد آخر اسمه مكدف. وينشب القتال بين هذا الجيش وجنود مكبث الذي يقاتل بشجاعة. ويلتقي أثناء

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

المعركة بالقائد مكدف الذي يبلغه بأنه لم يولد من امرأة عادية ، فيفقد مكبث عزمه وشجاعته، ويقتله مكدف الذي ينصب ابن الملك المقتول ملكاً على اسكتلندا⁽¹⁾.

(1) مغزى هذه القطعة هو أن الطموح المفرط قد يجر البلاء على صاحبه.

● هملت :

كلاوديوس، عم هملت، يقتل أخاه ملك الدانمرك (أبا هملت)، ويتزوج بالملكة (أم هملت) ويستولى على التاج. يأتي شبح يؤكد الخبر لهملت، ويطلب منه أن ينتقم لأبيه من عمه. وتستولي الشكوك والتردد على هملت. ويتساءل عما إذا كان قول الشبح صادقاً. ويخاف الملك على نفسه فيرسل ابن أخيه هملت إلى إنكلترا ويوصي بقتله. ولكن هملت ينجو، ويعود إلى الدانمرك.

يخطط الملك لقتل هملت بسيف مسموم في يد رجل يبارزه، ويعد مشروباً مسموماً ليسقيه إياه إذا فشلت خطة المبارزة. تتناول الملكة المشروب خطأ فتموت. أثناء المبارزة يجرح المتبارزان كل منهما الآخر بالسيف المسموم، ويعترف مبارز هملت بالجرم الذي ارتكبه الملك. عندئذ يتأكد هملت من الحقيقة، ويطعن الملك عمه بالسيف المسموم⁽¹⁾.

(1) مغزى هذه القطعة هو أن الرجل الحساس المتردد لا يمكنه أن يقوم بعبء هام مثل الانتقام بالقتل.

● موت أوليفيى بيكاى (للكاتب الفرنسي إميل زولا) :

«توفيتُ» يوم السبت الساعة الحادية عشرة صباحاً، بعد مرض دام ثلاثة أيام. واعتقدت زوجتي أن نوبة إغماء قضت على حياتي فأنحنت عليّ تلمس يدي وتحقق في وجهي، ثم فجأة أخذها الرعب، وبدأت تتنحب وتصرخ: «لقد مات، يا إلهى لقد مات!» أما أنا فعلى الرغم من أن نوبة الإغماء عطلت أعصابي وجمدت كل عضو في جسمي، وشلت حركتي، فقد بقي تفكيري واضحاً وإن كان بطيئاً، كما ظل بصيص نور ينفذ من عيني اليسرى.

وكانت نوبات عصبية عميقة تصيبني منذ صغر سني، وكنت أخرج من هذه الإصابات سليماً. ولذلك عندما وصلنا إلى باريس، بعد سفر متعب، طلبت من زوجي ما رغريت ألا تطلب الطبيب إذا أصبت بأزمة عصبية، ونمت طلباً للراحة. وهكذا ظنت مارغريت أنني مت، وجلست إلى جانبي تبكينني وتصيح: «لا تتركني، أجبني، يا إلهى ماذا أفعل؟!». أما أنا فشعرت بقلق وحزن عميق، ولكنني أعرف أنني سأفارق من إغمائي، سأنهض لأن الموت لم يأت بعد. أجل سأفارق وأقبل مارغريت وأهدئ روعها، وأؤكد لها أنني أحبها.

وفجأة فتح الباب ودخلت امرأة عرفت صوتها. إنها السيدة غابين، جارتنا في الفندق الذي نزلنا فيه. ولما عرفت ما حدث، بدأت تواسي زوجتي قائلة «مسكينة أنت، ماذا ستفعلن الآن، كان الله في عونك. ولكن لا تيأسي، فعندما توفي زوجي بقيت ثلاثة أيام بدون أكل ولا شراب. وما جدوى ذلك! خذي اشربي فنجاناً من القهوة». وفجأة اختفى بصيص النور من عيني اليسرى، لأن العجوز أغلقت عيني، ثم

قالت لزوجتي «يجب أن تفكر في إجراءات الدفن. أنت جارتني ولا يعقل أن أتركك وحدك في هذه الأزمة، سأبحث عن السيد سيمون ليساعدنا في الأمر».

انزعجت كثيراً أن يصل الأمر إلى الحديث عن الدفن، كما أقلقني ذكر سيمون، لقد كرهته منذ أن لقيته لأول مرة. إنه شاب وسيم الطلعة قوي البنية، وهي سمات لا توجد عندي، وأخذتني الغيرة فخفت على زوجتي. يا إلهي لماذا الكلام على إجراءات الدفن! أنا في سبات عميق، أصابني شلل مؤقت وسأفقد، وأعود للحياة وأدافع عن مارغريت. وفي المساء جاءت العجوز لتبلغ مارغريت أن النعش سينقل غداً صباحاً على الساعة الحادية عشرة. وكان كل أمني أن يحضر الطبيب ليعلم أنني لم أمت. فقد وقعت عبارة «الدفن» كالصاعقة على مسمعي. لا شك أن الطبيب سيعمل على إيقاظي، وأعود إلى مارغريت المسكينة.

حضر الطبيب في ساعة متأخرة، لاهثاً متعباً مستعجلاً، فاقترب مني بخطى سريعة. ولست أدري هل لمس يدي أو جس نبضي أو ماذا فعل. ثم سأل الحاضرين: «على أي ساعة وافته المنية؟» وددت أن أصرخ في وجهه، أن ألغنه، أن أنتقم، أن أصفعه... ولكن أني للميت أن ينتقم! وغادر الغرفة فذهبت معه حياتي، وتأكدت أنني إذا لم أستيقظ قبل الحادية عشرة صباحاً، سيدفنوني حياً. وفي الصباح حضر رجال بالنعش ووضعوني داخله، فوضعوا الغطاء ودقوا المسامير بسرعة، وشعرت الآن أنها النهاية، ونقل الصندوق إلى المقبرة ففقدت وعيي ولا أدري كم من الوقت دامت هذه الحالة.

حلمت حلماً مزعجاً اشتد فيه الضجيج والصراخ، فأعاد هذا إليّ

وعيي، وزالت حالة الإغماء والشلل، فعدت إلى الحياة، وعرفت الحقيقة المفزعة عندما وجدت جدران التابوت تحيط بجسمي النحيل، فأطلقت صيحات يائسة، ولكن ما جدوى ذلك وأنا أرزح تحت أطنان التراب. بذلت كل جهدي لأهدئ روحي، وكان النعش واسعاً فحركت أصابعي طول زاوية الغطاء، فجرحتني مسمار طويل خارج اللوحة. نزعتة بعد جهد وأردت أن أحضر به شقاً طويلاً وسط الغطاء، ثم أنقلب لأرفع الغطاء بظهري. ولكنني تأكدت أنني سأموت اختناقاً إذا انهال علي التراب. وفجأة تذكرت أن عمال الدفن في الخنادق العامة يتركون جهة الرجلين من النعش بارزة ليضعوا نعشاً آخر بقربها. فإذا كان هذا هو حالي، يكفي أن أكسر اللوحة جهة الرجلين لأنجو بنفسي.

بدأت أعاني من ضيق التنفس، ومن البرد ومن الجوع، وأخذني الرعب من جديد ولكن إرادة الحياة تغلبت مرة أخرى، فبدأت أدفع اللوحة جهة الرجلين بكل ما بقي لي من قوة؛ إذ بهذه الخشبة تنزلق فجأة فوجدت رجلي في الهواء. كان توقعي سليماً، فقد ترك عمال الدفن الخندق مفتوحاً جهة الرجلين لدفن تواييت أخرى. لم أصدق أنني بين الأحياء أتنفس وأنعم بالنور والدفع، إلهي ما أوحش ظلمة القبر، وما أجمل الهواء والدفع والنور!!

كان عمال الحفر قد تركوا بعض أدواتهم في الخندق، فاستعنت بها لإعادة اللوحة إلى مكانها، وأعدت الوضع كما كان عليه لكي لا يعلم أحد بأنني عدت إلى الحياة. خرجت من الخندق وسرت في طريق عام، ثم وقعت على الرصيف مغمى على. وعندما عاد إلى الوعي، وجدت نفسي في منزل طبيب متقاعد قال لي إنه لاحظ أن حالتي

الرحلة

غريبة فأراد أن يدرسها. واستأذنته ذات يوم لزيارة الفندق الذي نزلنا فيه في شارع دوفين. وخشيت إن مثلت فجأة أمام مارغريت أن تفقد صوابها أو يصيبها مكروه، فآثرت أن أدخل إلى مطعم في أسفل الفندق، ولم يكن يستطيع أحد أن يعرفني فقد نمت لحيتي وتغيرت ملامح وجهي. وما إن جلست إلى طاولة حتى دخلت العجوز غابين لتشتري فنجاناً من القهوة. نشرت جريدة أمام وجهي، وأصغيت باهتمام، فسمعت الحديث التالي بينها وبين عاملة :

- وماذا عن الأرملة الشابة يا مدام غابين؟

- لن تجد فرصة أفضل ، فالسيد سيمون رجل غني ورث ثروة كبيرة؛ وقد عرض عليها أن تصحبه إلى مدينته لتعيش مع عمته. هزت العاملة رأسها وابتسمت، وكأنها لا تود أن تعلق على الموضوع، فأضافت العجوز غابين :

- لا شك أن العلاقة ستنتهي بالزواج، لقد تركا باريس، ولعلها ستعيش مع سيمون حياة سعيدة. أما المرحوم زوجها فلم يكن يكسب شيئاً، بالإضافة إلى ذلك فقد كان نحيلاً عليلاً.

خرجت من المطعم أسير ببطء ورجلاي لا تكاد تحملاني. وشاهدت ظلي الهزيل فابتسمت. جلست في حديقة لو كسنبورغ وتخلت مارغريت سعيدة في حياتها الجديدة، وقد أصبح لها أولاد... فقررت ألا أبحث عنها وألا أقلق حياتها. أنا ميت الآن، والموتى لا يغارون. إذا من الأفضل أن أظل ميتاً بالنسبة لها.

● الهندوسية :

الهندوسية ديانة قديمة، تشمل تعاليمها جوانب دينية وروحية واجتماعية وثقافية وفنية واقتصادية. ويمكن القول إنها خلاصة لمختلف جوانب الحضارة الهندية خلال الثلاثة آلاف سنة الماضية.

الإله في الهندوسية هو الروح الكونية القدسية الخلاقة، وهي روح جميع الأشياء وتدعى «براهمان».

ولكن وجود هذه القوة الكونية القدسية لا تعني ضرورة الإيمان بإله واحد. بل إن الهندوسية (أو البرهمانية) تشمل مجموعة من الآلهة أهمها ثلاثة :

1 - الإله «براهما» الذي خلق جميع ما في الكون.

2 - الإله «فيشنو» الذي يخفف من قوى الشر ويسهر على استمرار النظام الكوني.

3 - الإله «شيفا» وهو القوة الهدامة التي تقضي على الأشياء والأحياء التي بلغت أجلها لتحل محلها كائنات جديدة.

ومن تعاليم الهندوسية :

1 - الإيمان بهذه الروح الكونية والحقيقة الخالدة والقوى العليا التي تتمثل في «البراهمان».

2 - الإيمان بالآلهة الثلاثة : براهما ، فيشنو ، وشيفا.

3 - الإيمان بالكتب المقدسة وهي فيداس، براهماناس، وأوبانيشادس ويعتبر كتاب (بزرغن) الفيداس سلطة روحية عليا تشتمل على حقائق نهائية.

4 - الإيمان بوحدة الحياة في جميع المخلوقات، ومن ثم احترام جميع أنواع الحياة وأشكالها.

5 - الإيمان بعودة الروح إلى الحياة لتتقمص أشكالاً مختلفة من المخلوقات، من الشياطين إلى الآلهة. وتقول التعاليم الهندوسية إن حياة واحدة لا تكفي لكي يتطهر الإنسان من السيئات والشروء التي ارتكبها، ومن الأخلاق السلبية مثل الحقد والأنانية والكبرياء الخ، لذلك لابد أن تعود الروح إلى الحياة، في شكل من أشكال الحياة الرفيعة أو المنحطة بناء على ما قدمت من أعمال في حياتها السابقة.

وتظل الروح بعد موت صاحبها تتقمص في كل مرة شكلاً جديداً من أشكال الحياة. ويظل هدف الإنسان هو التخلص من هذه الدورات المتتالية من حياة، موت، حياة... ، ولا يحقق ذلك إلا إذا عمل ما يساعده على الخلاص وبلغ مستوى الحياة الطاهرة، والاتحاد مع الروح الكونية العليا، البراهمانية.

وهناك سبل عديدة لبلوغ هذا المستوى أهمها :

- 1 - الإخلاص للإله الذي يختاره الشخص، والتفاني في حبه.
 - 2 - اتباع السلوك الأخلاقي السليم والاستغراق في التأمل الروحي (اليوغا).
 - 3 - على أكمل وجه، دون الرغبة في السلطة أو في مزايا شخصية.
- ويلاحظ أن الهندوسية تتضمن مجموعة من تعاليم ديانات مختلفة، وهي لا تحارب الديانات الأخرى ولكن تعتبرها ناقصة.

● من مبادئ الكاثوليكية :

- يعتقد الكاثوليك أن معتقداتهم هي الصحيحة، وأن غيرها باطل.
- أن المسيح (عليه السلام) هو إله وإنسان في الوقت نفسه.
- أن الكنيسة الكاثوليكية وحدة مقدسة لا تتغير رسالتها في الزمان والمكان.
- أن الكنيسة الكاثوليكية هي وحدها المسؤولة عن تفسير الإنجيل.
- أن مريم العذراء معصومة عن الخطأ منذ ولادتها.
- أن الإنسان يولد وهو يحمل خطأ أبيه آدم الذي خالف أوامر الله.
- أن المسيح هو آدم الجديد أرسله الله لينقذ البشر من خطئهم الأصلي الذي ارتكبه أبوهم آدم.
- أن عملية التعميد ومحبة المسيح تخلصان الإنسان من هذا الخطأ الأصلي.
- تمنع زواج رجال الدين (ونسائه) ليكرسوا جميع طاقاتهم ووقتهم لخدمة الإله.
- على الكاثوليكي أن يؤمن بعملية القداس : أي أنه عندما يقول القس، في مذبح الكنيسة، «هذا جسدي (مشيراً إلى الخبز) وهذا دمي (مشيراً إلى الخمر) يصبح الخبز حقيقة جسد المسيح، ويصبح الخمر دم المسيح. وهذا العمل يعيد عملية تضحية المسيح في كل مرة، وبذلك يكون المسيح موجوداً جسماً وروحاً عندما يؤدي القس عملية القربان المقدس في مذبح الكنيسة.

• الكنيسة الأرثوذكسية⁽¹⁾ :

تراكمت أسباب الخلاف داخل الكنيسة المسيحية خلال قرون عديدة، وأدت في النهاية إلى انفصال الكنيسة الارثوذكسية في القسطنطينية عن الكنيسة الكاثوليكية في روما. ومن أسباب النزاع الطويل بينهما ما يلي :

- الخلاف حول قضية الثالوث، واتحاد الألوهية والانسوتية في المسيح، ومعنى صلب المسيح.
- قول الكنيسة الأرثوذكسية بأن «الأب» وحده هو مصدر روح القدس، واعتقاد الكنيسة الكاثوليكية بأن روح القدس نشأ كذلك من «الإبن المسيح».
- قول الكنيسة الكاثوليكية بأن لها الأسبقية، ورد الكنيسة الارثوذكسية بأنه لا فضل لكنيسة غربية على أخرى شرقية.
- رفض الكنيسة الأرثوذكسية لسلطة البابا المطلقة.
- تدخل كل من الكنيستين في سياسات دولتها ودعمها لها.
- توسع هوة الخلاف بعد أن أصبحت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في القرن الرابع.
- وجاء الانشقاق النهائي عام 1054 عندما اتهمت الكنيسة

(1) الارثوذكسية : الإيمان الصحيح.

الارثدكسية البابا بالخروج عن تعاليم المسيح عندما قبل فكرة أن «الابن» المسيح هو كذلك مصدر لنشوء روح القدس.

- زاد في استياء المسيحيين الارثدكس ما لقوه من معاملة وحشية على يد الصليبيين أثناء محاولتهم لاحتلال فلسطين.

وفيما يلي بعض الأمور التي تختلف فيها الكنيسة الارثدكسية عن نظيرتها الكاثوليكية :

- الكنيسة الارثدكسية لا تؤمن بأن البابا معصوم.
- ترفض الاعتراف بأن له سلطة عالمية.
- الكنيسة الارثدكسية مكان يمارس المسيحي فيه الطقوس الدينية للتقرب من الله (حسب فكرة الثالوث)، أما الكنيسة الكاثوليكية فهي بالإضافة إلى ذلك، سلطة لضمان سلامة العقائد، وواسطة لنيل رضا الله وبركاته.
- الكنيسة الارثدكسية لا تؤمن بوجود مكان خاص (المطهر) لمن يستحقون العذاب المؤقت فقط، يوم القيامة.
- وهي تسمح باستخدام الرسوم والصور التي تمثل صور القديسين والمشاهد الدينية.
- وتسمح للقساوسة والشماسين بالزواج، وتمنع ذلك على الرهبان والأساقفة.

الرحلة

- تعتقد بأن أرواح الموتى من القديسين والشهداء ومن عائلات الموجودين في الكنيسة، وكذلك روح المسيح، جميعها موجودة أثناء القيام بعملية القربان المقدس في الكنيسة.
- تتم عملية التعميد في هذه الكنيسة بأن يغطس الطفل في الماء ثلاث مرات (الثالوث)، بدلاً من سكب الماء على رأسه فقط، أو رشه بالماء، كما يجري في الكنيسة الكاثوليكية.
- عندما يأتي الشخص للاعتراف بذنوبه، لا يركع على ركبتيه، بل يقف إلى جانب القس.
- يستعمل الارثدكس الخميرة في إعداد الخبز المخصص للطقوس المقدسة.
- يخلطون الخمر الذي يغطسون فيه الخبز، بالماء.
- عملية المسح (الدلك) بزيت الزيتون عند الارثدكس لا تنحصر في الحالات التي يقترب فيها الشخص من الموت (كما هو لدى الكاثوليك)، بل تستعمل كذلك طلباً للشفاء من أي مرض، وطلباً للراحة النفسية.

• نبي المورمون :

جوزيف سميث شاب نشط، وسيم الطلعة، قوي الشخصية، ولد في ولاية فيرمونت بالولايات المتحدة، ثم رحل أهله إلى ولاية نيويورك. ويروي لنا هذا الشاب أنه بينما كان ذات يوم جالساً في الخلاء (وعمره لا يتجاوز 15 سنة) يقرأ الإنجيل ويذكر اسم الله، جاءه رجلان يشع من وجهيهما نور رباني يبهر الأبصار، وقال أحدهم لصاحبه، مشيراً إلى الفتى سميث: «هذا ابني المحبوب، فاسمع كلامه». ثم ألقى على الفتى آيات أدرك منها أنه حان الوقت لتجديد بعض تعاليم الإنجيل.

وبعد مدة جاءه ملك قاده إلى مغارة أخرج منها صفائح ذهبية، وسلمه نظارة سحرية (حسب قوله) استطاع بواسطتها أن يفسر ما كتب على تلك الصفائح الذهبية بلغة مصرية قديمة.

وبناء على ما ورد في تلك الصفائح، وما أنزل على الفتى من «وحي» أو إلهام، وما شاهد من رؤى إلهية، نشر عام 1830 (وكانت سنه 30 عاماً) كتاباً أسماه «كتاب المورمون» وهو كتاب يحتوي على حكايات خرافية دينية. ولكنه نجح في النهاية في إنشاء مذهب يبلغ أتباعه قرابة ثلاثة ملايين نسمة. ولعل سميث هذا استوحى ما كتب من مخطوط رواية لم تطبع . وتجدر الإشارة إلى أن هناك نظريات تزعم بأن الهنود الأمريكيين انحدروا من سلالة القبائل العبرانية التي اختفت من التاريخ أثناء العهد الذي استولى فيه البابليون على مدينة القدس عام 586 ق.م.

ويزعم سميث في كتاب «المورمون» أن تلك القبائل العبرانية عبرت المحيط حتى وصلت العالم الجديد، واستمر بعضها في تطبيق تعاليم موسى عليه السلام وشريعته وأهمها قسم من هذه القبائل فأصبحوا قوماً متوحشين وهم الهنود الأمريكيون. وما جاءهم عام 421 ميلادية حتى كانت الحضارة التي أنشأها المؤمنون ممن هاجروا إلى القارة الأمريكية قد اندثرت. غير أن نبيا منهم اسمه «مورمون» وابنه موروني، أخفيا الصفائح الذهبية المكتوبة في مغارة في ولاية نيويورك، وظلت كذلك قروناً طويلة (14 قرناً) إلى أن ظهر موروني على هيئة ملك للشباب سميث وسلمها له. ويذكر سميث في كتابه كذلك أن المسيح (عليه السلام) زار العالم الغربي بعد أن خرج من قبره ورفع إلى السماء.

وعلى أساس المعلومات التي استقاها سميث من الصفائح الذهبية، وما تلقى من «وحي» أو «إلهام»، أسس كنيسة عام 1830 في ولاية نيويورك، وزاد عدد أتباعه، كما أصبح له معارضون. وراح يبحث عن أرض الميعاد كما فعل موسى وقومه، حسب زعمه. فرحل وأتباعه إلى ولاية أهايو حيث أسس جماعة نشطة منظمة. غير أنهم واجهوا بعض المشاكل من جيرانهم، فاضطروا للرحيل إلى ولاية ميسوري. ولم يطب لهم المقام هناك فاتجهوا نحو ولاية إلينوى حيث أسسوا مدينة وبنوا معبداً وجامعة.

وبدأ سميث يرسل المبشرين إلى شرق الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. وزادت قوة المورمون فأصبحوا يشكلون قوة سياسية في

الولاية. ثم إن زعيمهم رخص تعدد الزوجات، وأعلن مبدأ الملكية الجماعية. وشعر حاكم الولاية بأن الأمر كاد يخرج من يده، فأمر بسجن سميث وأخيه. وأثناء وجودهما في السجن، هجم جماعة على السجن وقتلوهما وكان ذلك عام 1844.

وتولى قيادة جماعة المورمون رجل يدعى بريغام يونغ، واصل نشر الرسالة، وقاد الجماعة إلى ولاية «يوتا» حيث أسسوا مدينة «صولت ليك ستي» التي أصبحت مركز جماعة المورمون. ويبلغ عددهم اليوم نحو 3 ملايين، معظمهم (نحو 80%) في الولايات المتحدة.

ومن معتقدات المورمون أنهم يؤمنون بالثالوث، وبمریم العذراء، وبأن الإنجيل خلق ونشر في السماوات قبل أن يخلق البشر، وأنه أنزل على الأرض قديماً وأوحى به إلى آدم وغيره، وأن «كتاب المورمون» مكمل لتعاليم الإنجيل، وأن المسيح جاء لإنقاذ البشر، غير أن مستقبل كل إنسان مرهون بعمله، وأن الله بعث رسلاً لتجديد تعاليم الإنجيل، كما حدث عندما أرسل إبراهيم وموسى، وأن آخر تجديد حدث عندما جاء جوزيف سميث بكتابه في مطلع القرن التاسع عشر.

● الماسونية :

كانت عبارة «ماسوني» Mason تطلق على أي بناء عضو في جمعية البنائين المهرة. وظهر هذا التعبير في القرن الرابع عشر، وكان يعني خاصة البنائين العاملين في تشييد الكاتدرائيات والقصور الفخمة. وبما أنهم كانوا يتنقلون من مدينة لأخرى بحثاً عن العمل، وضعوا كلمة سر يتعرف بها بعضهم على البعض الآخر. وعندما بدأت مهنة تشييد الكاتدرائيات تتقلص، أخذت بعض الجمعيات الماسونية تقبل انضمام أشخاص غير مهنيين إليها، بصفة شرفية للتعويض عن تناقص أعضائها.

وفي مطلع القرن الثامن عشر توحدت أربع من الجمعيات الماسونية لتشكل جمعية واحدة، في مدينة لندن، ولتصبح بعد ذلك النواة الأم التي تعمل على إنشاء جمعيات ماسونية في إنكلترا وغيرها من البلدان. وسعت في الوقت نفسه إلى تحديد مبادئها وتطوير طقوسها. أخذت تتبنى طقوساً مستوحاة من الديانات القديمة. وهي ليست من الجمعيات المسيحية، غير أن تعاليمها تتضمن مبادئ أخلاقية، ويؤمن أعضاؤها بوجود الإله وخلود الروح ... الخ كما يوصون «باحترام» قوانين البلد الذي توجد فيه جمعيات الماسونية. ومن أهدافها الراسخة مساعدة أعضائها المحتاجين، وتوثيق العلاقات بينهم.

وقد انتشرت هذه الجمعيات في بلدان عديدة، ويوجد أكبر عدد من جمعيات الماسونيين في الولايات المتحدة، تليها بريطانيا. كما تنتشر في أوروبا وأمريكا اللاتينية. وقد منعت بعض البلدان تأسيس الجمعيات الماسونية على ترابها، واتهمت أحياناً بأنها تتجاوز قوانين البلاد، وتسعى للاستيلاء على السلطة.

● الأرض ... وغبار النجوم :

كثيراً ما يتساءل الإنسان : ما هو أصلنا؟ من أين أتينا؟ وأين يقع كوكبنا في هذا الكون الفسيح؟ ويأتى الجواب: أبونا آدم، أو أصلنا من حيوان برى، تطور بدوره من حيوان بحري. ولكن من أين جاءت المادة الأصلية؟ وما هو مصدر الحياة الأول؟

بعد أن تتكون النجوم تظل بقايا مواد سابحة في الفضاء الواسع بين النجوم، يختلف حجمها من ذرات إلى كتل ضخمة مكونة من غبار وغازات، من الحجارة والمعادن والثلج، تشتمل أحياناً على جزئيات عضوية. ويمر الزمن وتتكدس الغازات، وتتكدس المواد الأخرى تحت ضغط شديد، فتتشأ الكواكب.

الأسماك والأشجار، والزواحف والقردة، والعيون الساحرة والحدود الوردية والشفاه الغضة.. جميعها خلقت من الغبار والغاز والمواد الأخرى السابحة بين النجوم. فنحن أبناء الأرض، والأرض بنت الشمس، والشمس جزء من مجرة درب اللبانة... الخ.

إننا نعيش فوق كوكب صغير كذرة غبار لا تكاد ترى بالنسبة للكون الفسيح. كوكب «هش» بارد وحيد، يسبح في فضاء موحش مظلم ومرعب، لولا نور الشمس ودفئها. وتجدر الإشارة إلى أن الأرض لا تتلقى سوى جزء واحد من مليارين ومئتي مليون من طاقة الشمس. ومع ذلك فإن أرضنا، رغم عزلتها، طيبة تزخر بشتى أنواع الحياة.

تكونت أرضنا منذ 7 , 4 مليار سنة تقريباً. وهي تدور حول نجم

الرحلة

أسميناه الشمس يبلغ عمره زهاء 5 ملايين سنة. وقد استنفدت الشمس أكثر من نصف عمرها، لأن النجوم تولد، تعيش، وتموت. ويؤكد العلماء أن شمسنا ستعيش نحو 5 ملايين سنة أخرى، إذ لا يمكنها أن تظل تشتعل دون نهاية لأن مخزنها من الطاقة محدود. وتنتج هذه الطاقة عن تحول الهيدروجين إلى هيليوم تحت ضغط حرارة هائلة، وهي عملية تفاعل نووي. وعندما تستهلك طاقتها ستتفخ ويزيد حجمها، ويحمر لونها، وتتسع حتى تغطي الكواكب القريبة منها، بما فيها الأرض. وسيكون ذلك يوماً مشهوداً، عاصيباً؛ يوم ترجف الأرض والجبال؛ يوم تمور السماء موراً، يوم لا يبقى ولا يذر.

هناك نجوم ضخمة عملاقة ولكنها خفيفة الكثافة، مثل فقاعة الصابون؛ وأخرى صغيرة الحجم ولكنها شديدة الكثافة. نجم يمكن أن يضم في حشاياه عشرة آلاف شمس، وآخر في حجم مدينة، غير أن كثافته تساوي مائة ترليون مرة كثافة الرصاص. توجد نجوم منعزلة (مثل شمسنا) وأخرى مثني وثلاثي يدور بعضها حول البعض الآخر، وهناك نجوم لامعة متوهجة وأخرى لا تكاد ترى. والنجم ذو الضوء الأزرق يكون في ريعان شبابه، وذو الضوء الأصفر في متوسط عمره، وصاحب الضوء الأحمر يكون قد دخل مرحلة الشيخوخة.

كل شيء في هذا الكون يتغير ويتطور، يتكدس ويتكثف ليشكل أجراماً سماوية، ثم يتبعثر ويتحلل ويظل سابحاً في الفضاء، إلى أن تنتهي ظروف جديدة فتتجمع المواد من جديد لتتكون منها نجوم وكواكب ومجرات. والعامل الذي لا ينبغي أن يهمل في هذا التغيير هو الزمن

الطويل، ملايين السنين. فبالنسبة لحياة النجوم وموتها وبعثها من جديد، تبدو حياة الإنسان أقصر من حياة الفراشة، بل كومضة البرق الخاطفة.

أما أين نحن في هذا الكون اللانهائي فإن مجموعتنا الشمسية توجد على حافة ذراع تابع لمجرة حلزونية نسميها مجرة درب اللبانة. ويقع هذا الذراع في ضاحية من ضواحي هذه المجرة، إذ يبعد عن مركزها بنحو ثلاثين ألف سنة ضوئية، ومن المعلوم أن سرعة الضوء ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية. وتشمل مجرتنا نحو أربعمائة مليار نجم، وهي تقع في زاوية من زوايا الكون. ويقول العلماء إن الكون كما نعرفه تكوّن منذ ذلك الانفجار العظيم الذي يعرف «بالانفجار الكبير»⁽¹⁾، والذي حدث منذ نحو عشرين مليار سنة.

يوجد في العالم الآن زهاء مائة مليار مجرة، وكل مجرة تشمل نحو مائة مليار نجم، بالإضافة إلى ما يتناثر بين النجوم من غازات وغبار وحطام. وإذا قلنا إن عدد الكواكب التي يقدر أنها تتناثر في مداراتها حول النجوم (كالكواكب التي تدور حول شمسنا) تبلغ نحو عشرة مليارات من الترليونات، أي رقم عشرة متبوعاً باثنين وعشرين صفراً، فهل من الممكن أن يكون هذا العدد الهائل من الكواكب خالياً من الكائنات الحية؟! أم أن عدداً كبيراً منها يزخر بالحياة مثل كوكبنا؟

وإذا كانت المسافات على الأرض تحسب بالكيلومتر، فإن البعد بين الأجرام السماوية يقاس بسرعة الضوء التي تبلغ 300 ألف كلم في الثانية.

(1) Bang Big The .

الرحلة

ففي ثانية واحدة يدور خيط من الضوء سبع مرات ونصف حول الأرض (محيطها 40.000 كلم). ويقطع الضوء المسافة بين الشمس والأرض، وهي 149.600.000 كلم في نحو ثماني دقائق.

تدور الأرض حول محورها بسرعة 100 ميل⁽¹⁾ في الساعة (جرى قياس السرعة عند خط الاستواء)؛ وهي تدور حول الشمس بسرعة 66.600 ميل في الساعة، وتندفع الشمس في الفضاء بسرعة 43.000 ميل في الساعة؛ أما ذراع مجرة درب اللبانة، الذي توجد فيه الشمس فيدور حول مركز المجرة المذكورة بسرعة 630.000 ميل في الساعة. وتحتاج شمسنا، وما يحيط بها من نجوم إلى نحو 200.000.000 سنة لتتم دورتها حول عجلة مجرة درب اللبانة.

ويقول العلماء إن مجرة درب اللبانة، وما حولها، تندفع نحو مجموعة من المجرات تسمى VIRGO بسرعة 600 هذا التقدير ستلتحق بها بعد عشرة مليارات عام. كما يذكرون أن شمسنا دارت حول مجرة درب اللبانة عشرين مرة، وأن المسافة من الشمس إلى مركز المجرة المذكورة تبلغ 30.000 سنة ضوئية. وأقرب مجرة حلزونية إلى مجرتنا هي مميمذ التي تبعد عنا بنحو مليوني سنة ضوئية، وتبلغ المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة عشرة ترليونات كيلومتراً.

وهناك أجرام سماوية نشاهدها اليوم ولكن ليس على حقيقتها الحالية، بل كما كانت منذ مائة مليون أو مائتي مليون سنة. ذلك أنه إذا

(1) الميل = 1600 متر .

انفجر اليوم نجم يبعد عنا مليون سنة مثلاً، فإننا سنظل نشاهده كما كان قبل انفجاره خلال مليون سنة، لأن الضوء الذي انطلق منه في آخر لحظة قبل «وفاته» يظل ينسكب نحو الأرض لمدة مليون سنة قبل نهايته ، أي قبل أن يصلنا آخر شعاع منذ انفجاره.

إننا نعيش على هذا الكوكب الأزرق الجميل، هذه الأرض الطيبة التي ما انفك الإنسان يفسدها بسبب جشعه وسوء سلوكه. وهذا الكوكب لا يزيد عن كونه ذرة غبار سابحة في هذا الكون المهيب اللانهائي، كون أقل ما يقال عنه إنه يضم نحو عشرة مليارات من الترليونات من الكواكب، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤).



منارات من الأدب العالمي



المقدمة

حول مواصفات ظاهرة الأدب الكلاسيكى والحركة الرومانسية فى الأدب الغربى

دعانى صديق إيطالى ذات يوم من صيف 1995 إلى حضور حفلة زواج ابنته فى روما، المدينة الخالدة، ونظمت الحفلة فى فندق جميل، وتفنى المسؤول فى زخرفة القاعة بمختلف اللوحات الفنية، والألوان الزاهية، والأضواء المريحة، والموسيقى الهادئة، وجرى الحفلة فى جو رومانسى بهيج. وبعد أن غادر معظم المدعوين، انتظمت أسرتا العروسين حول طاولة كبيرة، ودعوني إلى البقاء معهم بعض الوقت؛ دار الحديث حول موضوعات شتى، منها الرومانس، والرومانسية، والكلاسيكية. وقبل مغادرة الفندق وعدت العروسين بأن أعد لهما ورقة حول الموضوع. وكانت نتيجة بحثى هذه الأوراق التى أقدمها اليوم إلى القارئ الكريم، آملاً أن تفي بالمراد.

طبقت شهرة الشاعر اليونانى هومر (هوميروس) الآفاق، بعد أن ألف ملحمتيه الإلياذة، والأوديسة، ويعتقد أن ذلك حدث خلال القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد.

بعد ذلك بفترة طويلة، برز أدباء عهد الأدب الكلاسيكي في اليونان، أثناء القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وتمثل ذلك في مؤلفات عديدة منها تراجيديات الشاعر سوفوكليز، وكوميديات الشاعر أرسطوفان، وفي العديد من مؤلفات فرسان الأدب والفلسفة والتاريخ الأوائل من أمثال الفيلسوف أفلاطون والمؤرخ ثوسيديدس، ولوكريتيوس، وديموستينس، وغيرهم.

وكان الرومان، في بادئ الأمر، ينظرون إلى اليونانيين على أنهم وحدهم أصحاب الأدب الكلاسيكي الرفيع، ولكنهم سعوا إلى الإجابة في إنتاجهم الأدبي، إلى أن جاء عهد انتعش فيه الأدب في روما بمؤلفات شيشرون (80 - 43 قبل الميلاد)، وفي عهد الإمبراطور أغسطس (37 قبل الميلاد - 14 ميلادية) عندما ازدهر الإنتاج الأدبي على أيدي أدباء وشعراء من أمثال فيرجيل، وهوراس وغيرهما.

ثم أرخت العصور الوسطى (400 - 1200) ظلالها على الإنتاج الأدبي والفني والعلمي، واحتفظت الكنائس في خزائنها بما بقي من مؤلفات عهود الازدهار السابقة، وخبث مشاعل المعرفة في أوروبا خلال قرون طويلة، ولو أن بصيصاً من النور ظل يظهر من حين لآخر، وكان يتمثل في مؤلفات تعالج موضوعات اللاهوت والعقائد، وأخرى تتناول القصص الشعبية، والمغامرات الرومانسية، من ذلك قصص الملك أرتور وفرسان المائدة المستديرة، وحكايات الملك شارل ماني، وملحمة الفارس رولان، ورواية «الوردة»، وقصص الأساطير، وبعض المسرحيات التي عالجت موضوعات أخلاقية وبطولية وعقائدية.

ومرت قرون على أوروبا كانت سماء الأدب والفن فيها شاحبة قاحلة، إلى أن جاء عهد النهضة، بعد أن نشطت الاتصالات بين أوروبا والشرق الأوسط، وبينها وبين الشرق عامة، وتوسعت الرحلات بين القارات، وانتعش التبادل التجارى والعلمى، وظهرت طبقة جديدة من التجار المغامرين، وأخذت سيطرة الكنيسة على العقول تتراجع، ورافق الانفتاح على العالم تفتح الأفكار، ونشط الوعي القومى فى بلدان كثيرة، وبدأ الناس يتوقون إلى اكتساب المعارف الجديدة، واهتم السكان بخصوصياتهم المحلية فعملوا على تطوير لهجاتهم، فاستنارت العقول، وضعفت سيطرة اللغة اللاتينية، وبدأ إنتاج نوع جديد من الأدب والفن باللغات المحلية، وراح الأدباء يستلهمون عهود الأدب الذى ازدهر قديماً فى بلاد اليونان والرومان.

بدأ عهد النهضة الأدبية فى إيطاليا عندما لمع فى سمائها عدد من كبار الأدباء مثل دانتي صاحب «الكوميديا الإلهية»، وبوكاتشو صاحب كتاب «الديكاميرون»، وبيتراخ، ثم بعد حين ماتيو بولاردو، صاحب كتاب «أورلاندو العاشق»؛ وتوسع اهتمام الأدباء بالإطلاع على مؤلفات هوميروس وفيرجيل وهوراس وشيشرون وغيرهم؛ وساعد اختراع الطباعة على نشر المعرفة وجعل الكتب فى متناول أعداد كبيرة من الناس، وبذلك بزغ عهد جديد على أوروبا.

أخذ الإنتاج ينتعش تدريجياً، وشمل نشاط النهضة الأدبية فرنسا، فبرز فيها أدباء من أمثال فرانسوا رابليه، ومجموعة من شعراء «نجوم الثريا» وزعيمهم بيير دي رونسار؛ ومن كبار كتاب عهد الانتعاش الأدبى ميشيل دي مونتاني، صاحب كتاب «المقالات» الشهير.

واستمر الإنتاج الأدبي يرتقي سلم التطور والازدهار في فرنسا، فظهر أدباء سطعت نجومهم في سماء الأدب الكلاسيكي. ومن شعراء هذا العهد فرانسوا دي ماليرب، وبوالو صاحب كتاب «فنّ الشعر» ولافونتان، صاحب مجموعة «حكايات الحيوانات» الشهيرة؛ ومنهم مؤلفو المسرحيات التي أخذت الطابع الكلاسيكي؛ ومن أبرزهم كورناي الذي اشتهر بمسرحياته التراجيدية مثل مسرحية «السيد»؛ ومنهم جان راسين، ومن مسرحياته «أندروماك» و«فيدرا» التي تعتبر مثالاً على المسرحية الكلاسيكية؛ ومنهم موليير، أشهر كتاب الملهاة، ومن أشهر مسرحياته الهزلية «طرطوف»، و«دون جوان»، و«مبغض البشر»؛ ومنهم لابرويير، صاحب كتاب «أخلاق أو عادات هذا العصر».

وقد حدثت هذه التطورات في الأدب الكلاسيكي الجديد (بالنسبة للأدب الكلاسيكي في عهد اليونان والرومان)، في فرنسا، في القرن السابع عشر، وخاصة في عهد الملك لويس الرابع عشر الذي أولى اهتماماً كبيراً للأدب، راح يقدم المساعدات المادية والمعنوية للأدباء، وبذلك أصبح المجال مفتوحاً أمام أصحاب الكفاءة والعبقرية للانضمام إلى مركب الأدب الكلاسيكي الجديد.

واصل الإنتاج الأدبي مسيرته في فرنسا، ولو بطريقة متقطعة، عن طريق الأديب فولتير وتبعه في هذا المضمار الأدباء العقلانيون في القرن الثامن عشر، ثم ظهرت في القرن التاسع عشر مجموعة من الأدباء عرفوا باسم «البرانسيين» وهي مدرسة ظهرت في فرنسا خلال النصف الثاني من القرن المذكور، وصرف أصحابها اهتمامهم إلى

منازل من الأدب العالمى

الشكل الأدبى وصناعة الأسلوب، أكثر من اهتمامهم بالمشاعر والأحاسيس الوجدانية.

وقد ساد عهد الأدب الكلاسيكى فى إنكلترا خلال فترة طويلة كذلك، من عهد الشاعر الذى طبقت سمعته الآفاق، شكسبير الذى ترك للعالم سبعاً وثلاثين مسرحية، تناولت موضوعات متنوعة، ومن أشهرها مسرحيات هملت، روميو وجولييت، تاجر البندقية، ماكبث، يوليوس قيصر، الملك لير، أنطونيو وكليوباترا...

ومن أدباء العهد الكلاسيكى الجديد فى إنكلترا الشاعر جون ملتون، صاحب «الفردوس المفقود» و«الفردوس المسترد»؛ والشاعر درايدن، وألكسندر بوب الذى اشتهر بمؤلفه «مقالة حول الإنسان»، و«مقال فى النقد»، وقصيدته الساخرة «اغتناب خصلة»؛ ومنهم الشاعر الناقد الساخر سويفت الذى برع فى النقد الاجتماعى، وهو صاحب «رحلات غاليفار» الشهيرة؛ والدكتور جونسون الشهير، صاحب القاموس، ومعه جماعة النادي الذى كان يتزعمه، ومنهم بوزويل، غيبون، غولد سميث وغيرهم.

تعريف ومميزات الأدب الكلاسيكى

تعنى كلمة CLASSICUS فى اللاتينية، مواطناً من الدرجة الأولى، ومن الطبقة العليا، ومن معانيها الجودة والامتياز. ثم استعملت هذه الكلمة مجازاً كوصف للأديب المتميز الذى بلغ إنتاجه مستوى الجودة. ثم أصبحت الكلمة تطلق على الأدب الرفيع الذى يدرس فى

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

المدارس والمعاهد. وكان هذا الوضع في بادئ الأمر يتعلق بالأدب اليوناني والروماني.

وظلت فكرة الكلاسيكية غامضة فترة طويلة، فوضعت لها تعاريف متشددة وأخرى مرنة. وتعتمد ظاهرة الأدب الكلاسيكي أساساً على ثلاث ركائز هي:

- العقلانية، وهي الاعتماد على العقل، والفكر، والواقعية.
- المبادئ المسيحية، لأنها ترشد العقلانية حتى لا تضع في متاهات الميتافيزيقيا.
- النزعة الإنسانية في الأدب اليوناني والروماني، وهي نزعة تثرى الثقافة المسيحية.

ومن مواصفات الأدب الكلاسيكي أنه أدب منضبط، يهتم بالمضمون والشكل معاً، ويلتزم بالموضوعية والدقة الفنية، بدلاً من التركيز على الخيال والتجربة الشخصية، وعلى المشاعر العاطفية الفردية. ومن سمات هذا الأدب أنه متحفظ، واقعي، متواضع، ولكنه أدب رفيع جيد، صالح للاستمرار عبر القرون، وللانتشار عبر القارات. فالقطة منه تثير الإعجاب، وتحقق مركزاً معترفاً به عبر فترة زمنية طويلة جداً، بل يكتب لها الخلود بفضل جودة محتواها وأسلوبها، ولأنها تخاطب الفكر الإنساني عامة عبر الزمان والمكان.

يقول الأديب سانت باف في هذا الصدد ما مفاده «إن الأديب

الكلاسيكى الحقيقى هو من يثرى بإنتاجه الفكر الإنسانى، وينمى كنوز الحياة الأدبية، ويحقق للإنسانية جمعاء خطوة إيجابية فى سلم التطور الفكرى. إنه أديب اكتشف حقائق معنوية، وكشف عن مشاعر داخلية خالدة فى قلب الإنسان».

ويتضح من تعريف سانت باف للأديب الكلاسيكى أنه لا يخص به حقبة معينة أو مكاناً محدوداً دون آخر. وهو لا يشترط صيغة معينة لهذا الأديب، ولا أن تكون «الأصالة» من أعلى مميزاته، عندما يقول كان الشاعر الرومانى فرجيل يقلد الشاعر اليونانى هوميروس؛ وكان الشاعر الإيطالى دانتي يقلد فيرجيل، ومع ذلك يعتبر كل من فيرجيل ودانتي من أشهر أدباء الكلاسيكية.

يرى الأدب الكلاسيكى أن العقل هو الموهبة الأولى، والملكة الأساسية التى تكشف حقائق سلوك الإنسان بما فيه من تنوع وغموض وتقلب، وبذلك فقط تتجلى صورة الإنسان واضحة كاملة، سواء أثناء تقلبات مشاعره وعواطفه أو استقرارها. كما يولى الأدب اهتماماً كبيراً للطبيعة فى مختلف مشاهدتها وتجلياتها، لأنها تمثل عناصر الحياة الواقعية.

ويعير الأدب الكلاسيكى اهتماماً خاصاً لجملية من المعايير مثل دقة التعبير، والتناسق، والتناسب، والوضوح، ولكل ما يجعل الشكل والأسلوب يتلاءمان مع نوع الإنتاج الأدبى الجيد. وقد دون الشاعر الفرنسى بوالو هذه المعايير والضوابط فى كتابه «فن الشعر»، ونجد هذه المواصفات والمميزات فى تراجيديات الشاعر الفرنسى راسين،

وكوميديات موليير، وحكايات لافونتان، ومواعظ بوسوي، وتأملات باسكال، وفي مؤلفات كثير غيرهم من أدباء وفناني الأدب الكلاسيكي.

وهناك تعريف لظاهرة الأدب الكلاسيكي، وضعه قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1835، يصف الأدباء الكلاسيكيين بأنهم أولئك الذين أصبح إنتاجهم الأدبي نماذج تحتذى في أية لغة من اللغات. ولا يكتفي الأديب سانت باف بهذا التعريف الأكاديمي، فيضيف بأنه لا بد أن تتوفر في هذا النوع من الأدب مواصفات أخرى تجعله مرناً وشاملاً ونموذجياً، لكي تتبنى موضوعاته الأفكار العامة، ويتناول ما ينجزه الإنسان من أجل ترويض ما هو جامع، مستعص، ومتمرد في الطبيعة. ومن المعايير الأساسية في نظره أن يكون هذا النوع من الأدب واسع الأفق، رفيع المعنى، عظيم المغزى، مصقولاً، سليماً، يدركه العقل والإحساس معاً.

الحركة الرومانسية

من المهم أن يتساءل المرء: ماذا تعني كلمة «رومانس»؟ وما هي حركة الرومانسية في الأدب؟ وما هي الظروف التي ظهرت فيها؟ وما هي مميزاتها وأهدافها؟ إن كلمة «رومانس» في الأدب تشير إلى أنواع الأدب الذي ساد خلال القرون الوسطى، وهو يشمل:

– الحكايات التي تروي مغامرات الفرسان، وبطولات الفروسية، وسعى أولئك الفرسان وراء المثل العليا.

– قصص الغرام وحياة الرفاهية، والأخلاق النبيلة مثل الشجاعة والوفاء والعدل والشهامة والتضحية في سبيل المحبوب...

منازل من الأدب العالمى

- القصائد الغنائية التى تروى الأخبار البطولية.
 - المسرحيات الهزلية والقصص الشعبية.
 - الحكايات الأسطورية مثل حكايات الوحوش المخيفة، والأخبار الخرافية والمشاهد الغريبة.
 - قصص البطولات والمغامرات فى بلدان شمال أوروبا.
- وفى القرنين السادس عشر والسابع عشر، اكتسبت كلمة «رومانس» معنى أعم فأصبحت تعبر كذلك عن الروايات الغرامية والخيالية بصورة عامة.
- وقد بدأ استعمال عبارة «الحركة الرومانسية» للتعبير عن الحركة الأدبية الجديدة فى نهاية القرن الثامن عشر. وكان التفكير فى الغرب قد بدأ ينتقل من إنتاج الأدب الكلاسيكى، الأدب التقليدى العقلانى، إلى إنتاج أدب المفاهيم، وهو أدب يرمى إلى التأثير على سلوك الفرد، ويسعى إلى تحرير عقله، وتفجير مشاعره، لكى يواكب مرحلة التغييرات الاجتماعية والتطورات الفكرية التى غزت مجالات العلم والفن، وخلقت انبعاثاً جديداً فى جميع الميادين الحيوية.
- وبناء على ما تجمع من تجارب الماضى، بدأ الفكر الفردى، والمزاج العام فى أوروبا يتغير ويتطور ليُنتج إنسان النهضة الجديد فى العصر الحديث. فبعد أن دربته عهود الكلاسيكية العقلانية على أن يكون واقعياً، منسجماً مع الطبيعة فى هدوء واطمئنان، أدرك فى

يقظته الجديدة أنه لا بد أن ينهض ويتمرد ويثور ويتحدى وينشط ويضحي لينال حريته ويحقق آماله، وليتقدم فنياً وعلمياً واقتصادياً.

واتجهت الطبقة الثرية آنئذ إلى إنشاء المصانع، واستغلال التقنيات الحديثة، فزاد الإنتاج وتوسعت المدن، وتجمعت أعداد كبيرة من السكان حول المصانع، تعيش في ظروف سيئة، وحدثت موجات الاحتجاج للمطالبة بتحسين ظروف العمال. وجاءت مبادئ الثورة الفرنسية فعززت مطالب شعوب كثيرة، وأيقظت الضمائر، فنادى الناس بالعدالة الاجتماعية.

وبدأ تأثير العقائد يتقلص، وأخذت سيطرة الأدب العقلاني تتراجع، وأصبح عدد من الكتاب في مختلف البلدان يشعرون بأعباء رسالتهم، وصاحب ذلك شعور بالقلق فراحوا يبحثون عن مرجعيات وقيم جديدة، فاستلهموا أعماق الطبيعة وأسرارها، ومجالات المشاعر الفردية، وميادين الحياة اليومية، كما استلهموا الأحلام والأساطير، والأعمال الرومانسية التي تتغنى بالحب والفروسية والأخلاق النبيلة والمثل العليا.

وفي جو من الشعور بالخيبة لدى الطبقات الفقيرة، وظروف اجتماعية مواتية للطبقة الثرية لاستغلال الطبقة الكادحة، شعرت هذه الأخيرة أنه من حقها أن تشكل جزءاً من الحياة الثقافية القومية، وبدأ الفرد يشعر بأهميته، وأنه عضو فاعل في وسط مجموعته، في هذه الظروف ظهرت حاجة ملحة إلى نوع جديد من الأدب، فنهض أدباء جدد، واستجابوا لرغبات الناس عامة، فراحوا يكتبون عن الحياة كما

يشاهدونها، يصورون ويحللون حسناتها وسيئاتها، سواء توافق مع الأعراف والاتجاهات الأدبية والفنية أو خالفها. وساعد على ذلك ما توفر لدى الأدباء من الجرأة وحرية التعبير والمادة الغزيرة المواتية في ظروف النهضة الجديدة.

وكان مما شجع على ازدهار الحركة الرومانسية كذلك انعدام الحماس لدى الطبقة الوسطى تجاه الأدب الكلاسيكي الملتزم، والحنين إلى إحياء أدب القرون الوسطى لما يحتويه من مغامرات وقصص توفر المتعة، وتوسع الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية وظروف حياة الجمهور، وزيادة اهتمام القراء بالأدب والأديب، مما جعل هذا الأخير يسعى للاندماج في مجتمع قرائه، ويبحث عن موضوعات جديدة تهم الطبقة الوسطى من القراء، يضاف إلى ذلك زيادة اهتمام الأدباء بالحياة بين أحضان الطبيعة والتغني بمباهجها.

بدأ نشاط الحركة الرومانسية في الأعوام الأخيرة من القرن الثامن عشر، كما تقدم، وانتشرت فعاليتها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وغزت جميع مجالات الحياة، وكانت تمثل ثورة ضد ظاهرة الكلاسيكية الحديثة التي تميز أدبها بالانضباط والمنهجية ومراعاة الأذواق والتقاليد. وكانت ردود فعل الحركة الرومانسية عميقة وشاملة وفعالة في مواجهة ظاهرة الكلاسيكية التي سيطرت على الأدب الأوروبي أكثر من مائة سنة.

ففي فرنسا نشرت الأدبية مدام دي ستايل رسالة عن الرومانسية تحت عنوان «حول الأدب» سنة 1800، ثم نشرت كتاباً آخر عنوانه «عن

ألمانيا» عام 1810، أصبحا يمثلان جانباً من جوانب الحركة الرومانسية.

وفي إنكلترا، نشطت الحركة الرومانسية عندما نشر الشاعران WORDSWORTH وكولريدج كتابهما «الشعر الغنائي» سنة 1798. وتواصل إنتاج الأدباء الرومانسيين في البلدين، ومنهم بودلير، لامرتين، هوغو، كيتس، بايرون، وغيرهم.

والواقع أن الأسبقية في ميدان الحركة الرومانسية كانت لألمانيا، ومنها انتشرت إلى فرنسا وغيرها. ففي ألمانيا ساهم الفيلسوفان فيخته، وشيلنغ في ميلاد هذه الحركة؛ ثم ساعد الأخوان شليغل، ونوفاليس، وهوفمان على توطيد الاتجاه الرومانسي. وفي إيطاليا، انطلقت الحركة الرومانسية قبل القرن الثامن عشر، ولكن مساهمتها لم تزدهر إلا بعد فترة من الزمن، وممن ساهموا في هذا المجال الأديبان أَلِسَنْدَرُو مانزوني، وجاكومو ليوباردي.

بدأت الحركة الرومانسية تهدأ قليلاً بعد منتصف القرن التاسع عشر، ولكنها عادت تنتعش في الفترة الأخيرة منه، فظهرت في أشكال مختلفة منها: الرومانسية الحديثة، والرومانسية الرمزية، والمذهب التعبيري، الذي لا يهدف إلى تصوير الحقائق الموضوعية، بل إلى تحليل المشاعر التي تثيرها الأحداث في نفس الإنسان؛ ومنها مذهب «المستقبلية»، وهي حركة فنية نشأت في إيطاليا، وتميزت بالدعوة إلى طرح التقليد، وإلى التعبير بحرية عن الطاقة الدينامية التي تميز الحياة المعاصرة.

وهكذا يتضح أن الحركة الرومانسية ليست نزعة محددة، بل تشمل اتجاهات متعددة، ومجالات فكرية وأخلاقية واجتماعية واسعة النطاق، مثل الرومانسية الليبرالية، والرومانسية الاشتراكية، والرومانسية الواقعية (فى المسرح)، والرومانسية القومية، عندما أخذ بعض الأدباء يمجدون تراثهم الأصلى، ويسعون فىما يؤلفون إلى إحياء لغاتهم المحلية وفنونهم القومية.

وعلى الرغم من اختلاف مناهجها واتجاهاتها، وتعدد البلدان التى نشأت فيها، أنتجت الحركة الرومانسية أدباً عالمياً متحرراً، يعبر عن التجارب الإنسانية، وعن مشاكل الحياة اليومية، بأسلوب جديد وجريء، ويعالج ما حدث من تغييرات وتطورات فى مجتمعات العصر الحديث بحماس وفكر مستتير. وقد نجحت هذه الحركة فى التأثير على مجالات مختلفة من النشاطات الاجتماعية.

ويتضح بهذا أن الحركة الرومانسية ليست كما يتصورها بعض الناس مقتصرة على مشاعر الحب والغرام، وعلى التمتع بظروف الحياة المريحة التى يكتنفها الجمال والرخاء وطيبات الدنيا وزخارفها؛ كما أنها ليست حياة العزلة والاسترخاء والكسل والتواكل؛ بل إنها حركة استغلت المواهب والمشاعر، والإلهام والتخيل، لتفتح أمام الإنسان آفاقاً جديدة لتدعوه إلى التحرر من قيود الماضى، إلى العمل والعلم، وإلى التمرد من أجل تحقيق وسائل التطور، وتطوير وسائل الإنتاج، ولخلق مستقبل أكثر ازدهاراً، والعيش فى عالم أوسع آفاقاً.

ولكن إلى جانب هذه الآفاق الجديدة، اتسع مدلول الرومانسية ليشمل كذلك الظروف والمشاهد الشعرية، والمناظر الطبيعية الجميلة، فيقول المرء: سهرة رومانسية، وعلاقة رومانسية، ومقولة «الماء والخضراء والوجه الحسن...» توحى كذلك بجو روماني.

مواصفات وخصائص أدب الحركة الرومانسية

من المهم الملاحظة أنه لا يمكن تقييم فترة من فترات ظاهرة الأدب الكلاسيكي أو الأدب الرومانسي، أو الحكم على الإنتاج الأدبي في عهد من العهود، بصورة واقعية موضوعية شاملة، دون مقارنة ذلك بفتريات أخرى من ذلك الإنتاج الأدبي تكون ظهرت في ظروف اجتماعية مختلفة.

ولقد سعت الكلاسيكية الحديثة إلى إحياء أساليب الأدب الكلاسيكي القديم، كما كان في عهد اليونان والرومان قديماً، معتمدة على ضوابط محددة مثل الواقعية والدقة، متجنباً الإفراط في الخيال والموضوعات الغريبة؛ وأصبح أدب الحركة الرومانسية يرفض التقيد بتلك الضوابط والمنهجيات والمثاليات، فساهمت بذلك في تحرير الإنتاج الأدبي الجديد من القيود، وراح أدباء هذه الحركة يتناولون، بروح جديدة وفكر منطلق، المشاكل المادية والروحية والثقافية والاجتماعية.

إن الرومانسية مجموعة من الخصائص والمميزات موجودة في جميع الآداب، وفي مختلف الأماكن والعصور. ولا تختلف من زمان إلى آخر إلا في درجة احتوائها على تلك المواصفات والخصائص. والواقع

أن درجة «الكلاسيكية»، ودرجة «الرومانسية» التى يوصف بها أيّ إنتاج أدبي في أيّ عصر من العصور، إنما تحدّد على أساس المميّزات التى يلتزم بها ذلك الإنتاج الأدبي. ومن الملاحظ أن قدرًا من الأدب الرومانسي قد وجد أثناء فترات ساد فيها الأدب الكلاسيكي، ولذلك لا ينبغي للناقد أن يتبنى مواقف متشددة في هذا المجال.

وقد ظهرت تعاريف متعددة لحركة الرومانسية، وفقًا لاتجاهاتها المتتالية أو المتباينة؛ وأصبح مفهوم الرومانسية يضم تحت رايته سلسلة من الأدباء والأعمال الفنية المختلفة في موضوعاتها وأساليبها عن المميّزات التى جرت عليها الكلاسيكية.

فالرومانسية في الأدب هي اتجاه يميل إلى عالم الخيال، والهوى والرغبات والتطلّعات، وينبعث من العالم الداخلي، بما فيه من إلهام وفوضى وابتكار، وكل ما هو رائع وجميل وغريب. وهي تحاول أن تكشف عن خبايا العوالم الخفية وأسرار الطبيعة، وما يكتنفها من الظواهر والتجليات، والتأمّلات الباطنية، والتبصر الروحاني، وعن الظواهر الغريبة التى لا تكشفها الحواس ولا يقيدّها العقل.

الرومانسية في الأدب ترتكز على البديهة والمشاعر والتلقائية، وليس على العقل والمنطق والتحفظ والتنظيم. فهي تطرح جانب الأعراف والتقاليد، وتؤكد حرية الفرد. فالكاتب الرومانسي لا يتقيد في مسرحيته، مثلاً، بوحدة الزمان والمكان؛ ويلجأ إلى اصطيات أفكاره ومشاهده إلى عوالم المخيلة والأساطير والخرافات الشعبية، والتأمّلات والوقائع الروحية، ويبتعد عن الوقائع المصطنعة والتعقيدات العلمية.

وهذا النوع من الأدب أدب فردي وذاتي، يحبذ الأفكار والتجارب الشخصية، ويستجيب لصوت المشاعر أكثر مما يلجأ إلى أساليب العقلانية، ويرفض الضوابط والمعايير النموذجية المقننة، فهو أدب ثائر على الماضي الكلاسيكي، ويدعو إلى التغيير والتطور. وقد أضافت الحركة الرومانسية إلى دائرة الفنون مجالات كانت ترفضها ظاهرة الكلاسيكية العقلانية، ومن ذلك فكرة أن للإنسان طبيعة مزدوجة، وأنه معلق بين الخير والشر، واللذة والألم، فهو عاقل ومتوحش، اجتماعي وأنااني، أليف ومتنرد.

تعليقات بعض الأدباء

- من السمات الجديدة التي نجدها في الأدب الرومانسي الاهتمام بالمشاعر الشخصية، أو ما يسمى «بالفردانية». ونجد جان جاك روسو يعبر عن الانعكاسات الذاتية وعن شعوره بالخيبة أمام الوقائع الاجتماعية، فيقول:

«إنني أكرس أيامي الأخيرة لدراسة نفسي، وأعدّ البيانات التي سأقدمها لنفسي في الحوار معها. إذاً فلأكرس جميع قواي للذة الحوار مع روحي، فهي الشيء الوحيد الذي لا يستطيع أحد أن يسلبه مني»

- وبصدد التمييز بين الأدب الكلاسيكي والأدب الرومانسي، تقول مدام دي ستايل ما مفاده:

«... إننا نستمعل أحياناً عبارة كلاسيكى لتكون مرادفة لعلارة «الكمال». وأنا أستعملها هنا، بدون تحيز، لأقول بأن الأدب الكلاسيكى هو أدب القدماء، وأرى أن الأدب الرومانسى هو ما يتصل، بوجه أو آخر، بتقاليد الفروسية... إن أدب القدماء هو بالنسبة لأجيال العصر الحديث أدب منقول ومجثث، أما الأدب الرومانسى، أو أدب الفروسية، فهو بالنسبة لنا، مواطنى هذه البلاد، ينبع من معتقداتنا ومؤسسانا».

- ويقول الأديب الفرنسى ستانداى ما مفاده:

«إن الرومانسية هى الإنتاج الفنى والأدبى الذى يمكن أن يقدم للناس أكبر قدر من المتعة فى ظروفهم الحالية، وفقاً لعاداتهم ومعتقداتهم. أما الأدب الكلاسيكى فهو أدب كان يقدم المتعة للأسلاف. فقد كان سوفوكلىز ويوريديز من أشهر الرومانسيين، وقد قدما لليونانيين المجتمعين فى أثينا مسرحيات استمتعوا بمشاهدتها، لأنها كانت تتجاوب مع عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، ومع كل ما يتعلق بتجاربهم ورغباتهم وآلامهم»

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

- قدم الفيلسوف الألماني كانت، في كتابه «نقد العقل»، الأساس الفلسفي للحركة الرومانسية، حيث نفى قدرة العقل وحده على اكتشاف الحقيقة النهائية، ونتج عن ذلك فكرة أن حياة الإنسان المبنية على الحس والبديهة هي حياته الحقيقية. وقد أثرت مدرسة كانت الفلسفية على آراء بعض شعراء الرومانسية وتوجهاتهم.

- وعودة إلى فكرة الفردانية، أو التركيز على الذات، في الأدب الرومانسي، يقول شاتوبريان:

«... كان ينقصني شيء أملأ به فراغ وجودي: أنزل إلى الوادي، أصعد إلى الجبل، وأنا أنادي بكل قواي شعلة الشبح المثالي التي ستملأ ذلك الفراغ، كنت أقبلها في الرياح، أسمعها في خرير النهر؛ كل شيء كان يمثل لنفسي ذلك الشبح الخيالي، حتى نجوم السماء، مبدأ الحياة في هذا الكون الفسيح»

- رسم الأديب بالزائف، في كتابه «الملهاة الإنسانية» ظروف الحياة الاجتماعية وتطوراتها في مختلف مظاهرها. وفيها يقول مادحاً دور المصادفة في الحياة، وأنها أكبر رومانسي في العالم:

«... إن المجتمع الفرنسي هو المؤرخ، وما عليّ إلا أن أسجل الفضائل والردائل، والمكارم والنقائص، والمساوئ

منازل من الأدب العالمي

والمحامد؛ وأفعل ذلك بأن أجمع نتائج المشاعر وعواقب
العواطف، وأرسم الشخصيات وتصرفاتها... وأدون الحوادث
الهامة في حياة المجتمع الفرنسي... ولعلني بذلك أوفق
إلى تسجيل التاريخ الذي أهمله كثير من المؤرخين، تاريخ
العادات والتقاليد»

- وبصدد دور الأدب الرومانسي، واهتمام الأديب بشؤون الناس، يقول
الشاعر الكبير فكتور هوغو ما مفاده:

«ليست العبقرية إلا انفتاح القلب على عوالم أوسع
فأوسع، فالفكر، شاعراً كان أو فيلسوفاً، يشعر بأبوة واسعة
تشمل الطبيعة والبشر والأشياء. فالشقاء العالمي حاضر
أمامه، فيتحدث إليه، ينصحه، يعلمه، يواسيه، يرفعه، ينير
له الطريق، ينعش حياته، ... إنه يعاني مع من يعانون،
يبكي مع من يبكون، يناضل مع من يناضلون، إنه أبو كل
حي، فهو لا يقدم الخبز فحسب، بل يمنح معه سماء
صافية زرقاء، إنه يحمل قلباً عظيماً، قلب الإنسان»

- ونجد الشاعر الكبير غوته يتحدث في كتابه «آلام فيرتر» عن سعادة
الإنسان التي قد تكون مصدراً لشقائه وآلامه، ويضاف هذا القول
إلى مواصفات الرومانسية (التركيز على المشاعر) فيقول:

«إن هذه الحساسية المستعرة في أحشائي من أجل الطبيعة
والحياة ، والتي كانت تغمرني ببهجة عميقة ، والتي كانت
تجعل من العالم المحيط بي جنة ونعيمًا ، قد أصبحت
اليوم قسوة على نفسي لا تطاق»

- وفي مقام آخر يقارن غوته بين الأدبين ، فيقول :

«إن الأدب الكلاسيكي أدب سليم، والأدب الرومانسي
عليل. والأدب الجديد رومانسي ليس لأنه جديد، بل لأنه
ضعيف ومريض. والأدب القديم كلاسيكي ليس لكونه
قديمًا، ولكن لأنه قوي سليم، عذب ومنعش»

- وتشير مدام دي ستايل في كتابها «عن ألمانيا» إلى أن موضوعات
الشعر الكلاسيكي والشعر الرومانسي مختلفة، ففي الأول يسيطر
دور القدر، وفي الثاني تسود فكرة العناية الإلهية. والقدر لا تهمه
كثيرًا مشاعر البشر، أما العناية الإلهية فلا تحكم على أعمال
الإنسان إلا عن طريق الشاعر.

- وفي سياق آخر نجد الأديب شاتوبريان يتغنى بالأم «الطبيعة»، ويقول:

«على من يغمره الحزن أن يندمج في الطبيعة، في

الغابات، ويتجول تحت سماواتها المتحركة، ويتسلق الرابي،
فمن هناك يكتشف مروجاً مزهرة زاهية من جهة، ويشاهد
من الجهة الأخرى الشمس تلمع أشعتها فوق البحار، حيث
يمتع بصره بالألوان الخضراء المتموجة، وهي تتحول إلى
ألوان قرمزية وشعلات ملتهبة. لا شك أن أحزانك لا تصمد
أمام مشاهد رائعة مبهجة كهذه»

- ومن شعراء الرومانسية لمرتين الذي نجده في قصيدته الشهيرة
«البحيرة» يناجي الطبيعة، متمثلة في البحيرة، ويتذكر حبه الماضي،
والساعات الممتعة التي قضاها إلى جانبها.. ويناشد الزمان ليتوقف
ويترك الناس يتمتعون باللحظات السعيدة.

- ونجد الأديب جيرار نيرفال يلجأ إلى التخيلات والأحلام، وهي من
السمات التي تحبذها الرومانسية، ويعتبرها استمراراً للحياة،
وشكلاً من أشكال الوجود الوجداني، لأنها تفتح له مجالات واسعة،
وتتيح له أن يتنقل بسهولة بين عوالم الأطياف والأشباح والأرواح.

- وفي هذا المجال يقول الشاعر فيكتور هوغو:

«يوجد وراء العالم الواقعي عالم مثالي، وهو عالم

مزدهر، رائع وبهيج أمام عيون من يقودهم التأمل والإلهام
إلى مشاهدة ما يكمن وراء الأشياء»

— أما الأديب سان - شامان فيهاجم الحركة الرومانسية ويقول:

«إنها تمثل القوة الفارغة التي يعوزها الصقل
والتهذيب، والذوق السليم، وتمثل كذلك فن الحماس
المندفع من غير نظام، والمشاعر العميقة المفردة الخالية
من الرقة واللطافة»

— يقول بودلير:

«ليست الرومانسية في اختيار الموضوع، ولا في سرد
الحقائق الدقيقة السليمة، ولكنها في كيفية الشعور، إنها
التعبير الحالي عن كل ما هو جميل»

الأزرق بن علو

الفلسفة علاج النفس⁽¹⁾

يوجد في استعداداتنا الوراثة بذور للفضائل الفطرية الطبيعية؛ لو يسمح لها بأن تنمو وتتطور بحرية، فإن الطبيعة نفسها تقودنا إلى السعادة. غير أن ما يحدث في حياتنا الواقعية فهو غير ذلك. فبمجرد أن يولد المرء ويشق طريقه إلى الحياة، يجد نفسه يعيش في بيئة من الفساد والضلال والانحراف الشامل يتمثل في الأفكار العامة السائدة.

ففي أحضان الأبوين، ثم في رحاب المدارس، نُسقى أصنافاً متنوعة من الأخطاء لدرجة تجعل الحقائق تتمحي أمام الغرور، وتجعل الطبيعة نفسها تختفي وراء استبداد الآراء العامة السائدة. ثم يضاف إلى ذلك تلك المعارف التي يعرضها الشعراء، ويطلب من الصغار أن يحفظوها لتسكن في أعماق مشاعرهم وتفكيرهم.

وعندما يتبنى الناس عامة تلك الأخطاء والعيوب التربوية، نجد أنفسنا مندمجين في بيئة الأفكار والأخطاء والعادات الفاسدة، وتضعف علاقتنا بالطبيعة أو تنقطع. وفي نهاية المطاف، يبدو للناس أن الذين فهموا الغاية الخفية في الطبيعة هم أولئك الذين رأوا أن أفضل ما ينبغي أن يطلب في الحياة هو المركز، والجاه، والمال، والسلطة، والمجد، والشهرة.

(1) العنوان : Les Tusculanes .

المؤلف : شيشرون (106 - 43 ق. م.)

ولكن للمجد الحقيقي رونقاً وتمييزاً، ووراء جمهور واع، وليس مجرد مخطط أو مشروع فردي. ويظهر هذا المجد في اعتراف أهل الفضل والرأي والمشورة؛ وهو يتجاوب مع مبادئ الفضيلة ويعكس صورتها. وهذا بعيد عن المجد الزائف الذي يندفع وراءه بعض الطامحين إلى العظمة المؤقتة، ويفنون أعمارهم في جمع الثروات، والانغماس في الملذات، فيبتعدون عن سبيل الحكمة، وينهكون أنفسهم، وتكون نهايتهم الشقاء والندم والنسيان.

ولا شك في أن المتاعب النفسية أشدّ خطراً من الأمراض البدنية، لأن الأولى تتدمج في الروح وتسيطر عليها وتعذبها. ولكن كيف نقول عن النفس إنها غير قادرة على معالجة متاعبها، مع أنها هي التي تخترع الأدوية التي تعالج الجسد؟

ونلاحظ أنه لكي ينجح علاج الجسد، ينبغي أن يكون محتفظاً بقواه الطبيعية؛ فهل يكفي في معالجة النفس (الروح) أن ترغب في العلاج، وأن تمتثل لنصائح الحكماء؟

الجواب : نعم. وعلاج النفس في هذه الحالة هو «الفلسفة». غير أنه في هذه الظروف لا يكفي أن يتجه المرء إلى المساعدة الخارجية، كما يفعل لمعالجة البدن، بل ينبغي أن تتوفر لديه الرغبة، وأن يبذل جميع جهوده لمعالجة نفسه بنفسه.

حياة القناعة والرضى⁽¹⁾

ليكدس من شاء كنوز الذهب بلونه البراق!
وليحرث من شاء آلاف الهكتارات بالكد والعناء!
يخشى في نهاره مكاييد جار السوء؛ ويفقد النوم
ليلاً عندما تدق الأبواق.
أما أنا، فقناعتي تجعلني أعيش، دون قلق؛
لا تتطفئ المشاعل في منزلي، ولا تذبل.
أنقل شتلات الكروم إلى مستقرها؛
وأعتني بأغصان أشجار الفاكهة في موسمها.
أقدم القرابين المتواضعة إلى إله الخصوبة،
فأضع على عتبة معبده حزمة من السنابل؛
أما آلهة مزرعتي المتواضعة،
فأقدم لها خروفاً قريباً.

(1) للشاعر الروماني تيبول (نحو 55 - 19 ق.م)

أريد أن أعيش قانعاً، راضياً. وفي أيام الحر الشديد
أسترخي تحت شجر الصنوبر، إلى جانب جدول.
أحمل المعول والمنجل، وأستعمل
المهماز لأحث الثيران الكسلانة.
وعند عودتي، أحمل بين ذراعيّ
الخروف أو الجدي الذي فقدته أمه.
مائدتني متواضعة، صحنوها وقدورها من طين.
لا حاجة لي إلى أملاك أجدادي،
ولا إلى أرباح كميات الحبوب التي خزنها.
إن قطعة أرض صغيرة تكفيني لأنام مطمئناً في سريري،
أستمتع بالدفء، وأنصت إلى الرياح تهبّ
في الخلاء
أضمّ إلى صدري فتاة ناعمة حميمة،
هذا يكفيني ويسعدني.
وأنتم، أيها الطامحون إلى جمع الثروة،
تتحملون خطر العواصف والأمواج،

فلتهنأوا بمكاسبكم. أما أنا فأقول:

سحقاً للذهب والأحجار الثمينة

إذا كانت أسفاري تحزن صديقتي.

سيأتي زمن الفتور والاسترخاء، عندما نصبح

غير قادرين على إعطاء الحب حقوقه، وقد إبيض شعر الرأس،

فلا نستغرق في الدعابة والمزاح.

أما اليوم فلتهنأ بالחסنات الفاتتات،

ولنملاً الدنيا نشاطاً وابتهاجاً.

وإني لأجد نفسي، في هذا المجال، فارساً متمرساً.

أما أنتم، حملة الألوية وأبواق النفير، أيها الجنود

الطامحون، فلتهنأوا بجراحكم ومكاسبكم.

إنني قانع بزادي المتواضع، دون قلق ولا هموم؛

أواجه ظروف الفقر والغنى، على حد سواء،

بضحكات الاستخفاف والسخرية.

الحياة السعيدة⁽¹⁾

ينبغي للمرء أن يحدد بوضوح ماذا يريد أن يحقق في حياته؛ وما الذي يجعل الحياة سعيدة، وأن يتأكد بوضوح من السبل والوسائل التي تقوده نحو أهدافه. وما دام الإنسان يسير مبليلاً ضائعاً في خضم ضجيج الحوادث، يسعى بدون قصد، خاضعاً للصدف، فإن سنين حياته تتآكل تدريجياً إلى أن ينهكه الزمن، ويضنيه السفر الطويل بدون هدف محدد.

وينبغي أن نختار هدفاً حقيقياً، ثابتاً، صامداً، لا يكون مجرد مظهر لإرضاء الناس، أو للتباهي والمخادعة. تمسك بطبيعة الأشياء، وابعث قوانينها، إنها قوانين الحياة. وأول خطوة على هذا الدرب هو أن تكون الروح زكية طاهرة، شجاعة صابرة، ومنسجمة مع ظروف عصرها؛ وألا يكون إفراطٌ في متطلبات الجسد وما يتعلق به؛ مع

(1) Seneca (04 ق.م - 65 ميلادية)، فيلسوف ورجل دولة روماني؛ كان من أتباع المذهب الرواقي القائل بأن الرجل الحكيم يتحرر من الانفعالات، لا تطفيه البهجة ولا تهزه الشدائد؛ يسعى إلى التحلي بالفضائل والخير الأسمى. تولى سينيكا مسؤوليات هامة، منها أنه كان مستشاراً للإمبراطور نيرون. جمع ثروة طائلة أثارت حسد منافسيه. وهذه مقتطفات من رسالة كتبها سنة 58، وهو في قمة نفوذه السياسي. وهو يحاور فيها شخصاً خيالياً؛ ويردّ فيها على من حسدوه وشنعوا به بسبب مركزه وثروته. وفي نهاية حياته اتهم الفيلسوف بالتآمر على الإمبراطور نيرون، فأمره هذا الأخير بأن ينتحر بأن يقطع شرايينه بنفسه، حدث ذلك سنة 65 ميلادية.

الاهتمام بما يُدبّر شؤون الحياة، دون أن نكون عبيداً لها. وأضيف أن الخير الأسمى هو أن تنبذ الروح المصادفات والملذات، وتبحث عن مسراتها في ظلال الفضيلة.

ويمكنني أن أقول بأن الرجل السعيد هو من لا يرى في الحياة جيشين من الطيبات والخبيثات؛ لا توجد بالنسبة إليه الأرواح الطيبة والأرواح الشريرة؛ إنه يتمسك بالحقيقة والفضيلة؛ لا ترفعه الحظوظ ولا تخفضه النوائب؛ يرى أن أسمى الخير هو ما يجلبه لنفسه بنفسه؛ وأن خير الملذات هو ترك الملذات. وأضيف بأن ما يجعل الحياة سعيدة هو الروح الحرة، المنطلقة، الباسلة، السامية، الثابتة، الزكية.

الملذات والآلام، أسياد طغاة متجبرون، يتناوبون على الإنسان ليحطموه؛ لذلك ينبغي للمرء أن يحرر نفسه من طغيانهم، وأن يلتزم بموقف اللامبالاة في ظروف السراء والضراء، عندئذ ينسكب إلى قلبه ذلك الخير المطلق، الصفاء، الهدوء، وسمو الروح في ملجئها الآمن؛ عندئذ تعرف جوهر الحقيقة، ومن هذه تتبع بهجة ثابتة لا تتغير بتقلب الظروف. فالحياة السعيدة إذا هي تلك التي تسكن إلى قاعدة راسخة، على أساس حكم سليم متبصر، يجلبان لها الصفاء والاستقرار، ويبعدان عنها القلق والآلام.

قد يقول القائل: أليس للروح ملذاتها؟ فليكن ذلك! فلتستسلم للفساد؛ ولتطلق العنان للشهوات، وكل ما يطيب للنفس والحواس. ثم يأتي حين من الدهر تلتفت فيه إلى الماضي، تجد أن تلك الملذات أصبحت ذكريات خاوية باردة، وتتوق إلى ملذات جديدة.. فينزلق

الجسد في وحل الحاضر؛ وتتوجه أفكاره نحو المسرات والمباهج، وتبدو الروح بئيسة عاجزة ضعيفة، تتخبط في مستنقعات الحياة.

وقد يتساءل القارئ: وأنت؟ ألا تمارس مبادئ الفضيلة من أجل الحصول على بعض الملذات؟ ولنقل بأنه إذا كانت الفضيلة توفر الملذات، فهذه ليست هي المقصودة في الدرجة الأولى. بل الملذات في هذه الحالة تكون مكافأة تلقائية. فالمرء لا يمارس الفضائل لأنها تبهج نفسه؛ بل إنها تبهج لأنه يحبها ويتعلق بها.

إنني لا أعتبر الرجل حكيماً إذا كان يخضع نفسه لجميع المغريات والملذات. وكيف يقاوم هذا المخلوق الفقر والخطر والمتاعب وجميع ما يحيط بحياته من مقلقات وتهديدات وآلام، بل كيف يواجه الموت، بعد أن خضع لعدو ضعيف هو متع الحياة، وأصبح عبداً مطيعاً للنفس الأمارة الضالة؟

وإذا جاء أحد الساخرين من الفلسفة يقول لي: لماذا تدبج في كلامك ما لا تطبق في حياتك؟ ولماذا تعتبر المال شيئاً ضرورياً؟ ولماذا تخفض طرفك أمام من هم أعلى منك مركزاً؟ ولماذا تتألم وتذرف الدمع إذا توفى شخص عزيز عليك؟ لماذا تهتم بشهرتك وتنزعج من الاتهامات؟ ولماذا تملك عقارات في الريف وتعتني بها كل العناية؟ ولماذا نجد في منزلك الأثاث الرفيع؟ وتأكل الأطعمة اللذيذة؟ ولماذا يرتدي خدمك هذه الملابس الثمينة؟ ولماذا تعتني بترتيب مائدة الطعام ترتيباً دقيقاً، وتستخدم كل هذه الأدوات الفضية؟ وتشغل خادماً خاصاً بطهي

اللحوم وتقطيعها؟ ولماذا تعلق زوجك في أذنيها من الذهب ما يعادل دخل أسرة ثرية؟...

وإليك جوابي: إنني أوجه إلى نفسي ألواناً من اللوم أكثر مما تتصور. ولأريحك من سوء ظنك أقول بأنني لست حكيماً، ولن أكون حكيماً، ولا أسعى لبلوغ درجة الكمال. ولا أسعى لأن أكون أفضل الناس، بل يكفيني أن أكون أفضل من أسوأهم بدرجة؛ وأن أتخلى كل يوم عن شيء من عيوبي؛ وأن أؤنب نفسي على أخطائي. وإنني لم أصل بعد إلى مستوى الصحة المرغوب فيه، بل أتناول بعض المهدئات فقط لمعالجة داء النقرس، وأشعر بالرضى إن هو هدأ قليلاً؛ ولكن إذا ما قارنا ساقِي بساقيك الكسيحتين، فأنا سبّاق.

لا أقول هذه الأشياء لنفسي وأنا غارق في وحل النقائص والعيوب، بل أقولها كشخص حقق بعض التقدم في إصلاح نفسه. وقد يردد بعضهم القول: إنك تتحدث عن أسلوب من السلوك، وتعيش بأسلوب حياة مخالف لما تقول.

لقد قدم مثل هذا الاعتراض إلى أفلاطون، وأبيقور، وزينون؛ بينما لم يكونوا في الواقع يتحدثون عن حياتهم، بل كانوا يصفون كيف ينبغي للمرء أن يعيش.

إنني أتحدث عن الفضيلة، وعن الخير الأسمى، وليس عن أسلوب حياتي. وعندما أثور ضد الرذائل، فإنني أثور ضد رذائلي كذلك. ولن تصدني نياتكم السيئة وأقوالكم المسمومة عن مواصلة البحث عن الخير الأسمى...

فيما نختلف إذا، أنا المجنون، وأنت الحكيم؟ إذا كان كل منا يرغب في اكتساب المال. في أمور كثيرة. فلدى الحكيم تكون الثروة مستعبدة؛ بينما هي لدى المجنون معبودة؛ الحكيم لا يعترف لها بسلطان عليه؛ أما أنتم فتعطون للثروة جميع الحقوق؛ أنتم تندمجون فيها وتسلمون لها مقاليد الحكم.

الحكيم يظل مستعداً لتحمل ظروف الفقر، فهو مثل القائد المحنك الذي يؤمن بالسلام، ولكنه يستعد للحرب. إن الثروة تبهر نفوسكم، فتغرقون في متع الحياة، دون أن تهتموا بما يترصدكم من أخطار. وإذا أخذ من الحكيم ثروته، يبقى له أعز خيراته وأسمائها، لأنه يعيش في الحاضر، ويثق بالمستقبل.

قال سقراط: «لقد عاهدت نفسي ألا أخضع سلوكي لآرائكم؛ إجمعوا من كل الجهات أقوالكم... فإني لا أسمع مَذَمَّاتكم، بل أسمع صراخ أطفال بؤساء».

هذا قول من خلت نفسه من المفساد؛ ومن لا يتردد في تأنيب مرضى النفوس ليس بدافع الكراهية، بل ليصف لهم بعض العلاج.

تأملات حول الحياة والموت⁽¹⁾

لقد وهبتنا الطبيعة «الحياة»، وهي هدية هشة سريعة العطب. ومهما كان حظ الإنسان منها فهي هبة بئيسة، سريعة الزوال، قصيرة المدى، خاصة إذا نظرنا إليها في إطار لانهائية الزمان.

وإذا أخذنا في الحسبان المدة التي يقضيها المرء نائماً، وهي حالة تشبه الموت، فإن المرء في الواقع لا يعيش أكثر من نصف حياته. وإذا أضفنا إلى ذلك سنوات الطفولة الأولى، وهو لا يعي تماماً معنى الحياة، وسنوات الشيخوخة والعجز والضعف والمرض التي يعاشر فيها المرء القلق والآلام، وأضفنا فترات أخرى يعاني فيها المخاوف والهموم والأخطار والكوارث... فماذا يبقى له من سنوات المتعة والسعادة؟

يبدو لي أن أهم هبة منحها الطبيعة للإنسان هي قصر فترة الحياة. وكثيراً ما تحيط به المتاعب قبل الوفاة: تبدأ الحواس تفقد حدتها، وتذبل الأعضاء وتضعف، وتتعطل وظيفة المشي، وتضعف فعالية جهاز الهضم، وتتفتت الأسنان، ومع هذا كله يُعَدُّ المرء فترة شيخوخته وطفولته في سنوات حياته.

أما الموت فقد كان وما يزال موضوع حسابات وتوقعات

(1) بليني الكبير (23 - 79م) مقتطفات من كتابه «التاريخ الطبيعي» المجلد VII ، 167 - 168 و 188 - 190.

وافتراضات متنوعة حول ما يحدث بعد الفناء. والواقع أننا بعد آخر يوم في حياتنا نعود إلى الحالة نفسها التي كنا عليها قبل ولادتنا. فلا يبقى للجسد ولا للروح أي إحساس بعد الوفاة.

ولكن الغرور والخوف من الفناء يدفعان الإنسان إلى السعي لتخليد ذكره، فيمنح نفسه حياة أخرى خيالية، بعد الموت. فيتحدث مرة عن خلود الروح، وحيناً عن ظاهرة التقمص، وتارة يتخيل مشاعر وحساسيات لمخلوقات في العوالم السفلى، أو يعيش مع أشباح الأجداد والصالحين... إلخ.

ويمكن للمرء أن يتساءل في النهاية: ما هو جوهر الروح؟ وما مادتها؟ وما مصدرها؟ وأين يكمن مركز تفكيرها وشعورها؟ وكيف تستطيع أن تتحدث وتسمع وترى؟ وكيف تستخدم مواهبها الأخرى؟ وفي أي مكان توجد هذه الأرواح والأشباح؟ وما هو عددها الآن بعد مرور آلاف السنين على الخليقة؟

ليست جميع هذه الآراء والتخيلات والنظريات سوى اختراعات صبيانية، اختلقها البشر خوفاً من الفناء، و رغبة في الوصول إلى الخلود. لقد دفع هذا النوع من الغرور العالم ديموقريط إلى الدعوة إلى تحنيط الجثامين البشرية أملاً في حياة ثانية، ولكنه لم يحقق ذلك حتى لنفسه.

يا لشقاء الإنسان! ما هذه حماقة، وما هذا الجنون وما هذه الأنانية والغرور الذي يزعم بأن الموت حياة ثانية؟! حياة جديدة! سوف

منازل من الأدب العالمي —

لا ينعم البشر بالسلام أبداً إذا كانت أرواحهم «في السماء»، وأشباحهم في «العوالم السفلى» تشعر وتعي وتحس! إن العقائد التي تحاول أن تعزي الإنسان أمام مصيره المحتوم: الفناء، لا تفعل أكثر من أنها تحطم العمل الصالح الجوهري الذي فرضته الطبيعة، ألا وهو «الموت». لأن من يعدون الناس بحياة جديدة، إنما يضاعفون عذابهم.

الأرملة والجندي⁽¹⁾

كان يوجد في مدينة إفيز امرأة اشتهرت بعفافها وأخلاقها الفاضلة لدرجة كانت تأتيها النساء من مناطق بعيدة للتبرك بها. وحدث أن توفى زوجها، فلم تكتف، كما تفعل النساء عادة، بلطم خديها ومنتف شعرها وتمزيق ثيابها، بل مكثت داخل السرداب، إلى جانب قبر زوجها، تبكيه وتتدب حظها.

لم يستطع أقرباؤها ولا صديقاتها، ولا حتى قاضي البلاد أن يسلوها عن مصابها أو يخففوا من آلامها. وظلت جالسة بالقرب من قبر زوجها ليلاً ونهاراً طيلة أربعة أيام، من غير أكل ولا شراب. وكانت ترافقها في وحدتها خادمة وفية، تجدد زيت المصباح. وكانت هذه المرأة الوفية العفيفة موضوع حديث أهل المدينة، وجميعهم يكررون بأنهم لم يشهدوا مثل هذه الزوجة الطاهرة ذات الأخلاق الفاضلة.

وحدث ذات يوم أن أمر حاكم المنطقة بصلب عدد من قطاع الطرق في مكان مجاور للسرداب الذي دفن فيه زوج المرأة الفاضلة. وكان يحرس جثث المصلوبين جندي خشية أن يأتي أقرباؤهم ليلاً لإنزال الجثث ودفنها. وفي الليلة التالية لاحظ هذا الحارس أن هناك

(1) ملخص هذه الحكاية من قصة طويلة عنوانها Satyricon لمؤلفها Petrone Arbiter (توفى سنة 66 ميلادية)، ويعتبرها النقاد أول قصة طويلة في أدب أوروبا الغربية.

ضوءاً ينبعث من وسط القبور، وسمع بكاءً وأنيناً، فرغب في أن يعرف ما يجري.

نزل في السرداب فشاهد امرأة رائعة الجمال؛ فذعر بادئ الأمر، إذ خيل إليه أنه يرى أشباحاً. وعندما اقترب رأى امرأة وخادمة وقبراً؛ وكانت الزوجة تنوح وقد جرحت خديها بأظافرهما، فأدرك ما يحدث. فأتى بما معه من طعام، وراح يناشد المرأة أن تتوقف عن الحزن والبكاء، وأن كل هذه الدموع والآلام، سواء طالت أسبوعاً، أو شهراً لا تردّ الأحباء، وأن الحياة يجب أن تتغلب وتستمر...

وظلت الأرملة تنتف شعورها وتضرب صدرها، ولكن الجندي لم ييأس، واستمر يواسيها ويخفف من أوجاعها، محاولاً إقناعها بتناول بعض الطعام. واشتاق نفس الخادمة إلى مذاق الطعام، فمدت يدها وتناولت قسطاً منه. بعد ذلك بدأت هي الأخرى تحث سيدتها على تناول بعض الطعام... وأخيراً قررت أن تتمسك بالحياة، فاستجابت لمناشدة الجندي، وتناولت بعض الطعام.

واستخدم الجندي بعد ذلك أسلوب الإغراء لإقناعها بالتمتع بملذات الحب الجديد المائل أمامها. والواقع أن المرأة العفيفة وجدت فيه كثيراً من خصال الشهامة واللطافة وحسن المنطق والمظهر. وراحت الخادمة تشجعها على الاستجابة لما يبديه هذا الجندي نحوها من مشاعر الإعجاب والحب، وتناشدها ألا تضيع شبابها وتحرم نفسها من ملذات الحياة.

وكسب الجندي هذه المعركة أيضاً، فسمحت له أن يقضي الليلة إلى جانبها؛ وتكررت التجربة، فكان يغلق باب السرداب ويؤنس وحدتها حتى مطلع الفجر.

و ذات ليلة لاحظ أقرباء أحد المصلوبين غياب الحارس، فأنزلوا جثمان قريبهم المصلوب ونقلوه إلى مكان بعيد ليدفنوه. وعندما عاد الجندي في الصباح إلى مكان حراسته وجد أن جثمان أحد المصلوبين قد اختفى، وشعر بالرعب أمام ما ينتظره من عقاب.

رجع مسرعاً إلى حبيبته وأخبرها بما حدث، قائلاً إنه سوف لا ينتظر الحكم الذي تصدره ضده المحكمة، بل سيعاقب نفسه على إهماله واجبه بأن يشق أحشاءه بسيفه؛ وطلب منها أن تدفنه إلى جانب زوجها في قبر واحد.

وأجابته المرأة الصالحة العفيفة: إنه لا يرضي الآلهة أن أدفن الرجلين اللذين أحببتهما أشد الحب، في أسبوع واحد وفي مكان واحد. كلا! بل سأضع الميت على الصليب لأنقذ حياتك. وأمرت على الفور بإخراج جثمان زوجها وصلبه مكان المصلوب الذي أخذه أقاربه.

حديث النفس⁽¹⁾

النفس اللطيفة المرحلة الراضية البارعة

أنا نفس أفكر فى الحياة بطريقة بسيطة ونبيلة. أنجز أعمالى وأنج ما أنتج بطريقة طبيعية، وأزىّن منتجاتى بما يناسبها من زخارف. وإننى أنسجم بسهولة مع أذواق الآخرين، وأطرد من أفكارى ما هو غير لائق. أعتبرنى نفساً لبقّة بارعة مرنة، أتجنب المشاكل، أحافظ على مصالحى وكذلك مصالح الناس.

النفس الصالحة النشيطة الطيبة

أحاول دومًا أن أدرك الأشياء على حقيقتها، وأعطي لكل موقف ما يستحقه من أهمية. أسعى أحيانًا إلى تحويل مجرى الأمور إلى الاتجاهات التى تناسبها. أنا راضية بحياتى، وأتمسك بقوة بوجهات نظرى، لأننى أدرك ما فيها من قوة وخير ومعقولة.

النفس النفعية الماهرة فى الأعمال والمصالح

ألاحظ أن من الناس من هو ماهر فى الأعمال، ولكنه لا يركز

(1) هذا ملخص (ببعض التصرف) لمقال عنوانه: De la différence des esprits من كتاب عنوانه Maximes ألفه La Rochefoucauld (1613 - 1680). وبما أن لكلمة Esprit معان عديدة، فإننى استعملها هنا بمعنى: «النفس، الروح، المزاج، السلوك».

دومًا على مصالحه. وهناك أشخاص يركزون كل اهتمامهم على ما يخصهم وأُسْرَهُمْ فقط. وهناك فئة خيرة مؤمنة تستغل كفاءاتها ومهاراتها لإنتاج ما يزيدها ثروة وشهرة، ويصلح ظروف العباد والبلاد. ولهذا فأنا أسعى إلى دعم هذه الفئة الطيبة الصالحة، ورحم الله من استفاد وأفاد، واستتفع ونفع.

النفس الجدية الرزينة

أنا نفس جدية حقًا، ولكن أميل أحيانًا إلى بعض الظرف والفكاهة. وقد لاحظت أن سلوكي يلائم كثيرًا من الناس في جميع المهن والأعمار. ولو أنني لاحظت أن روح المداعبة والممازحة تغلب على خلق الشباب.

النفس الهازلة المازحة

أعترف بأني رقيقة المرح والهزل والفكاهة والمزاح، ورفيقة كثير من ذوي النفوس الطيبة المرحّة، وخاصة منهم الشباب. ولعل بعض هؤلاء، بما أوتوا من نشاط وحيوية وقلة تجاربهم، يبالغون أحيانًا في هزلهم، فينتقلون من المزاح النظيف إلى السخرية أو الاستخفاف، وهذا ما يجعل مرافقتهم غير مريحة. ولا شك في أن الاستهزاء بالآخرين، ولو بحجة المزاح، صفة مزعجة وخلق منبوذ.

النفس المرفهة النبيهة المرّضية

إنني أحاول دومًا أن أعالج الأمور بلطافة، وأراعي حساسية

منازات من الأدب العالمي —

الناس ومشاعرهم. يقول معارفي إنني أعالجها بفكر ثاقب ونفس ذكية. أشعر أن الناس يحبونني، وأنا سعيدة بوجودي بينهم.

النفس الذكية الداهية

يقولون أنني أنانية، وأنني أسلك سبلاً غير محببة لقضاء مآربي. لست أدري؟ مع أن كل أمني أن أبلغ أهدافاً رسمتها لنفسي! والواقع أنني أصبحت أخشى أن يتحول استياء الناس من سلوكي إلى عراقيل تقف في سبيل تحقيق مآربي.

النفس الحماسية المندفعة

أعترف بأنني أملك حيوية متقدة وقوة تساعدني على أن أقطع أشواطاً بعيدة، بكثير أو قليل من النجاح. أسبق رفقائي وأقراني أحياناً، وتارة يسبقونني. يهتموني أحياناً بأنني متهورة ينقصني سداد الرأي! فما قولكم؟

النفس المنظمة

أنا أهتم بالنظام في صغار الأمور وتفصيلها، هذا من غير أن أهمل القضايا الهامة، بل أرتب لكل عمل، صغير أو كبير، زمانه ومكانه. وقد لاحظت أن هذا الترتيب يبعد عني كثيراً من الارتباك والخلط والنسيان، ويرفع فعاليتي فوق مستوى الآخرين.

النفس الساذجة، ضيقة الأفق

ما رأيكم في صفاتي؟ هل تعذرونني؟ أم تلومونني على صفات ورثتها؟ وهل منكم من يخلق غباوته ويصنع بلادته بيده؟

النفس الجامعة

يقول الناس عني إنني من أهل الخير والصلاح، أسمى وراء الحكمة والمعرفة؛ أفضل الحياة البسيطة المتواضعة؛ وأحاول أن تكون حياتي معتدلة؛ وتصرفاتي خالية من الانحرافات؛ لا أهمل القضايا الصغيرة، ولا تفجعني القضايا الضخمة؛ لا أتخوف من الفشل ولا أبتهج كثيرًا بالنجاح. أقدر أهل الروح الإنسانية والأفكار الواسعة النبيلة؛ أسمى إلى مواساة البؤساء والأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة؛ وأحمد الله الذي وهبني بصيرة نافذة أميز بها الطيب من الخبيث، وأحذر الانفعالات الجامحة فألجمها بلجام العقل؛ وأخذ نصيبي من متاع الدنيا من غير إفراط؛ وكذلك من صفاتي الجد والإخلاص في العمل، دون طموح مفرط؛ أصاحب أهل العلم، وأواصل طلب المزيد منه.

ويبدو لي أن الناس يبالغون عندما يدعونني بالنفس الزكية الواعية الطيبة، وهم يرون أنني أتصف بما نُسبَ للنفوس السابقة من صفات حميدة، ولكنني أحذر نفسي من الغرور، فما يخلو أحد من بعض الهفوات والزلات، خاصة عندما تلح عليه الغرائز العاتية والمشاعر الجامحة، ويحدوني الأمل في أن الحسنات تذهب السيئات، والله يغفر لمن يتوب توبة نصوحًا.

التسلية والترويح عن النفس⁽¹⁾

أفكر أحياناً في الأساليب المختلفة التي يلجأ إليها الناس للترويح عن أنفسهم، وأفكر في الشدائد والأخطار التي يعرضون لها أنفسهم.. أجد أن كثيراً من مشاكل الناس وشقائهم ينجم من حقيقة واحدة: هي أنهم لا يستطيعون أن يمكثوا هادئين مسالمين في منازلهم. فالرجل الذي يملك ما يكفيه للعيش الكريم، لو عرف كيف يعيش في راحة وهدوء وهناء في بيته، لما كان عليه أن يغامر ويركب البحار ويحاصر المدن.. إلخ.

وعندما نفكر في المراتب الاجتماعية، نتصور أن منزلة الملك هي أكرم وأعلى منزلة. ونتصور أن الملك يحقق رغباته ويحصل على جميع المتع. ولكن الملك نفسه يحتاج إلى التسلية والترويح عن النفس، وإذا ترك في عزلة، يفكر في وضعه كملك فقط، تستولى عليه الهواجس، ويفكر في الأخطار والثورات والمؤامرات، وقد يصل به الأمر إلى هواجس القلق والمرض. وهكذا نجد أن الملك يصبح أشدّ شقاءً وتعاسة من أقل فرد من رعيته، إذا لم يأخذ نصيباً من اللهو والتسلية ومما يروح به عن نفسه.

هذا هو السبب الذي يجعل الناس يلجأون إلى مختلف أساليب

(1) العنوان : Diversion

المؤلف : Blaise Pascal (1623 - 1662) من كتابه : Pensées.

التسلية، مثل الصيد، والقمار، والرهان، والطرب، والنساء، والهوايات والملهيات، والركض وراء الثروة والمراكز، والحروب. والناس لا يقومون بهذه الأنشطة أو يرغبون فيها، لأنها في حد ذاتها تجلب لهم السعادة المنشودة، كلاً! فهم يدركون أن السعادة الحقيقية لا تكمن في جمع الأموال على طاوولات القمار، أو في صيد أرنب أو احتلال مدينة.

إن المرء الذي يشعر بالملل والقلق لا يرغب في الحصول على شيء ما بسهولة وفي هدوء واطمئنان. بل يكون هدفه أن يعيش فترة وسط الهياج والصخب والأنشطة التي تستثير نفسه وتلهيه، ولو مؤقتاً، عن التفكير في همومه وتبعد عنه الملل والقلق. وهذا ما يجعل ذلك الصنف من الناس يفضل عملية الصيد وما يصاحبها من جهد ونشاط، على الإمساك بالطريدة.

الناس يفضلون الصّخب والضجيج والتغيير، لهذا يعتبر ما في السجون من هدوء ورتابة عقاباً مهيناً. فلا متعة في الوحدة، ولا لذة في العزلة. لذا نجد أن رجال البلاط يسعون دائبين لإيجاد ما يسلي الملك، فيهيئون له ما يروح به عن نفسه من وسائل المتعة المتجددة.

عندما نطلب من إنسان أن يريح فكره وأن يعيش في هدوء وعزلة، فإننا نهىء أسباب القلق، لأننا نضعه في ظروف مخالفة لما أرادت له طبيعة الإنسان. والخطأ ليس في البحث عن عوامل الاستثارة، إذا كان الهدف هو الترويح عن النفس، بل الخطأ أن يعتقد المرء أن حصوله على الأشياء التي يسعى وراءها (المركز، المال، الطريدة، المرأة...) هي التي تجلب له السعادة. وعندئذ لا يلبث أن يشعر بخيبة الأمل.

والسبب في هذا واضح. فالناس في بحثهم عن الاستثارة وسعيهم وراء اللهو والمسليات مثل الرهان والقمار والنساء والطرب والهوايات المتنوعة، إنما يرغبون في القيام بأنشطة مثيرة والاستغراق في ملهيات عنيفة ومتعة جذابة لكي ينسوا المشاغل المقلقة والأفكار السلبية أو ليغيروا أسلوب حياتهم الرتيب المل. وكما سبق القول، في مثل هذه الظروف يفضل أحدهم أن تطول عملية الصيد، ولا يرغب في نيل الطريدة بسهولة.

وهكذا قد يقضي المرء حياته ساعياً وراء «الراحة» من خلال مواجهة الصعوبات والركض وراء الأهداف، وعندما يبلغها يجد أنه لا يتحمل تلك «الراحة» طويلاً.

فما أشقى الإنسان! إنه يشعر بالقلق حتى عندما تتوفر لديه جميع وسائل الراحة والهناء والطمأنينة. وما أشد طيشه! إذ أنه حتى عندما تجتمع عليه أسباب القلق، نجد أن أقل نشاط، كلعبة «البليارد»، (أو كرة السلة، أو مشاهدة راقصة...) يكفي لتسلية.

ويحق للمرء أن يتساءل: ما هدف الإنسان من كل ذلك؟ ليفتخر أمام أصحابه بأنه أحسن لاعب في الفريق؛ أو أنه استطاع أن يحل مشكلة حسابية عجز عنها الجميع؛ أو أنه احتل مدينة حاصرها قواد قبله وعجزوا عن احتلالها... إلخ.

وقد نجد شخصاً يقضي وقتاً طويلاً أمام طاولة القمار متوقعاً أن يربح (أو يخسر) مبلغاً طفيفاً. قدّم له كل يوم ذلك المبلغ في هدوء، شريطة أن ينقطع عن القمار، أو أن لا يشارك في منافسات الرهان،

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

وستكتشف أنه بائس حزين. إقترح عليه أن يشارك في هذه الألعاب والمنافسات كمتفرج، بصفة رمزية، وليس بالمال، عندئذ يجد هذه المشاركة مملة، خالية من الحماس والاستثارة.

إذاً لا بد من نشاط يستثير المشاعر ويهز الأعصاب، ويحدث قدرًا من الخوف والقلق والحماس والاهتياج والانفعال في الإنسان ككل جسداً وفكراً ونفساً.

وهكذا نلاحظ أنه لا بد للناس، سواء كانوا ملوكاً أو من عامتهم، من نشاطات إيجابية مسلية، تروح عن النفس، وتبعد عنها الملل والهموم، وتجدد النشاط وتنعش الخيال.

أخلاق وعادات هذا العصر⁽¹⁾ « حول النساء والرجال »

حول النساء

- ليس من العسير على رجل فظ وذكي أن يدير حياة امرأة إذا حرص على ذلك. بل بوسعه أن يدير حياة عدد منهن: فهو يثقف عقولهن؛ ويوضح عقيدتهن؛ وينظم ويوجه شؤون قلوبهن؛ فيصبحن مطيعات لا يوافقن ولا يرفضن، ولا يشكرن ولا ينتقدن، إلا بعد النظر إلى ملامح وجهه ونظرات عينيه. ومثل هذا الرجل الخبير يصبح مرجع رغباتهن وأحزانهن وأحقادهن ومغامراتهن العاطفية.

يصبح بوسعه أن يصلح ما فسد من علاقاتهن مع أزواجهن أو عشاقهن؛ والوسيط في تجارتهم وأعمالهن؛ ينظم علاقاتهن مع القاضي والمحامي والطبيب؛ ويرافقهن في زيارتهن وأسفارهن؛ ويدير العلاقات مع الأقرباء؛ ويسير شؤون الأطفال والخدم.

إنه يبدأ بنيل تقديرهن واكتساب ثقتهن، وينتهي بأن تصبح النساء طوع أو أمره، ويخشين الخروج عن طاعته... وفي النهاية عندما يموت ترث النساء منه شيئاً ثميناً: حريتهن.

(1) العنوان : Les Caractères

المؤلف : Jean de la Bruyère (1645 - 1696)

- إذا عجز الرجل عن معرفة أثر السنين وما يحدثه من تغيير في بدنه، يمكنه أن يجد الجواب في نظرات فتاة حسناء يودّ التعرف عليها، وفي نبرات حديثها.. وقد يكتشف ما كان يخشى أن يعرفه.

- لا أدرك حالة الرجل الذي يتبع نزواته ويخضع لمزاجه، ولا يخفي هفواته، فيكون بخيلاً، مهملاً، فظاً، بارد الشعور، قليل الأدب.. وبعد هذا كله يأمل أن يحافظ على قلب فتاة أمام محاولات رجل ظريف لطيف كريم، رقيق المشاعر، يحسن استعمال أساليب الرقة والعناية والملاطفة والمجاملة والأناقة والكياسة والإطراء؛ ويظهر المودة والاحترام والإعجاب، ويقدم الهدايا.. فمن يفوز في هذه المنافسة؟

- ليس من طبيعة الحق أن نعامل أعداءنا كما لو أنهم سيصبحون أصدقاءنا يوماً ما، ولا من قواعد الصداقة أن نعامل أصدقاءنا كما لو أنهم سيصبحون أعداءنا يوماً ما. فهذا الكلام يدخل في باب السياسة لا في باب الأخلاق.

- تقول حكمة إن من تكره يكلفك أقل مِمَّنْ تحب، أي إن تكاليف الصداقة أكبر من تكاليف العداوة. غير أن الرغبة في الانتقام قد تكلف كثيراً. وإذا كان من الطبيعي أن نفعل ما يضر عدونا، أليس من الطبيعي أن نحسن إلى صديقنا.

- لا يوجد في الدنيا إسراف أجمل من الإسراف في الاعتراف بالجميل.

- من الزوجات من تدفن زوجها حياً، بحيث يصبح دوره الوحيد في الأسرة أن يكون مثلاً للسكوت والخضوع؛ فهو الزوجة وهي الزوج.

فهو الذي يدفع تكاليف النفقات، ولكن الناس يقولون: نحن مدعوون إلى العشاء عند السيدة فلانة. وقد لا يعرف أهل المدينة إلا بعد سنوات أن فلاناً هو زوج السيدة فلانة.

- يلاحظ لدى بعض النساء نوع من العظمة المتكلفة، تظهر في حركة العينين، واهتزاز الرأس، وطريقة المشي، وفي مظاهر أخرى براقية وسطحية. ويوجد في نساء أخريات عظمة طبيعية بسيطة، لا تعتمد على الحركات والمظهر، بل إنها تتبع من القلب، وتدل على أنهن من أصل كريم. إنها مزايا هادئة ودائمة، تصحبها فضائل عديدة لا يُخفيها تواضعهن.

- إذا كانت المرأة تتزين فقط لتبدو جميلة في عينيها، فلها أن تختار ما تشاء من مواد الزينة والزخرفة والأثاث، مما يمليه ذوقها ونزواتها. أما إذا كانت تتزين ليعجب بها الرجال، فإنني قد سمعت ملاحظات كثير منهم مفادها أن اللونين الأبيض والأحمر معاً يجعلان مظهر المرأة منفراً... وأن اللون الأحمر وحده يجعلها تبدو أكبر سناً. وسمعت أن الرجال ينفرون من بعض مستحضرات التجميل على بشرة الوجه، ومن المرأة التي لا تتوقف عن مضغ العلكة، ويرون أن كثيراً من مواد الزينة ومستحضرات التجميل تقلل من جمال المرأة الطبيعي.

العشاء⁽¹⁾

حضر زاديك (Zadig) وسيدته Sétoc مأدبة عشاء، وكان يوجد من بين المدعوين هندي، ومصري، وكلداني، ورجل من قبائل السلّت (Celtes)، ويوناني، وصيني وغيرهم. ودارت بينهم مناقشة ساخنة حول العقائد والآلهة⁽²⁾.

كان الرجل المصري غاضباً لأنه فقد قريبة له، ولم يحصل على قرض.. وعندما مدّ يده ليتناول قطعة لحم، بادره الهندي قائلاً:

الهندي : هل ستأكل من هذه الدجاجة؟ ألا تخشى أن تكون روح المرحومة قريبتك قد تقمّصت هذه الدجاجة؟
إن طهي الدجاج عمل يغضب الطبيعة.

المصري : ما معنى كلامك عن طهي الدجاج، وغضب الطبيعة؟ إننا نعبد العجل أبيس، ولكن لا نتردد في أكل لحمه.

(1) العنوان: العشاء، Le souper، مقتبسة من حكاية زاديك (Zadig) للكاتب الفيلسوف فولتير. وزاديك شاب ذكي وطموح، يواجه مصاعب كثيرة منها أنه تمّ بيعه لثري مصري يدعى Sétoc. واكتشف السيد ما يتمتع به زاديك من علم وذكاء وتجارب، فاتخذته صديقاً.

(2) المؤلف يجري النقاش على السنة هؤلاء الأشخاص على أساس معتقدات العهود القديمة.

الهندي : تعبدون عجلًا؟ هل هذا معقول؟
المصري : أجل، معقول جدًا. نفعل هذا منذ مائة وخمسة
وثلاثين ألف سنة، ولم ينكره علينا أحد.
الهندي : إن إلها «براهما» نهانا عن أكل لحم العجول.
المصري : وما الذي جاءكم به إلهكم هذا من خير؟
الهندي : لقد علم الإنسان القراءة والكتابة. والعالم مدين له
بلعبة الشطرنج.
الكلداني : كلاكما على خطأ. ألا تعلمان أن الحوت العظيم
Oannes (الإله) هو منبع جميع الخيرات؛ لا
يستحق الشكر والحمد إله غيره. كان له رأس
إنسان وذنب مذهب، وكان يخرج من البحر ثلاث
ساعات في اليوم ليقوم بمهمة الوعظ والإرشاد...
الصيني : إنني أحترم آراء الجميع، بما في ذلك العجل
المقدس، والحوت الجميل، وآراء الكلداني والمصري
والهندي... ولكن ألا ترون أن النور، والعقل،
والسموات.. تعادل وتفوق العجول والحيتان. ولا
أريد أن أناقش الأقدمية، لأن المهم هو أن يكون
الإنسان سعيدًا.
اليوناني : إنكم جميعًا جهال. ألا تعلمون أن «الفوضى» هي
أصل الكون؛ وأن الحالة الفوضوية التي كانت فيها
المادة والأشكال قبل نشوء الكون هي التي أعطت
العالم وضعه الحالي....

(وقاطعه السلتي قائلًا)

السلتي : أقسم أنه لا يوجد إله عظيم غير «تيوتاتس»
Teutates ⁽¹⁾ الذي يستحق أن نتحدث عنه.

وقف زاديك فهدًا الخواطر، ووجه كلمات طيبة لكل من
الحاضرين، ثم أضاف:

أصدقائي، كل واحد منكم على جانب من الحق، والواقع أنكم
جميعًا على وفاق. فأنت، أيها المصري لا تعبد العجل Apis في حد
ذاته، بل لأنه رمز للقوة الكامنة وراء خلقه. وأنتم، أصحاب الحوت
العظيم، إنما تعبدون القوة التي أحسنت صنعه وخلقته له البحار التي
يعيش فيها. وأنتم أهل الهند والصين، تعترفون بمبدأ الخلق الأول.
وأنت يا ابن اليونان، أنا على يقين من أنكم تؤمنون بخالق أعلى، مبدع
المادة والأشكال.

فأجاب الجميع بإشارات الرضى والموافقة، وطلب زاديك منهم أن
يتعانقوا، ففعلوا.

(1) إله الغاليين.

ميكروميغا⁽¹⁾

كان لي الشرف ذات يوم أن أتعرف على مخلوق يدعى ميكروميغا، وهو اسم يناسب كل مخلوق عملاق مثله. انطلق هذا الكائن من أحد الكواكب التي تدور حول نجم الشعري. وبعد أن زار كواكب عديدة، وصل إلى كوكب زحل، وهناك تعرف على سكرتير أكاديمية الكوكب، وهو مخلوق ضخم، ولكنه قزم عند مقارنته بالعملاق المذكور.

قرر العملاق، ميكروميغا، وصاحبه «القزم» أن يسافرا معاً، فانطلقا في الكون الفسيح، واستقرا فترة في كوكب المشتري، ثم تابعا سفرهما مروراً بكوكب المريخ، فشاهدا ضوءاً ضئيلاً، كان ذلك هو كوكب الأرض فقصداه، ونزلا في شمال بحر البلطيق، يوم 25 جويلية (يوليو) سنة 1737 (التوقيت الجديد).

وبعد استراحة قصيرة قرر الزائران، العملاق والقزم، التعرف على كوكب الأرض، ولم يخفيا منذ البداية ابتسامة ساخرة لصغر حجم

(1) عنوان القصة Micromega، للكاتب الفيلسوف الفرنسي الشهير Voltaire. وهي قصة فلسفية يتخيل فيها المؤلف أن كائنين أحدهما من أحد الكواكب التابعة لنجم الشعري، ويدعى Micromega، والآخر من كوكب زحل ويدعى «القزم»، وصلا إلى كوكب الأرض بعد جولة عبر الفضاء. ويشير المؤلف في قصته الخيالية إلى مدى ضعف الإنسان، وصغر حجمه، وغروره، وقلة حيلته، حيث يبدو كوكب الأرض وسكانه مخلوقات منعزلة، بل لا تكاد ترى في نظام الكون الفسيح.

هذا الكوكب الذي بدا لهما كصخرة مبللة صغيرة تسبح في أعماق الفضاء. قررا الاتجاه نحو الجنوب، وأتما دورة حول الأرض خلال 36 ساعة. وحاول الزائران أن يكتشفا ما إذا كان يوجد على هذا الكوكب كائنات حيّة، ولم تستطع عيونهما الضخمة أن تشاهد لأول وهلة هذه الحيوانات التي لم تكن سوى حبات رمل أمام العملاق ورفيقه.

وذاث يوم تمزّق عقد العملاق الفيلسوف، المصنوع من اللؤلؤ، وتناثرت حباته على الأرض، فانحنى صديقه القزم ليلتقط حباته، فلاحظ أن حبات اللؤلؤ تعمل مثل المكبر، وتساعد على مشاهدة مخلوقات صغيرة، وشاهد الحيتان تتحرك في البحر، فدعا العملاق الذي تعجب من صغر حجم هذه الكائنات الحيّة.

وشاهد العملاق مخلوقاً آخر يتحرك في الماء، فرفعه برفق، ووضعه على ظفره. وكان ذلك «الشيء» سفينة تحمل عدداً من المسافرين. وتمكن العملاق، بعد جهد، من مشاهدة «حشرات» مثل حبات الرمل، تتحرك داخل المركب، فكانت فرحته عظيمة، ودعا صاحبه ليتمتع بذلك المشهد، وشكر الإله الذي خلق هذه الكائنات الصغيرة على هذا الكوكب التائه في زاوية من أعماق الفضاء الفسيح.

أشفق العملاق على هذه المخلوقات الضعيفة، وسألهم: هل فيكم روح؟ هل أنتم سعداء، أم أنتم في طريق الانقراض؟ لعلكم تقضون جزءاً من حياتكم في التفكير، وتتمتعون بالحب؟ هذا إن كانت لكم أرواح! فأجابه أحد رجال السفينة، وهو فيلسوف أيضاً، فقال: إذا استثنينا عدداً قليلاً من سكان كوكبنا، فإن باقيهم خلق من الأشرار والمجانين

منازل من الأدب العالمي

والأشقياء. لدينا كميات كبيرة من المادة التي تساعد على إتيان الشرور، كما نملك قدرًا وافراً من الروح والفكر، إذا كانت الشرور والفساد تأتي من هذين.

أيها الزائران، هل تدريان أنه في هذه الساعة التي أتحدث فيها إليكما يوجد مائة ألف مجنون من حشرات الجنس البشري، ممن يرتدون القبعات، يقتلون مائة ألف من الحشرات الأخرى الذين يلبسون العمامة؟ وأن هذه الممارسات تحدث فوق كوكبنا منذ بدء الخليقة.

وسأله الزائر العملاق: وما سبب هذه الأعمال الشرسة بين حشرات مثلكم لا تكاد ترى بالعين المجردة؟

- إنه الجشع والأنانية والنزاع حول قطع من الأرض لا تتجاوز حجم قدمكم، يتنازع عليها شخصان يُدعى أحدهما «السلطان» والآخر «القيصر». مع أنه لا أحد من البشر الذين يقتتلون يعرف من هو السلطان ومن هو القيصر.

- يا لهم من أشقياء! لقد هممتُ أن أخطو ثلاث خطوات فأسحق جميع هذه الحشرات الشريرة...

- لا تتعب نفسك، إنهم يسعون إلى حتفهم بأنفسهم، إنهم يدمرون الحياة على هذا الكوكب الجميل... والواقع أن الذين يستحقون القتل هم أولئك المتجبرون الذين يأمرهم بهذه المجازر.

- بما أنكم تنتمون إلى القلة القليلة التي تتبع في حياتها سبيل الحكمة والرشاد، لا تسلبون ولا تقتلون، فبماذا تشغلون أنفسكم؟

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

— إننا نُشرِّحُ الذباب، ونجمع الأرقام، ونقيس الخطوط... ولكن كثيرًا ما نتفق على نقطتين أو ثلاثة، ونختلف على ألف نقطة.

وطاب للزائر العملاق الحديث، فسأل عن المسافة بين الأرض والقمر، وبين بعض النجوم، ظنًا منه أنه يعجزهم، ولكنه تعجب من أجوبتهم، بعد أن كان قبل قليل يشك في أن لهم روحًا وعقلًا. ثم سأل:

— بما أنكم تعرفون ما هو خارج أبدانكم، فهل تعرفون ما هو داخلها؟ ما هي الروح عندكم، مثلاً؟ وجاءت أجوبة فلاسفة السفينة متباينة، فاستشهد أحدهم بقول أرسطو، وقال إن الروح هي النفس صافية تتعلم قبل ميلادها جميع الأفكار الميتافيزيقية، وعندما تخرج إلى هذا العالم تضطر لأن تتعلم كل شيء من جديد.

وطلب العملاق مزيداً من التوضيح، فقال أحدهم:

— لا أدري، يقولون إنها عكس المادة.

— ولكن هل تدري ما هي المادة؟

— على سبيل المثال، هذه الصخرة لها شكل وحجم ولون، ويمكن لمسها ورؤيتها. وسأل العملاق فيلسوفاً آخر:

— هل تخبرني ماذا تفعل روحك؟

— إنها لا تفعل شيئاً؛ إن الله هو الذي يفعل الأشياء من أجلي.

وقال فيلسوف آخر من سكان الأرض: إن جميع العوالم التي

منازل من الأدب العالمي

مررتما بها، وغيرها من النجوم والكواكب، إنما خلقها الله من أجل الإنسان. وضحك الزائران ضحكة ساخرة، فاهتزت أكتافهما، وسقط المركب الذي فوق ظفر العملاق. وتعجب هذا الأخير كيف يكون لهذه الكائنات، التي لا يتجاوز حجمها حبات الرمل، كل هذا الكبرياء.

وقبل مغادرته كوكب الأرض، كتب لهم كتاباً حول الفلسفة، يتناسب مع مستواهم، ويوضح لهم كثيراً من الأمور. حمل الفلاسفة الكتاب إلى أكاديمية العلوم في باريس، وعندما فتحه السكرتير، لم يجد فيه غير صفحات بيضاء⁽¹⁾.

(1) فولتير (1694 - 1778).

الملك أرتور وفرسان المائدة المستديرة⁽¹⁾

عندما بلغ أرتور سن الثامنة عشرة، أظهر قوته بأن نزع سيفاً كان منغرزاً داخل صخرة. وبعد أن تغلب على عدد من صغار الملوك، أعلن أسقف كانتربري أن أرتور ينبغي أن ينصب ملكاً على بريطانيا. وتزوج الملك الشاب الحسناء غوينيفير⁽²⁾ وكانت هدية زواجه المائدة المستديرة؛ ونصب بلاط ملكه في كاملوت.

وهناك أساطير تبين كيف حصل الملك أرتور على سيفه الشهير Excalibur من سيدة البحيرة؛ وكيف انتصر في معارك شهيرة. وكان ميرلين الساحر مستشاره الملازم له في كثير من مغامراته.

وبدأ عدد من فرسان المائدة المستديرة، أنصار الملك، ينالون شهرة واسعة بفضل بطولاتهم وشهامتهم. وأصبح السير لانسلوت^(Sir Lancelot) أول فرسان المائدة المستديرة بفضل شجاعته وكرمه أخلاقه. وبرز فرسان آخرون اندمجت حكاياتهم ومغامراتهم ضمن أسطورة الملك أرتور ومنجزاته.

(1) يعتقد أن الملك أرتور الأسطوري كان بطلاً من أبطال السلتيين الذين كافحوا غزو القبائل الجرمانية لبريطانيا في القرن الخامس الميلادي. وقد شاعت حكايات هذا الملك (الفارس) في منطقة ويلز (بريطانيا) قبل القرن الحادي عشر. وانتشرت حول شخصه، وحول من التف حوله من فرسان المائدة المستديرة، حكايات شعبية، وأشعار رومانسية، وأساطير بطولية بمرور القرون. وهذه مقتطفات من كتاب «الأدب الإنكليزي» للمؤلف Guy E. smith، طبعة 1959، نيو جيرسي، الولايات المتحدة.

(2) Guinevere.

وبدأت الحكايات تتناول مغامرات الحب السري بين لانسلوت والملكة غوينيفير؛ وتُصوّر هذه الملكة في هيئة شخصية نبيلة وجليلة، وذات جمال وغنج وحياء. وكانت ترسل عشيقها أحياناً في مهمات خطيرة. وفي إحدى هذه المغامرات، يجد نفسه على فراش الأميرة إيلين، ابنة الملك بيليس، وينجب منها ولداً يدعى غالاهاد، يصبح من أصدق فرسان المائدة المستديرة وأنبلهم.

وبعد أن نال هذا الفارس مكانه ضمن المجموعة، بدأ الفرسان يهتمون بالبحث عن الكأس المقدسة⁽¹⁾. ويروى أن الفارس غالاهاد، تمكن من رؤية معجزة الكأس المقدسة، بفضل براءته، ومقاومته للإغراء، وكرم أخلاقه.

وبعد فترات طويلة، قام خلالها الملك وفرسانه بمغامرات في البر والبحر، وحققوا إنجازات بطولية، وكان الساحر ميرلين يلعب دور العراف وراء قوة الملك أرتور، بدأت تظهر على أسطورة الملك وفرسانه بواد الضعف والتدهور؛ وراح فرسان المائدة المستديرة يواجهون مزيداً من الإهانات والمآسي؛ وأصبح أعداؤهم يتكاثرون.

وبدأ الملك يشك في علاقة زوجه السرية بالفارس لانسلوت؛ فأرسل جماعة من الفرسان ليقتلوه. ولكنهم قتلوا جميعاً، ما عدا مودريد، ابن الملك أرتور. وأصبح هذا الفارس يمثل دور الخائن في أسطورة الملك أرتور. وأنقذ لانسلوت الملكة التي كانت ستقتل حرقاً، واعتزلاً في حصن منيع.

(1) هي الكأس التي يروى أن السيد المسيح عليه السلام شرب منها ليلة العشاء الأخير.

هاجم الملك ذلك الحصن... وسعى البابا إلى عقد صلح بين الملك ولانسلوت، الذي رحل إلى فرنسا برفقة أتباعه، وهناك أصبح ملكاً. وهاجم الملك أرتور فرنسا ليقضي على لانسلوت، الذي كان فيما مضى فارسه المفضل. واستولى مودريد، ابن الملك، على عرش بريطانيا، وحاول أن يجعل غوينيفير ملكته، ولكنها لجأت إلى حصن في لندن.

وعاد الملك أرتور إلى بريطانيا ليعزل الخائن مودريد عن العرش. وعُقد اجتماع بين أرتور وفرسانه ومودريد وفرسانه لعقد صلح بين الطرفين. وأثناء اللقاء، استل أحد الفرسان سيفه فجأة ليقتل أفعى، فأحدث هذا الفعل المفاجئ بلبلة وسط الفرسان، وهاجم كل فريق الفريق الآخر. وقتل الملك أرتور ابنه مودريد، وأصيب هو الآخر بجرح قاتل.

طلب الملك أرتور، وهو على فراش الموت، من السير Bedevere أن يعيد سيفه الشهير Excalibur إلى سيدة البحيرة. وحاول هذا الأخير إخفاءه مدة. وأخيراً رماه في البحيرة حيث ارتفع من أعماق الماء ساعد فتلقاه. ونقل الملك، وهو يموت، إلى أحد الشواطئ، فوضع على زورق غامض، اقتيد إلى مكان يدعى Vale of Avelon، حيث كان يتوقع شفاؤه. وظلت بريطانيا تنتظر، خلال قرون، عودة ملكها.

وعلم السير لانسلوت بما حدث، فأسرع إلى بريطانيا لينتقم للملكه السابق... وعرف أن الملكة لجأت إلى دير؛ وأن مودريد قتل، فلجأ هو الآخر إلى أحد الأديرة ليقضي ما بقي من حياته في الصلاة والتوبة، وليكفر عن ذنوبه.

———— منارات من الأدب العالمي ————

وعندما علم بوفاة الملكة، نقل جثمانها إلى المكان الذي دفن فيه زوجها، الملك أرتور. وتوفى السير لانسلوت، أشهر فرسان المائدة المستديرة، بعد ذلك ببضعة شهور، وظل يوصف خلال قرون بأنه الفارس المثالي في تاريخ فروسية القرون الوسطى.

الإنسان⁽¹⁾

يدخل رسول يتحدث إلى الجمهور، ويذكرهم بأن كل شيء في هذه الحياة زائل؛ وعلى الإنسان أن يتذكر دومًا أن الموت يتقدم نحوه. وقد يجد المرء أن الإثم حلو المذاق، ولكنه يجعل الروح تبكي عندما يصبح الجسد ترابًا.

وفي المشهد التالي، يخاطب الإله الجمهور، ويشكو من أن الإنسان قد نسي التعاليم الدينية والمبادئ العقائدية، ويقرر بأن كل نفس ستذوق الموت؛ فيذهب الموت إلى الإنسان ويقول:

«عجبًا! أرى الإنسان يمشي؛ عجبًا! كيف
لا يفكر في أنني قادم إليه؛ أرى فكره
مهتمًا بالمال وبمتع الجسد؛ ولكن ذلك
سيسبب له آلامًا شديدة عندما يواجه
ملك السموات».

يسمع الإنسان رسالة الموت، فيحتج... ويقول بأنه ليس مستعدًا

(1) العنوان: "Everyman"، مسرحية أخلاقية رمزية، كتبت حوالي 1508؛ المؤلف مجهول.

— وهذه مقتطفات من كتاب «الأدب الإنكليزي» لمؤلفه Guy E. Smith، طبعة 1959 —
الولايات المتحدة.

منازل من الأدب العالمي

للموت الآن. فيرفض الموت أعضائه. فيؤكد الإنسان ألا مناص من الموت، ومفارقة متع الحياة، ويوافق على اقتراح الموت بأنه يمكنه أن يختار عددًا من الرفاق ليصحبوه في رحلته إلى الآخرة.

ويلتقي الإنسان بالرفيق الأول، ويدعى «الصديق» فيسأله أن يرافقه في رحلته الطويلة. فيعرب هذا الرفيق عن استعداده، إذا كان في الرحلة ما يوفر الربح والمتعة...، ويقول:

«إذا كنت ستأكل وتشرب، وتمرح، وتصيد النساء،
فسوف لا أفارقك ما دام النهار جميلًا...»

ولكن عندما اطلع «الصديق» على تفاصيل الرحلة، رفض أن يرافق صديقه.

اتصل الإنسان بعد ذلك بأفراد أسرته لمعرفة من يرافقه في رحلته الطويلة. كان أقرباؤه كرماء في وعودهم قائلين:

«سنكون إلى جانبك في السراء والضراء؛ لأن
المرء ينبغي أن يسارع إلى مساعدة قريبه...»

غير أنهم لما عرفوا أن الأمر يتعلق بمرافقته في رحلة الموت، وقدروا ثقل المهمة وتكاليفها، نكصوا عن وعودهم.

ومن عادة الإنسان أن يعتمد في رحلاته على البضائع والسلع، فحاول جهده أن يأخذ شيئًا منها. ولكنه سرعان ما اكتشف أنها لا تجدي نفعًا في حالات العسر والشدة، فاستولى عليه الغضب، وأنشد:

«أيتها السلع الذميمة، لتنزل عليك اللعنة!
فلقد خنتِ حكمة الإله، وخيبتِ أملِي،
وأوقعتنِي في شرك المتع والملذات...»

وهكذا، فشل الإنسان في إيجاد من يرافقه في رحلته، ما عدا ما
قدم من الحسنات وفعل الخير. ورغبت حسانته في مرافقته، ولكنها
اشتكت من ضعفها وعجزها عن تحمل مشاق الرحلة. والواقع أن سبب
عجزها هو ضعفها عن مواجهة حجم السيئات التي اقترفها.

نصح «فعل الخير» الإنسان بأن يزور أخته «المعرفة». فوافقت
هذه الأخيرة أن ترافق الإنسان لزيارة «الاعتراف»، وقالت:

«لنذهب الآن برفق ولطافة إلى «الاعتراف»،
ذلك النهر الزكي الذي يطهر الإنسان...»

وعمل الإنسان بنصيحة الاعتراف، فقرر أن يطهر جسده من
الذنوب، وأنشد:

«الآن، ينبغي لي أن أستحم في مياه النهر
الطاهرة، لأكفر عن ذنوبي، وأخلص جسدي من
خطاياي، وأنقذه من نار الله الموقدة...».

عندئذ، عرض فعل الخير على الإنسان مساعدته ليزيد من
حسناته وأفعاله الخيرية، وابتهجت المعرفة عندما رأت أن الإنسان
أصبح الآن بين أيد زكية صالحة.

———— منارات من الأدب العالمي ————

ارتدى الإنسان أثواباً جديدة مصنوعة من قماش التوبة
والحسنات؛ وجمع رفاقاً جددًا لمرافقته في رحلته، منهم: التعقل، القوة،
الاعتدال، الطيبة، الجمال...

وأثناء الرحلة بدأ رفاقه يغادرونه واحداً تلو الآخر، لأن الموت لا
يسمح له أن يقابله إلا برفيق واحد هو: فعل الخير. وفي نهاية المطاف،
لخص فعل الخير الحقيقة بالنسبة للإنسان، فقال:

«ما متاع الحياة الدنيا إلا غرور:

فلا ينفع الإنسان جمال، ولا قوة، ولا تحفظ...

ولا ينفعه الأقرباء، والأصدقاء...

فقط فعل الخير، وحسناته تقول له:

لا تخف! نحن بجانبك.»

عندئذ، سلم الإنسان نفسه للموت. وجاء الملك فحرر سجله قائلاً:

«إن حسابك صاف، وسجلك طاهر،

الآن، يمكنك أن تدخل ملكوت السماء، في أمان»

مقالات عن الشعر المسرحي⁽¹⁾

— نياندرٌ يتحدث:

نبدأ إذاً بشكسبير لقد كان، من بين جميع الشعراء المحدثين، وربما قدمائهم كذلك، صاحب روح طليقة مسهبة، وأوسع إدراكاً وشمولية. كانت جميع مشاهد الطبيعة ماثلة أمامه، وكان يرسمها بدون جهد، بل ببديهة وحسن الطالع: وهو عندما يصف شيئاً، لا يجعلك تشاهده فحسب، بل تحس به كذلك.

أما من يهتمونه بنقص في ثقافته، فإنهم يقدمون له أكبر الثناء والتزكية: لقد ثقفته الطبيعة، فلم يحتج إلى الكتب المقدسة ليقراً فيها عن الطبيعة؛ بل كان يتأمل داخل نفسه فيجدها هناك.

لا أقول إن شكسبير كان مجيداً في جميع الموضوعات؛ ولو كان كذلك لما قارنته حتى بأعظم الشعراء والأدباء. بل في أحيان كثيرة نجد كتابته رتيبة، تفقد الحيوية واللمعان، وتافهة، عديمة النكهة. وقد تتحدر مشاهدته الفكاهية إلى مستوى التدافع بالأيدي؛ وتتضخم مشاهدته الجدية أحياناً إلى مجرد عبارات طنانة وكلام مزخرف. ولكنه عظيم دائماً عندما تعرض له مواقف عظيمة؛ وما من أحد يستطيع أن يقول إنه عالج موضوعاً ملائماً لفكره، ولم يخلق به فوق رؤوس جميع الشعراء.

(1) للأديب جون درايدن J. Dryden (1631 - 1700).

وفي هذا الصدد، قال أحد كبار النقاد: لا يوجد أي موضوع تناوله أي شاعر، إلا وتجد أن شكسبير قد تفوق فيه. ومهما نلاحظ أن أناساً في عصرنا يفضلون شعراء آخرين على شكسبير، فإنه، في العهد الذي عاش فيه، كان الشاعر المفضل على جميع معاصريه، ومنهم فلاطشر⁽¹⁾، وبن جونسون⁽²⁾. وحتى عندما كان هذا الأخير في أوج شهرته، في البلاط الملكي، نجد أن السير جون ساكلين⁽³⁾، ومعه معظم رجال البلاط، يجعلون شكسبير في منزلة أعلى من بن جونسون.

وأتناول الحديث عن الأديبين بومونت⁽⁴⁾، وفلاطشر⁽⁵⁾، فأشير إلى أنهما كانا يتمتعان بمواهب طبيعية عظيمة، زاد في صقلها الدرس والمطالعة. وكان بومونت دقيقاً وخبيراً في تقييمه للمسرحيات لدرجة أن بن جونسون كان يعرض عليه مؤلفاته لنقدها. ويروى أن هذا الأخير اعتمد على خبرة بومونت وآرائه في تصحيح مسرحياته، وربما كذلك المساعدة على اختراع حبكةها.

والمسرحية الأولى التي حققت لبومونت وفلاطشر شيئاً من الشهرة هي مسرحية Philaster. وكانا قبل ذلك قد ألفا مسرحيتين أو ثلاثة لم تحقق لهما نجاحاً يذكر. وكذلك بالنسبة لبن جونسون قبل أن يؤلف مسرحيته «كل رجل ومزاجه»⁽⁵⁾. وقد كانت مسرحيات بومونت

(1) Fletcher.

(2) Ben Jonson.

(3) John Suckling.

(4) Beaumont.

(5) Every Man in his Humor.

وفلاتشر، بصفة عامة، أحسن ترتيباً وتنظيماً من مسرحيات شكسبير، وخاصة المسرحيات التي ألفها قبل وفاة بومونت. كما يلاحظ أن هذين الأدبيين (بومونت وفلاتشر) كانا يفهمان سلوك السادة (الجنّلمان) ويقلدان حوارهم أحسن من غيرهما...

أما الظرف والفكاهة التي كان بن جونسون يستمدّها من سلوك بعض الأشخاص، فلم يُؤلِّه الأديبان اهتماماً خاصاً. وأمّيل إلى الاعتقاد بأن اللغة الإنكليزية بلغت لديهما أعلى مستويات الدقة والكمال. وما زالت مسرحياتهما تقدم للناس كثيراً من المتعة والمسرة. ويعرض منها على خشبة المسرح ضعف ما يعرض من مسرحيات شكسبير أو بن جونسون، ولعل السبب في هذا هو ما يوجد في كوميدياتهما من دواعي البهجة والمسرّة؛ وفي مسرحياتهما الجدية من العناصر المثيرة للعطف والشفقة والعواطف النبيلة. وهو ما يُلائم بصفة عامة، أمزجة كثير من الناس.

من أقوال جون درايدن:

- الحرب جهد ومشقة وموت، وما الشرف إلا فقعات فارغة؛ وإذا كان العالم جديراً بأن تبذل من أجله جهودك، فهو جدير كذلك بأن تتعم به وتتمتع بطيباته.

- أنا حرّ كما صنعت الطبيعة الإنسان الأول، قبل أن توضع قوانين العبودية الغاشمة؛ قبل ذلك كان الإنسان يركض حراً طليقاً في الأدغال.

منازل من الأدب العالمي

- عندما أتأمل الحياة أجدها كلها غشاً وخداعاً؛ ولكن الأمل يغري الناس فيوقعهم في حبال المكر والاحتيال.
- يشقى الإنسان ويكدُّ ليجمع الثروة؛ ثم يترك ما جمع إلى مخلوق بلا ريش ولا جناح، يدعى «الابن».
- سعيد من يقول: أيها الغد افعل ما بدا لك، فقد تمتعت بيومي.
- العادات السيئة تتراكم بهدوء تدريجياً، مثلما تشكل الجداول الأنهار، وتتحد هذه نحو البحر.
- الأخطاء مثل عيدان القش، تسبح على سطح الماء؛ ومن يبحث عن الجواهر عليه أن يغوص إلى الأعماق.
- ملذات الحاضر أشد إغراء من الخير البطيء الذي سيأتي غداً.
- الحجة «الدامغة» هي كلمة وضربة صاعقة.
- الموت ليس مخيفاً في حد ذاته، بل المخيف هو المجهول، فالمرء لا يعرف أين سيكون؛ وماذا سيكون.
- إنما يشتد القتال حول المكان الذي يوجد فيه الكنز.
- لعني كبرت وأصبحت لا أصلح لحب الغانيات، ولكن قلبي ما زال يهتز لسحر الجمال.

رسالة عن النقد الأدبي⁽¹⁾



إنه لجرم أن يمتنهن النقد ناقدٌ فاشل؛ وأن يمتنهن الأدب مؤلف سيئ. فالنقد السيئ أشد خطراً لأنه ينشر الذوق السيئ لدى القراء. والذوق السليم نادر بين النقاد، ندرة العبقرية الأصيلة بين المؤلفين. لا شك أن الطبيعة تمنح معظمنا بعض القدرة على النقد، ولكن الثقافة الخاطئة قد تضعفها. وينبغي للناقد أن يبدأ بمعرفة قدراته وحدوده، لكي لا يغامر وراء الأعماق التي تتعبه؛ فبحر الفنون واسع، وفكر الإنسان، مهما اتسع، يضيق عن استيعابها جميعها.

اتباع الطبيعة، فمعاييرها ثابتة، وضع أحكامك ضمن قواعدها وأطرها. وقد اكتشف الأقدمون معايير وأنظمة للنقد تبرز لنا الطبيعة في صور منظمة ومنهجية...

وهناك عشرة أسباب للنقد الخاطئ: أولها الكبرياء، إذ من النقاد من يرغب في تضخيم أهميته عندما يعالج الموضوعات الأدبية والفنية؛ والثاني هو نقص الثقافة، فالجهل أفضل من المعرفة السطحية؛ والخطأ الثالث هو الحكم على الأعمال الفنية الرائعة من خلال التركيز على عيوب بعض الأجزاء الصغيرة، بدلاً من معالجة الموضوع كوحدة متكاملة؛ فمن المهم أن يراعي الناقد الهدف الأساسي الذي يرمي إليه المؤلف.

ومن النقد من يوجه اهتمامه إلى التلاعب بالكلمات بطريقة

(1) العنوان : Essay on Criticism .

المؤلف : Alexander Pope (1688 - 1744).

منازل من الأدب العالمى

ذكىة؛ ويركز على العبارات اللغوىة التى لا تتجاوز كونها لباساً للأفكار؛ ومن يحكمون على الشاعر بناء على طريقة نظم قصائده، مثلهم كمثلى من يذهب إلى الكنيسة فقط لسماع الموسيقى.

والخطأ الرابع فى النقد الأدبى نجده فى الناقد المتشدد المتزمت الذى يبالغ فى البحث عن الهفوات، فىصعب إرضاءه؛ ومن هو متساهل متسامح يرضى بالقليل؛ والصواب فى تجنب الإفراط والتفريط. فلا ينبغى له أن يثير اعتراضات حماسية لأول خطأ تافه؛ ولا أن يفقد الحكم الصائب المتبصر لمجرد عثوره على عبارات موفقة وأسلوب مزخرف.

والخطأ الخامس أن يطلق الناقد العنان لقلمه متحيزاً لأحكام مسبقة؛ أو أن يقتصر على تحبىذ الأساليب والأفكار السائدة. والخطأ السادس هو أن يبالغ المرء فى التحيز لقدماء الأدباء، أو للمحدثين. ومن الجهل أن يوقف المرء إعجابه بأدب اللغات الأجنبية فقط، أو يركز اهتمامه وتقديره على الأدب المحلى فقط.

والخطأ السابع أن يتعلق الناقد بطموحه ليقال عنه إنه مجدد، ومبدع، وقادر على الانفراد بأفكار مبتكرة. والخطأ الثامن هو عدم قدرة الناقد على الالتزام بحكم واحد خلال أربعة وعشرين ساعة. والخطأ التاسع هو التحيز للفريق أو الجماعة، فىمدح الناقد فقط ما يلائم تحالفاته ومن يوالىهم.

والخطأ العاشر، وهو أسوأها، هو الحسد. إن أجمل ما ينبغى أن يتصف به الناقد هو الطبع الودى، المرح، السمع، الهادئ. ومن أفضل ما ينبغى أن يتسلح به الناقد المتبصر هو الجمع بين الصدق، والتواضع، والصراحة، والتهذيب السليم، والإخلاص للفن؛ وأن يجعل هدفه الكشف عن المؤهلات والمميزات.

مقدمة لشكسبير⁽¹⁾



.... لا يستطيع المرء أن يقول عن نهر إنه عميق، أو عن جبل إنه شامخ، من غير أن يشاهد أنهاراً وجبالاً أخرى؛ وكذلك فيما يتعلق بالحديث عن العبقريّة، لا نستطيع أن نقول عن عمل إنه إنتاج عبقري حتى نقارنه بأعمال أخرى...

إن الشاعر الذي شرعت الآن في الكتابة عنه، أصبح يعتبر في منزلة كبار الأدباء الأقدمين، ونال تقديرًا وسمعة مستحقين. وقد مرّ على وفاته نحو قرن ونصف، وهي مدة كافية لاختبار الاستحقاق الأدبي. وانتهت الآن، بعد هذه المدة، أية مزايا يكون قد حظى بها أثناء حياته نتيجة عادات محلية، أو تصورات شخصية، أو آراء مؤقتة... وانتهت كذلك آثار التحيز والمحاباة والمنافسات، والصداقات والعداوات التي ربما سادت آنئذ، وكانت ضده أو لصالحه.

إن أعمال شكسبير لا تدعم أو تتاهض آراء أي فرد أو فئة. ولا تخدم غرور أشخاص أو تحاول إرضاء الطبائع الشريرة؛ ونحن نمدحها لما توفره لنا من تسلية ومنتعة. وبوسعنا أن نقول أن إنتاجه المسرحي قد مرّ مكرماً عبر أذواق وعادات متغيرة خلال قرن ونصف من الزمن، من

(1) هذه مقتطفات من مقال عنوانه «مقدمة لشكسبير» بقلم الأديب :

Dr. Samuel Johnson (1709 - 1784).

غير أن تدعّمه المصالح أو تفسده الأهواء؛ وأثناء عبوره من جيل إلى آخر لقي مزيداً من الترحيب والتكريم.

وبما أن الأحكام التي يصدرها الناس لا تبلغ درجة اليقين المطلق مهما اقتربت من الحقيقة، فإنه من المناسب أن نبحت عن الخصائص والامتيازات التي جعلت شكسبير ينال تكريم مواطنيه وإعجابهم ويحافظ على هذا الإعجاب عبر الزمن...

يعتبر شكسبير قبل جميع الكتاب، أو على الأقل كتاب العصر الحديث، شاعر الطبيعة، الشاعر الذي يعرض أمام قرائه مرآة صادقة يشاهدون فيها أخلاق الناس وظروف الحياة وتقلباتها من حولهم. وشخصيات مسرحياته لا تتغير وفقاً لعادات مناطق محددة معزولة عن بقية العالم؛ ولا تتبدل نتيجة لخصائص مهنية أو تطورات محلية، فتكون مقتصرة على فئات محددة؛ ولا تتغير بتقلب الأزياء والأنماط والأفكار المؤقتة؛ بل نلاحظ أن حوادث مسرحياته نتاج يشمل وقائع البشرية؛ وأن شخصياته تعبر عن المشاعر والمبادئ العامة التي تمثل أفكار جميع الناس، وتجعل نظام الحياة يستمر في حركته واتجاهاته المتجددة. وبينما نجد الشخصية في كتابات غيره من المؤلفين تمثل سلوك فرد أو فئة، نجدها عنده تمثل جنس البشرية.

ومن هذا التصميم الواسع، والرؤيا الشاملة يتلقى القارئ من شكسبير قدراً كبيراً من المعرفة، إذ نجد في مؤلفاته جيشاً من الأمثال والحكم والأقوال السائرة على ألسنة الناس. لقد قيل عن الشاعر اليوناني يوربديز إن كل بيت من شعره يعبر عن مبدأ سلوكي؛ ويمكن

القول عن شكسبير إننا يمكن أن نجمع من أعماله نظاماً من التدبير والحصافة المدنية والاجتماعية والاقتصادية. ولا تظهر قوة شكسبير في روعة فقرات من كتاباته فحسب، بل كذلك في تتابع حوادث مسرحياته ومغزى حوارها؛ ومن يحاول أن يزكيه بذكر نخبة من مقطوعاته فقط يكون كالرجل الذي خرج لبيع منزله، وأخذ معه قرميدة كعينة.

... ليس لشكسبير أبطال؛ مشاهد مسرحياته يشغلها أشخاص يتكلمون ويتصرفون تماماً كما يعتقد القارئ أنه يتصرف لو كان يقوم بدورهم في تلك الظروف. وحتى عندما تكون البيئة والمشاهد خيالية أو فوق الطبيعة، نجد المؤلف يجعل الحوار في مستوى الحياة العادية... إنه يقرب البعيد، ويبسط ما كان وعراً، ويجعل الحوادث الرائعة مألوفة.

ويلاحظ أن مسرحياته ليست كوميديات أو تراجيديات بالمعنى الدقيق، بل إنها تأليفة من نوع متميز؛ فهي تبرز الحوادث الدنيوية على طبيعتها، بخيرها وشرورها، مباهجها ومآسيها، وفي تشكيلاتها المتنوعة التي تعبر عن مسيرة الحياة، وخسارة قوم عند قوم فوائد؛ والمعربد يهرع إلى الخمرة؛ والحزين إلى دفن صديقه، وفي بعض الأحيان مرح المازح يهزم مكر الخبيث؛ وفيها تتوالى الحوادث ممتعات، مقلقات، من غير قصد ولا تصميم.

لقد جمع شكسبير بين قدرات تثير الضحك والحزن ليس في فكر واحد، بل وفي مقالة واحدة؛ فنجد في مسرحياته شخصيات هزلية وأخرى جدية، ومشاهد الطيش والمزاح والرزانة والوقار. وتجدر

الإشارة إلى أن النقاد الذين قسموا مسرحياته إلى كوميديات، وتاريخيات، وتراجيديات، لم يميزوا هذه الأنواع على أساس أفكار محددة. فقد رأوا أن العمل الذى تكون نهاية الشخصية الرئيسية فيه سعيدة يعتبر كوميدياً، مهما كانت هذه المسرحية تحتوي مشاهد خطيرة ومؤلمة. واستمرت هذه الفكرة عن الكوميديا فترة طويلة؛ وتواصل تأليف مسرحيات كان يكفي أن تتغير فيها الحادثة الكارثية لتصبح تراجيديات الأمس كوميديات اليوم.

والواقع أن التراجيديا فى عصر شكسبير لم تكن تختلف كثيراً عن الكوميديا؛ بل كانت تتطلب فقط خاتمة مأسوية ترضى النقاد آنئذ، مهما قدمت من متع خفيفة أثناء سير حوادث المسرحية.

لقد كتب شكسبير الشعر المسرحى فى زمن كان العالم فيه مفتوحاً أمامه؛ ولم تكن آنئذ القواعد التى وضعها الأقدمون فى ميدان تنظيم ضوابط المسرحيات معروفة إلا لعدد محدود من الناس؛ ولم يكن الجمهور واعياً لأساليب الانتقاد؛ ولم يجد شاعرنا حوله أمثلة نموذجية تجبره على تقليدها؛ كما لم يواجه نقاداً ماهرين يخففون من مبالغاته ويقومون عشراته، ولذلك أطلق العنان لميوله فوجهته إلى الكوميديا.

أما بالنسبة للتراجيديا، فيلاحظ أنه يظهر على كتاباته، فى كثير من الأحيان، بعض الجهد، والمطالعة، وقليل من الارتياح. أما فيما يتعلق بالمشاهد الهزلية، فيبدو أنه ينتجها دون عناء؛ ولذلك نلاحظ أنه يحاول جاهداً أن يجد فرصة تسمح له أن يسجل مشهداً هزلياً ضمن تراجيدياته...

وبالإضافة إلى ما أنتج شكسبير من روائع، فإن مؤلفاته لا تخلو من عيوب، ومنها ما يكفي لتغطية حسناته. وسأذكر هذه العيوب، دون أية نية سيئة أو تقديس مفرط تجاه المؤلف. إن حق أديب ميت في التكريم والشهرة لأمر جدير بأن يناقش بكل براءة وبكل حذر وحياد.

العيب الأول شائع لدى الناس، وهو أن شكسبير كان يضحى بالفضيلة لاغتنام الفرص؛ فهو في مسرحياته يهتم بأن يرضي أكثر مما يهتم بأن يتقف ويعلم، لدرجة يبدو أنه يكتب من غير أن يحدد أي هدف أخلاقي. صحيح أنه من الممكن أن نستخلص من كتاباته نظاماً للواجبات الاجتماعية، غير أن ما سجل من أمثال، وأقوال سائرة، وحكم، ومبادئ جميعها كانت تصدر عنه مصادفة؛ فهو لا يسجل الفضائل والمساوئ، والخير والشر، بطريقة محكمة؛ ويتابع تصرفات شخصياته، دون تمييز، عبر حوادث الخطأ والصواب؛ وفي النهاية يخرجهم من المسرحية دون أن يهتم بمصيرهم النهائي، تاركاً نماذج سلوكهم تتفاعل بمحض الصدفة. ولا يغفر له هذا العيب ما كان يسود مجتمعه من بربرية، لأنه من واجب الكاتب أن يسعى دوماً إلى تحسين ظروف المجتمع؛ والعدل فضيلة مستقلة عن ظروف الزمان والمكان.

ومن العيوب أن حبكة مسرحياته غالباً ما تكون مهلهلة، وغير محكمة الربط، لدرجة أنها تبدو وكأن المؤلف لا يحيط بتصميماتها إحاطة شاملة؛ وأحياناً يهمل المشاهد الممتعة أو فرص التعليم والإرشاد الأخلاقي التي يقوده إليها تسلسل الحوادث...

ونلاحظ أن المؤلف لا يركز اهتمامه على الجزء الأخير من

المسرحية، وعندما يقترب من النهاية، يختصر الجهد ليقطف الفائدة على استعجال. كما يلاحظ أنه لا يراعى حدود الزمان والمكان، فينسب لعصر أو شعب عادات، ومؤسّسات، وآراء.. حدثت في عهود وأماكن أخرى.

وفي المشاهد الهزلية، لا يحالفه النجاح كثيراً عندما يشغل شخصياته بتبادل العبارات الساخرة اللاذعة الماكرة، ولو أن ذلك يتم بذكاء؛ بل نجد هزلهم فظاً، ومداعباتهم غير مهذبة؛ ولا نجد لدى السيدات والسادة من شخصياته من عبارات الرقة والكياسة ما يميزهم عن المهرجين.

ويبدو أن أداءه في التراجيديات كان أسوأ، لأنه كان يبذل جهداً أكبر في تأليفها. وكلما أجهد إمكانياته في هذا المجال، جاء نتاج مخاضه ضعيفاً هجيناً، أو غامضاً مملاً. ومما يؤخذ عليه أنه عندما يلجأ إلى سرد الحوادث، يقصّ وقائع المسرحية بأسلوب طويل وممل، في حين كان يكفيه الإيجاز، لأن أسلوب السرد لا يلائم الشعر المسرحي، لكونه خالياً من الحركة والنشاط، كما أنه يعرقل تتابع الحوادث على خشبة المسرح. وقد انتبه شكسبير إلى هذا الخلل، ولكنه بدلاً من أن يخفف أثره بالإيجاز، حاول أن يخفيه تحت مظهر التفخيم والإبهار...

ولا شك أن تقييم أعمال أيّ رجل لا يكون سليماً إلا إذا تمت مقارنتها بحالة العصر الذي عاش فيه، وبما توفر له من تسهيلات وظروف خاصة... والإنسان بفضوله يحاول دوماً أن يكتشف الوسائل المساعدة، وأن يطلع على مدى البراعة والأثر الفني، ليميز مدى ما ينسب للإبداع في عمل الأديب، وما جاء نتيجة لظروف موالية

خارجية. إن القصور التي شيدت قديماً في بيرو والمكسيك هي مساكن متواضعة، إذا قورنت بقصور ملوك أوروبا؛ ولكن لا يلبث المرء أن يعجب بالأولى عندما يعرف أنها شيدت من غير استعمال الحديد.

لقد استعار شكسبير محتوى مسرحياته، بصورة عامة، من روايات سابقة؛ ومن المعقول أن نفترض أنه انتقى أكثر الروايات شعبية في عصره، لأن رواد مسرحه لم يكونوا قادرين على استيعاب تعقيدات المسرحيات لو لم يكونوا قد عرفوا مسبقاً شيئاً عن الروايات.

كانت مسرحياته، سواء منها التاريخية أو الخيالية، دوماً مكتظة بالحوادث؛ ولذلك كانت تستحوذ على اهتمام المشاهدين البسطاء. كان يجعلهم دوماً يتطلعون باشتياق إلى تطورات حوادث المسرحية. ولعله تفوق على الجميع، باستثناء هوميروس، في تحقيق هدف الكاتب الأول، وهو أن يثير فضول المشاهد ويجعله قلقاً متعطشاً لمعرفة المزيد، حتى النهاية.

لقد حدثت مناقشات كثيرة حول ما إذا كانت إبداعات شكسبير صادرة عن مواهبه الشخصية، أم أنه تلقى قدرًا من الثقافة المدرسية والمعرفة بالنقد وبالمصادر الكلاسيكية مما ساعده على تحقيق منجزاته.

وساد الاعتقاد بأن شكسبير لم ينل قسطاً كبيراً من التعليم النظامي، ولم تكن له خبرة باللغتين الإغريقية واللاتينية، ويقول آخرون إنهم اكتشفوا لديه معرفة واسعة بالموضوعات التي قلد فيها القدماء. ولكنني لاحظت أن كثيراً من آرائه اطلع عليها من كتب ترجمت في عهده؛ وأن ما يرد في مؤلفاته من أمثال وملاحظات وأقوال.. حول

الحياة كانت مما يتداول فى الأحاديث السائرة، أو يرد على فكر من يتناول الموضوعات العامة.

وهناك دلائل تشير إلى أن الشاعر كان يهتم بالمطالعة، ولم تكن لغتنا فى عهده خالية من الكتب التى مكنته من تعميق ثقافته، دون الاعتماد على اللغات الأجنبية. وقد توفرت حوله مؤلفات كثير من الأدباء الرومان، وعدد من أدباء الإغريق، تحتوى مخزونات من المعرفة كافية لتثري فكرًا قادرًا على استغلالها والإضافة إليها.

لقد جاء شكسبير إلى لندن كمغامر فقير، وكسب معيشته بعض الوقت بتعاطي أعمال متواضعة. ولكن عبقريته لم تكن لتضعف تحت أعباء الفقر، وفي ظل المستوى الثقافي الضيق الذي يعيش في حدوده من كان في ضنك من العيش؛ بل استطاع شكسبير أن ينفذ عوائق الحياة من طريقه، كما ينفذ الأسد قطرات الندى من على عرفه...

ولعلنا لا نجد بسهولة أي مؤلف آخر، باستثناء هوميروس، اخترع الحوادث والوقائع، وطوّر الموضوعات التي تناولها، وأدخل تجديدات كثيرة على عصره، مثل شكسبير. إن شكل المسرحية الإنكليزية، وشخصياتها، ولغتها، ومشاهدها.. من إنتاج قلمه... ولكن ينبغي لنا أن نعترف بأنه كما أننا مدينون له بالشيء الكثير، فهو مدين لنا كذلك. فإذا كان قدر كبير مما ناله من المدح والتكريم هو نتيجة التبصر والنقد السليم، فإن جزءًا من ذلك التكريم ناله بحكم التقدير والتمجيد التقليدي الذي جعلنا نركز بصرنا على حسناته، ونتغافل عن هفواته، ونقبل منه ما لا نتحمله من الآخرين.

لقد كان الناس يقرأون مؤلفات شكسبير، ويعجبون بها، ويتدارسونها، ويقلدون، في الوقت الذي كانت فيه مشوهة بالأخطاء والعيوب التي كدسها عليها الجهل والإهمال، وقبل أن يتم تصحيح هذه المؤلفات وتوضيح مغزى تلميحاتها. ثم جاء الشاعر Dryden فقال: كان شكسبير ذلك الرجل الذي ملك أعرق روح وأشملها، مقارنة بجميع شعراء العصر الحديث، وربما بشعراء العصور القديمة كذلك.

«فقد كانت جميع مشاهد الطبيعة مطبوعة في مخيلته، وكان يرسمها دون عناء؛ وعندما يرسم مشهداً، فإنك لا تراه فحسب، بل تشعر به. أما من يهتمونه بضعف الثقافة فإنهم يقدمون له أعظم الثناء؛ لأنه شاعر مثقف بالفطرة، فلم يحتج إلى الكتب ليقراً الطبيعة؛ بل كان يتأمل ما بداخل نفسه فيجدها هناك».

ولا أدعي أن جميع أعماله متناسبة في الجودة، بل نجد إنتاجه سطحياً في أحيان كثيرة، وخالياً من عناصر التشويق؛ ونجد بعض مشاهد الهزلية تتحدّر إلى مشاجرات بذيئة؛ وقد تنتفخ بعض مشاهد الجدبة إلى عبارات طنانة منمقة؛ ولكن شكسبير يصعد دوماً إلى مستوى القمة عندما يتناول مناسبات عظيمة. ولا يستطيع أي شخص أن يقول إن شكسبير تناول موضوعاً مكافئاً لفكره ولم يصعد بنفسه ليتجاوز جميع الشعراء.

الرجال قوامون...⁽¹⁾



يتخيل الكاتب ما يحدث في المجتمع الإنكليزي، في المستقبل، عندما تسيطر النساء على مقاليد الحكم، ويصبحن مسئولات عن تسيير جميع مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية والإقتصادية؛ وتسود المجتمع عقيدة «المرأة المثالية».

في ذلك المجتمع الخيالي، يتم تربية الرجال منذ طفولتهم على أخلاق الحياء والطاعة والتواضع؛ وتمنع الكتب والدروس التي تتحدث عن صلاحية الرجال لهذا العمل أو جدارتهم بتلك المهنة أو ذلك الفن. ويعيش جنس الذكور في حالة خضوع تام لحكم النساء؛ يقومون بالأعمال المتواضعة، بأجور زهيدة.

وعندما يتزوج الرجل يحمل اسم زوجته العائلي؛ وتصبح ممتلكاته ملكاً لزوجته. وبمجرد أن تنجب زوجته، يصبح ملزماً، قانوناً، بملازمة المنزل لتربية الأطفال، والقيام بالأشغال المنزلية. ويصبح من حق السيدات النبيلات، ذوات المركز والشهرة، أن يخترن الشاب الذي يرغبن في الزواج به، وإن رفض يساق إلى السجن. وكذلك إذا اشتكت الزوجة زوجها، بدعوى أنه أضرَّ بها، فإنه يساق إلى السجن. وفي أيّ

(1) العنوان: The Revolt of Man .

المؤلف: Walter Besant (1836 - 1901).

عمل يقوم به فريق من الرجال، ينبغي أن تلازمهم امرأة لتفرض النظام والأدب والطاعة والهدوء.

ولكن لم يمض زمن طويل على حكم «المرأة المثالية» حتى تدهورت الأوضاع الاقتصادية؛ وتوقفت المعاملات التجارية الدولية؛ وانحط مستوى العلوم والفنون؛ وتعطلت وسائل المواصلات... وبدأت حالة البلاد تميل إلى الخراب...

وكانت هناك أستاذة في التاريخ، بجامعة كامبردج، تدعى دروثي، اهتمت بوضع البلاد وقامت ببعض البحوث، واستنتجت أن سبب التدهور هو عدم صلاحية النساء لتسيير البلاد، وقامت ببعض الاتصالات، مؤكدة أن جنس الرجال هو الذي ينبغي أن يحكم البلاد، ويسير جميع المرافق العملية التي يتوقف عليها تطور المجتمع.

واتفقت السيدة دروثي مع زوجها على تنظيم حركة ثورية للرجال؛ على أن يكون زعيمهم هو وريث العرش، الشاب إيرل أوف اتشستر. ونظمت دروثي دورات تدريبية لوريث العرش، منها زيارة إلى الأكاديمية الملكية حيث كانت تُعرض سلسلة من اللوحات (جميعها من رسوم بنات حواء)، توضح إلى أي درجة مزرية انحط الفن.

كانت إحدى اللوحات تمثل امرأة «مثالية» تدير الأشغال؛ وأخرى تمثل رجلاً يضرب رجلاً آخر بعصى؛ ولوحة تمثل رجلاً راكعاً أمام مذبح في كنيسة، مخصص للأنوثة، وقد كدس حول هذا المذبح ما أنتج من الزهور، والفواكه، والخمور، تكريماً وتبجيلاً للمرأة المثالية؛ وفي

منازل من الأدب العالمي

لوحة أخرى، كذلك من إنتاج السيدات، كان الرجل خافضاً طرفه في رهبة وإجلال، وكانت ملامح وجهه تعبر عن بعض الابتهاج والرضى، كما تعبر عن حالة من الورع والخضوع.

وواصلت السيدة دروئي شرحها قائلة: كانت الجامعات مخصصة للنساء، ولكن بما أنهن يجدن صعوبة في تلقي العلوم الدقيقة، فقد اختفت هذه الأخيرة من برامج التدريس؛ وأصبح الناس يتساءلون، أين علوم الطبيعة، والفلك، والهندسة، والاقتصاد، والطب، وعلوم الميكانيكا، والمنطق... لقد أصبحنا لا نهتم بالكتب الكلاسيكية؛ ولا نستعمل الآلات التي اخترعها من سبقونا.

وسأل سائل: حدث كل هذا؟ ولماذا تدهورت الأوضاع إلى هذا المستوى؟

وأجابت السيدة دروئي: ذلك أن للمرأة القدرة على الأخذ، وهي أشد عطاء في مجال الروح والقلب والمشاعر... وهي أضعف من أن تنافس الرجل في ميدان الاكتشافات التقنية والفلسفية. إننا، معشر النساء، تجاوزنا الحدود، عندما حاولنا السيطرة على الرجال.

وفي نهاية هذه الرواية الخيالية، تكلفت ثورة الرجال بالنجاح، واستعادوا مراكز الحكم، ونهضوا بمسؤولياتهم. وسرعان ما تقبلت النساء الوضع الجديد؛ وشعرن بالراحة والاطمئنان؛ واسترحن من دراسة الموضوعات المعقدة؛ بل ابتهجن بمشاهدة الرجال يرزحون تحت أعباء الأعمال الشاقة؛ وأصبح بإمكان المرأة أن تتزوج في سن مبكرة،

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

بعد أن كانت لا تتزوج قبل سن الأربعين بسبب ما يتطلبه الاستعداد
لتحمل المسؤوليات المهنية والأسرية من تضحيات.

وتتفست المرأة الصعداء، ولسان حالها يقول: وداعاً للمنافسات
المرهقة؛ والدراسات المعقدة؛ دع الأشقياء يتحملون الأعباء الثقيلة...
ولننعم بالحياة، وبما يسبغه علينا الرجال من رعاية ومودة وغزل
لإرضاء أذواقنا ومشاعرنا.



الحكم والمواظ على السنة الحيوانات



المقدمة

حيوانات ورد ذكرها في القرآن

ورد في الذكر الحكيم ذكر عدد من الحيوانات بمختلف أجناسها وأنواعها وأشكالها ، من النملة إلى الفيل ، ومن البعوضة إلى البعير ، ومن الذبابة إلى الناقة ، ومن النحلة إلى البقرة .. إلخ وفيما يلي عدد من هذه الآيات البينات .

بعث الله غرابين واقتتلا ، فقتل أحدهما الآخر ، ثم حفر حفرة وواري الجثة تحت التراب . وهنا قال قابيل لنفسه :

﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ
سَوْءَ أَخِي ﴾ .

(سورة المائدة - الآية 31)

* * * * *

وبينما كان نبيُّ الله نوح عليه السلام يبني سفينته لينقذ من آمن من قومه من الطوفان ، أوحى إليه الرب سبحانه :

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ .

والإشارة هنا «زوجين اثنين» من الحيوانات .

(سورة هود - الآية 40)

* * * * *

وقال نبيّ الله صالح عليه السلام لقومه :

﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ .

وحذرهم من أن يمسوها بشرّاً ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ

يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ . (سورة الشعراء - الآية 155)

* * * * *

وعندما رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام في منامه أنه يذبح ابنه إسماعيل تقرباً لله ، منّ الله عليه ، وجزاه على صدق إيمانه ورباطة جأشه ، ففدى إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم .

* * * * *

واتهم إخوة يوسف عليه السلام الذئب بأنه هو الذي أكل أخاهم :

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا

فَأَكَلَهُ الذئب﴾ . (سورة يوسف - الآية 17)

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —————

وتوالت السنون ، وأودع يوسف السجن ، وذات ليلة رأى الفرعون
مناماً تعذر على رجاله تفسيره ، فأخرج يوسف من السجن ، وطلب
منه أن يفسر منام الفرعون :

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضَرٍ وَأَخْرَ يَابَسَاتٍ﴾ .

(سورة يوسف - الآية 46)

* * * * *

جمع فرعون سحرته في يوم معلوم ، وألقوا حبالهم وعصيتهم ،
فَخُيِّلَ لسيدنا موسى عليه السلام أنها حيات على الأرض تسعى . ثم
ألقى موسى عصاه فإذا هي حية عظيمة (معجزة إلهية) .

﴿تَلَقَّفْ مَا يَأْفِكُونُ﴾ . (سورة الشعراء - الآية 45)

* * * * *

وفي قصة الطفل الذي قتله بعض أقاربه ، بعد وفاة أبيه ، بهدف
الاستيلاء على ميراثه ، ولم يعرف القوم من قتله ، فأحدث ذلك فتنة
كبيرة . فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يأمر القوم بأن يذبحوا
بقرة ، وأن يضربوا الطفل القتل بلسانها ، فيعود إلى الحياة بإذن الله ،
ويخبرهم بمن قتله⁽¹⁾ . وقد تكرر ذِكر «البقرة» في هذه القصة ، في
القرآن ، في هذه الآيات خمس مرات . وأول الآيات هي :

(1) بقية القصة في كتب التفسير.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا
بَقَرَةً...﴾.

(سورة البقرة - الآية 67 : 73)

* * * * *

تَسَوَّرَ رجلان المحراب ، ودخلا على سيِّدنا داود عليه السلام ،
فقال الأول يشكو رفيقه :

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ
أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾.

(سورة «ص» - الآية 22 - 23)

وقال الآخر :

« إن لي تسعاً وتسعين نعجة وله نعجة واحدة ... » .

فأردتُ أن آخذها منه ليكتمل عدد نعاجي المائة . فأدرك داود
عليه السلام مغزى القصة ، واستغفر ربه وخرَّ ساجداً لله .

* * * * *

وتفقد نبيُّ الله سليمان الطير فلم يجد الهدهد حاضراً فغضب
لغيابه . ولكن سرعان ما عاد الهدهد إليه وقال : وجدتُ في أرض سبأ

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —————

ملكة قد أُوتِيَتْ من كل شيء ، ولها عرش عظيم . وألقى سليمان إلى
الهدد برسالة ليبلغها ملكة سبأ حالاً ، ولينتظر الجواب :

﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا
يَرْجِعُونَ ﴾ .

(سورة النمل - الآية 20)

* * * * *

وسار النبيُّ سليمان عليه السلام في جيش عظيم من الإنس
والجنّ والطير حتى أتى على واد النمل ، فبصرت نملة بالجيش من
بعيد ، فخافت على قومها وصاحت بهم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

(سورة النمل - الآية 18)

* * * * *

وفي قصة النبي يونس عليه السلام عندما اضطرته الظروف
ليلقي بنفسه في البحر ﴿ فَالتَّمْهَ الْحَوْتُ وَهُوَ مَلِيمٌ ﴾ . وشعر يونس بما
أصابه من كرب ،

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ
مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

(سورة الأنبياء - الآية 87)

فأوحى الله إلى الحوت أن ألق به في العراء ، وأنبت عليه شجرة
من يقطين .

* * * * *

خرج الفتية أصحاب الكهف من مدينتهم يبحثون عن ملجأ آمن ،
فتوجهوا إلى ذلك الكهف في الجبل ، وأثناء سيرهم سار في إثرهم
كلب ، ولم يروا بأساً في أن يرافقهم . وجاء ذكر هذا الكلب الأمين عند
سرد قصتهم في القرآن :

﴿وَكَلَبُهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ...﴾ (الآية) .

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلَبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ
كَلَبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلَبُهُمْ﴾ (الآية) .

(سورة الكهف - الآية 18 - 22)

* * * * *

ومحاولة القائد أبرهة غزو مكة ، واستخدامه للفيلة مشهورة :

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...﴾ (الآيات) .

(سورة الفيل - الآية 1)

* * * * *

وهكذا يتناول القرآن الحديث عن الحيوانات بمختلف أجناسها وشعبها وأصنافها . فيشمل طيور السماء ، وحياتان البحر ، والحشرات والزواحف ، ويهتم بالصغير والضخم منها ، من النملة إلى الجمل ، ومن الذبابة إلى الفيل ، ومن البعوضة والعنكبوت إلى الناقة والبقرة ، ومن النحلة إلى الهدد ، إلى مختلف الأنعام حمولة وفرشاً .

* * * * *

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ .

(سورة النحل - الآية 68)

* * * * *

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .

(سورة العنكبوت - الآية 41)

* * * * *

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ .

(سورة الحج - الآية 73)

* * * * *

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾ .

(سورة البقرة - الآية 26)

* * * * *

﴿... فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ .

(سورة الأعراف - الآية 133)

* * * * *

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

(سورة الجاثية - الآية 4)

* * * * *

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ
تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ .

(سورة النمل - الآية 82)

* * * * *

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

(سورة العنكبوت - الآية 60)

* * * * *

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

(سورة النور - الآية 45)

* * * * *

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ .

(سورة النحل - الآية 8)

* * * * *

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ
اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ
عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ
اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ .

(سورة الأنعام - الآية 142 - 146)

* * * * *

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ .

(سورة الغاشية - الآية 17)

* * * * *

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ
السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحَظَ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ .

(سورة الأعراف - الآية 40)

* * * * *

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ .

(سورة الملك - الآية 19)

* * * * *

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ .

(سورة الجمعة - الآية 5)

* * * * *

ويكرم الرب سبحانه الحيوانات فيجعلها أمما أمثال البشر :

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ .

(سورة الأنعام - الآية 38)

صدق الله العظيم

* * * * *

الحيوانات والبيئة

تشمل البيئة عناصر متنوعة منها مملكة النباتات، ومملكة الحيوانات، ومملكة الإنسان، والماء، والهواء، والتراب، والبحار، والغابات، والأنهار، والصحاري، والأمطار، والثلوج، والرياح، والمناخ، ومصادر الطاقة والغذاء؛ ويهتم علم البيئة بدراسة التفاعلات والتأثيرات المتبادلة بين جميع هذه العناصر .

وتشكل البيئة سلسلة من المراحل تستهلك أثناءها الكائنات الحية نوعاً ما من الغذاء (الطاقة) من الشمس، والماء، والهواء، والتراب .. وتتغذى حيوانات متنوعة، مثل الغنم، والبقر، والغزلان، والأرانب وغيرها على الأعشاب؛ وتصبح هذه الحيوانات بدورها غذاء للإنسان، كما تتغذى الحيوانات المفترسة على ما تصطاده في بيئتها، وتستفيد التربة من فضلات الحيوانات آكلة الأعشاب؛ وهكذا تتواصل سلسلة التجدد والتكاثر بين الكائنات .

والحيوانات تساعد على بناء الحياة، ولتقوم بدورها الهام هذا، تحتاج إلى طاقة، ولتحصل عليها تضطر لتدمير الحياة، سواء عن طريق الصيد أو أكل الأعشاب. وهي تبني الحياة لأنها تشكل غذاء مفيداً للإنسان إذ تمدّه بأغذية متنوعة مثل اللحوم ، والبيض، والألبان، وبمنتجات أخرى مهمة مثل الصوف، والوبر، والجلود، والحزير...

كما تعتبر الحيوانات عاملاً أساسياً في المحافظة على التوازن الطبيعي، وتساعد بدورها على نمو النباتات وتكاثرها، بما تنقله من بذور ومواد اللقاح من نبات إلى آخر، وكذلك بما تنشر من فضلاتها .

وقد ظل الإنسان منذ القدم يعتقد بأن عليه أن يسيطر على مملكة الحيوانات، أو جزء منها، ليحسن ظروف حياته، فعمل على تدجين أنواع منها، ودربها على خدمته ومساعدته على كسب قوته، وتخفيف أعبائه . وتقص علينا الحكايات مدى استغلال الإنسان لحيوانات مثل الحصان، والجمال، والثور، والفيل، والكلب، والنحل.. ومدى ما قدمت هذه الحيوانات من خدمات في المزارع، والحقول، والصيد، وحتى في ميادين الحروب، وساعات التسلية. أجل ألا يتسلى الكبار والصغار بوجود البلابل، والبيغاء، والكلاب؟ والواقع أن الإنسان لم يقصر في رعايتها والعناية بتكاثرها .

ولمزيد من الفائدة أورد فيما يلي بعض المعلومات عن عدد من الحيوانات . إن منها الضخم، كبير الأذنين ، مثل الفيل ؛ وواسع العينين مثل الحصان ، والنعام، والغزال؛ وتشتهر الحرباء بطول لسانها بالنسبة لجسمها، وبقدرتها على تغيير لونها لتتسجم مع محيطها؛ ويعتبر حوت العنبر الأزرق أضخم الحيوانات حجماً ، إذ يبلغ طوله أكثر من طول خمسة أفيال في صف واحد . ومن الحيوانات ما يقضي جزءاً من حياته في الماء ، وجزءاً على البرّ مثل الضفادع ، والسلاحف البرية، والعلاجيم، وبعض أنواع السرطانات .

وتعتبر القردة أقرب الحيوانات شبهاً بالإنسان ، لأن هيكلها

العظمي يشبه هيكل الإنسان، ولها إصبع الإبهام الذي يقابل الأصابع الأخرى ويلمسها فيسهل عليها أن تمسك الأشياء بسهولة، وأن تتسلق الأشجار .

ويسود الاعتقاد بأن النعامة تدفن رأسها في التراب عندما تواجه الخطر، والواقع أنها عندما تشاهد الخطر تمتد على الأرض، وتمدّ عنقها أمامها، وتلزم الهدوء والحذر، فإذا شعرت بأن الخطر يقترب تفرّ، كما تفعل معظم الحيوانات.

ويعتقد كثير من الناس أن اللون الأحمر^(*) خاصة عندما يشاهد مصارع الثيران يحمل قطعة قماش أحمر، ويضع على رأسه قبعة حمراء، ولكن الحقيقة هي أن الثيران لا تميز بين الألوان، وما يهيج الثور ويدفعه للهجوم هو ما يظهره المصارع من حركات التحدي؛ ولو حرك أمامه قطعة قماش أبيض لحصل على نفس النتيجة .

هل موسيقى أنغام الناي حقاً تسحر الأفعى ؟ الواقع أن الأفعى لا تستجيب لأنغام «ساحرها» ، لأنها صماء . ولكن الأفعى حساسة جداً لما يحدث حولها من ذبذبات ؛ وعازف الناي يطلق أنغامه وهو يضرب الأرض برجله ، كأنه ينسجم مع موسيقاه ، فترفع الأفعى رأسها خارج القفة ؛ ثم يحرك الساحر جسمه يميناً وشمالاً، فتتبع الأفعى حركاته فتظهر لنا كأنها ترقص لأنغامه، والواقع أن هدف حركتها هو أن تجعل جسم صاحبها دائماً أمام عينيها .

(*) هو الذي يهيج الثيران ، ...

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —————

وهل للفيل ذاكرة قوية حقاً ؟ ربما، ولكنه لا يتذكر كل شيء، وإلا لما غفر لمدرّبه أن يعامله بخشونة. وهل الفيل يخاف من الفأر ؟ كلا!

هل الخفاش يمشي؟ كلا ! لأنّ رجليه لا تساعدانه على ذلك . وهو يعتمد على جناحيه في جميع تحركاته . وبما أن الوقوف لا يريحه، فهو عندما يعود إلى مغارته يعلق جسمه ورأسه نحو الأسفل.

ذكر البعوض يتغذى برحيق النباتات، أما الأنثى فتفضل الدم؛ وهى تغرز إبرتين في جلد الإنسان، إحداها تفرغ بها مادة تمنع الدم من التخثر، والأخرى تمتصّ بها الدم.

* * * * *

الحكايات على ألسنة الحيوانات

تعتبر الأساطير والحكايات الشعبية، شفوية كانت أو مكتوبة، منبعاً لا ينضب لخيال الإنسان. فهو يستغل جميع مكونات البيئة والطبيعة، في الأرض والسماء، والبحار، والغابات، والجبال والأنهار، والسحاب، والرياح... والحيوانات بجميع أجناسها، أقول يستغلها لإشباع خياله، والتعبير عن أفكاره، ومشاعره، ورغباته.

والإنسان يُلبس هذه الظواهر البيئية والمخلوقات الحية، هيئة الأشخاص، وينسب إليها تصرفات آدمية، ويجعلها تتطرق بلسانه، ويجعل سلوكها رمزاً إلى أخلاق البشر وأفعالهم الإيجابية والسلبية. ويطلق على لسانها عبارات الموعظة، والحكمة، والنصائح؛ والهدف من ذلك تقديم دروس أخلاقية، وتصحيح أخطاء الناس، وتشقيفهم، وتسليتهم أحياناً.

تمتد حكايات الحيوانات التي تتطرق بلسان الإنسان إلى عهود قديمة. يبدو أنها ظهرت في البداية في بلاد الهند الواسعة، حيث كانت توجد مجتمعات تؤمن بفكرة «تناسخ الأرواح (التقمص)». ومما يرجح ظهور حكايات الحيوانات في بلاد الشرق أولاً، أن بعض الكتب القديمة في تلك البلاد استخدمت الحكايات لنشر وتطوير الأفكار العقائدية والأخلاقية، ومنها انتقال الأرواح (بعد الوفاة) من البشر إلى مخلوقات حية، بشرية أو حيوانية، وهي فكرة التناسخ.

ويبدو أنه كانت آنتذ توجد تأثيرات ثقافية متبادلة بين المجتمعات الهندية ومجتمعات البحر المتوسط، فظهرت حكايات الحيوانات الناطقة بلسان الإنسان في بلاد اليونان باسم شخص يدعى أيسوب AEsop الذي يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد . ويروي المؤرخ هيرودوتس أنه عاش في جزيرة ساموس ، وأنه كان خادماً لأحد الأثرياء . ويرى البعض أنه شخصية أسطورية .

وقد ألف أيسوب نحو مائتي حكاية، ثم تبعه في هذا الميدان كتاب آخرون جمعوا حكاياته، وربما أضافوا إليها وطوروها، وترجموها إلى لغات أخرى، منها اللغة اللاتينية. وسيأتي الحديث عن أيسوب وحكاياته في الجزء الخاص به .

ومن الأدباء الذين كتبوا عن حكايات الحيوانات أديب روماني يدعى فيدروس PHAEDRUS ، كانت حكاياته منتشرة في أوروبا أثناء القرون الوسطى؛ وظلّ البعض يعتبرها من إنتاج أيسوب اليوناني، والواقع أن فيدروس قلّد أيسوب في كثير من حكاياته . وتقدم لنا حكايات فيدروس مشاهد عن عادات سكان روما في عهد الإمبراطور أغسطس، وينتقد الكاتب في حكاياته المساويء الاجتماعية والسياسية. ومن حكاياته:

- الثعلب وعناقيد العنب.

- الذئب والحمل.

- حصّة الأسد.

- الجوهرة في كومة الفضلات.

- الضفادع تطلب ملكاً جديداً.

ومن أشهر المؤلفات في موضوع الحكايات التي تُروى على لسان الحيوانات عمل جماعي اشتهر تحت عنوان *Le Roman de Renard* شارك في إعداده مجموعة من الأشخاص، بين القرنين الثاني والثالث عشر، ويقص أعمال الثعلب الماكر الذي استطاع أن يخدع عدداً من الحيوانات مثل الذئب، والقط، والدب، ويهدف إلى انتقاد العادات الاجتماعية. وبعض هذه الحكايات تنتقد أصحاب البطون الكبيرة، والقساوسة، والنساء، لما يتمتع به هؤلاء من سلطان؛ وتلجأ هذه الحكايات أحياناً إلى لغة الحانات والمواخير.

وقد استعمل دانتي، صاحب «الكوميديا الإلهية» عدداً من الحيوانات ليرمز بها إلى بعض المشاعر والعيوب والفضائل لدى الإنسان. ونجد ماكيافيلي، وهو يقدم النصائح إلى الأمير، يوصيه بأن يتبنى دور الثعلب لما فيه من مكر ومراوغة، وصفات الأسد لما فيه من هيبة وشجاعة.

وفي القرن السابع عشر ازدادت أهمية هذه الحكايات، فزاد انتشارها، وأصبحت حكايات أيسوب وفيدروس تدرس في المدارس لتعليم الطلبة القيم الأخلاقية؛ ومن هنا انطلقت شهرة الشاعر لافونتان، وانتشرت حكاياته.

عاش لافونتان في عهد الملك لويس الرابع عشر، وارتبط ببلاطه.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

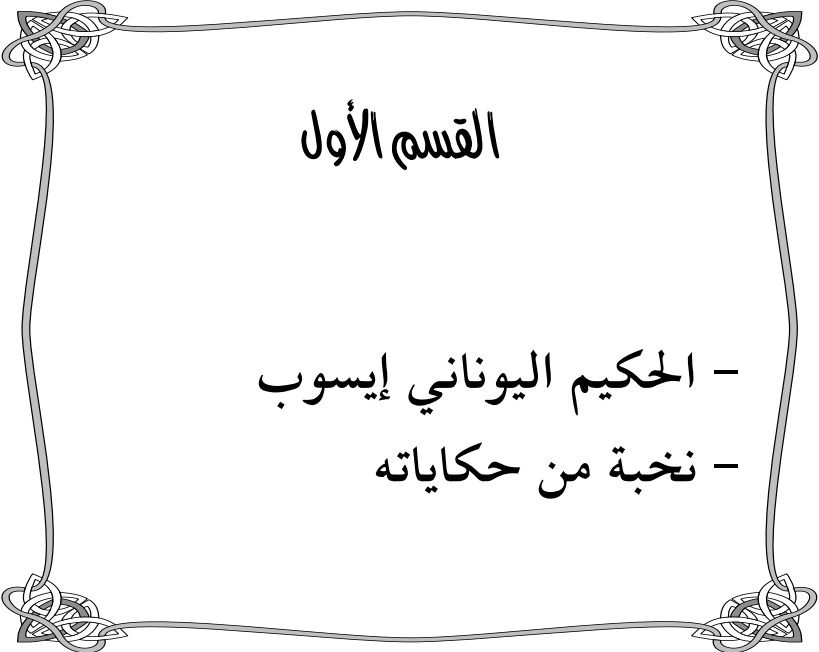
وقد تبع هذا الشاعر نموذج أيسوب، ولكنه توسع في الموضوعات فتناول حياة البلاط، والأمراء، والبرجوازية.

ألف لافونتان 238 حكاية، أصدرها بين سنتي 1668-1694 . واشتهر بشاعر العزلة، وشاعر الصداقة، وشاعر الحياة الاجتماعية في جميع أشكالها . وكان في أعماله ينتقد ما في العالم من أنانية، وعدوانية، ووحشية، ومن استغلال الأقوياء للضعفاء. وكان من أهم موضوعاته تصوير ما يتصف به الإنسان من غرور، واحتيال، وطموح جامح.

ومن هذا يتضح أن لافونتان، وغيره ممن كتبوا هذه الحكايات، لم يكن هدفهم تسليية الأطفال فحسب، بل كانت رسالتهم تثقيف الناس، وإصلاح ما ينتشر بين الناس من مساوي الأخلاق.

ونلاحظ أن انتقادات لافونتان لا توجه فقط إلى الأمراء ورجال البلاط، بل تشمل كذلك النساء، ورجال الكنيسة، والقضاة، والأطباء، والأثرياء، ورجال السلطة. وكان الشاعر نفسه يفرق بين مضمون حكاياته، ويسميه «الروح» ، وبين شكل حكاياته الأدبي، ويسميه «الجسد». وسيأتي الحديث عن لافونتان في الجزء الخاص به.

* * * * *



القسم الأول

- الحكيم اليوناني إيسوب
- نخبة من حكاياته

إيسوب : الحكيم اليوناني

كثيراً ما يطرح السؤال : هل إيسوب (إيزوب) شخصية حقيقية؟ هل وجد بالفعل؟ هل هو مجرد شخصية أسطورية نسج الخيال حولها وقائع كثيرة؟ وهل هو الذي كتب الحكايات الخرافية التي تنسب إليه؟

تأتينا أخبار مقتضبة عن إيسوب عن طريق المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. يُروى أن إيسوب ولد عام 620 ق.م. في قرية تدعى أموريوم في منطقة أفريجيا. وقيل أنه ولد أثناء الدورة السابعة والخمسين للألعاب الأولمبية، أي نحو سنة 550 ق.م.

ويروى أنه كان مشوه الملامح قبيح المنظر، غير أن الطبيعة منحته قلباً ذكياً، وروحاً طيبة، وفكراً صافياً هادئاً. وأن سيده الأول الذي اشتراه حرص على إرساله مباشرة إلى المزرعة ليفلح الأرض، لكي لا يتركه في المنزل وسط أفراد الأسرة فتتفر منه النساء والأطفال بسبب ملامح وجهه المشوهة.

هذا بعض ما يحكى عن بداية حياة هذا الرجل الطيب الذكي، الذي أصبح يعلم الحكمة أفضل مما يعلمها الوعاظ والمرشدون، لأنه كان يعلمها بطريقة فنية، سهلة وواضحة من دون أن يضع لها تعاريف وقواعد، كما يفعل معظم الكتاب والفلاسفة.

وقد كتب الأديب اليوناني بلانيد PLANUDE (1260 - 1310) موضوعاً عن حياة إيسوب بأسلوب رومانسي؛ وأخذ عنه الشاعر الفرنسي لافونتان ذلك الموضوع؛ وقد اقتبستُ بدوري فقرات مما سجله لافونتان عن حياة إيسوب.

ومما يروى عن حياة هذا الرجل الحكيم ، إيسوب، بأنه ذات يوم قدّم فلاح كمية من التين الطازج إلى سيده، صاحب المزرعة، وأوصى هذا الأخير أحد خدمه بأن يحتفظ بالتين، وأن يقدمه له أثناء وجبة الغذاء.

غير أن هذا الخادم اتفق مع رفاقه أن يأكلوا التين، ويتهموا إيسوب بالعملية. وقرر السيد، رب المنزل، بأن يُنزل أشد العقاب بإيسوب. وتوسل هذا الأخير إلى سيده بأن يمهلّه بعض الوقت. ثم جاء بقدر من الماء الدافئ، وشرب منه ما استطاع أمام سيده والحاضرين، ثم وضع أصابعه في فمه وأفرغ ما في بطنه، فلم يكن فيه أي أثر للتين.

وطلب السيد من الخدم أن يفعلوا ما فعل إيسوب، فخرجت آثار التين من بطونهم تكذب اتهامهم لإيسوب. وبذلك الحيلة الذكية أنقذ نفسه من العقاب، وأنزل رب البيت العقاب بالمعتدين .

ويروى أن السيد كان مسافراً، ذات يوم، مع ثلاثة من عبيده أحدهم إيسوب. وطلب من كل واحد منهم أن يحمل جزءاً من المتاع. فسأل إيسوب رفيقيه أن يشفقا عليه في حمل المتاع، فتركا له الخيار، فحمل قفة الطعام، فسخرّا منه لأنها الأثقل بالنسبة لبقية البضاعة. غير أنه بعد مسيرة يوم، ثم يوم آخر، أصبح إيسوب لا يحمل شيئاً، بعد أن أكلوا الطعام؛ فاعترف مولاه بذكائه.

وفي السوق، اشتراه فيلسوف يدعى XANTUS، وهو يقول: على الأقل لأخوف به الأطفال عندما يتنازعون . غير أن زوجة الفيلسوف وخادماتها نفرن من إيسوب لوحشية ملامحه .

وذات يوم ذهب الفيلسوف إلى بستان لشراء بعض الخضر، وطلب منه البستاني أن يشرح له فكرة أن النباتات التي تثبتها الأرض تلقائياً تنمو بقوة أكبر من تلك التي يزرعها الإنسان ويتعب لرعايتها . فأجابه الفيلسوف: إنها رعاية الله يا بني . غير أن إيسوب أخذ سيده جانباً وقال له:

سيدي، قل للبستاني بأنك تترك لخادمك أن يشرح لك تفاصيل سؤاله لأنه أمر بسيط . ففعل السيد ذلك وتحنى جانباً . فقال إيسوب للبستاني:

«إن الأرض تشبه امرأة، لها أولاد من زواج سابق؛ ثم تزوجت برجل آخر له أولاد من زواج سابق، فإن هذه الزوجة تقلل من إطعام أولاد الزوجة الأولى لفائدة أولادها . وكذلك الأرض فإنها ترعى ما تثبته بنفسها أكثر مما يزرعه الزارعون» . فابتهج البستاني بشرح إيسوب، وقدم له هدية من بستانه .

وذات يوم استضاف السيد عدداً من أصدقائه، وطلب من خادمه إيسوب أن ينتقي من السوق أفضل أصناف الطعام لضيوفه . اشترى إيسوب كمية من السنة الحيوانات، وطلب إعدادها بشتى أنواع الصلصات والمرق . ثم قدم للضيوف الطبق الأول بالألسنة، والطبق الثاني بالألسنة، والثالث كذلك .

سأله سيده: ألم آمرك أن تشتري أحسن ما في السوق؟ فقال إيسوب:

«وأيّ طعام أفضل من اللسان، يا سيدي؟ إنه منبع الحياة المدنية، ومفتاح العلوم، والعضو الناطق بالحقيقة، والمعبر عن العقل. فباللسان تشاد المدن، وتساس الشعوب؛ وبه نعلم الناس، ونقنع الخصوم، وننظم الاجتماعات، وبه نشكر الآلهة على نعمها».

قال له سيده: إذا غدا اشتر لنا طعاماً يكون من أسوأ الأطعمة، أريد أن أقدم لضيوفي طعاماً يسُرهم. وفي الغد أعدّ لهم إيسوب أطعمة متنوعة، ولكن جميعها من ألسنة الحيوانات كسابقاتها. ثم وجه كلامه للحاضرين قائلاً:

«اعذروني أيها السادة، لقد جلت في السوق فلم أجد طعاماً أسوأ من اللسان، إنه سبب المجادلات، والنزاعات، والقضايا التي ترفع إلى المحاكم، وهو منبع الوشايات، والعداوة، ومصدر الأخطار والحروب».

وتكلم أحد الضيوف فقال لرب البيت: إن لخادمك هذا من الصبر، وصواب التفكير، وحسن التدبير ما ليس لغيره.

وكان إيسوب يتجول ذات يوم مع سيده بين آثار قديمة، ولاحظ السيد كتابة لم يستطع تفسيرها. فقال له إيسوب: ما يكون جزائي إذا فسرت لك معنى هذه الحروف، وكشفت لك عن كنز خفي؟ فقال له سيده: أعطيك حريتك ونصف الكنز.

فقال إيسوب: الحروف ترمز إلى أنه على بعد أربع خطوات من هذا العمود يوجد كنز. وتم الحفر، واكتشف الكنز. فقال إيسوب:

- هل أنا حرّ الآن يا سيدي؟

- كلا ، كلا! إنك عندي أغلى من هذا الكنز!

- بوسعي أن أبلغ عنك الملك.. لأن الكتابة تشير إلى ذلك، يا سيدي!

وبمجرد أن وصلا إلى المنزل أمر السيد بأن يسجن إيسوب، حتى لا يبلغ صاحب الكنز.

ومما يروى عن إيسوب أنه زار مصر. وأن الملك أعدّ عشاء فاخراً، ودعا إليه إيسوب وعدداً من علماء مصر. وأثناء السهرة طرحوا على الضيف أسئلة محرّجة منها:

«يوجد معبد عظيم مشيد على عمود ضخّم، تحوط به 12 مدينة، ولكل مدينة 30 قوساً، وحول هذه الأقواس تطوف امرأتان، إحداهما شقراء، والأخرى سوداء» فما تفسيرك لذلك؟

فأجاب إيسوب: كان الأولى أن توجهوا هذا اللغز إلى الأطفال. فالمعبد هو العالم؛ والعمود هو السنة؛ والمدن هي الشهور؛ والأقواس هي الأيام؛ والمرأة الشقراء هي النهار؛ والسوداء هي الليل.

ويروى أن إيسوب زار مدناً عديدة منها مصر كما سبق، وبابل، وأنه عاش في بلاط الملك الشهير كريسوس، الذي أرسله كمبعوث له إلى عدد من المدن اليونانية، وحملّه هدايا ثمينة إلى معبد أبولو في مدينة داليفيا باليونان.

ويروى أن سكان المدينة لم يقدرُوا وجوده بينهم، فقال لهم أنتم

مثل العصي التي تسبح فوق أمواج البحر، يظن المشاهد عندما يراها من بعيد أنها شيء مهم، وعندما يقترب منها لا يجد فيها خيراً. ويقال أنه اكتشف بعض التدليس والاحتيال بين خدام معبد أبولو؛ فحقّدوا عليه وقرّروا أن ينتقموا منه. وقبل رحيله وضعوا في أثاثه إناء ذهبياً مقدساً مخصصاً للآلهة، ثم تتبعوا خطاه، وفتشوا أثاثه فوجدوا الإناء، فاعتبروه مجرماً، وحكموا عليه بالموت. وحاول الدفاع عن نفسه بما أوتي من حسن الكلام، فلم يجد ذلك. ومما قال لهم :

«التقت ضفدعة، ذات يوم، بفأر قرب مستنقع، فدعته لزيارتها في بيتها عبر النهر، لتكرمه وتحسن ضيافته. فقال لها:

- ولكنني لا أحسن السباحة يا رفيقي.

- لا عليك سأحملك على ظهري، وأربطك إلى ساقي. وأؤكد لك أنك تستمتع برحلتك عبر النهر.

وما إن وصلا إلى وسط النهر حيث العمق كبير، أظهرت الضفدعة نية الغدر، وأخذت تغطس نحو الأعماق لتغرق الفأر المسكين الذي بدأ يتخبط بشدة، وهو مربوط إلى ساقها. وشاهد أحد الطيور الجارحة المعركة فوق النهر، فانقض بقوة ليخطف الفأر، وخطف معه الضفدعة الغادرة التي كانت مربوطة بالفأر». وأضاف إيسوب الحكيم:

«هكذا سيكون مصيركم يا أهل دافيا، لأنكم غدرتم بضيفكم، وعزمت على قتلي؛ وسينتقم منكم من هو أقوى منكم».

نخبۃ
من
حکایات ایسوب

العقاب والثعلب

قرّر عقاب وثعلب أن يتصالحا ويتعايشا على أمل أن يدعم الجوار الصداقة بينهما. فبنى العقاب عشه في أعلى شجرة لتربية فراخه؛ واختار الثعلب مسكناً له وسط شجيرات في ظل تلك الشجرة.

ذات يوم خرج الثعلب باحثاً عن قوته، وشعر العقاب بجوع شديد، فهاجم على صغار الثعلب وافترسها. عاد الثعلب إلى مسكنه، وشاهد ما حلّ بصغاره، فغضب غضباً شديداً، وراح يفكر في وسيلة للانتقام من العقاب. وكيف يمكنه ذلك وهو على الأرض والعقاب في السماء؟

وحدث ذات يوم، في قرية مجاورة، أن أشعل السكان ناراً في الهيكل ليرموا فيها عنزة تقرباً للآلهة؛ فهاجم العقاب على المذبح، وخطف قطعة لحم ما زالت مشتعلة، وطار بها إلى عشه. وهبت ريح قوية فأشعلت النار في العش، وسقطت فراخ العقاب الصغيرة على الأرض، فأسرع الثعلب إليها يلتهمها واحداً تلو الآخر؛ والعقاب في أعلى الشجرة محتاراً، نادماً على ما فعل بصغار الثعلب.

ومغزى الحكاية هو أن من يخون الصداقة قد يسلم من انتقام ضحيته، ولكن لا يسلم من انتقام السماء.

* * * * *

العقاب والجعل⁽¹⁾

كان عقاب يلاحق أرنبًا، ولم يجد الأرنب المسكين منفذًا ولا منقذًا. ولكنه لقي جعلا، فتضرع الجعل للعقاب أن يرحم الأرنب لأنه تحت حمايته. غير أن العقاب احتقر الحشرة الصغيرة، وهجم على الأرنب.

لم يغفر الجعل للعقاب فعلته، فاتخذ مكانًا له بالقرب من عش العقاب، وكلما شاهد بيضة في العش دفعها خارجه ليتلفها.

اشتد غضب العقاب فلجأ إلى زيوس⁽²⁾ يرجوه أن يدلّه على مكان آمن يحفظ فيه بيضه؛ فسمح له زيوس بأن يضع بيضه في رداءه.

ولكن الجعل لم يستسلم، فبدأ يصنع كرات من روث البقر، ويرميها على رداء الإله. ونهض زيوس لي طرح الروث عن رداءه، فسقط البيض جميعه من حضنه. وفي ذلك ما يستحق العقاب من عقاب.

ومغزى الأسطورة هو أنه لا ينبغي للمرء أن يحتقر أي مخلوق مهما كان صغيرًا.

* * * * *

(1) الجعل : نوع من الخنافس.

(2) زيوس (ZEUS) : كبير الآلهة في الأساطير اليونانية، ويدعى جوبيتر عند الرومان.

العندليب والصقر

بينما كان عندليب يصدح مرحاً على غصن شجرة، شاهده صقر جائع فهجم عليه. وتوسل إليه العندليب ليعفو عنه قائلاً : إنه صغير لا يملأ بطنه . فأجابه الصقر :

- لست غيباً لأترك صيداً بين يديّ ، وأفتش عن صيد آخر لا أراه أمامي .

والحكمة من هذه الحكاية هي: لا تترك ما في يدك، في انتظار ما قد يأتي به الغد .

* * * * *

الغراب والثعلب

بينما كان الأستاذ الغراب على غصن شجرة، يمسك في فمه قطعة جبن، رآه ثعلب وشم رائحة الجبن، فاقترب منه وناداه قائلاً :

إن مظهرك لجميل أيها الغراب، وإذا كان صوتك يشبه جمال ريشك، فأنت جدير بأن تكون ملك الطيور. وقرر الغراب أن يثبت للثعلب جمال صوته، وفتح فمه، فسقطت قطعة الجبن.

التهمها الثعلب وقال للغراب:

- أيها الطائر الجميل: ينقصك شيء من الذكاء لتكون ملك الطيور.

الذئب والخروف

بينما كان خروف يروي ظمأه على شاطئ جدول، شاهدته ذئب،
فاقترب وقال:

- إنك تعكّر صفو الماء الذي أشرب منه.
- كيف يكون ذلك يا سيدي، والجدول ينحدر من جهتك العليا
إلى هذه الناحية؟
- اعلم أيها الخروف أنك شتمتَ والدي في السنة الماضية.
- كيف أفعل ذلك؟ وأنا لم أولد إلا هذه السنة!
- مهما ذكرتَ من أعذار، فقد قررتُ أن أفترسك.

* * * * *

ابن عرس والديك

اصطاد ابن عرس ديكاً، وقبل أن يفترسه أراد أن يقدم له سبباً
مقنعاً، فقال له:

- إنك أيها الديك تزعج الناس ليلاً، وتحرمهم من النوم .
- إنما أفعل ذلك لمصلحتهم، لينهضوا مبكرين لأعمالهم.

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —————

- ثم إنك تخالف قوانين الطبيعة، فتعاشر أمك، وأخواتك...
- إن هدفي من ذلك هو خدمة أسيادي، فمعاشرتي لأفراد أسرتي تجعل الدجاجات تلد كثيرًا من البيض.
- إسمع أيها الديك، مهما قدمت لي من أعذار، فإنني لا أستطيع أن أبقى جائعًا، وأنت في قبضتي. وهجم عليه، وافترسه.
- ومغزى الحكاية هو أن الأشرار بطبيعتهم يظلمون، ويعتدون، ويفسدون في الأرض، ومبدأهم: «الغاية تبرر الوسيلة».

* * * * *

صياد السمك، عازف الناي

—————

حمل عازف الناي شبكته ونايه وذهب إلى شاطئ البحر، فوضع شبكته قريبًا من الماء، وجلس على صخرة، وأخذ يعزف ظانًا أن عزفه سيجذب السمك إلى شبكته. ولكن بعد مدة لم تدخل سمكة واحدة الشبكة.

فوضع المزممار جانبًا، ورمى شبكته في المكان المناسب، فاصطاد سمكًا كثيرًا. ولاحظ أن السمكات تتراقص وهي خارج الماء، فقال: أيتها المخلوقات الشقية، لماذا ترقصين الآن، ولم تفعلي ذلك عندما كنت أعزف لك على الناي؟!

وفي هذه الحكاية توعية لمن يضعون الأشياء في غير محلها.

* * * * *

الثعلب الذي بُتر ذيله

وقع ثعلب في مصيدة فُقطِعَ ذيله، وأصبح يشعر بالخجل أمام رفاقه. وليخفف من آثار عاهته هذه راح يفكر كيف يغري عدداً من الثعالب بقطع ذيولها. فجمع عدداً منها وخطب قائلاً:

إن للأذنان منظرًا قبيحًا، وهي تعرقل حركاتنا عندما نركض وراء صيدنا... ولذلك أنصحكم أن تتخلصوا من أذنانكم، إنها ثقيلة وشنيعة المنظر. فقام ثعلب من الحاضرين وقال له :

- أيها الرفيق لو لم يكن لك عذر أو مصلحة في قطع ذيلك لما أتعبت نفسك بهذا الخطاب!

ومغزى الحكاية هو أن كثيراً ممن يتكلمون بتقديم النصائح يكون هدفهم خدمة مصالحهم.

* * * * *

الرجل بين زوجتين

كان لرجل عشيقتان، إحداهما فتاة في سن الشباب، والأخرى تجاوزت الأربعين.

كانت الأولى تخجل أن يقال لها عشيقك أشيب، فراحت كل يوم تنزع ما يكسو رأسه من شعر أبيض؛ وكانت العشيقة العجوز تخجل أن

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —

يقال لها عشيقك أصغر منك سنًا، فتنزع ما يعلو رأسه من شعر أسود.
وفي نهاية المطاف وجد الرجل رأسه أصلع. وذلك مصير من لا يحسن
اختيار ما يناسبه.

* * * * *

كلب الصيد

كان كلب صيد يعيش وسط أسرة ثرية وفّرت له جميع ما يحتاج
إليه من أنواع الغذاء، وكانت تدريبه لمصارعة الحيوانات الوحشية،
وتغامر به فتدفعه للمشاركة في معارك ضارية.

وذات يوم وجد نفسه يواجه وحوشًا قوية، فشعر بالخطر، ومزق
قلادته، وفرّ يتجول في الطرقات. وشاهد بعض الكلاب هذا الكلب
الضخم، فقالوا له :

- لماذا هربت من منزل أسيادك؟

- لقد عشتُ بينهم في رخاء وسط وفرة الطعام.. ولكن كنت
أواجه الموت في مصارعة الدببة والأسود.

- أما نحن كلابُ الشارع، فعلى الرغم من الفقر، نشعر بالأمن
والسعادة والحرية، لا نصارع دببة ولا أسودًا .

ومغزى الحكاية هو أنه لا ينبغي للمرء أن يبالغ في طموحه،
ويركب الأخطار من أجل بلوغ الشهرة.

* * * * *

فأر المدينة وفأر البراري

هذه حكاية فأر يسكن المدينة، كان له صديق يسكن البراري.
فاستضاف فأر الخلاء صديقه، وأعدّ عشاء ليس فيه سوى قليل من
الحبوب وبعض الأعشاب. فقال له فأر المدينة:

- إنك يا صديقي تعيش في هذا المكان عيشة النملة، أدعوك
لزيارتي، وسترى من الطعام ما لذّ طعمه، وطاب أكله.

وجاء فأر البراري لزيارة صديقه ساكن المدينة، وأعدّ هذا الأخير
لضيفه عشاء فاخراً فيه الجبن، والتين، والقمح، وبعض الفواكه
الطازجة. وابتهج الضيف بما شاهد، وتأسف على ما يلقاه من شظف
العيش في البادية.

وما أن باشر الفاران تناول العشاء حتى فُتح باب الغرفة، فأسرعا
للاختفاء في مخبأ آمن. وبعد قليل قررا العودة إلى الطعام. غير أن
زائراً آخر أزعجهما، فهرعا إلى المخبأ، وأوصالهما ترتعش من الخوف.
وفي اليوم التالي تكرر إزعاج السكان للفأرين أثناء فترة العشاء.

قال فأر البادية لصديقه :

أرى أن لديك أنواع الطعام اللذيذة، غير أنك لا تتمتع بها لما
يحوط بك من خطر محقق. أما أنا فطعامي متواضع، ولكنني أتمتع
بتناوله في جوّ من الهدوء وراحة البال.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

والحكمة وراء هذه الأسطورة هي أن عيشة في جوٍّ من الهناء
والطمأنينة أفضل بكثير من حياة الترف التي تحوط بها المخاوف
والأخطار.

* * * * *

الكلب والثعلب والديك

اتفق كلب وديك أن يسافرا معاً؛ وعندما حل المساء صعد الديك
إلى شجرة ونام؛ ونام الكلب قريباً من الشجرة. وحل وقت الفجر،
فصاح الديك مؤذناً كعادته؛ فسمعه ثعلب وركض نحوه فوقف بالقرب
من الشجرة وناداه:

- أيها الديك، إنزل إليّ! إنني أودّ من كل قلبي أن أعانقك
وأهنتك على صوتك الجميل. فأجابه الديك :

- أيقظ أولاً كلب الحراسة الذي ينام بالقرب من الشجرة،
وسأنزل إليك عندما يستيقظ.

وما أن تقدم الثعلب نحو الكلب حتى هجم الكلب عليه وافترسه.
ومغزى القصة هو أنه على العاقل أن يفكر كيف يتخلص من
عدوه بأن يسلط عليه من هو أقوى منه .

* * * * *

الأسد، الدب والثعلب

عثر أسد ودبّ على ظبي، فرغب كل منهما أن يفترسه، واقتتلا حتى وقعا على الأرض منهكين من التعب.

وحدث أن مرّ بالقرب منهما ثعلب، ولا حظ أنهما في حالة سيئة من الإرهاق، والظبي مستلق بينهما، فاستولى عليه. وسمع الثعلب الأسد والدب يتمتمان: يا للحماقة والشقاوة، لقد اقتتلنا لينعم الثعلب بصيدنا!

ومغزى الحكاية: الشقي الأحق من يتعب من أجل الحصول على غنيمة، ثم يتركها ليتمتع بها غيره.

القطّة التي تحوّلت إلى فتاة

أحبت قطّة فتى وسيماً فطلبت من أفروديت (إلهة الجمال والحب عند اليونان⁽¹⁾) أن تحولها إلى فتاة جميلة. أشفقت أفروديت عليها. وحولتها إلى فتاة جميلة. ولقيها الشاب فأحبها وصحبها إلى منزله.

وبينما كان العاشقان جالسين، أرادت الإلهة أفروديت أن تختبر ما إذا كان تغيير القطّة إلى امرأة جميلة يغيّر سلوكها، فألقت بفأر في

(1) APHRODITE ، وهي VENUS عند الرومان (أساطير) .

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —

الغرفة، وسرعان ما نسيت الفتاة (القطة) حياتها الجديدة، وتغلبت عليها غريزتها الأولى فهجمت على الفأر لتفترسه؛ فاغتاضت أفروديت، وأعادت الفتاة إلى حالتها الأولى، قطة كما كانت.

والموعظة هنا هي أن الطبع يغلب التطبع، والإنسان عدواني أناني، ونادرًا ما يتحول الشرير إلى قديس.

القسم الثاني



- الشاعر الفرنسي الشهير لافونتان
- نخبة من حكاياته

لافونتان



ولد لافونتان في CHÂTEAU THIERRY ، بمقاطعة شامباني، بفرنسا، في شهر يوليو (جويلية) من عام 1621، وقضى فترة من شبابه بين أحضانها. كان أبوه أحد مستشاري الملك لويس الثالث عشر؛ ويتولى مسؤولية قطاع المياه والغابات، اتجه في البداية إلى الدراسات الدينية والعقائدية في كنيسة بباريس، ثم تركها واتجه إلى دراسة القانون.

واستجابة لرغبة أبيه، تزوج عام 1647 بفتاة لا يتجاوز سنها أربعة عشر سنة. غير أن زواجه لم يحقق له ما كان يرجوه من حياة سعيدة.

وفي عام 1652، أسندت إليه مسؤولية مراقبة قطاع المياه والغابات، فساعدته هذه المهمة على إثراء معلوماته عن الطبيعة، فزاد حبه لها، وتمتع بجولاته في الوديان، والهضاب والغابات، وترك ذلك آثاراً إيجابية عميقة في نفسه.

رزق لافونتان عام 1653 بولد أسماه شارل؛ وبعد بضع سنوات توفى أبوه وترك له وضعاً مالياً سيئاً .

وفي سنة 1658، تعرف على ناظر (وزير) المالية، فوكي (Fouquet) الذي خصص له منحة مالية شهرية ، وأهدى له الشاعر

قصيدة عنوانها «أدونيس»؛ وردّ له الشاعر فضله ورعايته فمدحه بعمل أدبي عنوانه : Le songe de vaux .

وفي عام 1661 ، تقلد لويس الرابع عشر مقاليد الحكم بنفسه، فأبعد فوكي عن منصبه، ثم أودع السجن؛ وبدأ لافونتان يواجه صعوبات كثيرة، لأنه فقد ما كان يتمتع به من رعاية في ظل فوكي، وتدهور وضعه المادي، وكان عليه أن يقترض ليسدد ديوناً عاجلة؛ واضطر لبيع منزله. ومما ضاعف مشاكله أنه اتهم بالتزوير لنيل لقب النبلاء، وحكم عليه بدفع غرامة كبيرة .

وفي سنة 1664، انضمّ إلى خدمة دوقية أورليان في قصر لوكسامبورغ، وبقيت زوجته مقيمة في مسقط رأسه وفي سنة 1670 ترك الشاعر مسؤولياته في قطاع المياه والغابات. وبعد ذلك بقليل توفيت دوقية أورليان، ففقد ما كان يحظى به من رعاية في قصرها.

ومن حسن حظ لافونتان أنه حظي بعد ذلك برعاية السيدة لاصابلير LA SABLIERE ، وكانت سيدة كريمة وفرت له مقاماً مريحاً مكنه من أن يبدع، ويعبر عن أجمل أفكاره. وقد كتب الشاعر يصفها فقال:

«إنها ذات شعر أشقر رمادي؛ ولها عينان لامعتان بلونهما الأزرق، تشعّ منهما الطيبة واللطافة؛ وجهها بيضوي، وبشرتها نضرة بيضاء؛ لها أجمل يدين وأجمل عنق؛ وجميع ملامحها توحى بقلب طيب، ونفس زكية صافية».

وقد حظي الشاعر كذلك بعلاقات طيبة مع السيدة لافايات، والسيدة سَفِينِي؛ وقد ساعدته علاقاته مع السيدات المذكورة على اندماجه في المحيط الارستقراطي، وعلى التقرب من شخصيات مهمة، فراح يزور الصالونات ، وخاصة صالون السيدة LA SABLIERE التي كان يجتمع في صالونها العلماء، والأدباء، والفلاسفة. وعندما انقطعت هذه السيدة عن صالونها الأدبي، وانتقلت إلى مسكن متواضع، اصطحبت معها الشاعر.

في عام 1680، حاول لافونتان أن يحصل على مقعد في الأكاديمية الفرنسية، غير أن الملك فضل أن يعطي المقعد للأديب بُوَالو، المؤرخ الرسمي للملك. وانتخب الشاعر إلى الأكاديمية سنة 1684 .

وبعد وفاة السيدة لاصابليار عام 1693، لقي الشاعر مسكنًا ورعاية لدى أحد الأثرياء. وفي السنة نفسها أعلن أمام جماعة من رجال الأكاديمية، عن نبذه لبعض الأعمال التي كتبها والتي تمس بالأخلاق الفاضلة. وكرس وقته لترجمة أناشيد وتراتيل دينية.

توفي لافونتان في باريس، سنة 1695.

* * * * *

نبذة عن أعماله :

قضى لافونتان معظم حياته في باريس، حيث تعرف على شخصيات مهمة، واطلع على مؤلفات عظماء الكتاب والفنانين، وتجوّل في حدائق القصور المزخرفة، وشاهد اللوحات الفنية التي ألهمت

خياله، ووجد في صالون السيدة لاصابليار مساعدة كبيرة، فتمكن من مجالسة رجال البلاط والأوساط الارستقراطية.

بدأ الشاعر إنتاجه الأدبي متأخراً (حوالي سنّ الأربعين) . وقد مرت حياته بمراحل مختلفة: مرحلة الأحلام؛ مرحلة الحياة الاجتماعية الثرية؛ مرحلة الضغوط المادية؛ مرحلة التكر له ... إلخ .

مارس الشاعر أنواعاً مختلفة من الأدب : قصائد المناسبات؛ القصص؛ الرواية الأسطورية .. إلى أن اكتشف موهبته المفضلة وهي «الحكايات على ألسنة الحيوانات» استوحى معظمها من كتاب سبقوه إلى هذا الفن . وكانت هذه الحكايات هي التي أكسبته شهرة عالمية، وخلدت ذكره؛ وأصبحت تستعمل ضمن الكتب المدرسية، عبر الأجيال، فأصبحت ميراثاً ثقافياً لجميع الفرنسيين على مختلف أعمارهم.

وقد أصدر لافونتان بين سنة 1668 و1694 مجموعات واسعة من حكاياته الشائعة على ألسنة الحيوانات التي جمعت بين القصائد الغنائية؛ والأفكار الفلسفية؛ والأساطير؛ والواقعية؛ وتضمنت تأملات وحوارات أخلاقية وسياسية .

وصدق عندما قال عن حكاياته: «إنها مسرحية واسعة تجمع بين ثناياها مائة مشهد متنوع». فقد كان خبيراً بطبائع الحيوانات وسلوكها، وردود أفعالها، وأساليب كفاحها من أجل البقاء، فصورها كأنها مخلوقات ذكية، بارعة في طلب قوتها، حكيمة وحذرة من أعدائها، متعاونة فيما بينها . كان الشاعر يحب الحيوانات ويدافع عنها ، لذلك

برع في إلقاء الحكم والمواعظ على أسنتها ، كما قال «إنني أستخدم الحيوانات لتعليم الإنسان» .

إن حكايات الشاعر ليست موجهة للتلاميذ فقط كما يظن البعض، بل إنها تقدم لنا تعاليم بيداغوجية، وتثير في النفس تساؤلات فلسفية، وتتضمن معلومات ثقافية متنوعة، وإرشادات أخلاقية بأسلوب يسلي الأطفال ويثقف البالغين فهي بذلك مرآة تكشف سلوك البشر بما فيهم من خير وشر ، صلاح ، فساد، إحسان وعدوان، وفاء وخيانة، أنانية وعدوانية، مكر واحتيال؛ كما تكشف لنا الإنسان في سعيه الدؤوب وراء حاجاته ومصالحه الفردية، وما يصاحب ذلك من طموح نحو السيطرة واستغلال القوي للضعيف.

الإنسان كما قيل خلاصة ما في العالم من عجائب؛ وحكايات الحيوانات مسرحية يلعب فيها الإنسان الدور الذي تؤهله له إمكانياته. وهي تتألف من قسمين : الجسم (أو الشكل) ، والروح. فالجسم هو شكل الحكاية، والروح هي المغزى الأخلاقي والثقافي الذي تهدف إليه.

يحدثنا الشاعر عن الفلاح ، والمزرعة؛ وعن الراعي وقطيعة؛ وعن الحطاب وفأسه، وهو يتجول في الأدغال ليجمع قوت عياله؛ وعن الطباخ، والخدم.. ولكنه لا ينسى الحديث عن الأمراء، ورجال البلاط، وقد سيطر النفاق والتملق على سلوكهم؛ وعن الأثرياء، وهم مزهوون بملابسهم المزركشة مثل الطواويس؛ وعن أصحاب المزارع الذين يمتطون خيولهم ويذهبون لمراقبة حقولهم وسير أعمالهم؛ ويحدثنا عن الأخيار والأشرار.

فحكاياته تشمل كذلك الحديث عن البخيل الذي يكتنز ثروته ليستولى عليها اللصوص والورثة؛ ويصور لنا مشاهد من حياة الرجل المغرور، والبخيل، والمنافق، والمتهور، والجبان، والأحمق، والجاهل، والحسود، والطماع، والمعجب بنفسه، وناكر المعروف... إلخ .

وإذا كان لافونتان يشيد في حكاياته بالأخلاق الفاضلة، مثل الإحسان، والوفاء، والصدق، والتسامح، والتعاون... إلخ، فإنه لا يرحم الحيوانات التي تمثل صفات العدوانية مثل الذئب، والضبع والدب؛ ويعطي للشعوب دور الذي اشتهر به وهو المراوغة والاحتيايل؛ ويعطي للفأر تارة دور البطل الذي يُنقذ بأسنانه الحادة حيواناً من شبكة الصياد؛ وطوراً دور المغفل لأنه وضع رأسه بين فكي محارة فأطبقت عليه؛ ويسخر من الشخص الضعيف الذي يدّعي القدرة على حل المشاكل فيمثله بالذبابة التي ادّعت أنها هي التي أنقذت العربية التي علقت في طريق وعَر ، وطلبت من الخيل أن يدفعوا لها أَجْرَ تعبها؛ ويشبه الشخص المغفل بالغراب الذي انخدع بمدح الشعب لصوته، وكان في فمه قطعة من الجبن، ففتحه ليغني فسقط الجبن وأكله الشعب؛ وتمثل حكاية النملة والحمامة مثل الشخص الذي يجازي المعروف بمثله، إذ أنقذت كل منهما الأخرى من الهلاك؛ وفي حكاية أخرى أقنعت الضفدعةُ الفأرَ بأن تنقله في رحلة ممتعة عبر النهر، وربطه في رجلها، وكان هدفها أن تغرقه وسط النهر، وشاهدت حداة الصراع في النهر، فانقضّت عليهما، ولقيت الضفدعة جزاءها لأنها كانت مربوطة إلى الفأر؛ ومن الأمثلة على نكران المعروف حكاية الأفعى التي أنقذها الفلاح من الموت، ثم لدغته؛ وإشارة إلى الشخص الذي يفتخر بنسبه

يذكر الشاعر حكاية بغل ظلّ يفتخر بأمه الفرس، ويمدح مميزاتاها، ولم يذكر أباه الحمار إلا بعد أن شاخ واستخدم ليدبر الطاحونة .

وينصح الشاعر لافونتان في بعض حكاياته الإنسان بأن يتصرف حسب طبعه وإمكانياته، وأن يتجنب التقليد الأعمى، فيحدثنا عن الثعلب الذي لبس جلد الذئب؛ والحمار الذي ارتدى جلد الأسد، والغراب الذي أراد أن يقلّد العقاب، ففشلوا في محاولاتهم . وفي حكاية أخرى يحدثنا عن ذكاء بومة وضعت عشها على شجرة، وكان بالقرب منها مغارة يسكنها الفئران، فلجأت البومة إلى قضم أرجل الفئران، وكل مواليدها الجديدة، لكي لا تفرّ منها، والمُسليّ في هذه الحكاية أن البومة ظلت تجلب الغذاء للفئران لأنهم غير قادرين على الحركة، ولتجد البومة غداء أمام عشها دون عناء؛ وللشاعر إشارات عديدة على أن قانون القوى هو الذي يسود العالم فيقول: «إذا كان الأسد جارك فما عليك إلا أن تصادقه، أو تبتعد عنه».

وهكذا استطاع لافونتان بقوة ملاحظته وأسلوبه الشيق وحكاياته الممتعة أن يسجل مشاهد رائعة عن سلوك عالم الحيوانات، وأن يعرض علينا كثيراً مما خلفه الأولون من حكم وتجارب، إنها مشاهد طبيعية تزخر بالحياة، تشمل الفلاحين ، وحقول القمح، والغابات، والحطابين، والمزرعة، والنهر، والأسماك، وصائدي الأسماك، والحجل، والقطعان، وكذلك القصر، والمطبخ، والبستان، وكذلك الاصطبل، والخيول، وأكواخ الفقراء... إلخ.

قال أحد أصدقاء الشاعر: «كان لافونتان ذا نفس ذكية، طيبة،

صادقة؛ تَضُمُّ بين جوانحها أطيب قلب؛ كان يتصرف بأسلوب بديهي،
لازيف فيه، ولا نفاق» .

وقالت عنه السيدة لاصابليار: «كان رجلاً متواضعاً ، طيب القلب،
صادقاً في مشاعره، تتمثل فيه براءة الأطفال؛ بعيداً عن النفاق والتملق
الذي يشوب سلوك كثير من الناس».

كان الشاعر معجباً بالنساء الجميلات، لا ينسى نصيبه من متع
الحياة وملذاتها . ومن أقواله :

«لي قلب غير راض عن نفسه، إنه يرغب، ويحب، ويمرح ويتمتع،
ولكنه لا يلتزم برغبة واحدة طويلاً» . وقال :

«منع الحكماء مئات المشاعر، والرغبات، والشهوات، ولكن وجدتُ
أنه ليس في قدرتي أن أعيش دون ملامسة أيِّ ذنب مثل الناسك؛
وأعتقد أن القلب البارد هو أشبه بحالة العدم».

كان الشاعر يحبذ السعادة التي ينعم بها المرء وسط بيئة تسودها
السكينة، والقناعة، والمحبة، ويقول عن العزلة والخلوة:

«إنها توفر لمن يحبها أوقاتاً آمنة، طيبة، صافية؛ إنها عزلة أجد
فيها متعة سحرية، وخلوة أجدها في الأماكن التي أحببتها، وتمتعتُ
فيها بالظلال الوارفة وسط المروج الخضراء، ومشاهد الطبيعة،
ونسائم الصباح والغروب المنعشة، أماكن أشعر فيها بهدوء الفكر،
وراحة البال، بعيداً عن الماكزين ، والمخادعين، والمتوحشين، من الذين
ينقضون قوانين المجتمع وسنن الطبيعة».

* * * * *

نخبۃ
من
حکایات لافونتان



الفلاح وأولاده

شعر الفلاح بدنو أجله ، فجمع أولاده وقال لهم لا تبيعوا قطعة الأرض التي ورثناها عن أجدادنا، لأن في جوفها كنزاً ثميناً لا أعرف مكانه، ولا بد أن تجدوه إذا بحثتم عنه. ولما توفي الأب راح الأولاد يحفرون الأرض ويحراثونها مرة تلو الأخرى، بحثاً عن الكنز. ولما يئسوا من العثور عليه، زرعوا الأرض فجاءت غلالها أضعاف ما كانت تغله. وفطن الأولاد إلى مغزى وصية أبيهم: العمل كنز .

* * * * *

عربة الخيل والذبابة

توقفت عربة الخيل في طريق وعر، ولم تقدر الخيول الستة على جرّها، فنزل الركاب ليساعدوا على دفعها. وجاءت ذبابة فراحت تقفز من حصان إلى آخر، وهي تعتقد أن طنينها سينشط الخيل. وبعد جهد كبير اجتازت العربة الطريق الوعر، فطلبت الذبابة من الخيل أن يدفعوا لها أجر تعبها .

* * * * *

الحذاء ورجل الأعمال

كان الحذاء فقيراً راضياً بنصيبه سعيداً مرتاح البال، يعمل ويغني طوال النهار في دكانه الصغير. وكان له جار، رجل أعمال ثري، يقضي نهاره قلقاً متوتراً، ولا يسعد بلذة النوم ليلاً. فجاء يوماً إلى الحذاء وسأله كم تربح في السنة؟ أجاب الحذاء: لا أعرف، إنني أفكر في رزق يومي فقط. فأهداه مبلغاً كبيراً من المال وطلب منه أن يخفيه في مكان مأمون، لينفقه عند الحاجة.

لم يصدق الحذاء أنه أصبح غنياً فأخفى ثروته، وراح يتفقدتها كل يوم بل كان ينهض أحياناً ليلاً كلما سمع حركة مريبة. وبعد مدة بدأت تظهر عليه علامات القلق والتوتر، وجفاه النوم وراحة البال، وذات يوم ذهب إلى رجل الأعمال وقال له: خذ مالك، وأعد إلي راحة البال، أريد أن أغني كما كنت أفعل في دكاني الصغير.

* * * * *

الأسد والذبابة

سخر أسد من ذبابة واحتقرها، فهجمت عليه تلدغه في الأماكن الحساسة، في عينيه ومنخريه وأذنيه. ولم تجِدِ الأسد أنيابه ومخالبه، فراح يضرب بذيله ويدور حول نفسه دون جدوى. أعلنت الذبابة انتصارها، وراحت تنتقل مسرورة من مكان إلى آخر فوقعت في بيت عنكبوت ولقيت حتفها.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

ومغزى الحكاية هو أنه ينبغي للمرء ألا يستخف بالخصم الضعيف، وأنه قد ينجو من خطر عظيم ليلقى حتفه في حادث بسيط.

* * * * *

الأبله والحكيم

كان رجل أبله يشتم رجلاً حكيمًا ويرميه بالحجارة، فناداه الحكيم وقال له خذ هذه القروش مقابل تعبك، ليس لي غيرها. ولكن انظر إلى ذلك الرجل الثري، لو رميته بالحجارة لنت منه أضعاف ما حصلت عليه مني. فركض الأبله إلى الرجل الغني يشتمه ويرميه بالحجارة، ولكن سرعان ما هجم عليه الخدم وضربوه ضرباً مبرحاً .

المغزى : إذا لم تقدر على معاقبة من أساء إليك، حاول أن توقعه في حبال من يستطيع ذلك .

* * * * *

الأسد والذئب والثعلب

مرض الأسد فجاءته الحيوانات تتمنى له الشفاء وتقدم النصائح لعلاج، إلا الثعلب لم يمثل بين يديه. فقال الذئب للأسد: لا أرى الثعلب بين زوار ملك الغابة، وإنني أتساءل ما الذي أخره؟ فأرسل الأسد من يأتي بالثعلب، وعلم هذا الأخير أن الذئب وشى به. قدم الثعلب

اعتذاره للأسد قائلاً: أرجو أن يعذرني ملكنا، شفاه الله، إذا تأخرت عن زيارته. لقد ذهبت إلى الحج وكنت أدعو لكم بالشفاء كل يوم . وأثناء سفري التقيت بالعلماء والأطباء، فأخبرتهم بمرض جلالتكُم، وأشاروا بأن أفضل علاج هو أن تأكلوا لحم الذئب وترتدوا جلده ليلاً وقاية من البرد. فأمر الأسد بأن يقتل الذئب حالاً لتنفيذ نصيحة الثعلب.

ومغزى القصة أنه على من يعاشر ذوي السلطة أن يحفظ لسانه، لأن من حفر حفرة لأخيه قد يقع فيها .

* * * * *

صاحبة الحليب

بينما كانت فلاحاة تحمل قدر حليب على رأسها، وهي في طريقها إلى المدينة لتبيع حليبها، راحت تتخيل كيف أنها ستشتري بمبلغ الحليب، مائة بيضة فتعتني بحضنها لتنتج مائة دجاجة؛ فتبيعها وتشتري أنثى خنزير تنتج لها خنازير كثيرة؛ فتبيعها وتشتري بقرة تلد لها كل سنة عجلاً.. إلخ فسرت بمنظر الأبقار في حقلها، وبدأت ترقص فرحاً فسقط قدر الحليب من على رأسها، وذهبت أحلامها مع الحليب المسكوب.

* * * * *

الغراب والثعلب

بينما كان غراب فوق غصن يمسك في منقاره قطعة جبن، رآه

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

ثعلب فدنا منه وحياه قائلاً: ما أجمل منظرك وألطف هندامك أيها الطائر الجميل! ولو كان صوتك جميلاً مثل منظرك لكنت حقاً سيد الطيور. وفتح الغراب فاه ليسمعه صوته فسقطت قطعة الجبن. أكلها الثعلب وقال للغراب: اعلم يا سيدي أن المادح يعيش على حساب ممدوحه.

* * * * *

الذئب والحمل

بينما كان حمل يشرب من جدول، جاءه ذئب وقال له: كيف تتجراً على تعكير الماء الذي أشرب منه؟ فأجابه الحمل كيف أعكر ماءك وهو ينحدر من الجهة التي تشرب منها نحو مكاني هذا؟ فرد عليه الذئب: وزيادة على ذلك فقد شتمتني في العام الماضي! فأجاب الحمل: كيف يكون ذلك يا سيدي، وأنا لم أولد إلا في هذه السنة! فقال الذئب بصوت غاضب: على أية حال إن لم تكن أنت فقد شتمني أحد أقاربك؟ وهجم عليه فافترسه.

ومغزى هذه الحكاية: قانون القوي هو الصحيح دائماً.

* * * * *

الحمامة والنملة

بينما كانت حمامة تشرب من جدول إذ شاهدت نملة تتخبط في الماء فرمت إليها قشة لتساعدتها على الوصول إلى حافة الجدول.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

وطارت الحمامة إلى غصن شجرة مجاورة فرآها صياد، وبينما هو يستعد لرميها بسهمه عضته تلك النملة في رجله، فطأطأ رأسه ليبعد الحشرة. في هذه اللحظة شعرت الحمامة بحركة الصياد ونجت بنفسها.

ومغزى هذه الحكاية أن «من يفعل الخير لا يعدم جوازيه».

* * * * *

الثعلب والذئب والحصان

شاهد ثعلب وذئب حصاناً لأول مرة، فاقتربا منه ليتعرفا عليه. حيّاه الثعلب قائلاً: ما اسمك أيها الحيوان الجميل؟ أجاب الحصان: لقد كتب الحدّاء اسمي على حافري يمكنك أن تقرأه يا سيدي. فاعتذر الثعلب لكونه لم يتعلم القراءة، قائلاً إنه يترك قراءة الاسم لرفيقه الذئب لأنه مخلوق مثقف جداً. ابتهج الذئب بهذا المدح، وتقدم إلى حافر الحصان ليقرأ اسمه، فركله الحصان ركلة حطمت أسنانه وألقتة على الأرض يعوي من الألم. فاقترب منه الثعلب وهمس في أذنه: ألم تسمع بالحكمة القائلة «لا تثق بمن لا تعرف».

* * * * *

الحيوانات مريضة بالطاعون

أصاب الطاعون الحيوانات، فجمعها الأسد وخطب فيها قائلاً:

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —

لاشك أن الله سلط علينا هذا المرض العضال لينتقم منا بسبب ما ارتكبنا من أعمال شريرة. فليعترف كل منّا بذنوبه لعل الله يعفو عنا. وأبدأ بنفسي فأعترف بأنني كنت قاسياً أحياناً، فافتست بعض الأغنام وعدداً من الرعاة. وتقدم الثعلب فقال: أيها السيد النبيل ما أطيب قلبك! إنه لشرف كبير للحيوانات أن تفترسها، فصفق الحاضرون.

واعترفت الحيوانات المفترسة الأخرى مثل النمر والدب.... ، بما فعلت، فلم يجد أحد أعمالها ذنباً. وفي النهاية تقدم الحمار فاعترف بأنه أكل الحشيش من أحد المروج، وأنه الآن يأسف حقاً لما فعل. فصاح الحاضرون إنه جرم كبير، ليحاكم الحمار. وتكلم الذئب فأكد أن أكل حشيش المروج ذنب لا يغفر، وأنه سبب هذا الطاعون الذي سلطه الله علينا، ولا يمحو جريمة الحمار إلا القتل.

ومغزى الحكاية أنك بريء ما دمت ذا قوة وسلطان، ومذنب إذ كنت فقيراً ضعيفاً.

الصرصار والنملة

ظل الصرصار يغني طوال فصل الصيف، ولكن عندما حلَّ فصل الشتاء وجد نفسه بدون طعام، فاشتد به الجوع، وذهب إلى جارته النملة يرجوها أن تقدم له شيئاً من الطعام يَسُدُّ به رمقه، ويسكت جوعه.

سألته النملة :

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

- وماذا كنتَ تفعل في فصل الصيف عندما كان الناس يجمعون أقواتهم؟ فقال لها الصرصار:
- كنتُ أغني طوال فصل الصيف.
- إذاً اذهب واقض فصل الشتاء في الرقص!
- «الجدُّ في الجدِّ، والحرمان في الكسل».

* * * * *

الضفدعة المغرورة

شاهدت ضفدعة بقرة سمينية فأعجبت بشكلها، وحسدتها على ضخامة جسمها، فقررت أن تصبح مثلها، وأخذت تأكل وتشرب دون توقف، وراح بطنها ينتفخ بلا حدود، وواصلت سعيها ليلاً ونهاراً، مصممة على أن ينتفخ جسمها حتى يبلغ حجم البقرة. ولكن هيهات، أنى لضفدعة أن تبلغ حجم البقرة؟! وهكذا نجد في الحياة كثيراً من الناس يدفعهم الغرور والطمع، فيسعون إلى هلاكهم وبئس المصير.

* * * * *

البغلان

كان بغلان يسيران في الطريق أحدهما على ظهره حمل من الزرع، والآخر يحمل كيساً من المال. وكان هذا يمشي رافعاً رأسه

———— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات ————

مفتخرًا بحمله الثمين. وفجأة خرج عليهما جماعة من اللصوص فهجموا على حامل كيس المال، فحاول الهرب، فطعنوه بخناجرهم وأخذوا المال.

قال حامل المال، وهو في النزاع الأخير:

- أهكذا يكون مصيري؟! وأنا صاحب الكنز الثمين.

فأجابه رفيقه :

- ليس من الحكمة دائمًا أن يطلب المرء المركز الرفيع، فقد اخترت أن تكون خادمًا مهما في إدارة جمع الضرائب؛ ولو اقتنعت مثلي بخدمة فلاح بسيط لما لقيت هذا المصير التعس.

* * * * *

العجلة والعنزة والخروف

يحكى أنه في قديم الزمان قرّرت عجلة وعنزة وخروف أن يؤسسوا شركة مع أسد كان في جوارهم، على أن يقتسموا الربح والخسارة. وبينما هم سائرون عثروا على غزال كان قد وقع في فخ. فسارع الأسد وقال: هذه الغنيمة تقسم على أربعة.

- القسم الأول لي بصفتي ملك الغابة، ولا أعتقد أن بينكم من يعارض هذا القرار .

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

- القسم الثاني يعود لي وحدي وفقاً لقانون : الحق للأقوى.
- وبما أنكم جميعاً تعترفون بأنني أشجعكم ، وأعلاكم همة،
فإنني أطالب بالقسم الثالث .
- وإذا تجرأ أحدكم أن يقترب من القسم الرابع، أو يحاسبني
عليه، فسأخنقه قبل أن يمدّ يده إليه .

* * * * *

حكاية الموت والخطاب

هذه حكاية خطاب فقير كان عائداً من الغابة إلى منزله، وهو يحمل كعاداته حزمة من الخطب على ظهره . كان يسير متعباً بخطى بطيئة، وطال عليه طريق العودة، فوضع الحزمة جانباً، وجلس يستريح قليلاً. لقد أنهكته السنون، فراح يتمتم لنفسه:

يا لها من حياة قاسية، الفقر، والمرض، ومشقة هذا العمل المضي؛ ولكن لا بدّ من كسب العيش، وتسديد الدين. تنفس الصعداء مرة أخرى منادياً: أين أنت أيها الموت لتتقذني...

وما أن تلفظ بهذه العبارة حتى مثل الموت أمامه وسأله: ماذا تطلب أيها الخطاب؟ فتردّد هذا الأخير محتاراً ثم أجابه :

إنما دعوتك لتساعدني على وضع حزمة الخطب على ظاهري.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

لا شك أن الموت يشفي كل شيء، غير أن الإنسان في نهاية المطاف
يتمسك بالأمل، ويفضل أن يتحمل المتاعب على أن يفارق الحياة.

* * * * *

شجرة البلوط والقصبة

قالت شجرة البلوط للقصبة: من حقدك أن تشتكي سوء حظك
للطبيعة، فإن أصغر طائر يحطّ عليك هو عبء ثقيل يحني رقبتك؛
وأخفّ نسمة تمرّ تهزّك؛ أما أنا فشجرة قوية، وجهتي صامدة مثل
قمة جبال القوقاز، تتصدّى لأشعة الشمس، وتصمد أمام العواصف
العنيفة؛ ولو ساعدك الحظ وكنت قريبة مني لحميتك من العواصف.

فأجابتها القصبة: لا تقلقي علي أيتها الشجرة، فإن العواصف لا
تخيفني، فأنا أهتزّ وأنحني، ولكن لا أنكسر. ولا تنخدعي بضخامتك،
ولننتظر العواقب!

وبينما هما يتحاوران ظهرت في الأفق عاصفة عاتية؛ وصمدت
الشجرة في مكانها، لا تتحني ولا تتحرك، وراحت القصبة تتحني يميناً
وشمالاً وفي كل اتجاه، مرنة، لينة مطاوعة. واشتدت قوة العاصفة
لدرجة أنها اقتلعت الشجرة من جذوعها. وسلمت القصبة الصغيرة
بفضل مرونتها.

* * * * *

الذئب والثعلب يحتكمان إلى القرد

رفع الذئب قضية أمام القاضي القرد يتهم فيها الثعلب بالسرقة. ومثل الاثنان أمام القاضي (القرد)، واجتهد الذئب بكل ما أوتي من فصاحة وقوة ليثبت التهمة ضد الثعلب. واجتهد هذا الأخير بكل ما أوتي من دهاء وحماس ليثبت براءته.

وطال الجدل ، واشتد الصياح والنزاع، وتبادل الاتهامات... وأخيراً نطق القاضي بالحكم فقال:

«بناء على ما أعرفه عن كل واحد منكما منذ زمن طويل، وعلى ما اشتهرتما به من عدوانية ومراوغة وسوء النية، قررت المحكمة أن يدفع كل واحد منكما غرامة: أنت أيها الذئب لأنك تعودت على التشكي حتى وإن لم يؤخذ منك شيء؛ وأنت أيها الثعلب لأنك تعودت على النكران والتحايل حتى إن كانت التهمة ضدك ثابتة».

وهكذا رأى القاضي أن يحكم على من عرف بسوء السمعة والمكر والخداع، لأنه لا يُصدّق حتى وإن صدق في دعواه .

* * * * *

الأسد والذبابة

سلمت ذبابة على أسد فازدراها وشتمها. فقالت له: هل تظن أن

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —

كونك ملك الغابة يقلقني أو يخيفني؟ أعلم أيها الأسد أنني لا أخشى أقوى الحيوانات. ثم ابتعدت الذبابة قليلاً، ولكنها قرّرت أن تأخذ بثأرها وتعلم الأسد درساً لكي لا يحتقر من هو أصغر منه حجماً. فهاجمت عليه بقوة تلدغ منخريه، وعينيّه، وأذنيه. وأخذ الأسد يزأر، ويرغي، ويُزبد، ويلوح بذيله، وينفض أذنيه، ويتمرغ في التراب حتى كاد يجن جنونه.

وعندما حققت الذبابة مرادها، طارت في طريقها تترنم مزهوّه بانتصارها. غير أن فرحها لم يدم طويلاً، فبينما هي سائرة في طريقها نصب لها عنكبوت شبكته، فلقيت فيها حتفها.

وتعلمنا الحكاية أنه لا ينبغي للمرء أن يحتقر مخلوقاً لأنه أضعف أو أصغر منه؛ وأن الإنسان قد ينجو من خطر كبير، ويلقي حتفه لسبب صغير.

الحمار الذي يحمل كيساً من الاسفنج والحمار الذي يحمل كيساً من الملح

كان رجل يسوق أمامه حمارين أحدهما على ظهره حمل من الاسفنج، والآخر حمل من الملح. وبعد مسيرة طويلة وصلا إلى نهر عميق، وزلقت رجل الحمار الذي يحمل الملح، فتخبط قليلاً في النهر، ثم قفز مسرعاً ونجا بنفسه. ذلك أنه بعد أن تمرغ قليلاً في النهر ذاب الملح فأصبح حمله خفيفاً.

وحاول الحمار الذي يحمل الاسفنج أن يقلد رفيقه، فغطس في النهر، فامتلاً الاسفنج بالماء، ولم يستطع الحمار أن ينهض بعبئه ففرق. ومغزى الحكاية أنه ينبغي للمرء ألا يقلد غيره دون أن يفكر في العواقب.

الأسد والفأر

بينما كان أسد مستلقياً في عرينه، مرّ بين مخالبه فأر، فنظر ملك الغابة إليه بعطف وتركه يواصل دربه. ثمّ حدث بعد ذلك أن وقع الأسد في شباك صياد، وراح يزأر ويتخبط في الشبكة دون جدوى.

وصادف أن مرّ ذلك الفأر بالمكان، وشاهد الأسد في محنته، فهرع إليه، وأخذ يقرض الشبكة بجدّ وحماس، ونجح في النهاية في إنقاذ الأسد اعترافاً له بالمعروف.

وهكذا سنة الحياة، من يفعل الخير لا يعدم الجزاء، وكثيراً ما يحتاج الإنسان إلى مساعدة من هو أصغر منه.

المنجم

وقع منجم ذات يوم في بئر، فقال له بعض من حضروا لإنقاذه:

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —

«أيها المسكين، بما أنك لا تستطيع أن ترى أين تضع رجلك، فكيف تزعم أنك ترى ما تخفيه النجوم؟».

إن هذه الحادثة ينبغي أن تكون درساً لكثير من الناس. فكثير هم أولئك الذين يدعون بأنهم يتنبأون بحوادث المستقبل، ويقرأون ما خفي في سجلات الأيام والمصير. والواقع أن ما سيحدث في المستقبل هو من علم الغيب، وفي حكم القضاء والقدر. وما قد يُوفَّق إليه بعض «المنجمين» إنما هو من قبيل الحظوظ والمصادفات .

* * * * *

الديك والشعلب

مرّ ثعلب فشاهد ديكاً في أعلى شجرة، فسلم عليه وقال له: أيها الصديق ، لقد جئتُك بخبر يسرك، لقد انتهت حالة الحرب بيننا وحلّ عهد السلم والأمان؛ فانزل لحظة لأعانقك وأواصل طريقي لأبلغ الآخرين بالنبأ السار .

ولكن هذا الديك كان فظناً ومجرباً، فأجاب الثعلب من أعلى الشجرة:

أشكرك أيها الصديق، لقد أسعدني هذا الخبر كثيراً، ولكن انتظر، إنني أرى سلوقيين قادمين، لا شك أنهما يحملان نفس الخبر الذي جئتُني به، سأنزل عندما يحضران لنتعانق جميعاً .

وما أن سمع الثعلب كلام الديك حتى أجاب: إنني مستعجل يا صديقي، وطريقي طويل، أودعك الآن، سنحتفل بالخبر السعيد في فرصة أخرى.

وشعر الديك بالغبطة لأنه استطاع هذه المرة أن يخدع الثعلب الماكر.

* * * * *

الغراب الذي قلّد العقاب

شاهد غراب ذات يوم عقاباً قوياً ينقض على خروف صغير ويحلق به بعيداً، فأراد أن يقلده، فراح يحوم حول قطيع من الغنم، وشاهد كبشاً سميناً أعجبه، فانقض عليه، ونشب مخالفه في صوف الكباش الكثيفة. غير أنه لم يستطع أن يرفعه ويطيّر به.

قرّر الغراب أن ينجو بنفسه، غير أن مخالفه علقت بصوف الكباش، فصعب عليه التخلص من ورطته. وأسرع إليه الراعي فقبض عليه ووضع في قفص، وأهداه إلى أولاده ليتسلوا بمداعبته.

وهكذا على المرء أن يعرف حدود إمكانياته، وألاّ يقحم نفسه فيما لا قدرة له على إنجازه.

* * * * *

الطاووس يشكو حظه إلى السماء

إلهي أرجو أن تسمع شكواي: إن صوتي لا يعجب الناس،

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —————

ولا ينعش الطبيعة. إني أشاهد البلبل، ذلك الطائر الصغير، وقد وهبهُ
الله أنعاماً لذيذة تنعش الربيع وتدخل البهجة على قلوب الناس.

فأجابته السماء غاضبة: أقلع عن حسدك للبلبل، فها أنت تحمل
ريشاً مزخرفاً يبهج النفوس مثل قوس قزح؛ فهل هناك من طائر حولك
يلبس رداء حريراً مزخرفاً مثل رداك؟ ألا ترى أن كثيراً من الناس
معجبون بجمال ريشك؟

إن السماء لا تعطي لجميع الطيور جميع الامتيازات، بل توزع
عليها مظاهر الجمال والقوة والذكاء والعظمة.. وعلى كل طائر أن
يرضى بحظه. فتوقف أيها الطاووس عن الشكوى، واقنع بما لديك،
وإلا فسننزع عنك رداءك .

* * * * *

الضفادع تريد ملكا

استولى الملل على الضفادع من الحكم الديمقراطي، فتوجهت إلى
الإله جوبيتر⁽¹⁾ وطلبن منه أن يغير نظامهن إلى حكم ملكي. فأرسل
إليهن ملكاً لطيفاً، هادئاً، ضعيفاً. ورغبت الضفادع في التعرف على
ملكها فراحن تقترب من منزله شيئاً فشيئاً، يوماً بعد يوم. واكتشفت
هدوءه وضعف شخصيته فازدادت جرأتها عليه .

(1) كبير الآلهة عند قدماء الرومان.

وذات يوم توجهت الضفادع إلى الإله جوبيتر وطلبت منه أن يبعث لها ملكاً ناشطاً وشجاعاً. فغضب جوبيتر وأرسل إليهن «كركيا»⁽¹⁾ وما أن حلّ هذا الطائر الشرير بمنازلهن حتى انقضّ عليهن يفتك بهن واحدة تلو الأخرى. فثارت الضفادع تشكو مصيرها مع هذا الملك العدواني. فكان جواب الإله جوبيتر:

هل تريد الضفادع أن تفرض رغباتها على السماء؟ لقد رفضتّ الحكم الديمقراطي، وكان عليك أن ترضين بملككن الأول الحليم المتسامح؛ والآن أقول لكنّ: عسى أن تكرهن شيئاً وهو خير لكنّ.

* * * * *

الثعلب والتيس

طلب الثعلب ذات يوم من التيس أن يرافقه في إحدى جولاته. و طال بهما السير، وشعرا بالعطش. وجدا بئراً فنزلا معاً ليروي كل منهما عطشه. كان التيس حيواناً شجاعاً، ولكنه لا يملك دهاء الثعلب.

وبعد أن ارتوى كل منهما قال الثعلب للتيس: كيف السبيل إلى الخروج من البئر، أيها الرفيق؟ ولكن عندي فكرة صائبة، فما عليك إلا أن ترفع رجليك وقرنيك على الحائط، وسأصعد أنا على ظهرك وقرنيك، ثم أخرجك من البئر بسهولة.

استجاب التيس لفكرة الثعلب قائلاً: أشهد أنك عبقري! وما أن خرج الثعلب من البئر حتى راح يسخر من التيس قائلاً: لو أن الله

(1) طائر عظيم طويل الساقين .

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —

رزقك من العقل بمقدار وزن لحيتك ما كنت لتغامر بالنزول معي إلى
البئر. والآن وداعاً يا رفيقي فإن لي أشغلاً أخرى تنتظرنني.

* * * * *

العقاب والقطة والخنزيرة البرية

كان العقاب يرعى صغاره في تجويف في أعلى شجرة ضخمة.
وكانت القطة تربي صغارها في تجويف في وسط تلك الشجرة. وكانت
الخنزيرة البرية ترعى جرائها عند جذع الشجرة. واتفقت ثلاثتهن
على أن يسود السلام بينهن، وأن تنهض كل واحدة منهن بأشغالها دون
إلحاق أي ضرر بمصالح الأخرى.

غير أن القطة سعت بمكرها لإفساد علاقات حسن الجوار،
فصعدت إلى العقاب وقالت له : إن الخنزيرة اللئيمة لا تتفك تحفر
تحت جذع شجرتنا، وهذا قد يجلب لنا الهلاك، لأنه إذا سقطت
الشجرة سيهلك صغارنا، وتأكلهن الحيوانات الأخرى.

وبعد أن زرعت الخوف في نفس العقاب، نزلت القطة إلى
الخنزيرة وأسرت لها خفية: إن العقاب قد يستغل غيابك ويخطف
صغارك واحداً تلو الآخر؛ ولكن أرجوك أن تحفظي هذا الخبر بيننا،
فأنا أخشى مثلك أن يفتك العقاب بصغاري.

وهكذا أصبح العقاب يخشى أن يبتعد عن صغاره ليبحث عن
الطعام؛ وأصبحت الخنزيرة كذلك تخشى أن تذهب للصيد بعيداً؛

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

وهكذا قضى الجوع تدريجياً على صغار العقاب والخنزيرة، بينما ظلت القطّة تجلب لجرائها ما يكفيها من الطعام.

وكانت نهاية القطّة أنها دخلت ذات يوم إلى مغارة لتصطاد فأراً، فلم تخرج من المغارة، ولم ترجع إلى صغارها. وكان ذلك جزاء من لا يكفّ لسانه عن المكر والخديعة.

* * * * *

الذئب وطائر اللقلق

كان ذئب يعاني من جوع شديد فراح يركض وراء كل ما يتحرك حتى أمسك صيداً. ولشدة جوعه كان يبتلع كل شيء، حتى علق عظم كبير بحلقه كاد يخنقه.

ولكن لحسن حظه حطّ بقربه طائر اللقلق، فأشار إليه أن يساعده على إخراج العظم من حلقه. وبعد أن نجح الطائر في إخراج العظم بمنقاره الطويل، طلب من الذئب أن يجازيه على إنقاذه حياته. فصاح به الذئب:

«ويحك أيها الساذج، ألا يكفيك جزاء أنك أخرجت عنقك من فمي حيّاً؟ يا لك من حيوان ينكر المعروف.

* * * * *

القسم الثالث



فيما يلي لمحة موجزة عن بعض ما
ورد في الشعر العربي من حكايات
وأقوال الشعراء حول الحيوانات شركائنا
في الحياة :

- حكم ومواعظ دَوَّنَهَا أحمد شوقي ،
أمير الشعراء ، على ألسنة الحيوانات .
- أقوال بعض الشعراء حول عدد من
الحيوانات .

أحمد شوقي



ولد أحمد شوقي سنة 1868 في القاهرة، وبعد أن درس الحقوق والترجمة، ألحقه الخديوي توفيق بخدمته؛ ثم أرسله في بعثته دراسية إلى فرنسا.

اهتم شوقي منذ شبابه بدراسة الشعر العربي، كما اهتم بمطالعة روائع الأدب الفرنسي. وبعد وفاة الخديوي توفيق، انضم الشاعر إلى ديوان الخديوي عباس حلمي، وأصبح يعرف بشاعر القصر.

وعندما عزل الخديوي عباس حلمي سنة 1914، نفى أحمد شوقي إلى الأندلس بسبب علاقته الوطيدة بالقصر. دامت فترة نفيه أربع سنوات، وعاد إلى مصر بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها.

تحرر الشاعر من قيود القصر، فأصبح يتمتع بحرية أكبر للتعبير عن آرائه، وتوسعت علاقته بالشعب. وفي هذه المرحلة ازداد إنتاجه، وتنوعت موضوعات شعره، فشملت المناسبات الوطنية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية.

وفي عام 1927، عقد بالقاهرة مهرجان كبير لتكريم أحمد شوقي، اجتمع فيه شعراء الأمة العربية، واعترافاً بفضله، وتمت مبايعته بإمارة الشعر، فأصبح يلقب بأمير الشعراء. كان شوقي شاعراً

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

مطبوعاً، يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من النبع. وقد ترك لنا
آثاراً أدبية خالدة منها:

- الشوقيات في أربعة أجزاء.

- دول العرب وعظماء الإسلام.

وألف عدداً من المسرحيات منها :

مجنون ليلى؛ مصرع كليوبترا؛ قمبيز؛ عنترة؛ علي بك الكبير؛ وغيرها.

* * * * *

العصفور والغدير المهجور

جاء عصفور إلى جدول تنساب مياهه الصافية بين أشجار
الغابة، فارتوى من مائه العذب القراح، ثم قال له :

- أيها النبع الجميل هل تأذن لي أن أرشد الناس إلى مكانك
ليشربوا من مائك الصافي المنعش؟ ويعترفوا بفضلك؟

- حفظك الله من بني آدم أيها الطائر الجميل، وقاك الله من
أنانيتهم ونكرانهم للمعروف. ألا ترى ما فعلوا بالنيل العظيم
الذي ظل طيلة آلاف السنين يسقي المزارع، ويمدّ الناس
بأسباب الحياة وسط الصحراء المجذبة؟! وها هم الآن يرمون
فيه جميع فضلاتهم فأصبحت مياهه ملوثة، وزال عنها
صفاؤها وعذوبتها.

الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —

وهكذا العهد بود الناس ❖❖ وقيمة المحسن عند الناس
النيل فاسمع وافهم الحديث ❖❖ يعطي، ولكن يأخذ الخبيثا

* * * * *

الأفعى النيلية والعقربة الهندية

شاهدت أفعى عقربة فاحتقرتها، والتفت حولها، مغترة بقوتها،
وجرتها إلى جحرها لتلتهمها. غير أن العقربة لدغتها لدغة مميتة في
رأسها، فخرجت الأفعى هاربة مترنحة من أثر اللدغة، وسرعان ما
خارت قواها، وسكنت حركتها. ويضيف شوقي على لسان الأفعى:

«لولا الذي أبصر أهل التجربة ❖❖ مني لما سموا الخبيث عقربة»
والمغزى هو أن المرء لا ينبغي أن يستهين بمن هو أصغر منه.

* * * * *

فأر الغيط وفأر البيت

أنجبت فأرة الغيطان فأرين، فكر الأكبر، واسمه نور الغيط، أن
يعيش بين المروج والغيطان، مثل عادات آبائه الفلاحين، هنيئاً سعيداً.
أما الفأر الأصغر فطلب من أمه أن تسميه نور القصر، لأنه كان يفضل
أن يسكن الديار، ويتنقل بين الرفوف لينعم بأحلى أكالات أهل القصر.
حذرته أمه مراراً من خطر البيوت والشوارع، ونصحته بأن يعيش في

البراري حياة الفلاحين، ولكنه أبى إلا أن يعيش وسط الأحياء المزدحمة، إنه فأر طموح. والواقع أنه كان يجلب إلى أمه أحياناً شيئاً من الجبن والتين وغيره.

وذات يوم ركض إلى أمه مضطرباً، فسألته ماذا حدث لذيله، فقال لها: «في الشهد قد غاص، وفي الشهد ذهب». وجاءها ذات يوم، وقد أصيب بكسر في رجله، فسألته عن سبب ذلك فقال: قفزت إلى رفّ عال، فأخطأته، فكسرت رجلي». وطال غيابه مرة، فقلقت عليه أمه، وركضت تبحث عنه :

«فصادفته في الطريق ملقى ❖❖ قد سحقته منه العظام سحقاً،
فناحت الأم، وصاحت: واها ❖❖ إن المعالي قتلت فتاهاً»

* * * * *

الظبي والعقد والخنزير

«ظبي رأى صورته في الماء ❖❖ فرفع الرأس إلى السماء،
وقال يا خالق هذا الجيد ❖❖ زنه بعقد اللؤلؤ النضيد».

وظل الظبي مفتتاً باللالئ ، وجفا عينيه النوم، فراح يهيم في البراري مواصلاً سعيه، باحثاً عن عقد اللؤلؤ. وذات يوم وصل إلى نبع ماء، وشاهد أمامه خنزيراً في عنقه عقد مرسع بالأحجار الكريمة، فانجلى الأمر له، وفطن إلى طموحه الزائف، واعترف بحكمة الإله، وقال:

الحكم والمواظ على السنة الحيوانات —————

«ما آفة السعي سوى الضلال ❖❖ ما آفة العمر سوى الآمال ،
لولا قضاء الملك القدير ❖❖ لما سعى العقد إلى الخنزير».

ولي عهد الأسد وخطبة الحمار

أنجب الأسد شبلاً، وليّ عهده، فأصدر مرسوماً بالأمان لجميع
الحيوانات؛ فاجتمعت أمام عرينه لتهنّته بوليّ العهد. ونادى المنادي بأن
يلقى من يشاء كلمة للمناسبة السعيدة. فتقدم الفيل وألقى كلمة تليق
بمقام ملك الغابة ووليّ عهده؛ ونهض الثعلب وخطب، فأحسن القول
دقة وفصاحة؛ وقفز القرد، فهناً الأسد وتمنى طول العمر لوليّ العهد؛
وتقدم الحمار مصراً على تشريف قبيلته، فرفع عقيرته :

فقال : باسم خالق الشعير ❖❖ وباعث العصا إلى الحمير...!
فأزعج الصوت وليّ العهد ❖❖ فمات من رعدته في المهد،
فحمل القوم على الحمار ❖❖ بجملة الأنياب والأظفار.
ونطق الثعلب فقال:

لا جعل الله له قراراً ❖❖ عاش حماراً، ومضى حماراً^(*).

(*) مسكين هذا الحيوان، الحمار، يحتقر، يظلم، يشتم، يضرب، وهو حيوان خدوم،
صبور، وديع ومطيع.

الأسد والثعلب والعجل

شاهد أسد كسول عجلاً سميناً يرعى بالقرب من عرينه، فنادى ثعلباً وقال له: يا صاحب المكر والحيلة، سأعفو عنك، إذا تحايلت على العجل وقربتته مني. فذهب الثعلب إلى العجل وسلم عليه قائلاً: أيها المولى الوزير، لقد وشى جماعة بي إلى مولانا الأسد، وهأنذا خائفاً على حياتي؛ جئتك لتشفع لي عنده.

العجل : وكيف يكون ذلك ؟

الثعلب : لقد توفي الفيل، الوزير، وأصبح مركزه شاغراً، ويرى ملك الغابة الأسد بأنك صاحب الحكمة وموطن الثقة والذكاء، وخير من يتولى الوزارة، ويجلس إلى جانب الرئيس الأسد. فإذا توليت ذلك المنصب الرفيع يكون بوسعك أن تشفع عند السلطان، وتطلب لي الأمان. فرافق العجل الثعلب إلى عرين الأسد. وينهي أحمد شوقي الحكاية قائلاً:

وهُنَاكَ ابْتَلَعَ الْوَزِيرُ ❖❖ وَحَبَا الثَّعْلَبُ مِنْهُ بِالْيَسِيرِ،
فَانْتَنَى يَضْحَكُ مِنْ طَيْشِ الْعَجُولِ ❖❖ وَجَرَى فِي حَلْبَةِ الْفَخْرِ يَقُولُ:
سَلَّمَ الثَّعْلَبُ بِالرَّأْسِ الصَّغِيرِ ❖❖ فَفَدَاهُ كُلَّ ذِي رَأْسٍ كَبِيرِ.

* * * * *

أمة الأرانب والفيل

يحكى أن مجموعة من الأرانب اتخذوا موطناً لهم جمعوا فيه عائلاتهم وأقاربهم، غير أن فيلاً اتخذ طريقاً له عبر موطنهم، فكان يدمر بيوتهم ويقتل أولادهم أثناء غدوه ورواحه.

عقدت مجموعة الأرانب اجتماعاً لتستمع إلى أهل الحكمة، والتوصل إلى حل لمشكلتهم مع الفيل. قال أحدهم:

- الرأي عندي أن نهجر هذا المكان، ونبحث لعائلاتنا عن موطن آخر. وقام خطيب آخر فقال:

- يا معشر الأرانب إنني أرى أن نستشير الثعلب، فهو صاحب الفن العتيق والحيلة الأصيلة، ليمدنا بحكمته وصواب رأيه. ونهض ثعلب آخر وقال:

- أيها القوم ، يا معشر الأرانب:

«اجتمعوا فالاجتماع قوة	❖❖	ثم احضروا على الطريق حُفْرَهُ،
يهوى إليها الفيل في مروره	❖❖	فيسريح الدهر من شُرُورِهِ،
فاستصوبوا مقالته واستحسنوا	❖❖	وعملوا من فورهم فأحسنوا؛
وهلك الفيل رفيع الشان	❖❖	فأُمست الأمة في أمان.
فصاحب الصوت القوي الغالب	❖❖	من قد دعا: يا معشر الأرانب.

* * * * *

الثعلب والديك

ارتدى الثعلب ذات يوم لباس الوعاظ، ومشى في الأرض يدعو
الناس إلى التوبة، وينادي: أيها الناس، عيشوا عيشة الزاهدين في الدنيا،
اتركوا الطيور تغرد، واستمعوا للديك يؤذن للصلاة كل صباح... وأرسل
الثعلب رسولا إلى الديك يدعوهُ إلى المصالحة والتآخي. فأجابه الديك:

بَلِّغِ الثَّعْلَبَ عَنِّي ❖❖ عَنِ جُدُودِي الصَّالِحِينَ
عَنِ ذَوِي التَّيْجَانِ مِمَّنْ ❖❖ دَخَلُوا الْبَطْنَ اللَّعِينَا
أَنَّهُمْ قَالُوا وَخَيْرُ الْـ ❖❖ قَوْلٍ قَوْلُ الْعَارِفِينَ
مُخْطِئٌ مِنْ ظَنِّ يَوْمَا ❖❖ أَنَّ لِلثَّعْلَبِ دِينَا

* * * * *

الكلب والقط والفأر

رأى فأر قطاً على جدار وتحت كلب يهدده من كل جهة. ففكر
الفأر في السعي لإنقاذ القط من ورطته، آملاً أن يكتب له القط
ولجيرانه بالأمان بعد خلاصه. تقدم الفأر من الكلب وبسرعة خاطفة
رمى حفنة من التراب في عينيه. وبينما انشغل الكلب بإزالة التراب عن
عينيه، قفز القط من على الجدار ونجا بنفسه.

ذهب الفأر إلى القط يهنئه بسلامته، ويسأله أن يعده بالأمان

————— الحكم والمواعظ على السنة الحيوانات —————

مقابل مساعدته له في وقت الشدة. غير أن القط أنكر المعروف،
وانقض القط على الفأر وافترسه. ويختم شوقي بالقول:
فقلتُ في المقام قولاً شاعاً ❖❖ مَنْ حفظ الأعداء يوماً ضاعاً.

النبي سليمان (رضي الله عنه) والهدد

جاء الهدد إلى نبي الله سليمان يوماً يشتكي قائلاً: إنني، يا
مولاي، أعاني من ألم في صدري، بسبب حبة قمح أكلتها، أتوسل إليك
أن تساعدني. فالتفت سليمان إلى من حوله وقال:

قَدْ جَنَى الْهَدْدُ ذَنْبًا ❖❖ وَأَتَى فِي اللُّؤْمِ فَعِلَهُ،
تِلْكَ نَارُ الْإِثْمِ فِي الصَّدْرِ ❖❖ وَذِي الشَّكْوَى تَعِلُّهُ،
مَا أَرَى الْحَبَّةَ إِلَّا ❖❖ سُرِقَتْ مِنْ بَيْتِ نَمْلِهِ،
إِنْ لِلظَّالِمِ صَدْرًا ❖❖ يَشْكِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ.

سليمان والطاووس

جاء طاووس يوماً إلى نبي الله سليمان واشتكى له قائلاً:

«أَلَسْتُ الرُّوضُ بِالْأَزْهَا ❖❖ رَوِ الْأَنْوَارَ مَزْدَانًا ؟
أَلَمْ أَسْتَوْفِ آيَ الظَّرِّ ❖❖ فَ أَشْكَالًا وَأَلْوَانًا ؟
أَلَمْ أَصْبِحْ بِبَالِكُمْ ❖❖ لَجْمَعَ الطَّيْرِ سُلْطَانًا ؟»

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

«هذا كله جميل، بل رائع، ولكن لماذا أُحَرِّمُ من صوت جميل مثل صوت الطيور الذي يُطرب الأذان، ويُتيِّم الأفتدة، وتنتعش لسماع ألحانه قلوب الملوك».

فأجابه النبيُّ سليمان قائلاً:

«تعالَتْ حكمة الباري ❖❖ وجلّ صنعه شأنًا ،
لقد صَغُرَتْ يا مغرو ❖❖ نعمة الله كضرائنا ،
فلو أصبَحْتَ ذا صوت ❖❖ لما كلمت إنسانًا .

* * * * *

القبرة وابنها

هذه قبرة على شجرة تعلم فرخها كيف يتقن الطيران من غصن إلى غصن، دون استعجال، ويعود إلى العش حتى تقوى جناحاه تدريجيًا. غير أن الفرخ خالف نصيحة أمه، وأراد أن يظهر مهارته، فطار في السماء وارتفع؛ وخانه ضعف جناحيه فوقع، وانكسرت رجلاه. ويختم شوقي قائلاً:

«لَوْ تَأَنَّى نال مَا تَمَنَّى ❖❖ وعاش طول عمره مهناً ،
لكل شيء في الحياة وقته ❖❖ وغاية المستعجلين فوته» .

* * * * *

النعجتان

كان لفلاح نعجتان، إحداهما سمينة، والأخرى هزيلة. وكانت السمينة تتباها بسمنتها، وتفتخر بمظهرها وبتقدير صاحبها لها. وكانت النعجة الهزيلة تتحمل سخرية صاحبها بصبر. وذات يوم جاء الجزار، فلم يتردد في شراء النعجة السمينة، فالتفت لرفيقتها وهي:

«تقول: يا أختاه خبّريني ❖❖ هل تعرفين صاحب السكين؟
قالت دعيني وهزالي والزمن ❖❖ وكلمى الجزار يا ذات الثمن!
لكلّ حال حلوها ومرّها ❖❖ ما أدب النعجة إلا صبرها.

السفينة والحيوانات

جمع سيدنا نوح عليه السلام مختلف الحيوانات في سفينته، وتعالى الموج كالجبال، وساد الخوف، فتآلفت الحيوانات وتصادقت:

«... حتى مشى الليث مع الحمار ❖❖ وأخذ القط بيد الفأر،
واستمع الفيل إلى الخنزير ❖❖ مؤتسماً بصوته النكير،
وجلس الهرّ بجانب الكلب ❖❖ وقبّل الخروف ناب الذئب،
وعطف الباري على الغزال ❖❖ واجتمع النمل على الأكال،
وفلّت الفرخة صوف الثعلب ❖❖ وتيمّ ابن عرس حبّ الأرنب،
فذهبت سوابق الأحقاد ❖❖ وظهر الأحاب في الأعادي،

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

حتى إذا رست السفينة على الأرض، وانتهت ظروف الخطر،
واستقر الأمن، عادت الحيوانات إلى وحشيتها الغريزية...

فقسْ على ذلك أحوالَ البشرِ ❖❖ إن شمل المحذور أو عمَّ الخطر،
بينما ترى العالمَ في جهادٍ ❖❖ إذ كلهم على الزمانِ العادي.

إذا حاق بهم الخطر، تآخوا، وإذا زالت الشدة وحلَّ عهد السلم
والأمن تنازعوا وتحاربوا.

* * * * *

الكلب والحمامة

بينما كان كلب ذات يوم نائمًا في بستان، جاءه ثعبان من
خلفه، وهم أن يغدر به. وشاهدته حمامة فرقت لحاله، فنزلت إليه
مسرعة، ونقرته، فقفز وفرَّ من خطر الثعبان. وحفظ الكلب الوفيُّ
الجميلَ للحماية.

ومرَّ ما مرَّ من الزمانِ ❖❖ ثمَّ أتى المالكُ للبستانِ،
فسبق الكلب لتلك الشجرة ❖❖ لينذر الطيرَ كما قد أنذره،
واتخذ النبحَ له علامَه ❖❖ فضهمت حديثه الحمامة،
وأقلعت في الحال للخلاص ❖❖ فسلمت من طائر الرصاص.
هَذَا هو المعروف يا أهلَ الفطنِ ❖❖ الناسُ بالناسِ، ومن يَعْنُ، يَعْنُ!

* * * * *

القسم الرابع



- نخبة من حكايات كليلة ودمنة
«للمقارنة»

- تمهيد :

ابن المقفع - مقدمة الكتاب - غرض
الكتاب - أقوال بعض الحكماء
والملوك - الرجل والتين في البئر -
القبرة والفيل .

تهـيد



اخترت فيما يلي نخبة من حكايات كليلة ودمنة (ترجمة عبدالله بن المقفع) ، وهي الأبواب :

الأول؛ والثالث؛ والرابع؛ والخامس؛ والتاسع؛ والثالث عشر.

ليتمكن القارئ من المقارنة بين حكايات كليلة ودمنة التي نبتت من الشرق، من أعماق الهند، والتي سجلها الحكيم الهندي بيّـدبـا، وبين حكايات الحكيم اليوناني إيسوب الذي (يروى أنه) عاش بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، على وجه التقريب، وحكايات الشاعر الفرنسي الشهير لافونتان الذي عاش في القرن السابع عشر.

* * * * *

ابن المقفع (المترجم)



ولد ابن المقفع في قرية بجنوب بلاد فارس، واسمه الأصلي «روزبه»، أي اليوم السعيد؛ وكان قبل إسلامه يكنى بأبي عمرو؛ ولما أسلم تسمى عبد الله، وكنى بأبي محمد؛ وهناك خلافٌ في تاريخ ميلاده، وقيل أنه ولد عام 72 هجرية. نشأ مع أسرته في مدينة البصرة، ودرس اللغة العربية، وحفظ القرآن، ولازم حلقات الدروس بمسجد البصرة، وأتقن اللغة الفارسية، والعربية، وتعلم اللغتين السريانية والعبرية.

نشأ ابن المقفع نشأة عربية، وتأثر بثقافة أسرته الفارسية. اشتغل بالكتابة والمحاسبة، وعمل كاتباً لآل هبيرة في أواخر العهد الأموي؛ وعند قيام الدولة العباسية، تولى الكتابة لعيسى بن علي، عمّ الخليفة أبي جعفر المنصور؛ ويروى أنه أسلم على يديه؛ كما يروى أن ابن المقفع ظلّ يحنّ إلى عقيدة آبائه وأجداده، وأن إسلامه إنما كان لإرضاء ذوي السلطان، لذلك اتهم بالزندقة.

وابن المقفع من أعلام الكتاب في القرن الثاني للهجرة؛ وقد كان واسع الاطلاع، برع في سرد القصص وضرب الأمثال؛ وله مؤلفات أشهرها: الأدب الصغير؛ والأدب الكبير؛ ورسالة الصحابة؛ واليتيمة؛ ويعدُّ كتابه «كلیلة ودمنة» الذي ترجمه عن الفارسية أشهر مؤلفاته. تم اغتيال ابن المقفع سنة 142 هجرية.

* * * * *

مقدمة الكتاب⁽¹⁾



قال عليّ بن شاه الفارسي في مقدمة كتاب «كليلة ودمنة» أن السبب الذي من أجله وضع بيّداً الفيلسوف الهندي، رأس البراهمة، كتابه كليلة ودمنة لدبشليم ملك الهند، أنه عندما سار الإسكندر المقدوني بجيشه لغزو بلاد آسيا، وصل في طريقه إلى بلاد الهند، وكان عليها ملك ذو قوة ومراس يدعى «فور». فحاربه الإسكندر وتغلب عليه، واستولى على بلاده. ثم انصرف الإسكندر عن الهند وخلف عليها حاكماً من ثقاته.

ثار أهل الهند على هذا الحاكم الأجنبي، وأجمعوا أمرهم فملكوا عليهم رجلاً من أولاد ملوكهم يدعى «دبشليم». غير أن دبشليم لما استوثق له الأمر، طغى واستبدّ، وأساء السيرة في رعيته .

وكان في زمن هذا الملك فيلسوف من البراهمة عرف بالفضل والحكمة يدعى بيّداً؛ فلما رأى ما وصل إليه الملك دبشليم من الظلم للرعية، عقد العزم على الاتصال به، واختار اليوم المناسب، فاستأذن ودخل عليه، فشكره ودعا له بدوام ملكه، وقدم له نصائح عديدة، ومن جملة ما قال:

«أيها الملك السعيد جدّه ... إنك في منازل آبائك وأجدادك الذين أسسوا الملك وشيّدوه ، وبنوا الحصون ومهدوا البلاد ... وإنك أيها الملك قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عدتهم ... ولم

(1) حسبما ورد في الأصل.

تقم في ذلك بحق ما يجب عليك، بل طغيت وبغيت، وعَتَوْتَ وعليت على الرعية، وأسأت السيرة وعظمت منك البلية... وكان أولى بك أن تُحسِّن النظر برعيتك، وتسن لهم سنن الخير الذي يبقى بعدك ذِكْرُهُ... ويكون ذلك أبقى على السلامة، وأدوم على الاستقامة...».

غضب الملك دبشليم عند سماع كلام الحكيم بيديبا، فاستصغر أمره، وأمر بحبسه وتقييده. وبعد فترة من الزمن، ذات ليلة أصاب الملك سهد وقلق، فمدَّ بصره إلى الفلك، واستغرق في تفكير عميق، فكر في حركة الكواكب، وفي من سبقه من الملوك ومصائرهم...؛ فتذكر عندئذ ذلك الحكيم بيديبا وما قدم له من نصائح، وقال في نفسه: «لقد أسأتُ فيما صنعتُ بالرجل الحكيم، وضيعتُ واجب حقه في لحظة غضب؛ وأنفَذَ في ساعته من يأتيه به؛ فاعتذر له، وقربته من مجلسه، وطلب منه أن يضع له كتاباً بليغاً يكون ظاهره سياسة العامّة وتأديبها وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية، وأريد أن يبقى هذا الكتاب بعدي ذكراً على غابر الدهور.

بدأ بيديبا في نظم هذا الكتاب (كليلة ودمنة) وتصنيفه، ولم يزل يملئ، وتلميذه يكتب حتى استقر الكتاب على غاية الإتقان والإحكام. وجعل كلامه على ألسن البهائم، والسباع، والطير، ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام، وباطنه رياضة لعقول الخاصة. وضمنه أيضاً ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه وآخرته وأولاه، يحضه على حسن طاعته للملوك، ويجنبه ما تكون مجانبته خيراً له، ثم جعله باطناً وظاهراً كرسم سائر الكتب التي برسم الحكمة، فصار الحيوان لهواً، وما ينطق به حكماً وأدباً.

* * * * *

غرض الكتاب⁽¹⁾



هَذَا كِتَابٌ كَلِيلَةٌ وَدَمَنَةٌ ، وَهُوَ مِمَّا وَضَعْتُهُ عُلَمَاءُ الْهِنْدِ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي أُلْهِمُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا وَجَدُوا مِنَ الْقَوْلِ فِي النَّحْوِ الَّذِي أَرَادُوا . وَلَمْ تَزَلْ الْعُلَمَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ عَنْهُمْ ، وَيَحْتَالُونَ فِي ذَلِكَ بِصُنُوفِ الْحَيْلِ ، وَيَبْتَغُونَ إِخْرَاجَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلَلِ ، فِي إِظْهَارِ مَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ حَتَّى كَانَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَلِ وَضَعْتُ هَذَا الْكِتَابَ عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ فَاجْتَمَعَ لَهُمْ بِذَلِكَ خِلَالٌ ، أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُنْصَرَفًا فِي الْقَوْلِ وَشِعَابًا يَأْخُذُونَ مِنْهَا .

وَأَمَّا الْكِتَابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْوًا ، فَاخْتَارَهُ الْحُكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ ، وَالْأَغْرَارُ لِلْهَوَى ، وَالْمُتَعَلِّمُ مِنَ الْأَحْدَاثِ نَاشِطٌ فِي حِفْظِ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرَبِّطُ فِي صَدْرِهِ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ ، بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ . وَكَانَ كَالرَّجُلِ الَّذِي لَمَّا اسْتَكْمَلَ الرُّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبَوَيْهِ قَدْ كَنَزَا لَهُ كَنْزًا وَعَقَدَا لَهُ عُقُودًا اسْتَغْنَى بِهَا عَنِ الْكَدْحِ فِي مَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ ، فَأَغْنَاهُ مَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنْ

(1) حسبما ورد في الأصل.

الحِكْمَةُ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ الْأَدَبِ. فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي
لِمَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهُ الَّتِي وُضِعَتْ لَهُ وَالرُّمُوزَ الَّتِي
رَمَزَتْ فِيهِ، وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مُؤَلِّفُهُ فِيهِ عِنْدَمَا نَسَبَهُ إِلَى
الْبَهَائِمِ، وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصَحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي
جَعَلَهَا أَمْثَالًا. فَإِنَّ قَارِئَهُ مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يَدْرَ مَا أُريدُ بِتِلْكَ
الْمَعَانِي وَلَا أَيِّ ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا وَلَا أَيِّ نَتِيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ
مُقَدِّمَاتِ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ. وَإِنَّهُ إِنْ كَانَتْ غَايَتُهُ اسْتِثْمَامَ
قِرَاءَتِهِ وَالْبُلُوغَ إِلَى آخِرِهِ دُونَ تَفْهَمِ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ
يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ.

وَمَنْ اسْتَكْتَرَ مِنْ جَمْعِ الْعُلُومِ وَقِرَاءَةِ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ
الرُّوِيَّةِ فِيمَا يَقْرَأُهُ كَانَ خَلِيقًا أَلَّا يُصِيبَهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الرَّجُلَ الَّذِي
زَعَمَتِ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ اجْتَاَزَ بِبَعْضِ الْمَفَاوِزِ فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ آثَارِ كَنْزٍ،
فَجَعَلَ يَحْفِرُ وَيَطْلُبُ فَوْقَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَيْنٍ وَوَرَقٍ، فَقَالَ فِي
نَفْسِهِ إِنْ أَنَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هَذَا الْمَالِ قَلِيلًا طَالَ عَلَيَّ، وَقَطَعَنِي
الْإِشْتَغَالُ بِنَقْلِهِ وَإِحْرَازِهِ عَنِ اللَّذَّةِ بِمَا أَصَبَتْ مِنْهُ. وَلَكِنْ
سَأَسْتَأْجِرُ أَقْوَامًا يَحْمِلُونَهُ إِلَى مَنْزِلِي وَأَكُونُ أَنَا آخِرَهُمْ وَلَا يَكُونُ
قَدْ بَقِيَ وَرَائِي شَيْءٌ يَشْغُلُ فِكْرِي بِنَقْلِهِ، وَأَكُونُ قَدْ اسْتَظْهَرْتُ
لِنَفْسِي فِي إِرَاحَةِ بَدَنِي عَنِ الْكَدِّ، بِسِيرِ أُجْرَةٍ أُعْطِيهَا لَهُمْ. ثُمَّ

جَاءَ بِالْحَمَّالِينَ فَجَعَلَ يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُطِيقُ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ هُوَ فَيَفُوزُ بِهِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ الْكَنْزِ شَيْءٌ انْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا لَا كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا. وَإِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَمَّالِينَ قَدْ فَازَ بِمَا حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْعَنَاءُ وَالتَّعَبُ، لِأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ.

وكَذَلِكَ مَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ وَلَمْ يَفْهَمْ مَا فِيهِ وَلَمْ يَعْلَمْ غَرَضَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا يَبْدُو لَهُ مِنْ خَطِّهِ وَنَقْشِهِ كَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَدَّمَ لَهُ جَوْزٌ صَحِيحٌ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكْسِرَهُ وَيَسْتَخْرِجَ مَا فِيهِ.

أقوال أربعة علماء

حكى أن أربعة علماء ضمَّهم مجلس ملك فقال لهم : ليتكلم كل منكم بكلام يكون أصلاً للأدب.

فقال أحدهم : أفضل خلة العلماء السكوت.

وقال الثاني : إن من أنفع الأشياء للإنسان أن يعرف قدر منزلته من عقله.

وقال الثالث : أنفع الأشياء للإنسان ألا يتكلم بما لا يعنيه.

وقال الرابع : أروح الأمور للإنسان التسليم للمقادير.

أقوال أربعة ملوك

وَاجْتَمَعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ: مِنَ الصِّينِ، وَالْهِنْدِ،
وَفَارِسَ، وَالرُّومِ، وَقَالُوا: يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ مَنَا بِكَلِمَةٍ تُدَوِّنُ عَنْهُ
عَلَى غَابِرِ الدَّهْرِ.

فَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ: أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ.
وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ
تَنْفَعُهُ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ.

وَقَالَ مَلِكُ فَارِسَ: أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي، وَإِذَا لَمْ
أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكَتْهَا.

وَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ: مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ، وَلَقَدْ
نَدِمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا.

الرجل والتنين في البئر

الْتَمَسْتُ لِلْإِنْسَانِ مَثَلًا فَإِذَا مَثَلُهُ مَثَلُ رَجُلٍ نَجَا مِنْ خَوْفِ فِيلٍ
هَائِجٍ إِلَى بئرٍ فَتَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كَانَا عَلَى سَمَائِهَا فَوَقَعَتْ

رَجُلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فِي طِيِّ الْبُئْرِ فَإِذَا حَيَّاتٌ أَرْبَعٌ قَدْ أَخْرَجْنَ
رُؤُوسَهُنَّ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ. ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِي قَاعِ الْبُئْرِ تَنِينَ فَاتِحٌ فَاهُ
مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ. فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْغُصْنَيْنِ فَإِذَا فِي
أَصْلِهِمَا جُرْدَانٌ أَسْوَدٌ وَأَبْيَضٌ وَهُمَا يَقْرِضَانِ الْغُصْنَيْنِ دَائِبَيْنِ لَا
يَفْتُرَانِ. فَبَيْنَمَا هُوَ فِي النَّظَرِ لِأَمْرِهِ وَالْاهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ إِذْ بَصُرَ قَرِيبًا
مِنْهُ بِخَلِيَّةٍ فِيهَا عَسَلٌ فَذَاقَ الْعَسَلَ فَشَغَلَتْهُ حَلَاوَتُهُ وَأَلْهَتْهُ لَذَّتُهُ عَنْ
الْفِكْرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْ يَلْتَمِسَ الْخُلَاصَ لِنَفْسِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ
أَنَّ رَجُلَيْهِ عَلَى حَيَّاتٍ أَرْبَعٍ لَا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ
الْجُرْدَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَطْعِ الْغُصْنَيْنِ وَمَتَى انْقَطَعَا وَقَعَ عَلَى التَّنِينَ.
فَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا، غَافِلًا مَشْغُولًا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ، حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ
التَّنِينَ فَهَلَكَ، فَشَبَّهَتْ بِالْبُئْرِ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَافَاتٍ
وَعَاهَاتٍ. وَشَبَّهَتْ بِالْحَيَّاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلَاطَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي فِي الْبَدَنِ،
فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ هَاجَ أَحَدُهَا كَانَتْ كَحُمَةِ الْأَفَاعِي وَالسُّمِّ
الْمُمِيتِ وَشَبَّهَتْ بِالْغُصْنَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ انْقِطَاعِهِ. وَشَبَّهَتْ
بِالْجُرْدَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي
إِفْنَاءِ الْأَجَلِ. وَشَبَّهَتْ بِالتَّنِينَ الْمَصِيرَ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ وَشَبَّهَتْ
بِالْعَسَلِ هَذِهِ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي يَنَالُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ فَيَرَى وَيَطْعُمُ
وَيَسْمَعُ وَيَشْمُ وَيَلْمَسُ وَيَتَشَاغَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ فَيَنْسَى
أَمْرَ الْآخِرَةِ وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ .

القنبرة والفيل

يحكى أن قنبرة اتخذت أدحيّةً وباضت فيها على طريق الفيل، وكان للفيل مشربٌ يتردد إليه. فمرّت ذات يوم على عادته، ليردّ مورده فوطيء عَشِّ القنبرة وهشّم بيضها وقتل فراخها. فلما نظرت ما ساءها علمت أن الذي نالها من الفيل لا من غيره. فطارَت فوقعت على رأسه باكِيّةً ثم قالت: أيُّها الملك، لم هشمت بيضي وقتلت فراخي وأنا في جوارك؟ أفعلت هذا استصغارًا منك لأمرّي واحتقارًا لشأني؟ قال: هو الذي حملني على ذلك. فتركته وأنصرفت إلى جماعة الطير فشكت إليها ما نالها من الفيل، فقلن لها: وما عسى أن نبْلغ منه ونحْن طيور؟ فقالت للعقاعق والغربان: أحبُّ منكن أن تصرن معي إليه فتفقأن عينيّه، فإني أحتالُ له بعد ذلك بحيلةٍ أخرى. فأجبنها إلى ذلك وذهبن إلى الفيل، فلم يزلن ينقرن عينيّه حتّى ذهبن بهما، وبقي لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشربه إلا ما يقمّه من موضعه.

فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غدير فيه ضفادع كثيرة، فشكت إليها ما نالها من الفيل. قالت الضفادع: ما حيلتنا نحن في عظم الفيل، وأين نبْلغ منه؟ قالت: أحبُّ منكن أن تصرن

مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ ، فَتَنَقَّنَ فِيهَا وَتَضَجَّجَنَ . فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَصَوَاتَكُنَّ لَمْ يَشُكَّ فِي الْمَاءِ فَيَهْوِي فِيهَا . فَأَجْبَنَهَا إِلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعَنَ فِي الْهَاوِيَةِ . فَسَمِعَ الْفِيلُ نَقِيقَ الضَّفَادِعِ ، وَقَدْ جَهَدَهُ الْعَطَشُ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْوَهْدَةِ فَارْتَطَمَ فِيهَا . وَجَاءَتِ الْقُنْبُرَةُ تُرْفَرِفُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ : أَيُّهَا الطَّاغِي، المَغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ ، الْمُحْتَقِرُ لِأَمْرِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ عِظَمَ حِيلَتِي مَعَ صَغَرِ جَثَّتِي عِنْدَ عِظَمِ جَثَّتِكَ وَصَغَرِ هِمَّتِكَ ؟

وعلى هذا النحو يجد القارئ في حكايات قليلة ودمنة أن العقل والذكاء والتعاون والاتحاد تنتصر على القوة الغاشمة. ففي حكاية القنبرة والفيل يظهر لنا ما يحصل بين القوي والضعيف من اعتداء وصراع ينتهي بانتصار الضعيف على القوي بفضل لجوء القنبرة إلى الحيلة، وسعيها للحصول على مساعدة الغراب والعقاق والضفادع على الإيقاع بالفيل والتخلص منه.

وكذلك نجد في حكاية الحمامة المطوقة أن تنسيق الجهود ومساعدة الجرد على تمزيق الشبكة وتعاون الغراب، والطبي، والسلحفاة ساعد الجميع على الخلاص من الأزمة والانتصار على العدو.



بحوث ومقالات من فضاء السبعينات



العقل السليم في الجسم السليم



اهتمام الإنسان بصحته، ومرضه، ونشاطه، ومتاعبه، وراحته، وشفائه، قديم. وقد تحدث في هذا الموضوع الطبيب، والفيلسوف، والساحر، والمشعوذ، والرجل العادي. ونُسبت الأمراض لتأثير الأرواح الشريرة حيناً، ولفقدان توازن «المواد الأربعة» في الإنسان طوراً، وللأحوال النفسية والجراثيم والوراثة تارة. وكان الإنسان يستعمل أنواعاً من العلاج اختلفت باختلاف العصور والمعتقدات .

وجعلت عنوان الموضوع «العقل السليم في الجسم السليم»، لأن التأثير متبادل بين الجسم والعقل . وكيف يكون الجسم سليماً إذا غدا العقل عليلًا، والفكر مضطرباً . ولا يخفى مدى تأثير التصورات العقلية السلبية والعواطف الضارة على صحة الإنسان وتوازنه . كما لا ينكر تأثير الجسد الذي اعتلت أعضاؤه وتوترت أعصابه على سلامة التفكير .

وإذا كان تقدم مجتمع ما وازدهار الحياة فيه يتوقف على سعادة الأسرة ونشاطها وإنتاجها، فإن سلامة الأسرة وقوتها مبنية على مدى الانسجام والتفاهم بين أفرادها ، وعلى صحة أجسامهم وسلامة أفكارهم وعواطفهم ونجاحهم فيما يقومون به من أعمال .

فعجز الفرد ومرضه وفشله وخسارته لا تقتصر على شخصه وعائلته وأقربائه فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى المجتمع الذي يحيا فيه هذا الفرد . فإذا أخذنا كمثال حوادث الاصطدام، أو حوادث العمل، أو

حوادث الحريق أو الفيضان التي يتسبب في وجودها إهمال الإنسان أو التي تكون نتيجة الإعياء وعدم القدرة على التركيز، مثل هذه الحوادث هي خسارة للفرد والعائلة والمجتمع.

ولنأخذ مثال التغيب عن العمل . كثيراً ما يحدث هذا بسبب أنواع من الأمراض الناتجة عن مشاكل نفسية عندما تسيطر على الإنسان عواطف ضارة أو يعيش في جو عائلي شقي. فإذا تغيب عن العمل نصف مليون عامل، يومين فقط في السنة، فإن إنتاج المجتمع وتقدمه يساوي ناقص مليون يوم عمل بالإضافة إلى المصاريف الباهظة التي تدفع للأطباء والأدوية والمستشفيات .

فصحة الفرد وسلامة فكره وأخلاقه إذا، أمر يهم المجتمع ككل. والشخص إما أن يكون عضواً صالحاً، نافعاً ومنتفعاً أو يكون عالة وعيباً. وكيف نتوقع منه أن يصبح صالحاً ومنتجاً ومريباً، إذا كانت حياته تعسة وجسمه عليلاً وعقله مضطرباً. معلوم أن وجود فرد من النوع الشاكي المتشائم والمتبرم بالحياة يؤثر على حياة العائلة ويخلق جواً من الشقاء في نفوس أفرادها .

ولهذا كان من واجب التربية أن تساعد على تكوين المواطن الناضج بأن تخلق انسجاماً بين عواطفه وجسده، وأن تقوده في طريق التفكير السليم. ولذلك جاءت الديانات تدعو للمحافظة على الأبدان، وتدعو للاعتدال وعدم الإسراف وتأمراً بالأخلاق الفاضلة .

ومن أقدر على تحمل مسؤولياته والقيام بواجبه نحو العائلة

بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —

والمجتمع وفي مجال التعليم والإنتاج والدفاع، ومن أقدر على التفكير الواقعي فيما يعترضه من مشاكل، أهو الشخص الساخط الكئيبُ الفاشل القلق؟ أم الذي امتلأت نفسه بالمحبة والإيمان، بالحياة والاطمئنان والرضى. وأود أن أشير هنا إلى أن تناول الحياة الفردية بالدراسة والتحليل من الأهمية بمكان سواء من الناحية الصحية أو العاطفية أو الاجتماعية أو الاقتصادية. لأن الفرد نقطة الانطلاق في الحياة العائلية والاجتماعية . فهو و(هي) يلعب دوره كأب أو أخ أو أم أو زوجة... بالإضافة إلى دوره كمعلم أو شرطي أو فلاح أو موظف أو عامل. وهو يحمل عاداته ومزاجه معه ويتأثر به خلال ممارسته لأعماله في المكتب أو الحقل أو الشارع أو المنزل .

المشاعر والصحة



إن عددًا كبيرًا من الناس لا يعرفون إلا القليل عن مدى تأثير المشاعر الضارة على الجسد. ويؤكد الأطباء أن الظروف العاطفية التي يمر بها الإنسان تترك أثرًا في حياته، سطحيًا كان هذا الأثر أم عميقًا، تبعًا لنوع الانفعالات وقوتها. فإذا أخذنا كمثال للتوضيح عاطفة الخوف مثلاً (وهي من العواطف الضارة) فإننا نلاحظ على الإنسان الخائف ظواهر الارتجاف، اتساع العينين، قبض اليدين، توتر في العضلات... كما يحدث تغيير في التفاعلات الكيميائية داخل جسمه فتزيد بعض الغدد في الإفراز، ويرتفع ضغط الدم، وتزداد دقات القلب إلى غير ذلك.

ويسبب هذا التغيير البيولوجي الداخلي كثيرًا من المتاعب والآلام، إذا تكررت مثل هذه العواطف الضارة ولازمت الإنسان. وحتى عندما لا تلحق بالجسم ضررًا مباشرًا، فإنها (الانفعالات) تجعله أكثر تعرضًا للأمراض، بإضعاف وسائل الدفاع ومضاعفة توتره العصبي. وهذا مما يزيد في حساسية المصاب ويجعله عرضة للقلق والوسواس فيقل نموه وتزيد متاعبه .

ألم يحدث أن شاهدنا كيف تغيرت وساءت صحة أشخاص تحت ضغط ظروف قاسية، فظهرت عليهم علامات الضعف والشيخوخة

والعجز قبل الآوان، لأنهم استسلموا للحزن واليأس، ولم يستطيعوا أن يتغلبوا على المشاكل ولا أن يجابهوا الحياة بعد النكبة بصبر وعزم، فغلبوا على أمرهم وأنهكت الهموم قواهم .

وإذا كانت التغيرات البيولوجية المشار إليها تؤثر بصفة مباشرة على توازن العمليات التي تجرى داخل الجسم، فينتج عن ذلك خلل في نظام الجسم ، فإنه لا يخفي ما يلحق هذا الخلل إن دام بقاءه من ضرر بالصحة. فالمشاعر السلبية تتعب الفكر وتحدث توتراً عصبياً يجعل صاحبه يشعر بالإعياء والهيّاج والألم وعدم الكفاءة، وهي تزيد من شعوره بالخيبة، وكل ذلك يؤثر في الجهاز الهضمي بأن يدفع بمقدار من الدم في اتجاه آخر مثلاً، فلا يصل منه المقدار الكافي للمعدة، أو بأن يؤثر في عمليات الهضم الأخرى من امتصاص وإفراز وغيره.

ويمكن القول بأن قوة تأثير العواطف الضارة تختلف من شخص لآخر، فلو أخذنا ظروف الامتحانات وما يصحبها من أنواع المشاعر عند الطلاب مثل: شك في النجاح، خوف من السقوط، انتظار النتائج، غموض، قلق، فإننا نجد تأثير هذه المشاعر السلبية يختلف من طالب لآخر، وذلك تبعاً لما يتمتع به كل من العادات الإيجابية والمزاج السليم. فالثقة بالنفس والأمل والشجاعة والإيمان تساعد بعض الطلاب على اجتياز فترة الامتحانات، سواء نجحوا أم سقطوا، بدون الشعور بالتوتر والأرق وقضم الأظافر وأخذ المسكنات.

وإذا أخذنا كمثال للتدليل على مدى تأثير العوامل النفسية على صحة الإنسان رجلاً ظلم وانتزع منه حقه ولم يستطع الدفاع عن نفسه،

ولم ينس أو يصفح بل استولت عليه عاطفة حب الانتقام والحق ، وعاش زمناً طويلاً يَتَحَيَّنُ الفرصة للإيقاع بمن ظلمه فعاش في ارتباك وخيبة الأمل ، فإن هذا الرجل سيدفع عاجلاً أم آجلاً ثمناً باهظاً من صحته وهدوئه إذا استمرت هذه الإحساسات السيئة تغمره وتقلق حياته .

ويقول الأطباء إن 90% من أحوال الشعور بالغازات في الأمعاء راجع إلى عوامل نفسية . ألم تشعر يوماً بعد غضب شديد بجفاف الفم؟ بل هناك من تصبح رائحة فمه كريهة نتيجة الغضب والجفاف أو كثرة الجدل المثير والمناقشة المزعجة .

ولماذا يصعب الهضم عندما يؤخذ الطعام في ظروف مؤلمة من حزن أو خصام أو أي توتر عاطفي؟ وما ظاهرة إفراز اللعاب عندما نشاهد الطعام بل وعندما نشم رائحته أو نفكر فيه؟ ولذلك كانت الكيفية التي يقدم بها الطعام من الأهمية في التأثير على الشهية والهضم، لا تقل عن طريقة إعداده .

ويكثر في بعض البلدان ما يدعى بـ «غداء الأعمال» يلتقي فيه شخصان أو أكثر لعقد صفقة أو حل مشكلة أو التحقيق وجمع المعلومات إلى غير ذلك . ويسود هذا الغداء عادة جو يشغل الفكر عن الاستلذاذ بالطعام أو حتى عن التفكير فيه . وإذا كان ذلك مفيداً فيما يتعلق بالأشغال والنشاط المهني، فإنه من الناحية الصحية غير مستحب لأن الشخص ينبغي أن يكون مرحاً، مسترخياً، بعيداً عن جو المناقشات والمعاملات والصفقات والتقارير عند أوقات الأكل . ولكن

الناس قد تعودوا فأصبح وقت الغداء فرصة تستغل للاتصالات ومزيد من الأعمال.

وكما أن الإحساسات والمشاعر الضارة تحدث خللاً في توازن عمليات الجسم من مقاومة وإفراز وهضم، فإن المشاعر الإيجابية اللطيفة تحسن الحالة الصحية وتساعد الأعضاء على أداء مهماتها الحيوية. وإذا فكرنا في القول السائر «العقل السليم في الجسم السليم» وجدنا أن العكس صحيح وأن الجسم الصحيح مع العقل السليم. تظهر حالة الإنسان النفسية، صحيحة كانت أم علية في طبعه وسيرته وأخلاقه، تماماً كما تبدو حالته الصحية في بنية جسمه. والتأثير لا ريب متبادل بين الصحة والمزاج وبين العقل والجسد.

لقد عرفت أناساً لا يأكلون لمدة يومين أو ثلاثة بعد ثورة غضب، بل منهم من إذا جاءه خبر بالسفر يذهب نومه وتقل شهيته، ومن يتأثر كذلك بمشهد أليم أو قصة مثيرة فتمتلئ عيناه بالدموع ويسوده جو من الكآبة. ومن المؤكد أن أنواعاً من الأمراض الجسدية مثل القرحة وأوجاع الرأس وبعض الأمراض الجلدية والقلبية إلى غير ذلك تكثر نسبتها عند من يستمر شعورهم بالخيبة وتطول همومهم وتبرمهم بالحياة. ومن قبيل التأثير المتبادل أيضاً أننا نشاهد أناساً ينقص وزنهم أو يبيض شعرهم تحت تأثير أنواع من المشاكل النفسية.

يحكى أن شجرة ضخمة ظلت تجابه الأعاصير والرطوبة ولم يثن لها غصناً ثقل الثلوج، لفترة تزيد على مائة عام. وذات يوم، أحاطت بها أنواع من الحشرات، فراحت تحفرها وتأكّل من داخلها رويداً، حتى

أضعفتها وقضت على نضرتها . وما الحسد والخوف والحزن والقلق والانزعاج وحب الانتقام وغير ذلك من قائمة العواطف الضارة إلا حشرات ومكروبات تأكل باطن الإنسان وتتهك أجهزته الحيوية وتقضي على شبابه ونشاطه . فهل يبدو الآن جلياً مدى الضرر الذي يلحقه الفرد بنفسه عندما يتعود على عادات سيئة ويسمح للانفعالات الخبيثة بالسيطرة عليه؟ وهل يمكننا أن نتصور الآن ما يمكن أن تحدثه من ضرر وخلل تلك الإفرازات الكيميائية داخل الجسم إذا استمرت طويلاً؟

ويحضرني هنا، بمناسبة ذكر الحزن، ما يحكى عن رجل كان له ابنة يحبها حباً جمّاً، لأنه لم يرزق سواها . ومرضت الفتاة الصغيرة طويلاً، أحضر الأب لها عدداً كبيراً من الأطباء، ولكن الفتاة العزيزة ماتت، فغلب الحزن على أبيها، وأصبح منعزلاً كثير البكاء . وذات ليلة رأى في منامه أنه في الجنة وشهد استعراضاً كبيراً للفتيات الصغيرات، وكانت كل منهن تحمل شمعة مضاءة، والأب يحدق لعله يرى فتاته، وبينما هو كذلك شاهد فتاة تحمل شمعة منطفئة فاقترب منها وإذا هي ابنته فاحتضنها وقبلها باكية وسألها عن سبب انطفاء شمعته . أجابت الفتاة «يا أبتى إنه كلما أشعلتها الملائكة أطفأتها دموعك» .

ومن قبيل تأثير العاطفة السلبية على الصحة ما يشير إليه المثل العامي القائل «نظرة العدو تقلل البصر» . بل إن رؤية العدو تفعل أكثر من ذلك إذا كانت نفس الناظر تجيش بالحقد وتحترق رغبة في الانتقام . إنك لا تجني من الشوك العنب، ولا من الهم الصحة

بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —

والطمأنينة. وإذا تعود امرؤ على عادات هدامة مثل الانتقاد والخجل والانطواء والتشاؤم وغير ذلك من العادات التي لا تقل ضرراً بالصحة من عادات السكر والتدخين، فإنه من الصعب على الطبيب أو على أقربائه وأصدقائه أن ينقذوه، أو يقدموا له يد المساعدة إلا إذا شارك هو في العمل على إنقاذ نفسه .

ومما يسبب الكثير من المتاعب ما يشعر به بعض الناس من صراع نفسي داخلي بين جزئين من شخصية واحدة، جزء يمثل النزعات الخيرة الصالحة من سماحة وكرم ومحبة ولطافة وعطف، والآخر يمثل النزعات الشريرة من عدوان وسيطرة وكراهية وأنانية... ويمكن وصف النزاع بين القسمين بأنه أشد من الحرب الباردة، لأن الصراع يحدث داخل جسم واحد فينهكه ويسلبه الراحة والهناء .

ولا مناص للخروج من هذا المأزق إلا أن يعيد الإنسان تربية نفسه فيتعلم عادات صالحة ويراقب أفعاله ويساعد ما فيه من خير وقوى إيجابية على طرد الشكوك والشور التي يمثلها الجزء السلبي من شخصيته.

ولا ينبغي للمرء أن يستسلم للإيحاءات الانهزامية، ولا أن ينظر للفشل الذي يمني به أكثر من أنه خطوة أو محاولة لا بد منها لتعلم الطريقة الصحيحة والوصول للهدف المنشود . ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس يسمحون لصورة غلطة ما ارتكبوها أن تبقى عالقة بأذهانهم، أو لذكرى انهزام ما أن يبقى عالقاً بمخيلتهم. وتكون النتيجة سيئة عندما يتحول ذلك إلى شعور بعدم الثقة بالنفس ويصبح عائقاً لهم عن

الإقدام على مشاريع، أو القيام بأعمال وتعلم أشياء جديدة إلى غير ذلك. ومن قبيل العمل على محو صورة الفشل ما يحكى من أن الطيار عندما تختل طائرته أو تحترق في الجو فإنه يؤمر أن يطير فور نزوله سالمًا من الطائرة المحطمة. ويمكننا أن نعمم هذه القاعدة مع الطفل الذي تعلم السباحة، ثم ارتكب غلطة في سباحته، أو الطفل الذي أصبح يخاف من الظلام لأنه ترك وحده في غرفة مظلمة، وكذلك الحال عند تعلم القيادة أو فنون الرياضة أو القيام بتجارب في المخبر أو تعلم مهنة ما... والمقصود هو أن لا يفسح المجال للفرد أن يركز تفكيره على فشله. فالتفكير في الشر شر وتأمل العيب عيب، كما قيل.

فالإنسان وحدة متكاملة وعالم في حد ذاته مزود بالقوة التي تساعد على التغلب على الضعف والمرض، شريطة أن يؤدي الجسم والعقل واجباتهما على أكمل وجه، وأن ينسجم الفكر والخيال ويتعاونوا على الخير. هذه القوة الحيوية الكامنة في الإنسان هي التي تسهر على أن تقوم مختلف أعضاء الجسم بوظائفها بصفة منتظمة، وهي التي تجعل الجرح يندمل وتوقظ وسائل الدفاع عند الشعور بالخطر. وعندما يحدث خلل يجعل هذه القوة عاجزة أو مقصرة على القيام بدورها تظهر على الجسم إشارات الخطر من حمى وصداع وإغماء، منذرة صاحبها بالانتباه مثلما يفعل السائق عندما يرى الضوء الأحمر في الطريق. وعندئذ يأتي دور المعالجة الذي يهدف إلى تنشيط دفاع الجسم سواء بالراحة أو الأدوية أو غير ذلك.

وقد أكد الأطباء أن الشخص الذي تجرى له عملية جراحية أو

بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —

يدخل المستشفى للمعالجة تتماثل حاله وتبرأ جروحه في وقت أقصر، وتكون مقاومته للمضاعفات أقوى، إذا كان من الذين امتلأت نفوسهم بالإيمان وقلوبهم بالابتهاج والرضى والانشراح، وكانوا ذوى مزاج متفائل وروح مفعمة بالخير والأمل. وكأنَّ رغبة المريض في النهوض من سريرهِ، واعتقاده بأنه سيشفى يشجع تلك القوة الحيوية ويدفعها للعمل على تحقيق ما يرغب فيه ويؤمن به. وهذا يزيدنا وضوحاً وتأكيداً للدور الذي يلعبه التفكير الإيجابي والعواطف المهدبة والعادات الحسنة في تسيير نشاط الإنسان ومدى تأثيرها في صحته وتوازنه.

وإذا ساءت حالة الإنسان النفسية فإنه تسوء علاقته مع نفسه. وماذا نتوقع أن يحدث في علاقاته مع أفراد عائلته ، وزملائه في العمل ورفاقه في الشارع ، إنَّ عواطفنا السلبية تكلفنا غالياً. ولا أدل على ذلك مما نشاهد في المستشفيات من مرضى هم ضحايا التوتر العصبي، وما يسود كثيراً من العائلات من جو مليئ بالخصام والانتقاد وسوء التفاهم. وقد هدم الشقاء أركان عدد من العائلات لأسباب تافهة كان يمكن تجنبها لو ساعدت التربية على خلق سلوك ناضج. ولا ينبغي أن ننسى ما يدفعه المجتمع من جراء ذلك لأن العلاقات الاجتماعية المثمرة لا يمكن أن تنمو إلا في جوٍّ من الانسجام والتفاهم والتعاون .

انطباعات حول التربية والتعليم

إن كل ما حدث ويحدث، وجلّ ما نرى ونستعمل في العالم كان قبل حدوثه وخلقه فكرة في عقل مخلوق ما . فتفكير الإنسان هو الذي يوجه حياته وإلى درجة كبيرة بكل ما في كلمتي «توجيه حياة» من معان . فنوعية ما يجول في نفوسنا من أفكار إما أن يرفعنا أو يخفضنا، يدفعنا للإمام أو يثينا عن أهدافنا .

هذه الأفكار هي بمثابة الخيوط التي ينسج منها كل شخص مادة حياته ووجوده . فمن انتقى (أو ساعد على انتقاء) خيوط صالحة طيبة أصبح جديراً بأن ينعم بحياة ناجحة سعيدة هادئة، ومن استعمل خيوطاً بالية واهية يجني حياة الفشل والخيبة والمرض .

ولهذا كان دور التوجيه الفكري الذي يتلقاه الإنسان منذ صغره من الأهمية بمكان، لأنه الأساس الذي يحدد نوعية الحياة التي سيحيها الفرد في المستقبل . ومن هنا كان دور التربية العظيم وواجبها الأول في توجيه النشئ فكرياً وعاطفياً اتجاهاً صالحاً بحيث ينتج عن ذلك سلوك صالح ناضج . وإذا قلنا أن التعليم يهدف لخلق الخبير والمختص والمتق في هذا الفن أو ذاك العلم فإن دور التربية يهدف لا محالة إلى خلق الفرد الناجح .

كل دولة تبذل أموالاً طائلة لتعليم أولادها . وهي ترمي طبعاً إلى

تكوين مجتمع صالح متقدم. غير أن النتائج لا تكون كاملة ولا مرضية إذا لم يوجه الاهتمام إلى جوانب أخرى من الحياة الفردية، تتعلق بتوجيه نشاطه وتقويم سلوكه وتصرفاته والتأثير على أفكاره لكي تكون لديه نظرة إيجابية فردية أو اجتماعية مليئة بالإخلاص والمحبة والثقة بالنفس والإقبال على الحياة .

ولا يكفي أن يتعلم التلميذ حل المشاكل على السبورة أو في الدفاتر، وأن يحفظ أنواعاً من الفنون والدروس لكي يصبح سعيداً ناجحاً. بل لابد من أن نعلمه كيف يتغلب على الخوف والقلق والتشاؤم، وكيف يعالج المشكلات النفسية التي تعترضه، ويخطط أهدافه في الحياة دون أن ينسى من حوله، آخذاً بالاعتبار ظروفه والمحيط الذي يحيا فيه، وما للصدف والتحمل والتضحية من تأثير على نجاح مخططاته وبرامجه .

يعيش الإنسان اليوم، أكثر من أي وقت مضى، تحت ألوان من ضغط الحياة العصرية، ونحن نشاهد بل ونلمس التقدم العلمي والوثبات التكنولوجية المستمرة وما لذلك من تأثير على الحياة الاجتماعية والفردية، بل وعلى طريقة تربية الأطفال. وهذا من الأهمية بمكان، إذ إن الهيكل أو الصفات الشخصية لجيل ما، تتأسس على الطريقة التي اتبعت في تربية الصغار في الجيل السابق.

وأكثر من ذلك أن سرعة التقدم التكنولوجي، يتبعها، وإن كان ليس بنفس السرعة، تغيير، في نظرة الناس للعادات والأخلاق وللمحيط العادي، وهذه السرعة في التحول لم تكن معهودة في القديم، ونحن الآن نلاحظ ونلمس الفروق الفكرية بين أب وولده في نظرتهم للحياة وحكمهم على كثير من الأشياء.

سرعة التطور والتقدم والتبدل في عصرنا تجعل الفرد مدفوعاً ليتعلم وينضج بسرعة. فهو يسعى للحصول على الشهادة، ثم على عمل حيث يلاقي نوعاً آخر من المسؤولية. وهو أثناء ذلك يخطط أهدافاً أخرى يسعى لتحقيقها بسرعة غالباً، فهو يرغب في شراء سيارة أو بيت وأن يجمع بعض المال، وأن يتزوج أو أن يفتح متجرًا أو معملًا.. إلخ وهو يقوم بهذه الأدوار: دور الطالب والعامل والموظف والأب في جو من الطموح والأمل والانتظار للمزيد مما يحسن ظروفه مادياً أو معنوياً أو كليهما. فإذا حدث وخابت مساعيه وفشل في تحقيق أهدافه، أو أدت به المنافسة إلى بذل مجهود أكبر في محاولاته فقد يحاول التعويض عن فشله، فيلجأ للتظاهر ومخادعة نفسه. ومن الممكن أن تؤدي خيبة الأمل عند بعض الناس إلى فقدان الثقة بأنفسهم، وتزيد من خوفهم في مجابهة المشاكل فيهربون من الناس لأنهم يخشون أن ما يتظاهرون به قد يكشف .

وكما لا يكفي أن يكون الإنسان ثرياً أو قوياً ليوصف بأنه ناجح وسعيد، فكذلك لا يكفي أن يكون ماهراً في الرياضيات أو اللغات أو الموسيقى أو الكيمياء.. ليصبح ناجحاً في حياته. ومن الناس ما يحسن بناء الصواريخ أو يكتشف الأدوية أو يخترع ما يعجز عنه غيره، ولكنه يجهل فن معاملة الناس ولا يحسن استعمال قوانين الحياة التي تساعد على الظفر بحياة سعيدة هادئة مطمئنة راضية.

لابد، إذًا، من تعاون التربية والتعليم لتكوين الفرد الناجح، الذي هو اللبنة الأولى لبناء المجتمع الناجح. ونحن نخصص ساعات معينة

لبرنامج الرياضة البدنية، وهذا مفيد وضروري، ومن المفيد أيضاً أن نكمل ذلك بدروس يكون هدفها تربية الناشئ على التصرفات التي تمكنه من معالجة المشاكل الحياتية في الشارع والبيت والمكتب والحقل، والمعمل، وندربه على اكتساب العادات والصور العقلية التي تمكنه من توجيه فكره نحو ما هو خير وإيجابي، وكيف يتغلب على العواطف الضارة مثل الغيرة والخوف والانتقام والحقد والانطواء والانتقاد.

وحبذا لو أمكن تطبيق بعض أنواع المعاملات والمبادلات والعلاقات الاجتماعية في دروس تطبيقية للتلاميذ، أو بواسطة الأفلام الإذاعية والتلفزة المعممة على المدارس لهذا الغرض. ويمكن أن يتعاون المعلم والآباء مع طبيب نفسي، بحيث يقدمون لهذا الأخير ملاحظاتهم على التصرفات الشاذة ويقوم هو بتوجيه البرنامج الذي يلائم مستوى الأطفال. ولعله يمثل هذا الأسلوب، الذي يعمم تدريجياً، يساعد الجيل القادم على أن ينمو خالياً من كثير من المشاكل النفسية التي تنشأ في عهد الطفولة.

وإذا بدا لنا أنه من الصعب تحقيق هذا في ظروفنا الحالية، فلا بد أن نعمل على تجهيز أنفسنا ودراسة وضع برامج المستقبل منذ الآن. ينبغي أن نفكر في مجتمع الغد، جيل القرن الواحد والعشرين، الذي سيعيش في ظروف تختلف عن ظروفنا، وفي عصر «ما بعد الصناعة وما بعد الحضارة». وإذا كان من المستبعد أن يصل النشء الجزائري وأمثاله من الدول النامية إلى عصر ما بعد الصناعة في مدة خمسين سنة قادمة، فإنه على الأقل يجب أن نفكر في الوسائل التي

تعدده لمعاصرة مجتمعات أخرى وتمكنه من الحياة في عالم يزداد صغراً وتقارباً، ويرتبط مصير جزء منه بما تفعله أقطار أخرى بسرعة مطردة.

ألا يتمنى كل واحد منا لو كان بإمكانه محو بعض آثار الجو الذي يعيش فيه أبنائنا وحتى كبارنا في الشارع والمدرسة والمعمل والمنزل، جو الأنانية والشتم والنزاع والانتقام والكسل وعدم احترام العادات والأخلاق النبيلة من بعض الشباب؟ ألا نتمنى لو كانت لنا قدرة تحول هذا الجو إلى عالم يسوده التحاب والتسامح والإيثار والقناعة والتفاني في خدمة الآخرين؟.

ومن كان في شك من هذا فليسال نفسه كم خلق تشاحن الأطفال وتضاربهم أو تشاتمهم في الشارع من مشاكل، وأفسد من علاقات طيبة وأضاع من جهود يبذلها الوالدان إما لإثبات براءة أو إدانة معتد سواء في المحاكم أو بصفة مباشرة. وبالإضافة لذلك، كم تسببت شيطنة بعض الأطفال وسوء تربيتهم في خصام عائلي ينشب غالباً بين الأم والأب أو الأب والجدة حول ضرب الأطفال وطريقة تربيتهم يتبادل فيه أعضاء العائلة الاتهامات بخصوص ما قال الطفل أو فعل ومن هو المسؤول وغير المسؤول.. إلخ.

وبما أن الطفل يقلد ما يرى وما يسمح فكلنا مسؤولون. فالطفل يقلد ويتأثر بدور الأب والمعلم والشرطي وبائع الخضر وسائق السيارة سواء شاهد ذلك في الشارع أو في تلفزيون.

غير أن الحياة العائلية ذات تأثير عميق في تربية الطفل وتصرفاته، لأنه يقضي وقتاً أطول مع أهله ويسمع ويرى منهم من الأقوال والأمر والنهي والنصائح والبشاشة والغضب والمناقشات ما لا يسمع ويرى في مكان آخر .

لهذا كان من واجب الراشدين في كل عائلة أن يبذلوا جهدهم لخلق جو عائلي يسوده الهدوء والتفاهم. لنتصور طفلاً يعيش في عائلة لا ينفك كبارها عن انتقاد وتوبيخ بعضهم البعض، وهم غارقون في مناقشات تجعل الجو خانقاً وتقتل روح التحابب والتوادد بين أفراد العائلة وتجعلهم يعيشون في نوع من الحرب الباردة، ترى، هل يوصى مثل هذا الجو للصغير بالطمأنينة أم بالقلق، وهل يملأ نفسه الساذجة وفكره الخام بالهدوء والمحبة أم بالاضطراب والخوف والحيرة؟

ومثل هذه الحياة العائلية لا تؤثر على الطفل فحسب بل تزعج الكبير وتذهب براحته وصحته، فالانسجام في الأسرة أساس النجاح. وكيف يجد المرء الهناء والراحة، إذا انعدم التفاهم؟ وأين يجد ذلك إذا لم يكن في البيت؟ ومما يعكر صفاء العيش ويفسد الانسجام العائلي جو التشكي المستمر الذي غالباً ما يتمثل في حالة الزوجة التي لا تنفك تشرح آلامها وتئن وتتوجع، وسواء كانت أتعابها عصبية أو وهمية أو حقيقية أو مجرد جلب الانتباه إلى وضعها ودورها، فإن التشكي والتبرم والتأفف والتحصن إذا ما طال يخلق جوّاً ثقيلاً وتوتراً وتشاؤماً في المنزل لا يحتمل. ولنتصور رجلاً رجع من العمل متعباً مسرعاً إلى بيته ليجد الراحة وما يرفع من معنوياته فتلقاه زوجة تقص عليه مشاكل

اليوم وما أفسده الأطفال، ومتاعبها مع الجيران أو مع أمه أو تجلس تشرح له أوجاعها ومصائبها... إلخ ولا داعي لحصر صفات الشاكي والباكي والمنتقد في الزوجة فقد يقوم بهذا الدور أي عضو من أعضاء العائلة.

وشقاء العائلة ينعكس لا محالة على الحياة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية. وكم تكون خسارة المجتمع عندما يكثر فيه عدد البالغين الذين تسيطر عليهم صفات مكروهة مثل القلق والخجل والقساوة والاستسلام والتردد. وتتقص هؤلاء الثقة بالنفس التي تضمن نجاحهم في حياتهم العملية فمثل هؤلاء يجب أن يغيروا نظرتهم للحياة ولأنفسهم ولما حولهم. وبما أنهم أصبحوا فريسة للمشاعر المبغوضة التي سلبتهم راحتهم، ومسرّحاً للشكوك الهدامة التي وضعت حجاباً بينهم وبين الجانب الصالح من الحياة وبما أن هذه الطريقة السلبية في الحياة قد تكون وليدة عشرات السنين من حياتهم، فلا يعقل أن يرجى منهم، أو يرجوا هم من أنفسهم أن يغيروا عاداتهم في أسبوع أو شهر. بل إننا نلاحظ حتى في مجال العادات غير العاطفية مثل التدخين أو «الشمة» يصعب على المرء أن يهجرها بين عشية وضحاها. فلا مناص من الصبر والتأني والرغبة الشديدة في إصلاح النفس للتغلب على عادات مثل الخجل والخوف والانتقام والانتقاد والاستسلام.

ينبغي أن نتعاون في التربية والتعليم لتشمل الشخص ككل. فتعالج وتربي الجسم والعقل والخيال وطريقة التفكير والحكم على الأشياء وعلى الحياة فتعمل على تقوية الجسم وتربية العواطف وتوجيه التفكير

توجيهًا سليمًا ليكون بالنتيجة نشاط الفرد وتكون جهوده مصروفة في إنتاج الأشياء التي تجعل حياته وحياة من حوله أفضل وأهنأ. وبهذا يمكن أن ينمو الإنسان، جسمه وفكره في توازن وانسجام كوحدة متكاملة.

ونحن نقرأ من خلال التاريخ عن بعض العلماء والفلاسفة الذين كانوا ذوي أجسام هزيلة أو أمراض مزمنة ومع ذلك أنتجوا وألفوا وكانت لهم عقول قوية شاركت في توجيه التفكير والحضارة الإنسانية وبعض هؤلاء ولدوا بعاهااتهم أو باستعدادات لمرض ما، غير أن العبرة من حياتهم هي أنهم لم يستسلموا لضعفهم ولم يسمحوا لنقائصهم وأمراضهم الجسدية أن تسيطر على القوى الخلاقة فيهم. فهذا الجاحظ يروي عن نفسه قصة المرأة التي قادت له لدكان النحات وقالت للأخير «مثل هذا» وذهبت فأخبر النحات الجاحظ أن المرأة طلبت منه أن يصنع لها صورة الشيطان. ولم يمنع ضعف داروين الجسدي، ولا عاهة طه حسين ومِلَّتْ ومئات غيرهم من أن يصبحوا عظماء كل في مجاله.

إن الانهزام المزمن والضعف الحقيقي هو الذي ينبع من داخل المرء. وإن الأهل والأصدقاء والأطباء والعلوم الحديثة يستطيعون أن يساعدونا على التغلب على الأمراض الجسدية. وقد تقدم الطب فأصبح يغرس الأعضاء الداخلية مثل القلب والرئة، وسيصيب كثيرًا من النجاح في مجالات أخرى. غير أنه لا المال ولا العلم والأهل والأصدقاء يستطيعون أن ينقذونا مما يأتي من داخل أنفسنا من عادات سيئة وتفكير خاطئ إلا إذا قمنا نحن بالدور الرئيسي.

فالشخص الذي يصبح فريسة للهواجس بعد فشله في مشروع ما

ويسمح للهموم أن تستبد به فيطرد القلق نومه ويفقد راحته وشهيته نتيجة للشعور بالخيبة والسخط على الحياة... إلخ، فإن مثل هذا الشخص قد يستعمل الحبوب المنومة والأدوية المسكنة والعقاقير التي تفتح الشهية... إلخ غير أنه ما دام الشخص مركزاً تفكيره على النواحي السلبية من وجوده بأكياً حظه ساخطاً على سوء المآل عابساً غامضاً متجهماً، فإنه بذلك إنما يخلق سموماً داخل جسده لا تجدي معها الأدوية وحدها.

وفي مثل هذه الحالة تساعد التربية السليمة فتغير اتجاه تفكير الشخص المصاب وتقوم العدسة التي كانت تقدم له صوراً منحرفة عن المحيط، وتنهض به من حالة الفوضى والاستسلام، حالة الشعور بالفشل والإهمال. وتذكر التربية الشخص المصاب بسيرة الأشخاص الناجحين الذين تغلبوا على الضعف وصمدوا للأزمات ولم يتحقق نجاحهم إلا بعد الفشل المتكرر، وتسرد له أخبار العلماء الذين فشلوا في عدد من تجاربهم ولم يستسلموا للانحزام حتى تحققت أهدافهم. وتؤكد التربية للإنسان الضعيف بأن فكره المشوش وعواطفه الهائجة لا تزيد حالته النفسية والصحية إلا سوءاً، وأن فشله في تحقيق هدف ما لا يعني فشله في الحياة. والمربي الخبير يستعمل الواقع والمنطق لتحليل ظروف الشخص المصاب وليعيد له اعتباره وثقته بنفسه لأنه غالباً عند ما تنزل المشاكل والكوارث يأتي معها القلق ويصبح المرء يخطئ خطأ عشواء، والواقع أن الفرق بين سلوك شخص ناضج وآخر فاشل صبياني هو في نوعية ردود الفعل التي يبديها كل منهما تجاه ما يعترضه من خير وشر في الحياة اليومية.

ولست أقصد أن يستعمل المعالج أو المربي الطريقة الكلاسيكية في التحليل التي تستغرق ساعات طويلة للبحث في ماضي المريض بغية العثور على تجربة سيئة كامنة في مجال اللاوعي بقصد تفسير تصرف المريض في الوقت الحاضر .

وأسهل من ذلك وأجدي أن نعلم أولاً إلى ضبط التصرفات السيئة ونتائجها وتقديمها بصورة واضحة ودقيقة في إطار من الأمثلة يجعل المرء ينتبه إلى مواطن ضعفه ويحرضه على مواصلة البحث عن مصادر فشله، وثانياً إلى ضبط القواعد والخطوط العامة للتصرف السليم والحياة السعيدة الناجحة ومن ثم وضع منهاج للسلوك الناضج الذي يتمثل في عادات صالحة ينبغي على المرء أن يتدرب عليها ويجعلها رويداً تحل محل عاداته الضارة القديمة.

ومن قبيل التصرف الناجح أولئك ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: 156) ومثل هؤلاء نجد عقلهم يحدثهم بأن المسألة ليست من الخطورة بما يتصورون وأنهم إذا خسروا معركة فلا زالوا على قيد الحياة لمواصلة السعي. ومن حظي بمثل هذا التفكير يراقب شريط تصوراته العقلية ولا يسمح لها أن تفلت منه في وقت الشدة. لأن الخطر كما تقدم ليس في الفشل بل في السماح للفشل أن يثير العواطف الهدامة فيصبح الوضع مضطرباً والتفكير مشوشاً وذلك مما يزيد الطين بلة والجسم علة.

ولو تساءلنا عن الهدف النهائي الذي هو القاسم المشترك الأعظم بين مختلف الناس في هذه الحياة لوجدنا أن الأجوبة متشابهة

ومتقاربة. والجواب في مثل هذه الحالة هو أن كل فرد يسعى للحصول على الأشياء التي يعتقد أنها تجعل حياته أفضل وأسعد، وتجلب له مقداراً أكبر من الراحة والاطمئنان. ووحدة الهدف لا تعني هنا وحدة الوسائل المؤدية إليه. فهناك من يريد تحقيق هدفه عن طريق إشباع رغباته وملذاته، وهناك من ينشد تحقيقه بواسطة التفوق في الحصول على السلطة أو العلم أو المال أو كل هذه الأشياء مجتمعة.

إن شخصية الإنسان هي خلاصة تجاربه وعاداته وحياته. فهي تتبلور وتتكون خلال السنين من سلسلة من الأفكار والإحساءات والمعتقدات والتجارب والمعلومات التي تفاعلت وانصهرت على مر الزمن لتعطي الشخص طابعه الخاص في الحياة وطريقته في الحكم على الأشياء، وبذلك يكون الفرد رأييه فيما هو خير أو شر ويكتسب نظرة وسيرة وتصرفات تعبر عن كيفية تصويره للمحيط وتصوره لنفسه في علاقته مع هذا المحيط. وبذلك أيضاً تتحدد ردود أفعاله تجاه المشاكل والحوادث والناس لتعبر عن انسجام الشخص ورضاه أو عن سخطه وشدوذه، أو عن حياده وعدم مبالاته.

وما نلاحظه مثلاً من انتقاد بعض المواطنين المسنين لتصرفات ومظاهر بعض الشباب يرجع كذلك إلى اختلاف وجهتي نظر حول ما هو مستحب ومقبول وما هو مكروه ومنبوذ. وهذا الاختلاف في الحكم على الأشياء يعبر عن تباين في الظروف والمؤثرات التي عاشها كل من الشاب والشيخ وعن اختلاف المقاييس التي يستعملها كل منهما للحكم على قيم الأشياء. ويتجلى اختلاف هذه المقاييس في الحكم بوضوح

أكبر من بلد إلى آخر في مجالات كثيرة مثل العلاقات الجنسية وعادات الأكل والزواج وعلاقات أفراد العائلة ببعضهم.. إلخ، ومما يزيد في تباين نظرة الجيل المسن والجيل الناشئ إلى الأشياء السرعة التي يؤثر بها التقدم التكنولوجي على طريقة الحياة وعلى العادات والمعتقدات القديمة. فبينما نلاحظ أنه في القرون السابقة كان أسلوب حياة الولد مشابهاً لأسلوب حياة أبيه وجده سواء كان فلاحاً أم نجاراً أم معلماً، نجد في القرن العشرين وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فوارق واضحة تميز تفكير جيل عن الذي سبقه. وإذا أخذنا شخصاً ولد عام 1900 وولده الذي ولد عام 1930 وحفيده الذي ولد عام 1954، الجد كان فلاحاً يعيش في القرية والابن نزح للمدينة ليشتغل كحلاق مثلاً، والحفيد ما زال في المدرسة، فلا شك أننا نجد تغييراً ملحوظاً في حياة كل منهم فكرياً واجتماعياً.

وإذا قلنا إن شخصية الإنسان هي خلاصة تجاربه وعاداته وما ورث وما تعلم إلى غير ذلك، فإنه من حسن حظه أن يملك القدرة على التأثير في حياته اللاشعورية وإعادة تربيتها بواسطة استعمال عقله الواعي. ومعنى هذا أنه يمكننا، بمراقبة تفكيرنا الشعوري وتوجيهه توجيهاً سليماً إيجابياً نحو ممارسة العادات الصالحة والتخلي عن العادات السيئة عن وعي وبذل مجهود يتناسب ومدى استئصال العادة وعمق جذورها في الإنسان يمكننا أن نؤثر في اللاشعور الذي هو مركز العادات والذي فيه يتكون طبع الإنسان وهو أي اللاشعور يتحكم في مصيرنا.

وإذا قلنا إن عددًا من الخصال والصفات الموجودة في فلان هي مكتسبة من العائلة والمدرسة والشارع فإنه يمكن للتربية أن تجعل فلانًا يزيد من تعلقه بتلك الصفات أو يقلل من ذلك أو يتركها ويكتسب صفات أخرى.

وسواء كان الشخص رجلاً يرغب في إعادة تربية نفسه أم طفلاً فإن الهدف هو غرس عادات حسنة في التصرف وفي التفكير تجعل صاحبها يبذل مجهودًا أقل للحصول على حياة أفضل، وتعلمه أفضل السبل للحصول على خير ما في ملكاته واستغلالها للنفع والإصلاح لا للضرر والفساد .

هذا وبما أنه من الصعب أن نطلب من شخص أن يهجر أو يستبدل عادات سيئة، تحكمت في حياته ووجهت تصرفاته لمدة ثلاثين سنة مثلاً، في أسبوع فإنه لابد من الصبر والمثابرة ومن استمرار وجود الرغبة للظفر بنتائج إيجابية في مجال إعادة التربية.

والتربية السليمة الكاملة يجب أن تتجاوز مجال الوعظ والإرشاد النظري إلى ميادين التطبيق والمشاهدة. فإذا حدثنا أشخاصًا عن المساوئ التي تنتج عن العواطف السلبية، فإنه يساعدنا كثيرًا لو أخذنا بعين الاعتبار ما يقوله الأطباء وعلماء النفس بهذا الشأن واستعملنا صورًا وأفلامًا عن الأمراض والمضاعفات التي تخلفها المشاعر الكريهة في جسم الإنسان.

ولم يبق مجال للشك في مدى التأثير المتبادل بين جسم الإنسان

وأفكاره وعواطفه، صالحاً كان هذا التأثير أم سيئاً. فالجسم يقوم بوظائفه بصورة أفضل عندما يكون في حالة انشراح وابتهاج. ويكون شعوره وسمعه وبصره أدق وأرهف وأحاسيسه أسمى وأوضح عندما يكون فكره مفعماً بمشاعر الحب والخير والعطف والنجاح. أما عندما تستولى على الإنسان أمواج من الغضب واليأس والحزن... فإن عمليات الجسم تختل ووظائفه الحيوية تسوء بصفة عامة.

ومن هنا يبدو دور التربية المزدوج في مجالي الفكر والجسم لخلق الإنسان السليم. وقد يبدو غريباً لبعض الناس (لأول وهلة: على الأقل) أن نقول بأن هدف التربية هو تكوين شخص يكون تفكيره مبهتجاً في 90% أو 95% من أوقاته.

إن المجتمع الناجح يكون جل أعضائه سعداء، لأن الشخص السعيد يكون مؤمناً ومنتزناً لا يؤذي غيره ولا يميل للإجرام والعدوان ولا يعثو في الأرض فساداً. ونلاحظ أنواعاً من الأجرام والانتحار والفساد في البلاد المتقدمة لأنه وإن كان العلم قد تطور في هذه البلاد فإن التربية لم تصاحبه ولم تلازمه في سرعة تطوره. ونجد أن كثيراً من الناس يعيشون رغم ثقافتهم وشهادتهم ويسرهم المادي في جو من القلق والشكوك وخيبة الآمال والمنافسات المضنية وغير ذلك من المشاكل العائلية والعاطفية.

وقد كررت كلمة «السعادة» خلال الحديث عن التربية والتعليم، وأرجو أن لا يعتبر هذا إغراقاً في التفاؤل. كثير من الناس ينظرون إلى السعادة بأنها سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئاً.

ولا أرغب هنا في الحديث عن السعادة الفلسفية بل السعادة بمعناها الطبي الملموس. وهي في أبسط التعاريف وأقربها للحقيقة حالة يكون فيها تفكير الإنسان راضياً ومبتهجاً ومنسجماً مع الواقع في أغلب الأوقات. ومن هنا علاقتها بالتربية الرامية لخلق الشخص الناجح الراضي المبتهج.

ومن المؤسف أننا نلاقي نوعاً من الناس ليس فقط أنهم لا يعترفون بوجود حياة سعيدة، بل هم لا ينفكون ينشرون الشقاء واليأس في حياة من حولهم بتذمرهم وانتقادهم وتشاؤمهم. وهم، وإن كانوا لا يرغبون في أن يكونوا أشقياء، إلا أنهم يعتبرون الشقاء شيئاً عادياً في الحياة والسعادة حلماً بعيد المنال. ولا علاقة لمثل هذا الاعتقاد الخاطئ والتصرف الفاشل والوجود السلبي لهذا النوع من الأشخاص بدرجة ثقافتهم ونوع مهنتهم. إننا نلاقي كثيراً من الذين لم يدخلوا المدرسة وممن يتعاطون مهناً بسيطة أو صعبة ينعمون بمزايا التناول والرضى والواقعية والسعادة.

والواقع أن مثل هؤلاء الأشخاص الأشقياء لا يؤثر عدد السنين التي أضيفت إلى عهد طفولتهم على طريقة معالجتهم لما يعترضهم من مشاكل. فهم يجابهون الصعوبات بحلول مستمدة من ذلك العهد. وكلنا يعرف ويذكر قصة الطفل الذي ظل يبكي طالباً من أمه أن تحضر له القمر، والطفلة التي سقط كأس الحليب من يدها ولما قدمت لها أمها كأساً ثانية راحت تبكي مُلِحَةً أن ترجع ما تدفق في الكأس. والنتيجة عند الكبار هي أن التصرفات غير الواقعية تجلب الفشل، وهذا

يزيدهم سخطاً وتذمراً ويدفع بعواطفهم أن تهيج، ويتلو ذلك أو يلازمه جو من الحقد والشعور بالخيبة والتعاسة.

وحبذا لو كان من السهل تعميم التفاؤل والسعادة على جميع أولئك المحرومين والمتوترين والمتحسرين كما يمكن تأمين المصالح ذات المنفعة العامة. ونحن لا نكون واقعيين إذا لم نعترف بأنه لابد من توفر حد أدنى من المادة قبل أن نطالب الإنسان بالبشاشة والرضى عن النفس. ولكننا كذلك نشاهد أن توفر المادة عند كثير من الناس لا يؤدي دائماً إلى حياة أفضل وأنجح، حياة خالية من المشكلات النفسية تماماً، كما هو الحال بالنسبة لمن يحصل على الشهادة مثلاً ويفشل في الحصول على حياة سعيدة راضية.

وتجدر الإشارة إلى أن الحياة الحديثة والعصر التكنولوجي قد زاد، أو أصبح الآن يزيد من قابلية الانزعاج عند من لهم ميول للأمراض العصبية ومن كانت بنيتهم الجسدية لا تساعدهم على تحمل مشاق حياة السرعة والضجيج والتلوث والانتظار.... ويضاف لذلك ما يساور بعض النفوس من مخاوف عندما يفكرون في خطر الحروب العصرية، ومشاكل تزايد السكان وتلوث المحيط إلى غير ذلك من الخصائص التي يجلبها التقدم والتي لا يرتاب أحد في أن منافعها ومحاسنها لا تحصى.

والحقيقة أننا نلاحظ كثيراً من الأشياء التي يمكن أن يسميها البعض «مزعجات» في وسط الحياة اليومية في المدينة الكبيرة. فهناك رنين التليفون، وضجيج السيارات ودخانها، وصوت التلفزيون والراديو،

والموسيقى الصاخبة. ثم إن هذا الوسط الإعلامي جعل الإنسان على اتصال بالعالم البعيد ومعرضاً للتأثر بما يحدث في أقطار أخرى. فهناك المباريات المثيرة من ملاكمة وسباق بكل ما في ذلك من عنف وركض وسرعة، وهناك الإثارة الجنسية ومشاهد العنف في الأفلام والمجلات والإعلانات. وإذا حدثت كارثة في اليابان أو شيلي شاهدها الناس عندنا، وعندما ترتكب جرائم في الفيتنام تظهر على شاشة التلفزيون، وما يرافق ارتباط الإنسان بالعالم من برامج مثيرة وأخبار تجعله يعيش وسط مشاكل العالم والناس، فهو يسمع عن زرع القلوب، وأمراض السرطان، وكوارث الزلازل والحرائق والقنابل والصواريخ وغير ذلك مما يخلق عند ذوي الإحساس المرهف نوعاً من القلق والتبرم أو يقودهم للتشاؤم حول مصير العالم والبشرية.

ويسود حياة المدن الكبيرة السرعة. فالناس يسرعون للموعد، وللمكتب، وللعمل وللسوق. ويتسابقون للحصول على الوظيفة، وعلى البضاعة، وعلى وسائل النقل. وتتسم الحياة أيضاً بالانتظار فنحن ننتظر الحافلة، والحصول على وثيقة، وننتظر نهاية الأسبوع، وحتى نهاية النهار، بل وننتظر إشارة الشرطي أو الضوء الأحمر أو نهاية الشهر... ويتصف هذا الانتظار أحياناً بالقلق، بل ويمتزج بالسرعة فيكون جسد الإنسان واقفاً في انتظار دوره، وفكره يشتغل فيقطع المسافات أو يحل المشكلات في سرعة تتناقض مع بقاء الجسم دون حركة. ويبدو هذا التناقض بشكل امتعاض في حركات الشخص المنتظر أو حديثه مع نفسه أو مع شخص بجانبه.

وسواء نتج انزعاج المرء عن كونه تبادل كلمات غير لائقة مع

رئيسه في العمل أو مع سائق آخر أو لمجرد انتظاره لقضاء غرض ما فإن أثر ذلك الانزعاج قد يتجلى عند بعض الناس، بالانقباض أو وجع الرأس أو زوال النوم أو الشهية أو في معاملته لأهله عند رجوعه للمنزل.

ولا يكفي أن يهز المرء كتفيه قائلاً: «لا حيلة لي ولا مناص، لقد خلقت سريع التأثر، ضعفي وحساسيتي كانا نتيجة الحياة المضطربة التي مرت علي وقد أكون ورثت الكثير من هذه الصفات عن أبوي وأجدادي... إلخ لأنه في إمكان الإنسان أن ينمي سياجاً واقياً يحفظ حالته النفسية من التدهور ويخلق عنده نوعاً من المناعة كما يخلق التلقيح مناعة ضد الجراثيم.

ومما يساعد على ذلك أن يتبنى المرء فلسفة إيجابية في الحياة يصحبها باكتساب عادات صالحة تحفظ له هدوءه وتوازنه. والفكر الإنساني الذي شيد الممالك وغزا الفضاء واستغل أعماق المحيطات ومكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة، قادرٌ على أن يكون لك حصناً ويخلق لك سياجاً يعصمك من الحياة المضطربة وضجيجها.

والفكر الذي اخترع الكهرباء والهاتف ومكن الإنسان من اجتياز سرعة الصوت في تنقلاته والذي صنع وسائل الدمار من قنابل وصواريخ وأسلحة كيماوية مخربة، في إمكانه أن يسخر كثيراً من مجهوداته لراحة صاحبه وهدوئه إذا تغلبت فيه قوى الخير على دوافع الشر.

ويمكن القول بأن ما يعوزه الفرد الذي لا ينفك يشكو من مشكلات الحياة العصرية ومتاعبها، هو أن يحاول الانسجام مع المحيط ويتقبل ظروفه بدلاً من أن يتخذ من ذلك موقفاً سلبياً. إنه من العبث أن يحاول المرء أن يكيف العالم كي يتلاءم مع رغباته وأحواله. وإذا انتظر

شخص أن يحصل على مراده بالبكاء والتشكي والانعزال، فإنه ينتظر طويلاً، اللهم إلا إذا كان ينتظر أن تمتد له يد أم حنون بلعبة أو قطعة من الحلوى.

وإذا أخذنا من حياتنا الواقعية أمثلة كتاجر عاكسته الظروف فخسر أمواله، أو فتاة لم تتجح في زواجها فطلقت، أو شخص أصبح معقداً بعد حادث عمل أو سيارة، أو أصيب بمرض عضال.. إلى غير ذلك، فإن سلوك أي من هؤلاء إما يكون سلوكاً ناضجاً بأن يبدأ صاحبه بتقبل المصيبة بكل ما يترتب عليها، ثم يسعى لإنقاذ وإصلاح ما يمكن إنقاذه وإصلاحه، أو الاستعداد للبدء من جديد ونسيان ما حدث. وإما أن تحدث المصيبة هزة عنيفة في نفسه تضعضع ثقته وتشوه حياته وتحطم أعصابه.

والرضا بالحادث مبدئياً مهم، لأن الثورة والسخط والهيّاج عند الأزمة تجعلنا، غالباً، لا نتبع السبيل المنطقي للخلاص ولا ننتبه لجميع الاعتبارات والوسائل التي تساعدنا على التغلب على المشاكل. فالنوع الأول من السلوك يجعل المصاب سيّداً للموقف ويجعل من حوله يقدر ثباته وصبره ونضجه.

ومما يزيد الإنسان توتراً واضطراباً في أفكاره وأعصابه وحياته صفة فقدان الأمن والتعطش للمساعدة. إذ يشعر بعض الأشخاص، عندما يتركون لأنفسهم أنهم غير آمنين وغير قادرين على حل ما يعترضهم من مشاكل، لأنهم تعودوا على وجود شخص آخر بجانبهم. ويمكن علاج هؤلاء في التدريب على اتخاذ قرارات وعقد صفقات والابتعاد عن التردد لزيادة الاعتماد على النفس والاستغلال الذاتي. ولأن يعقد

المرء العزم ويدرس المعطيات ثم يتخذ قراراً في مشكلة ما ولو كان قراره خاطئاً أفضل له من أن يغرق في بحر التردد والشك والارتباك.

ولا شك أن الإنسان لا يرضى أن يتحكم إنسان آخر في حياته بحيث تكون للأخير السلطة فيجعله يضحك عندما يريد ويغضب عندما يشاء ويحزن تارة ويبتهج أخرى. فلماذا يرضى إذاً أن يكون طبعه خاضعاً للحوادث فتسؤوه المزعجات، وتملي عليه أن يغضب فيفعل وأن يقلق فيطيع، وقد أثبت التجارب أن الفرد الذي يثور ويرتبك عند الشدائد ويسخط على الحياة والناس، منادياً بمعاكسة الظروف وفساد الزمان وقلة الحظ، مثل هذا الشخص لا يسير في الاتجاه الذي يساعده على حل مشاكله حلاً مرضياً ولا يحظى بالثقة والتقدير.

وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

وإذا كانت تأميمات المصالح العامة ترجع بالنفع على مختلف طبقات الشعب وتستقبل من قبلهم بالتحبيذ والتشجيع، فما أحوجنا أيضاً إلى العمل على خلق الوسائل التي تمكننا من تعميم التفاؤل والرضى في نفوس هؤلاء المتشائمين المتخوفين والباكين والمنتقدين، لأن الابتهاج والشعور بالسعادة يزيدان في الاستمتاع والانتفاع بالخيرات، ولأن الإقبال على الحياة يقوى شعور المواطن بالانتماء للجمهور، بل ويزيد في الإنتاج الفردي الذي هو أساس الثروة الوطنية لأن الشخص الراضي الإيجابي أقوى تركيزاً وحماساً في عمله وأقل تغيباً وأكثر إنتاجاً من الفرد المتشائم الشقي.

لماذا نجح اليهود في أمريكا..؟



تفتخر الولايات المتحدة بأنها البوتقة التي تتصهر فيها الأجناس، غير أن اليهود الأمريكيان يزدادون تمسكاً بوحدتهم وطريقة حياتهم على مر الأيام. وقد بدأ تمسك اليهود الأمريكيان بشخصيتهم وحرصهم على تقاليدهم وازدياد نفوذهم وسيطرتهم على الحياة الأمريكية يخلق نوعاً من رد الفعل والاشمئزاز لدى بعض المجموعات الأخرى من الأمريكيان مثل السكان الأفروأمريكان والطلاب ومجموعة المثقفين ورجال الأعمال التحرريين.

ويلاحظ كذلك أن تعصب اليهود الأمريكيان تعصباً أعمى لقضية مساعدة إسرائيل ومبالغتهم في الدفاع عن جميع مواقفها واهتمامهم بمصيرها كل ذلك أدى إلى إبرازهم ككتلة واحدة قوية ناشطة وإلى وجودهم دائماً في مقدمة الحوادث وطليلة الأخبار .

ويختلف رد الفعل لدى الشعب الأمريكي بصفة عامة، تجاه نشاط ومواقف ودعاية اليهود الأمريكيان. يختلف من الإعجاب والتحييد إلى عدم المبالاة أو الحيرة أو عدم الرضى.

وبالرغم من أن اليهود الأمريكيان لا يرغبون في الاندماج كلياً في المجتمع الأمريكي، فإنهم يقيسون مدى نجاحهم بمدى تأثيرهم على الحياة الأمريكية وسياستها ومدى تكييف المجتمع لتقبل وجهة نظرهم واستعداده للترحيب بهم، أي باليهود، كمواطنين أمريكيان مخلصين متفانين.

ويدعى اليهود أنهم يشعرون بالخطر قبل وقوعه، لذلك فقد بدأوا يقومون بدراسات وبحوث اجتماعية لتحليل النفسية الأمريكية والعثور على الأسباب التي بدأت تخلق بعض ردود الفعل المشار إليها وكيفية مواجهتها.

ويعتقد اليهود الأمريكي أن هذه الردود الفعلية والكلامية، التي يشعرون بها أو يلاقونها بشكل انتقاد أو دعوة لمقاطعة تجارتهم، هي ردود «سلبية» وخطيرة، ولذلك فإن الخطوة الأولى التي يتخذونها لمواجهة الموقف، وهي خطوة ارتجالية يقصدون بها إثارة العواطف، هي أن ينسبوا كل ما يواجهونه إلى التمييز ضد عنصرهم السامي : Anti-sémitisme وتساعد هذه الدعاية على جذب العطف على قضاياهم وتمكنهم من الظهور في مظهر البريء المضطهد.

وقد اشتهر اليهود الأمريكيان، وما زالوا، بالدور الذي يلعبونه في مساعدة إسرائيل المادية والسياسية والدعائية والمعنوية. وقد يتساءل المرء على الأسباب التي جعلت تأثير نسبة ٣% (ثلاثة بالمائة) من سكان أمريكا بهذه الدرجة من الفعالية والأهمية. ويرجع ذلك إلى عوامل تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية لا يتسع المجال للخوض فيها.

أما نجاحهم الكبير في تعبئة الرأي العام الأمريكي لمساعدة إسرائيل، وبالأخص نجاحهم في جمع الأموال فيعتمد على استعمال طرق فنية مدروسة، واللجوء إلى الدهاء والمغالطة وإثارة العواطف وتوحيد الصف والمثابرة، بالإضافة إلى أساليب التنافس والمناورات (manœuvres) الانتخابية في الحياة السياسية الأمريكية.

تصوروا مثلاً زعيماً يهودياً يحرض الحاضرين على البذل بسخاء
لحياة إسرائيل وهو يقول: «ادفعوا ثمن خلاصكم من هتلر، ابذلوا لكي
لا تعيشوا تحت النازية مرة أخرى.. نعم يجب أن تبذلوا لأنكم لا
تعيشون فوق أرض إسرائيل جنباً إلى جنب مع إخوانكم المجاهدين
المهددين بالفناء» وأي صهيوني لا يبذل بعد أن ينتهي الخطيب!

ومن جملة الطرق التي تستعمل لجمع المال من اليهود الأمريكيان،
ومن المحبذين لقضيتهم، أن تستدعي مجموعات من الشخصيات
وينظم عشاء على شرفهم. وقد اجتمع مؤخراً حوالي أربعمائة من
اليهود الأغنياء في أحد الفنادق بنيويورك وبلغ مجموع ما تبرعوا به
واحداً وعشرين مليوناً من الدولارات وكان من جملة ما قال الخطيب،
ضيف الشرف، في هذا الاجتماع: «فليشتر كل واحد منا في هذا
المساء حرية أخ له في الاتحاد السوفياتي»..

وقد حضر موشي ديان عدداً من الحفلات لجمع التبرعات
عندما زار الولايات المتحدة مؤخراً، وفي نفس الوقت كان الوزير
الإسرائيلي يدح امر سابير يجوب الولايات المتحدة متصلاً
بالشخصيات اليهودية الثرية طالباً المساعدة لإسرائيل ويلاحظ أن
جميع الشخصيات الإسرائيلية التي تزور أمريكا وبما في ذلك جولدا
مائير يحضرون حفلات جمع التبرعات لمصلحة إسرائيل.

ومن جملة الأساليب المتعددة التي يتبعها اليهود الأمريكيان لجمع المال:

— تكوين لجان في كل مدينة للبحث عن اليهود الأغنياء والاتصال بهم.

- الاتفاق مسبقاً على المبلغ الذي يقبل من اليهودي الثري.
- لا يرسل شخص واحد لجمع التبرع بل جماعة «لأن الجماعة تمثل الشعب ولا يمكن أن ترجع فارغة الأيدي».
- تنظيم حفلات وعشاءات بأسعار تتراوح من ٣٠ دولار إلى ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) دولار، وذلك تبعاً لسمعة (الشخص المدعو) ضيف الشرف، وتستدعى طبقة من الناس بإمكانهم دفع المبلغ المطلوب.
- تنظيم زيارات لإسرائيل تضم أولئك الذين يتوقع منهم التبرع، سواء كانوا يهوداً أم لا . وفي إسرائيل يستقبلون بحفاوة بالغة وتنظم لهم مواعيد لمقابلة بعض الوزراء ويرافقون في جولات لزيارة المناطق المحتلة.
- استغلال قضية الإعفاء من الضرائب عند التبرع للمشاريع الخيرية، وقد قامت «منظمة المناشدة اليهودية بطبع دليل يشرح فوائد التبرع مع الإعفاء مبينة أهمية ما ينتجه هذا التبرع في إسرائيل. وعلى الرغم من مزاعم هذه المنظمة فقد تبين لكثير من الزعماء الأمريكيين أنه ليس كل ما يجمع تحت شعار (المشاريع الخيرية في إسرائيل) يصرف في نفس المجال.
- وتعتبر سوق السندات في أمريكا من أهم مصادر تمويل إسرائيل بفوائد صغيرة إذا قورنت بفوائد قروض البنوك. ويقول أحد المسؤولين من منظمة السندات: «إنه ينظر إلى المنظمة بأنها جسر بين حاجيات إسرائيل والإمكانيات المالية لليهود الأمريكيين».

وقد حدد هدف المنظمة لعام 1972 بـ 450 مليون دولار وذلك حسب احتياج إسرائيل. ويقال أن هذه المبالغ تذهب إلى ميزانية التنمية الإسرائيلية. وتدل الإحصاءات أن ما جمعته منظمتا المناشدة اليهودية والسندات منذ نشأتها قد بلغ أربع مليارات دولار.

ومن المعلوم أن جمع الأموال ما هو إلا نوع واحد من الخدمات التي يقدمها اليهود الأمريكيان لإسرائيل. فقد كانت أبواب البيت الأبيض وما تزال مفتوحة لبعض زعمائهم وخاصة في وقت الرئيس الأمريكي السابق لندون جونسون Lyndon Johnson لأن اليهود الأمريكيين أكثر تقريباً إلى الحزب الديمقراطي من الحزب الجمهوري. ولم ينل الرئيس نيكسون (Nixon) خلال انتخابات عام 1968 الرئاسة أكثر من ثلث أصوات اليهود المنتخبين.

ويقوم اليهود في هذا البلد بجميع أنواع النشاطات خلال الفترات الانتخابية سواء كانت الانتخابات تتعلق بالكنغرس أو مجلس الشيوخ أو الرئاسة. والواقع أن نشاط اليهود الأمريكيين وسيطرتهم على المراكز الحساسة في مجالات الأخبار والتلفزة والدعاية والمجالات الثقافية والمالية والبنوك والجامعات والشركات الكبيرة كل ذلك جعل جميع المترشحين للرئاسة في هذه السنة يسارعون إلى إرضائهم ويتسابقون إلى اقتراح المساعدات والحلول المرضية لإسرائيل.

وهناك صوتان خافتان يميلان إلى انتقاد إسرائيل ومناصرة القضايا العربية إما من أجل المحافظة على مصالحهم كما هو لدى الشركات البترولية ذات المصالح في البلاد العربية، أو لأنهم يعتقدون

فعلاً بعدالة القضية العربية كما هو الأمر لدى عدد من موظفي وزارة الخارجية الأمريكية المتخصصين في الشؤون العربية والذين عاشوا مدة طويلة في المشرق العربي.

ورغم ضعف تأثير هذه المجموعة من الموظفين على سياسة واشنطن تجاه إسرائيل والبلاد العربية فقد قرر اليهود الأمريكيون أن يجعلوا كلمتهم مسموعة لدى البيت الأبيض «ليأمنوا شر هؤلاء المستعربين»!! وقد كونوا لهذا الغرض لجاناً خاصة تقوم بنشاطات مختلفة يتصل بعضها برجال الكونغرس والبعض بالبيت الأبيض وبعضها يقوم بمحاربة المشاريع التي تعارض مصالح إسرائيل ومساندة المطالب التي ترضيها وبعضها برفع صوت الجالية اليهودية والبعض بالتنسيق مع نشاط السفارة الإسرائيلية. وكمثال بسيط ولكن واضح نذكر عندما تردد وزير الخارجية الأمريكية في تحديد تاريخ إرسال الدفعة الجديدة من الطائرات إلى إسرائيل حَرَضَتْ لجنة الاتصال مع الكونغرس اثني عشر ممثلاً على زيارة وزير الخارجية وإقناعه، وتلا ذلك إمضاء وثيقة من قبل ثمانين من أعضاء مجلس الشيوخ تحض الحكومة الأمريكية على إرسال الطائرات إلى إسرائيل .

سئل أحد زعماء اليهود عن سبب نجاحهم فأجاب: «إن يهود العالم ليسوا شركاء بل كل منهم يعتبر نفسه هو الشخص الآخر. إن ما يشعر به أحدنا يقوم به الجميع وهذا ما ساعدنا على المحافظة على وجودنا خلال عشرين قرناً»!!

04/04/72

المجتمع الأمريكي



المرأة : رفض قوانين التناسل الطبيعية ودعوة لاستخدام
التكنولوجيا تناسلياً!!

الرجل : نريد زوجات طائعات

نهضت منظمة تحرير المرأة بتكوين الجمعية القومية للنساء التي
كونت فروعاً في مختلف أنحاء أمريكا، وتنظم هذه الأخيرة اجتماعات
في مختلف الأحياء لتحقيق أهداف مختلفة مثل تشجيع المرأة على
المطالبة بمزيد من التحرر والمساواة، وعلى الثورة ضد القيم والعادات
الاجتماعية السائدة وأحياناً إلى عدم الاستسلام والخضوع للرجل مما
أدى إلى ارتفاع نسبة الطلاق.

وتتراوح أهداف منظمة تحرير المرأة الأمريكية من النشاط
العادي المقبول الخاص بتحسين أوضاعها إلى مطالب ثورية، من
المطالبة بدفع نفس الأجرة للمرأة التي تقوم بعمل الرجل، وبالقيام بدور
إيجابي في المجالات السياسية والاقتصادية، إلى المطالبة بإعادة تنظيم
المجتمع على أسس جديدة. وإعادة التنظيم هذه لا تعني تحديد أدوار
كل من الجنسين وتوزيع مسؤولياته، إذ أن نقطة الانطلاق هي أنه لا
فرق بين الرجل والمرأة، بل تعني محو الفوارق وإزالة الخصائص التي
يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر .

فالمنظمة تهدف من وراء ذلك إلى تغيير جذري لا للتقاليد والمعتقدات السائدة فقط بل وللمسؤوليات والأدوار التي لعبتها المرأة حتى الآن كزوجة وكأم، وأقول هذا لأن بعض النساء أصبحن ساخطات نائرات على عبء الولادة وتربية الأطفال.. إلخ.

ولذلك تقول حركة التحرير المتطرفة بعدم تحديد دور المرأة ونوع العمل والمسؤولية لأن ذلك تمييز على أساس الجنس، ولأنه يخلق كثيراً من المشاكل العائلية، فمثلاً، تقضي العادة أن المرأة هي التي تطبخ الأكل وتغسل أو تكوي الثياب وتطعم الصغير وتنظفه.. إلخ فإذا طالبت المرأة الرجل بالقيام بهذه الأعمال قد ينشأ عن ذلك جدال وسوء تفاهم، ولذلك تدعو المنظمة المذكورة إلى تحرير المرأة من هذه العادة.

بل تذهب إلى أبعد من ذلك وتصل إلى المبالغة والتطرف عندما تدعو النساء الأعضاء إلى العمل على الاستقلال الكامل عن الرجل في جميع مجالات الحياة بما في ذلك الحياة الجنسية وإلى استغلال التكنولوجيا والعلم الحديث لخلق (تناسلياً) نوع جديد من المرأة «الذكىة القوية» وإلى رفض قوانين التناسل التي، في نظرهن، تجحف بحقوق المرأة وتثقل جسدها وتؤثر على صحتها وحياتها وحرية تنقلها.

ولكن منظمة تحرير المرأة الأمريكية ما زالت في مرحلة الانطلاق، لا تفرق بين الأهداف الحقيقية والمظاهر الرمزية بل ما زالت غارقة في المناقشات حول سياسة الهيئة وبرامجها ومبادئها ومواقفها ووسائل تحقيق الأهداف.

وقد بدأت نشاطها بانتقاد الكنغرس ومطالبته بإصلاح القوانين

السائدة المتعلقة بالعمل والولادة وتربية الأطفال وهي تسعى لتنظيم أفراد الجنس «المستضعف» وتجهيزهن للقيام بنشاط للحصول على نسبة أعلى في التمثيل السياسي وتحقيق المساواة التامة بين الرجل والمرأة.

وبما أن عدد النساء في الولايات المتحدة يفوق عدد الرجال، وهن أكثر غنى وأقوى سيطرة من الرجال، وبما أن هذه السنة هي سنة انتخابية يرغب فيها المرشحون في الحصول على مساندة النساء وعلى أصواتهن، فإنه من غير المستبعد أن ينلن كثيراً من مطالبهن.

ومن جملة العوامل التي أثرت على حياة وتفكير المرأة الأمريكية تطور وسائل منع الحمل وتوفرها وقبول المجتمع لهذه الوسائل بحيث أصبحت تستعمل على نطاق واسع وبدون حرج، ومعنى هذا أن المرأة أصبحت تشعر بحرية أكثر، لا تخشى الحمل ولا تشعر بالحاجة إلى عطف الرجل وعنايته والاتكال عليه، ومن جملة العوامل طبعاً كون العمل المنزلي أصبح يدار آلياً، مما يوفر لها وقتاً تستعمله في نشاطات أخرى، أما انتشار الآلة في المعامل الحديثة فقد ذهب بالأعمال الشاقة وفتح المجال لمشاركة المرأة في تلك المصانع، ومن جملة العوامل أيضاً انتشار الوعي والثقافة مما دفع المرأة الأمريكية إلى النفور من نفوذ الرجل وسيطرته.

وبما أن انتشار الآلة وزيادة اتقانها حرر عدداً كبيراً من السكان، فقد زاد الاهتمام بالثقافة العامة والفنون، والعلاقات الإنسانية وشؤون الحضارة وفي كل هذه المجالات تلعب المرأة عادة دوراً أكبر من الرجل، وبذلك ازداد عدد النساء المشتغلات في هذه المجالات الحيوية بالنسبة للرجل، وكانت النتيجة اتساع سلطان المرأة وتأثيرها في المدارس ودور الفنون والترفيه وفي المكاتب وحتى في الإطار العائلي.

وتختلف حركة النساء في هذا البلد بأنها حركة الأكثرية، فإذا قارناها بحركة العمال أو حركة المسنين أو حتى بحركة الشباب نجد أنها أغنى وأقوى وأوسع سلطة وأدهى.

ورغم انتشار دعوة المنظمة النسائية لتحرير المرأة فإنها تلاقى صعوبات وعراقيل بسبب تطرفها وغبابة مطالبها أحياناً حتى على عقل المرأة الأمريكية المعتدلة ، وأن دعوة المنظمة لاستقلال المرأة المطلق عن الرجل أثارت كثيراً من الانتقاد من طرف الرجال والنساء، ووصفت في الصحافة بأنها انحراف غير طبيعي.

ومن العراقيل التي تعترض نجاح الحركة المتطرفة معارضة الرجل الأمريكي بصفة عامة لأنه أصبح يشعر بأنه هو الذي يحتاج للتحرر من تسلط المرأة ومن القوانين التي تحميها ضد الطلاق بل ومن المسؤوليات والأعباء التي يتحملها وهو يكد للحصول على حياة أفضل، وقد شوهدت ذات يوم أمام البيت الأبيض بضعة رجال يحملون لافتات كتب عليها «نريد زوجات طائعات»، ومن جملة العراقيين شعور عدد كبير من النساء بالخطر الذي تجلبه أفكار الحركة المتطرفة على حياتهن الزوجية وعائلاتهن.

أما النساء السود فيشعرن بأن الخطوة الأولى هي تحرير الرجل الأسود قبل العمل على تحرير المرأة من زوجها، والواقع أن طبيعة الأمريكية السوداء تميل نحو احترام الحياة العائلية والرغبة في بناء علاقات ودية مع جميع أفراد العائلة، وهي تشعر بالحاجة إلى مساندة الرجل الأسود لتعزيز كرامته وتقوية ثقته بنفسه، تلك الثقة التي حطمها النظام الاستغلالي خلال سنوات طويلة من الاستبداد.

ومما يؤخذ على حركة المرأة الجديدة هي أنها تخلق نوعاً من الصراع الطبقي ضد الرجال وهو عمل قد لا تحمد عقباه، فقد أصبح الرجل يفكر بدوره في تكوين «حركة تحرير الرجل»، وتخشى المرأة أن يؤدي ذلك إلى فقدان سلطانها ومركزها ومكانتها عند الرجل، ثم أن العدد الكبير من النساء يشك في أنه سيسعد بمنافسة الرجل ويربح من التسابق معه إلى احتلال المصانع والمتاجر والحقول، وهل توزن السعادة والنجاح بما تحصل عليه المرأة من أجرة فقط؟ وتعتقد المرأة المعتدلة أن كل هذه المطالب يمكن تحقيقها بدون التشهير بالرجال واتهامهم والضغط عليه، إذ أن تقدم الصناعة وازدياد الرفاهية يزيد من الاهتمام بنوع الحياة لا بكميتها وهذا يؤدي إلى ازدياد الاهتمام بالفن والجمال والتسلية مما يعزز سلطان المرأة ويحفظ لها في نفس الوقت دورها كزوجة وأم ومربية وشريكة.

غير أن منظمة تحرير المرأة الأمريكية ترفض كل ذلك مدعية أنه يجعل المرأة وسيلة لتسلية الرجل ويلفت الانتباه إلى الفوارق الجنسية التي ترغب المنظمة في القضاء على آثارها.

ومن الصعب الاعتقاد، سواء في أمريكا أو في بلاد أخرى، بأن تحطيم جميع الفوارق والقضاء على جميع العادات وإطلاق عنان الحريات، ومنافسة المرأة للرجل بدلاً من تعاونها سيخلق مجتمعاً سليماً متكاملًا يسوده التسامح والتفاهم.

24/6/72

من حياة السود في أمريكا الحلقة السادسة - العبودية وما بعدها



في عام 1619 جلبت باخرة هولندية عشرين رجلاً أفريقيًا إلى مدينة «جيمزتاون» في ولاية فيرجينيا. جلبوا كعمال يخلي سبيلهم بعد عدد من السنوات. وما أن حل عام 1670 حتى كانت ولاية فيرجينيا قد رخصت نظام الرق.

لم يأت السود إلى أمريكا برضاهم ليختاروا حياة جديدة. لم تكن لهم أحلام وآمال الأوربيين عندما وصلوا إلى سواحل العالم الجديد، ولم يطاءوا أرض أمريكا بأنفس بهيجة متشوقين إلى التمتع بخيراتها. لم يرحلوا إلى أمريكا بحثًا عن الغنى والحرية بل سيقوا إليها بقلوب دامية وإهانة لا مثيل لها. وكانت أول معاملة لاقوها من أشخاص يدعون بأنهم من أتباع المسيح تعبيرًا واضحًا عن مدى طغيان وجشع الأمريكيين البيض. ولم تنته مصائب الجيل الأول من السود بموتهم بل ورثت الأجيال التي تلتهم أغلالهم.

وثار الرجل الأسود، كما يثور الذين غلبوا على أمرهم، فانتهز جميع الفرص واستعمل مختلف وسائل النضال. فلجأ أحيانًا للخطابة والكتابة وطورًا للثورة فخلد تجاربه في نشره وأناشيده وخطبه ورسائله وأشعاره وقصصه الشعبية.

وعندما شعر حماة نظام الرق البغيض بعواقبه السيئة وشروره

المتزايدة وجهوا اللوم إلى بريطانيا وقالوا أنهم إنما ورثوا هذا النظام عنها وأنهم يرغبون في التخلص منه «لو استطاعوا».

وسرعان ما اختبرت الأيام دعواهم عندما تخلصوا من الحكم البريطاني وأصبحت الولايات المتحدة تتمتع بسيادتها. كانت وثيقة إعلان الاستقلال عملاً جليلاً، احتوت مشاعر وآراء ومبادئ إنسانية. ولكن ماذا استفاد الرجل الأسود في أمريكا؟ وهل تغير وضعه بعد الاستقلال؟

وأريق دماء كثيرة (في سنوات 1861 - 1865) عندما اشتبك الشمال والجنوب والبيض والسود في حرب أهلية. وقاتل الرجل الأسود لأنه كان يعتقد أن مصيره مرهون بنتيجة الحرب. وفي سنة 1865، عندما انتهت الحرب ظن الرجل الأسود بأن فجر الحرية قد طلع، ولكن سرعان ما خاب ظنه.

ووفق على التعديل الثالث عشر للدستور. وكان هذا التعديل يقضي بمنع الرق. ولكن ذلك لم يغير من واقع الأمور شيئاً كثيراً. وظهرت منظمات تهدف إلى نشر الرعب والفوضى وتهدف إلى اضطهاد السود مثل منظمة «فرسان الكاميلية البيضاء»، وجمعية «الكوكلوكس» (Kuklux KLAN)، وجمعية القمصان الحمراء.

وظل الرجل الأسود يشك في صلاحية المجتمع الأمريكي وفي أهدافه، وبدأ يتساءل من جديد عن خير وسيلة للتحرر. وظهر في القرنين التاسع عشر والعشرين من ينادي بوجوب فصل السود الأمريكيين تحت إدارة خاصة تمكنهم من تسيير شؤونهم بأنفسهم.

وظهر من يميل إلى دمج العنصرين وتجديد الثقة بينهما مثل مارتن لوثر كينغ ومن يدعو «للقوة السوداء» مثل ستوكلي كارل مايكل.

ولم يكن الأمريكي، خلال كل ذلك يكافح من أجل الوصول للقمر، بل لم يكن هدفه أكثر من تحقيق العدالة الاجتماعية والتمتع بالحقوق التي اعترف له بها الدستور. وما زالت الحقوق الأساسية للسود، تلك الحقوق التي تحدث عنها لينكولن وكندي، ما زالت موضع الرفض والازدراء، وما زال السود يعانون من الضغوط الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

وقد يتساءل الإنسان «لماذا كل هذا التمييز العنصري في الولايات المتحدة؟ ولماذا هو في الجنوب أكثر منه في الشمال؟ ولماذا هو موجود في أمريكا أكثر من كندا مثلاً؟ يوجد عدد كبير من السود في كندا. وقد ثبت أن الرجل الأبيض في ولاية المسيسيبي يحمل كرهاً أعمق تجاه الأمريكي الأسود من زميله الكندي.

لا ريب أن العامل الأساسي في وجود التمييز العنصري، وفي وجوده بمقادير أكبر في بلاد دون أخرى، يرجع للتربية وللنظام الاجتماعي الذي يقوي ويغذي العوامل الثقافية والنفسية المؤدية للتمييز العنصري. إنها طريقة للحياة ومواقف أخلاقية يتعلمها الطفل وينشأ عليها، تحت أنواع من الإغراءات والضغوط الاجتماعية.

لقد بلغت مشاعر التمييز العنصري لدى جنوب الولايات المتحدة درجة لم تقف في طريقها العوامل الدينية ولا الأخلاقية ولا الوطنية ولا علاقات القرابة في معظم الأحيان.

ولسنا هنا بصدد إصدار حكم شامل على جميع الأمريكيين في جنوب الولايات المتحدة بأنهم أشرار، ولا على سكان الشمال بأنهم أخيار. فهي مواقف وعواطف يبالغ فيها في منطقة، عندما يعتقد أنها تخدم مصالح مجموعة معينة. وتجدر الإشارة إلى أنه بجانب الجو الجماعي المتطرف الذي.. يحرض على احتقار الأمريكيين السود وسوء معاملتهم، قد توجد أحياناً عوامل نفسية فردية تدفع الأمريكي الأبيض للابتعاد أو الاحتراس من المواطن الأسود. وقد تحدثت مرة إلى أمريكي كان من البيض المحظوظين والمتقنين، فأبدى كثيراً من النضج وحرية التفكير في مواضيع عديدة ما عدا مسألة الفروق الموجودة بينه وبين الأمريكي الأسود.

منذ أن يبدأ الطفل في إدراك المحيط يوحى إليه باستمرار بأن النجاح يكمن في تقليد الرجل الأبيض الذي يعتبر مثلاً للحكمة وحسن التصرف. وكان المجتمع يوحى للواحد بأنه ذكي، والثالث بأنه أقل، وللآخر بأنه سيد، وتجري سموم الدعاية فتحطم قوى الإبداع الكامنة في طفل وتنعشها في طفل آخر. وهكذا يعاقب المجتمع طفلاً فيحكم عليه بعدم صلاحيته للحياة ويحن على طفل آخر فيؤهله للنجاح.

وتلعب الديانة دوراً مهماً في الحياة النفسية لدى السود الأمريكيين والواقع أن معظم الديانات توصي بالتوجه إلى خالق أعلى أو قوة سامية، بالتفكير في اليوم الآخر واتباع عدد من الوصايا والمبادئ التي تقود للسعادة.

فالديانة المسيحية تحرض على الإحسان وعمل البر وعلى العدل والتواضع ومحبة الجميع وكبت العواطف الضارة، وتعلم بأن المخلوقات

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

ضعيفة مجبولة على الخطأ، وتذكر الإنسان بذنبه وبالحساب والعقاب والجزاء.. إلخ.

وبما أن الأمريكيين السود ترعرعوا في جو حكم عليهم منذ البداية بأنهم أشرار مخطئون فإنهم يضطرون، حسب تعاليم الكنيسة للاعتراف بأخطائهم وذنوبهم لكي ينعموا بالبركة والغفران، ولكن مطالبة الكنيسة لهم بالاعتراف إنما يؤكد شعورهم بالإثم والخطأ الذي اتهمهم به المجتمع.

بالإضافة لذلك نجد أن الأخطاء التي يطالبون بالاعتراف بها هي من صنع الرجل الأبيض في أمريكا ووفقاً لتقاليده وثقافته وتمييزه العنصري. فالأمريكي الأسود يتهم بالسرقة والاعتداء والمشاغبة والقمار والسكر، وتكتسي هذه النشاطات صبغة خاصة لدى السلطات فيستغلونها «لتهدة السود» كما تكتسي أهمية خاصة لدى الكنيسة فتوجه طاقاتها لمحاربتها والتشنيع بها.

يمكن القول إذاً بأن نظام التمييز العنصري في أمريكا هو نتيجة شنيعة أساسية مرسومة، تؤمن بتفوق الأمريكي الأبيض وتهدف لخنق المواطن الأسود. لقد بلغ من اضطهاد السود في الولايات المتحدة أنهم أصبحوا يكرهون أنفسهم وأحياناً يظهرون بغير مظهرهم. أرهق الخوف والضغط بعضهم فتحولوا إلى انتهازيين يصفقون مع الأقوى ويهتفون للمنتصر.

14/12/1975

دور النفط ومستقبله



تشير الدلائل إلى أن سيطرة الشركات العالمية التي تحكم في صناعة النفط خلال القرن العشرين بدأت تتدهور بسرعة. فعندما كان النفط ومصادر أخرى للطاقة متوفرة وعندما كان الوعي القومي في البلاد المنتجة ضعيفاً كان في إمكان الشركات أن تفرض شروطها وتتحكم في الإنتاج والتجارة بل كانت شركات النفط الأجنبية تلعب دوراً حتى في سياسة البلاد المنتجة الداخلية فيعزلون من يخالف سياستهم وينتصرون لمن يسلك طريقهم.

أما اليوم وقد تزايدت وتضاعفت حاجات العالم للنفط وأصبح عدد البلدان التي تملك كميات وافرة من النفط للإيفاء بهذه الحاجات محدوداً فقد تحول الوضع من سيطرة المشتري والمنتج المتمثلة في الشركات الكبرى، إلى تولي الدول المعنية لزمam الأمر مما خلق لديها اهتماماً متزايداً بقضية النفط الذي ينبع من أراضيها. وهذا تحول كبير لصالح الدول المنتجة إذا عرفت كيف توجه سياستها وتستغل خيراتنا وتوحد موقفها تجاه الشركات الدولية. ومن البديهي أن صناعة البترول وتجارته منذ اكتشاف أول بئر قد اختلطت بمؤثرات استراتيجية وسياسية سعت بواسطتها الدول الكبرى إلى استغلال البلاد النامية، واستعملت الحيلة والمخادعة والمماطلة والقوة بغية الاستيلاء على مصادر النفط.

وما زالت منظمة الدول المصدرة للنفط التي تضم اثنتى عشرة دولة تطالب بالمزيد من حقوقها، وقد حققت هذه الدول تدريجياً مطالب شرعية لأنها تملك سلاحاً قوياً وبضاعة لا يمكن للغرب أن يستغني عنها في المستقبل القريب. والسؤال الآن هو متى سيتحول الوضع إلى صالح الدول المنتجة للنفط مائة بالمائة بحيث تصبح الشركات السبع الكبرى لا تمثل دور المنتجين المسيطرين بل مجرد زبائن للدول ذات النفط يتنافسون في شراء النفط مثلما تفعل شركات أخرى في الأسواق العالمية للقهوة والقطن والمطاط إلخ.. وبالرغم من أن شركات النفط الدولية ظلت تقوم لمدة طويلة بجميع العمليات المتعلقة بإنتاج النفط وتكريره وتسويقه فقد كانت دائماً تعتبر أن أكبر مصدر للربح هو الإنتاج وكلما طالبت الدول ذات الحق في النفط بحق المشاركة في الإنتاج أو برفع سعر النفط الخام أصيبت الشركات بصدمة قوية .

ومن الدول (دول الخليج العربي مثلاً) من حددت مطالبها الدنيا بملكية 20 بالمائة من حصة الإنتاج التي تجري في أراضيها، ولكنهم ينوون تصعيد الكمية تدريجياً إلى أن تصبح 51 بالمائة، وتجدر الإشارة إلى أن فنزويلا، وهي أكبر مصدر للنفط خارج منطقة الشرق الأوسط، تنوي تحديد كمية إنتاجها بما لا يتجاوز أربعة ملايين برميلاً يومياً من النفط وذلك بغية المحافظة على مخزون النفط لمدة أطول.

ونلاحظ أن دولاً أخرى مثل إيران والمملكة العربية السعودية تعمل على رفع مستوى الإنتاج في بلادها إلى عشرة ملايين برميلاً

يوميًا في عام 1980، ويزداد اعتماد الدول الغربية واليابان والولايات المتحدة على ما يستوردون من مصادر الطاقة وهذا يعني أن نشاط هذه الدول وصناعتها وأمنها وكثيرًا من وسائل الحياة فيها مرتبط مباشرة برغبة الدول المنتجة للنفط في تصدير الطاقة لها.

تقدر الإحصائيات الحديثة بأن الدول العربية أنتجت في عام 1970 حوالي 60 بالمائة من مجموع النفط الذي بيع في الأسواق العالمية؛ وبعد سبع سنوات ستصبح النسبة 70 بالمائة. ويقول الخبراء أنه سيصبح عندئذ بإمكان أي دولة عربية مثل الكويت، السعودية، ليبيا. أن تحدث أزمة عالمية بإيقاف تصدير النفط. وسيختلف الوضع في حوالي عام 1980 عنه اليوم بحيث تنشأ علاقة جديدة مهمة بين العرض والطلب في سوق النفط، وسيكون هناك مركزان متباينان تتمركز المصالح السياسية والاقتصادية بصفة أكثر جلاء في قسم من العالم وفي القسم الآخر نجد الدول المنتجة للبترول. وتشير جميع الدلائل إلى أن مركز هذه المنظمة سيصبح أقوى مما هو عليه اليوم.

ويتميز القسم الأول من هذا التمرکز بكونه يضم الدول المستهلكة للنفط والتي تجد نفسها مضطرة خلال الخمس عشر سنة التالية على الأقل لشراء نفط البلدان المنتجة. وتجدر الإشارة إلى أن الخبراء في الدول الغربية يعملون جاهدين على اختراع مصادر أخرى للطاقة تتوب عن النفط، ولكن هيهات أن يتم لهم ذلك. ولكن يحاولون أن يدفعوا الدول المنتجة للبترول أن تستعمل خيراتها للتصنيع والتطور خلال العشرين سنة القادمة فبعد ذلك من الممكن أن يكتشف العلماء مصادر أخرى للطاقة ومن الممكن أيضاً أن تنضب آبار النفط.

ومما لا جدال فيه أن دول الشرق الأوسط (بما في ذلك إيران) ستحصل على أموال ضخمة خلال الخمس عشر سنة القادمة وستصبح مركزاً مالياً مهماً في السوق المالية الدولية ويقدر بعض الخبراء أن المبالغ التي ستحصل عليها دول المنظمة بين 1973 - 1985 بحوالي ستمائة مليار دولار.

وتتجه العلاقات بين الدول المنتجة للنفط والشركات البترولية تدريجياً نحو فصل عمليات الإنتاج عن الشركات وجعلها تحت سلطة الدول المعنية ذات السيادة. ولا بد في النهاية أن يصبح النفط ملكاً للدول التي ينبع من أراضيها وأن يقضي على الدور الاستغلالي الذي حظيت به الشركات الكبرى.

وما زالت هذه الشركات تعمل على إدخال حكوماتها في كل نزاع ينشأ بينها وبين الدول المنتجة للنفط، وهي تهدف بذلك إلى استعمال أنواع من الضغط للمحافظة على امتيازاتها. وقد شرعت دول السوق الأوروبية في محاولات لتنسيق سياسة الطاقة بين الأعضاء، أما الولايات المتحدة فقد تقدمت باقتراح للتعاون مع كندا وفنزويلا وتحديد سياسة موحدة بخصوص مشاكل الطاقة في القارة الأمريكية.

19/08/1972

السياسة المالية والضغط الدبلوماسي



إن انسجام نظام النقد الدولي هو عامل مهم من عوامل الانسجام السياسي. وبينما نلاحظ تناقص إمكانية قيام صراع مسلح بين الدول الكبرى، فإن إمكانية الصراع في الميادين الاقتصادية والنقدية ما زالت قائمة، ومن هنا يبدو أنه بدون إدخال إصلاحات جذرية على النظام النقدي الحالي سيصبح من الصعب على الدول ذات العملات المختلفة أن تستمر في التعامل مع بعضها.

فبعد عدد من الأزمات بدأ نظام تبادل العملات المرتبطة بالدولار، وهو نظام المعدل الثابت، بدأ يتدهور مسبباً تهديداً للتجارة الدولية وجميع المعاملات بين الدول.

من الممكن مثلاً لدولة ما أن تبيع بضائعها بأسعار رخيصة، وتربح المنافسة في الأسواق العالمية إذا احتفظت بسعر منخفض لعملتها.

وقد بدأ المسؤولون في أمريكا يعترفون بأن الخطأ في النظام النقدي القديم هو أنه لا يتمتع بأية سلطة للضغط على الدول ذات الميزان التجاري الفائض لترفع قيمة تبادل عملاتها لأن هذا يجعل بضائعها أغلى ويسمح لدول أخرى بمنافستها في الأسواق العالمية.

وما زالت واشنطن تشتكي منذ عدة سنوات من العجز المستمر

في ميزانها التجاري، وتلقي اللوم على دول السوق الأوروبية المشتركة واليابان لأنهم نجحوا في منافساتهم لتجارة الولايات المتحدة ولأن ميزانهم التجاري يحقق كل سنة فائضاً كبيراً.

ولهذا اقترح وزير المالية الأمريكي في الأسبوع ما قبل الماضي بعض التدابير لحفظ تعادل ميزان المدفوعات بين الدول في المستقبل، من هذه التدابير القيام بتعديل أسعار العملات من حين لآخر بأن تخفض أسعار عملات الدول ذات العجز، وترفع أسعار عملات الدول التي حققت فائضاً في تجارتها الدولية. وبما أن تغيير أسعار أي عملة يؤثر على أسعار الصادرات والواردات والأموال المستثمرة والسياسة إلخ.. فإن هذه العملية تعيد التوازن في ميزان مدفوعات أي دولة.

وفي الواقع يجتاز النظام النقدي الدولي مرحلة انتقالية، انتهى فيها عهد النظام القديم ولم يولد بعد النظام الجديد، وتستمر المفاوضات بين أعضاء لجنة جديدة مكونة من عشرين دولة، إحدى عشر منها مصنعة وتسع دول نامية، وتسعى هذه اللجنة إلى وضع المبادئ الأساسية لتقديمها لاجتماع صندوق النقد الدولي في العام القادم.

وإذا تتبعنا سياسة الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية وجدنا أنها سعت دائماً لاستغلال المنظمات الدولية المختلفة لتحقيق مصالحها وتدعيم سياستها، وقد قال نيكسون في الخطاب الذي ألقاه أمام اجتماع صندوق النقد الدولي «إن المصلحة الأمريكية هي عامل أساسي في سياسة حكومته الاقتصادية والدولية» ولقد حاولت

واشنطن خلال السنوات القليلة الماضية أن تستغل نفوذها في مختلف منظمات التنمية الدولية ولكنها لم تحْصُلْ على نتائج مرضية كما يبدو من الأمثلة التالية:

- حاولت إدارة نيكسون أن تمنع البنك الدولي من تقديم قرض يبلغ ثلاثة وثمانين مليون دولار للهند في شهر مارس الماضي، وكان هدف القرض شراء ست ناقلات للنفط من اليابان، وعارضت واشنطن منح القرض للهند على أساس «المصلحة القومية» لأن شراء الناقلات يخلق منافسة لناقلات النفط الأمريكية ، غير أن مساعي الولايات المتحدة فشلت وقرر البنك الدولي أن يمنح القرض للهند .

- وفي شهر جوان الماضي عارضت واشنطن تقديم قرض للعراق بدعوى أنه لا يجوز للبنك الدولي أن يقدم هذا القرض في الوقت الذي تقوم فيه العراق بتأمين مصالح الدول الغربية، وحصلت العراق على القرض.

- وقد تقاعست أمريكا عن دفع حصتها في هيئة التنمية الدولية، التابعة للبنك الدولي، ولم تفعل ذلك إلا بعد مرور خمسة عشر شهراً عن تاريخ وجوب الدفع.

- وقد قررت واشنطن مؤخراً أن تعارض إعادة انتخاب السيد بول شفا مدير صندوق النقد الدولي لنفس المنصب وذلك لمخالفته لرأي جون كونالي وزير المالية السابق ولأنه نجح في إقناعه بتخفيض قيمة الدولار.

ولم يقف ضغط أمريكا عند هذه الحدود بل استعملت نفوذها المالي، والتهديد بقطع المساعدة أو تخفيضها للضغط على منظمات دولية أخرى مثل البنك الدولي للدول اللاتينية - الأمريكية إذ تسيطر على أربعين بالمائة من ميزانيته. ومنذ عدة أشهر اتهم الرئيس نيكسون في خطاب له السيد فالدهايم الأمين العام للأمم المتحدة بأنه «انخدع بدعايات فيتنام الشمالية» بعد ما كان الأمين العام قد صرح بأن الطائرات الأمريكية قد قبلت بالفعل سدود المياه في فيتنام الشمالية.

وقد حذرت الحكومة الأمريكية من أنها ستخفض مساهمتها المالية للأمم المتحدة وتخفض أيضاً من حصتها لبرنامج المساعدات الخارجية للتنمية، بعدما قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة بطرد ممثلي فرموزا وقبول ممثلي الصين الشعبية في العام الماضي.

وأخيراً يبدو أن واشنطن أنذرت مكنامارا بأنه سوف لا يحظى بتأييد بلاده للبقاء كرئيس للبنك الدولي إذا استمر البنك في تقديم مساعدات للدول مثل الهند والعراق والبيرو والشيلي ما دامت أمريكا غير راضية على سياساتهم.

09/10/72

هيئة الأمم المتحدة وقضية السلم والتعاون



يتمثل النظام العالمي المعاصر في عدد من التكتلات الكبرى وفي عدد آخر أكبر من الدول المتوسطة والصغيرة التي تتأهز المائة في تعدادها. كما يتمثل هذا النظام أيضاً في عدد من المنظمات والتكتلات السياسية والعسكرية والاقتصادية. وليس هناك من شيء مقدس يمنع انهيار هذا التنظيم أو تغيير اتجاهاته. فهناك الديناميكية الأوروبية حيث سنشهد في المستقبل بناء كتلة تضم أكثر بلدان القارة نشاطاً. ولم تشاهد أوروبا مثل هذا التكتل منذ عهد الإمبراطورية الرومانية. وهناك نشاط اليابان في أقصى القارة الآسيوية والمعجزات الاقتصادية التي حققها. ومن جهة أخرى نشاهد أن سيطرة العملاق الأمريكي والمعجزات الاقتصادية التي حققها. ومن جهة أخرى نشاهد أن سيطرة العملاق الأمريكي وقبضته على عدد من الدول قد بدأت تضعف وتتهار، تماماً مثل ما حدث للإمبراطورية الرومانية التي بعد أن بلغت أوجها، بدأت تدب إليها الشيخوخة والانحلال والفوضى والاضمحلال.

ومن الممكن أيضاً أن تظهر تكتلات جديدة وأحلاف ووحدات تختلف في سياساتها واتجاهاتها وأهدافها عن الأحلاف الموجودة.

ويجدر هنا أن نتساءل عما إذا كان بإمكان قارات ومناطق أخرى في العالم أن تحذو حذو أوروبا الغربية وتقلد نموذجها في تكوين وحدة اقتصادية ديناميكية قد تؤدي إلى نوع من الوحدة السياسية؟

فهل ستتأثر دول أوروبا الشرقية بالسوق الأوروبية المشتركة؟

وهل ستتجح مناطق أخرى في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا في إنشاء تكتلات اقتصادية أو سياسية؟ أم هل سيوجه الاهتمام إلى تقوية المنظمات الدولية الإقليمية منها والعالمية؟

إن تاريخ السنوات القليلة الماضية لا يشجع كثيراً فنحن إذا تتبعنا نشاط بعض المنظمات الدولية في العالم الثالث، مثل منظمة الوحدة الإفريقية ومنظمة الدول الأمريكية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة ومنظمة الجامعة العربية وبعض المنظمات الدولية في آسيا نجد أن نجاحها كان محدوداً لأنها لم تستطع أن تصهر مصالح مختلف الدول الأعضاء وتوجه نشاطها في مجالات التعاون المثمر. فقد تصدعت الجبهة الإفريقية التي كانت تواجه مشكلة التمييز العنصري وحكم جنوب أفريقيا بصوت واحد، كما تصدعت الجبهة العربية حتى في مواجهة الخطر الصهيوني فأصبح بعض الحكام يسعون لإيجاد حلول انفرادية.

ومن الواضح أنه ليس من السهل تكوين اتحادات وتكتلات ومجموعات إقليمية لأن ذلك يتضمن تخلي الدول الأعضاء عن جزء من سيادتها وتضحياتها بجزء من حريتها في التصرف ففي مثال السوق الأوروبية نجد أن الدول الأعضاء قد تخلت فعلاً عن بعض مفاهيم السيادة المطلقة وأصبحت تلتزم بقرارات وسياسة المجموعة الاقتصادية.

وما من شك في أن أهم المنظمات العالمية هي هيئة الأمم المتحدة وما تشتمل عليه من وكالات ولجان وجمعيات مثل منظمة اليونسكو،

————— بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —————

ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة الصحة، ومنظمة التغذية والزراعة، ولجنة التجارة والتنمية، ولجنة نزع السلاح، ومنظمتي البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي. ومن أهم الهيئات مجلس الأمن والجمعية العامة ومجلس الشؤون الاجتماعية والاقتصادية.

ومن المؤسف أننا نجد أن أكثر الدول اختراقاً لميثاق الأمم المتحدة هي الدول التي لعبت دوراً كبيراً في إنشائها أعني الدول الغربية.

ينص الميثاق مثلاً على تسوية النزاع بالوسائل السلمية، واحترام وحدة تراب كل دولة، ويدعو الأعضاء إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية والامتناع عن استعمال التهديد والقوة ... إلخ.

إن أكبر تهديد لقضيتي السلام والأمن الدوليين ولمفاهيم العدالة والمساواة والتعاون بين الشعوب خلال ربع القرن الماضي إنما جاء نتيجة لتصرفات الدول الكبرى التي فشلت في تسوية خلافاتها بالطرق السلمية، فعمدت إلى استعمال القوة وجعلت من العالم مسرحاً لعملياتها البوليسية، ومن هذا القبيل التدخل الأمريكي في كوريا، ولبنان، وحربها العدوانية في فيتنام، ومحاصرتها لكوبا، ومن ذلك أيضاً العدوان الثلاثي على مصر في عام 1956.

ولا يمكننا أن نعتبر الأمم المتحدة مسؤولة على مثل هذه الاعتداءات أو غيرها من التوترات التي سادت النظام السياسي الدولي خلال ربع القرن الماضي، إن المنظمة الدولية إنما تستمد قوتها من الثقة التي يضعها فيها الأعضاء، فإذا كانت الدول الكبيرة تحتفظ

لنفسها بحق التصرف لحل المشاكل الدولية حسبما تمليه مصالحها،
فما ذنب المنظمة وما مسؤولية الدول الصغيرة التي لا تملك إلا شيئاً
من الضغط المعنوي قد لا يتعدى مجال الاستنكار.

إذاً لا بد لتقوية هيئة الأمم المتحدة من ثقة الدول جميعاً وخاصة
الدول الخمس الكبرى التي هي أعضاء دائمة في مجلس الأمن، ولا بد
من السعي لحل الأزمات الدولية ضمن نطاق المنظمة لا خارجه، ولا بد
من استعمال أجهزة المنظمة لإحلال التفاهم والسلام في المناطق
المضطربة بدلاً من اللجوء إلى التهديد واستعمال القوة وفرض الحلول
بالحرب.

فدول العالم اليوم أمام أمرين إما أن تتبع في معاملاتها الطريقة
الكلاسيكية، طريقة التنافس والصراع واستغلال القوي للضعيف، أو أن
تستخدم الأمم المتحدة كحاجز بينها يلطف من المنافسات ويخفف من
حدة أنانيات الدول وتطاحنهما وذلك بأن تلعب المنظمة دور الوسيط
أحياناً ودور الحكم النزيه تارة أخرى.

وكثيراً ما دعا الكتاب الدول الكبرى إلى استخدام الوكالات
المختلفة للأمم المتحدة في تقديم مساعداتهم لدول العالم الثالث لأن
هذا يجنب الطرفين المساعد والمساعد كثيراً من مشاكل الاحتكاك
المباشر.

وليس من المعقول في منطق السياسة والسيادة أيضاً أن يطلب
من أية دولة أن تضع جميع مشاكلها في حجر الأمم المتحدة وخاصة

فيما يخص الدول الكبرى. ولكن ليس من المقبول أيضاً ألا تلجأ هذه الدول للمنظمة إلا عندما تفشل في جميع المحاولات وعندما يحدق بها الخطر. إن المشكلة الرئيسية هي حفظ الأمن والسلام العالميين ولقد وضع ميثاق الأمم المتحدة هذه المسؤولية في مجلس الأمن، ولا شك أن الالتجاء إلى الجمعية العامة ممكن عندما يصبح مجلس الأمن عاجزاً عن العمل بسبب الفيتو، غير أن صلاحيات ومسؤولية الجمعية العامة محدودة فيما يتعلق بقضية الأمن الدولي وحفظ السلام لأن صلاحياتها لا تتعدى مجال التوصية.

ومن المعلوم أن حق الفيتو هو سلاح تتمتع به كل الدول الخمس الكبيرة تستعمله للقضاء على المشاريع التي لا ترضى بها، وهكذا فقد استعملت الولايات المتحدة حق الفيتو لمعارضة كثير من المشاريع التي لم ترض بها إسرائيل. ولا يمكن إلغاء الفيتو لأن الدول الكبيرة إنما قبلت الانضمام إلى الأمم المتحدة على هذا الأساس. ويبدو لكثير من الكتاب أن حق الفيتو يمثل الحقائق الواقعية إذ أنه لا يمكن إجبار دولة كبيرة على قبول شيء بالقوة، فإذا كانت هذه الدولة تتمتع بقوة مماثلة كان ذلك معناه الحرب والدمار .

وقد بدأت بعض الدول القوية تتساءل عن حكمة تحديد عدد الدول التي تتمتع بحق الفيتو وحصره في الدول الخمس المعروفة، اليابان مثلاً تعتقد أنها جديرة بالانضمام إلى النادي لأنها تمثل قوة تفوق في بعض المجالات قوة فرنسا أو بريطانيا، ولكن المشكلة هي أنه لو التحق عضو جديد بهذا النادي (نادي الفيتو) لطالبت دول أخرى

مثل ألمانيا والهند وإيطاليا بالانضمام أيضاً. وبما أن ميثاق الأمم المتحدة حصر حق الفيتو في الدول الخمس فإنه لا يمكن إضافة دولة أخرى إلا بإعادة كتابة الميثاق وهذا ليس بالأمر السهل لأنه يتطلب تصويت الثلثين وموافقة الدول الخمس الكبيرة بأجمعها.

وهناك مشاكل أخرى تتعرض لها هيئة الأمم المتحدة منها عدم تمتع بعض المؤسسات المهمة مثل المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبنك الدولي ومؤسسة التنمية - بالسلطة الكافية لتنسيق وتوسيع العلاقات الاقتصادية بين الدول المصنعة والنامية، ومنها العجز المالي المزمّن الذي لا يتجاوز المائتي مليون دولار .

وقلت لا يتجاوز المائتي مليون دولار لأن هذا المبلغ وإن كان مهماً بالنسبة للمنظمة الدولية فهو مبلغ زهيد بالنسبة لعدد الأعضاء وخاصة للدول الكبيرة أنه يعادل المبلغ التي تصرفه الولايات المتحدة يومياً في فيتنام لتقتيل الأبرياء، وتدمير المنازل بل إن إدارة المطافئ في مدينة نيويورك تكلف أكثر من مائتي مليون دولار سنوياً.

والواقع أن الشيء الذي يمنع بعض الدول الكبرى من مساعدة المنظمة الدولية هو أنهم لم يصبحوا قادرين على استغلالها لتحقيق أهدافهم ومصالحهم؛ لقد كانت الولايات المتحدة مثلاً تدفع بسخاء عندما كانت تتمتع بأغلبية الأصوات لقد كانت في الخمسينات مثلاً تحقق كثيراً من مطامحها السياسية بواسطة المنظمة أما اليوم وقد ازداد عدد الدول المتحررة وأصبح من الصعب على واشنطن أن تسيطر على الأمم المتحدة، فقد أبدت عزمها على تخفيض حصة مشاركتها

————— بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —————

المالية السنوية من واحد وثلاثين بالمائة من ميزانية المنظمة إلى خمسة وعشرين بالمائة.

لقد قيل بأن السياسة هي محاولة حمل الناس على أن يفكروا
مثلك ويعملوا ما يرضيك، وهذا هو لسان حال بعض الدول الكبيرة
التي ما زالت تسعى سواء بواسطة الأمم المتحدة أو غيرها من
المنظمات الدولية إلى فرض إرادتها بالمناورات السياسية والطرق
الملتوية على الدول النامية دول العالم الثالث والدول الصغيرة.

25/10/1972

الولايات المتحدة والمجموعة الاقتصادية الأوروبية



ما زالت منذ القديم فكرة توحيد أوروبا تراود الملوك والزعماء، وقد استعملوا القوة تارة والشعارات الدينية حيناً، والأمجاد الإمبراطورية طوراً، وكان آخر من حاول توحيد أوروبا بالقوة هو هتلر.

وبعد الحرب العالمية الثانية انقسمت أوروبا إلى شرقية وغربية، شيوعية ورأسمالية، انقساماً أيديولوجياً، وساد الاعتقاد آنئذ في الولايات المتحدة بأن الطريقة الوحيدة لمنع أوروبا الغربية من الوقوع تحت السيطرة الشيوعية هو أن تتدخل واشنطن وتساعد على بناء «أوروبا قوية اقتصادياً».

وكان رأي الأمريكيان أيضاً أن القوميات المختلفة في أوروبا: القومية الفرنسية، والإيطالية، والألمانية خاصة، قد أفلست وأن مقاومتها لنفوذ الأحزاب الشيوعية المتزايد قد ضعف، ولذلك اعتقدت الولايات المتحدة أن إنعاش فكرة الوحدة الأوروبية، ولو تحت شعارات مختلفة قد تخلق يقظة وحماساً عاطفياً في نفوس الأوروبيين.

ولكي تتجنب أمريكا إثارة مختلف القوميات ضد محاولاتها لتوحيد الجهود الأوروبية ضد «الخطر الشيوعي» عملت على تقديم

بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —

مساعيها في إطار بناء أوروبا الغربية اقتصادياً وإنشاء منظمات بين دولها لزيادة الإنتاج والاستهلاك وتنشيط التبادل والتنمية.

وهكذا بينما فشل أولئك الذين حاولوا توحيد أوروبا بالقوة، ساد الأمل بعد الحرب العالمية الثانية، بأن الاستراتيجية الجديدة المبنية على المصالح الاقتصادية، قد تأتي بنتيجة إيجابية.

وقد أصبح من الواضح اليوم أن أوروبا الغربية قد تقدمت تقدماً محسوساً وسريعاً، بل يذهب بعض الزعماء الأمريكيين إلى القول بأن نجاح أوروبا الاقتصادي تجاوز ما كان يتوقع، وأصبح يشكل خطراً على المصالح الأمريكية.

ولا بد من الإشارة أولاً إلى أن موقف المسؤولين الأمريكيين تجاه المجموعة الاقتصادية الأوروبية غير موحد، فمنهم من يعتبر السوق الأوروبية المشتركة الأسمت الذي يوحد ويقوى صفوف الدول الغربية ضد التأثير الشيوعي، ومنهم من يركز على التنافس بين المصالح الاقتصادية والتجارية الأمريكية، وبين السوق الأوروبية.

فهؤلاء ينظرون إلى كون المجموعة الاقتصادية الأوروبية تزيد من تركيز قوتها بواسطة توحيد الرسوم الجمركية، وتوسيع شبكات أنظمتها التجارية الخاصة مع دول أفريقية وآسيوية وأوروبية، فهذه القوة التجارية الجبارة لابد أن يكون لها تأثير على مركز أمريكا في ميدان التجارة الدولية.

ومن جهة أخرى فإن السياسة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفياتي والدول الشرقية، قد أثرت على الوضع في أوروبا الغربية، فمحاولات

نيكسون لخلق جو من التعاون مع موسكو وبكين، والتخفيف من الحرب الباردة، غيرت من نظرة الدول الغربية إلى قضية «التهديد الشيوعي» والضمان العسكري الأمريكي ضد هذا التهديد المزعوم، ومعنى هذا أنهم في علاقاتهم ومعاملاتهم مع الدول الشرقية، أصبحوا هم الآخرون، يركزون على المصالح الاقتصادية والتجارية، مع ما يصاحب ذلك من التقارب السياسي.

إذن تناقص في نظر الغرب تهديد الخطر الشيوعي، وتلاه تناقص في اهتمام الدول الغربية بالضمانات العسكرية الأمريكية، وكانت نتيجة ذلك محاولات لتحسين العلاقات بين الشرق والغرب من جهة، وكذلك ظهرت بوادر منافسات بين الدول الغربية في مجالات استغلال الأسواق الجديدة.

ويجدر بنا الآن أن نجري مقارنة سريعة بين كتلة المجموعة الاقتصادية الأوروبية، بعد انضمام بريطانيا والدانمارك، وأيرلندا، وبين الولايات المتحدة من الناحية الاقتصادية.

إن المجموعة الأوروبية الاقتصادية قوة تساوي، وفي بعض الأحيان تتجاوز، قوة الولايات المتحدة، فعدد سكان الأولى 254 مليون، والثانية 205 مليون نسمة، وبلغ الإنتاج القومي للمجموعة في عام 1971 - 695 مليار دولار، بينما بلغ الإنتاج القومي لأمريكا في نفس السنة ألف وخمسين مليار دولار، أما في المجال التجاري فقد بلغت حصة السوق الأوروبية المشتركة من الصادرات العالمية 28%، وحصة أمريكا 17%، وكانت حصة الأولى من الواردات العالمية 24% وحصة الثانية 16.5%.

ومن ناحية أخرى نجد أن الولايات المتحدة تتمتع بمركز أغنى فيما يتعلق بالموارد الطبيعية، فمساحتها تغطي ثلاث ملايين وأربعة وخمسين ألف ميل مربع. وزيادة على هذا فإن الأراضي الأمريكية (أربعة أضعاف) أغنى من أراضي المجموعة الأوروبية في مصادر الطاقة الأساسية من نفط وفحم وغاز وكهرباء، ولكن كلاهما يخشى وقوع أزمة طاقة في بلاده، مما سيخلق نوعاً من التنافس بينهما على مصادر الطاقة في العالم، وما زالت أمريكا تتمتع بقصب السبق في ميادين أخرى مثل الأقمار الصناعية والأدمغة الإلكترونية وإنتاج الطائرات.

ستشكل مجموعة الدول الأوروبية منطقة للتجارة الحرة، تضم ستة عشر دولة هي الدول التسع الأعضاء في السوق الأوروبية، والدول السبع التي كانت أعضاء في المنظمة الأوروبية للتجارة الحرة. وإذا أمكن القول بأن الدول تتنافس مثلما تنافس الفرق الرياضية، فإن أمريكا ستجد اقتصاداً قوياً في السوق الأوروبية وخاصة في شكلها الجديد.

وتشير الإحصائيات إلى أن أوروبا الغربية (باستثناء بريطانيا) تتقدم بسرعة كبيرة وأنها تتمتع بزائد في تجارتها الخارجية، بينما ما زالت أمريكا تعاني عجزاً كبيراً في ميزانيتها، صحيح أن سعر الدولار المرتفع لعب دوراً كبيراً في تكوين هذا العجز، وقد ظلت الدولارات تصدر عبر المحيط بكميات كبيرة إلى أن قام نيكسون باتخاذ إجراءات مالية مشددة تجاه الدول الأوروبية.

كما بدأت واشنطن تتنقد السياسة الزراعية لدول السوق

المشتركة، وتلوم المسؤولين عن هذه السياسة «لتحاملهم» ضد المنتجات الزراعية الأمريكية، غير أن الدول الأوروبية بدورها تشكو من التمييز الذي تفرضه أمريكا ضد بعض صادراتها مثل منتجات الألبان والسكر واللحوم، كما تتذمر من الرسوم الجمركية التي تفرضها واشنطن على المواد الكيماوية التي تصدرها أوروبا والمواد الأخرى مثل القماش والأحذية والصلب وغير ذلك. وتخشى إدارة نيكسون من سعي دول السوق المشتركة إلى بسط نفوذها التجاري على مساحات واسعة خارج منطقة الدول التسع مثل منطقة التجارة الحرة والتي يزمع تكوينها والتي ستضم ستة عشر دولة، ومن المعلوم أن سبع دول أوروبية لم ترغب في الانضمام التام إلى السوق المشتركة، ما زالت تفضل الالتحاق بالمجموعة من الناحية الاقتصادية فقط، لا السياسية، فهذه الدول السبع ستضم إلى دول السوق المشتركة التسع لتكوين منطقة التجارة الحرة.

فإذا أضفنا إلى هذا مختلف الاتفاقيات التجارية التي عقدتها دول السوق المشتركة مع عدد من دول البحر المتوسط وأفريقيا والشرق الأوسط ندرك ما تعني إدارة نيكسون من اتهامها مجموعة السوق بتوسيع نفوذها.

ولكن كثيراً من المسؤولين، ينظرون إلى هذه المناوشات المالية والتجارية بين أمريكا وأوروبا بأنها سطحية، ويفضلون أن يتحدثوا عن أوروبا وأمريكا كمجموعتين تتمم الواحدة الأخرى، وهما فعلاً تتمتعان بتقاليد سياسية مشابهة ولهما حضارة متقاربة، وما زالت الأفكار الثقافية، والاجتماعية والعلمية والسياسية تربطهما في ميادين واسعة،

وقد تكون كل هذه العلاقات أهم وأدوم في المستقبل من التبادل التجاري وما قد يصاحبه من تنافس.

ويقول هؤلاء المسؤولون أن أوروبا تتوسع وتنمو ولكن ذلك سيجعلها سوقاً أكبر للمنتجات الأمريكية وأنه قد ثبت أن ضعف أوروبا وانهازمها ليس في مصلحة أمريكا، وفعلاً فقد استوردت السوق الأوروبية المشتركة في عام 1971، مبلغاً قدره أحد عشر ملياراً ومائتي مليون دولار من مجموع الصادرات الأمريكية، وهذا يمثل 25% من تجارة أمريكا الخارجية، كما أن الولايات المتحدة استوردت عشرة ملايين ونصف مليون دولار (23%) من مجموع الواردات الأمريكية.

والخلاصة هي أنه لا يجوز أن نتجاهل المشاكل المعلقة بين أوروبا الغربية وأمريكا، وقد خلقت هذه المشاكل والخلافات جواً من التنافر، وشجعت كثيراً من الأوروبيين على أن يطالبوا حكوماتهم بطرد النفوذ الأمريكي والقضاء على سيطرتهم في أوروبا.

ومن هذه المشاكل الحدود الجمركية، الحماية الزراعية، الإخلال بالسوق العالمية، الخلاف حول نظام النقد الدولي، حول دور الدولار في هذا النظام، الخلاف حول مصير المبالغ الضخمة من الدولارات الموجودة في بنوك الدول الأوروبية، رغبة الأوروبيين في تحديد تدفق رؤوس الأموال الأمريكية، ورغبتهم أيضاً في جعل قيمة تبادل العملات ثابتة بينما تفضل واشنطن أن تبقى متأرجحة كل ذلك مصحوب بتبادل ملحوظ في ظروف العلاقات الدولية، وانخفاض أهمية الأحلاف العسكرية ومنها الحلف الأطلسي، بسبب الانفراج في أوروبا، ولا يخفى

تزايد الشعور في أوروبا ضد الغزو الأمريكي للصناعة هناك وعدم رضى كثير من الدول على السياسة الأمريكية في فيتنام، كما نلاحظ على الطرف الثاني من الأطلسي، شعور بعض الأمريكان بخيبة الأمل من رد فعل أوروبا الغربية، وهم يقولون إن دول أوروبا الغربية تقطع اليد التي أطعمتها بعد الحرب العالمية الثانية ويشيرون إلى أن أمريكا تحملت وما زالت تتحمل تكاليف الدفاع عن أوروبا منذ الحرب.

وهذا ما يجعل السنوات القادمة مهمة بالنسبة لمستقبل العلاقات بين أمريكا وأوروبا الغربية، ويصح القول أنه في المستقبل القريب على الأقل لا يمكن لأوروبا الغربية أن تستغني بصفة نهائية على الضمانات العسكرية الأمريكية وأن أمريكا من جهتها ليست في طريق الانحدار نحو سياسة انعزالية.

23/01/73

أضواء على نظام النقد الدولي



خلقت الأزمة التي هزت النظام الدولي في شهر أوت الماضي مهمتين أساسيتين، وطرحتهما على مجال المفاوضات الدولية. تتعلق المهمة الأولى بضرورة إعادة ترتيب الأسعار بين الدولار والعملات الهامة الأخرى في أقرب وقت ممكن، وقد نوقشت هذه المشكلة، ودرست في عدة اجتماعات مثل اجتماع صندوق النقد الدولي، الذي عقد بواشنطن في شهر سبتمبر الماضي.

وبعد تحديد أسعار جديدة لبعض العملات الهامة وتخفيض الدولار، بقي على الدول الغربية أن تقوم بالمهمة الثانية التي هي إعادة النظر في النظام المالي الدولي القائم الذي تزعزعت أركانه بعد أزمة أوت الماضي. ولا شك أن هذه المهمة تحتاج إلى مزيد من الدرس والوقت والمفاوضات.

وتوافق معظم الدول على إجراءات أساسية كمرحلة ضرورية لإنشاء نظام مالي سليم منها أن يكون نظام أسعار تحويل أو شراء العملات أكثر مطاوعة، وأن يمنع تنقل مقادير كبيرة من رؤوس الأموال التي تجوب أطراف العالم من دولة لأخرى باحثة عن الاستثمار القصير المدى، ومن هذه الإجراءات أيضاً أن يوضع حد للدور الذي يلعبه الدولار كعملة ادخار أو الحد من هذا الدور على الأقل.

والواقع أن الدولار إنما أعطي هذه الميزة عندما كان قويًا مسيطرًا، فقد أصبح اقتصاد الولايات المتحدة مسيطرًا على العالم بعد الحرب العالمية الثانية وكانت بقية دول العالم في حاجة إلى بناء اقتصادها وصناعاتها، وبما أن المصدر الوحيد الفعال للتمويل كان يوجد في الولايات المتحدة فقد رحبت الدول الأخرى بالدولار الذي كان آنئذ يفضل على الذهب نفسه في كثير من الحالات.

لعب الدولار ثلاثة أدوار رئيسية في النظام المالي الدولي:

- دور العملة الرئيسية للمعاملات الدولية في مجال التبادل التجاري والمالي.
- كوسيلة للادخار لدى الدول.
- كواسطة تستعملها البنوك المركزية لجلب الاستقرار لعملاتها في أسواق التبادل المالية.

ومن المعروف أن الدولار كان، حتى أوت الماضي، العملة الوحيدة القابلة للاستبدال بالذهب، وقد أعطى هذا الوضع للدولار منذ تأسيس صندوق النقد الدولي، وأصبحت قيمة العملات الأخرى تقوم إما بالدولار أو بالذهب، ومعنى هذا أنه وإن كان الدولار نفسه يقوم بالذهب فإن العملات الأخرى بقيت مرتبطة به. وبموجب قوانين صندوق النقد الدولي الحالية لا يسمح لأسعار العملات أن تتغير إلا في حدود بسيطة. والسؤال الآن هو هل يتوقع، بعد الأزمة النقدية، هل يتوقع من الدول الأعضاء في منظمة صندوق النقد أن تحافظ على أسعار تحويل عملاتها في الحدود المعيّنة؟

والواقع أن البنوك المركزية ما زالت تلجأ لبيع أو شراء عملاتها من الخارج لكي تحافظ على توازن العرض والطلب الدوليين على عملاتها، ومن ثم المحافظة على أسعارها في الحدود المعينة من طرف الصندوق الدولي. وهذه هي الكيفية التي يحدد بها ما يسمى بالعجز أو الزيادة في الميزانية. فإذا وجدت دولة مثلاً نفسها مضطرة لشراء عملتها باستمرار بغية المحافظة على السعر، فهي لا شك تخسر كميات كبيرة من الدولار الذي يستعمل في عملية الشراء وبذلك تصبح في عجز، كما أن الدولة التي تباع باستمرار عملتها للخارج للمحافظة على السعر، تقبض مزيداً من الدولارات في العملية وتصبح تتمتع بفائض.

وينصح الاقتصاديون عادة الدولة ذات العجز بأن تخفض من نشاطها الاقتصادي المحلي كوسيلة لإصلاح الوضع، غير أن الحكومات تعرض عن اتخاذ إجراءات من شأنها أن تخلق مزيداً من البطالة، في سبيل إنقاذ سعر العملة، ونلاحظ من مشاهدة الوقائع في بعض الدول الغربية أن الحكومات تظل تماطل باتخاذ قرارات حازمة بتخفيض قيمة العملة لإنقاذ الميزانية من العجز لأن ذلك التخفيض يعني الاعتراف بغلطات اقتصادية أو سياسية سابقة، كما أن له تأثيراً على سمعة الحكومة المعنية. إن تخفيض سعر العملة يؤدي إلى رفع أسعار البضائع المستوردة، ولذلك تلجأ الدول ذات العجز إلى الاستقراض من صندوق النقد الدولي وتفضل تأجيل تخفيض عملتها إلى أن تضطرها الظروف لذلك.

وهذا ما حدث لبريطانيا التي ظلت تؤجل عملية التخفيض من

سنة 1964 إلى 1967، وكل ما نالتة خلال فترة المماطلة، هو رُكودُ اقتصادها وازدياد مبالغ الديون الخارجية.

أما الدولة التي تتمتع بفائض في ميزانيتها فهي التي لديها مبالغ من العملات أو الذهب أكثر مما تحتاج إليه. وهذه الحالة قد تؤدي إلى عدم تشجيع الاستيراد وإلى التضخم، كما تنشط التصدير وتؤثر بصفة عامة على الاقتصاد الدولي لأن تراكم المبالغ الكبيرة في ميزانية دولة أو عدد من الدول بصفة مستمرة يؤدي إلى عجز في ميزانيات دول أخرى.

ويلاحظ أن الدول ذات الفائض تتردد في معالجة الوضع برفع قيمة عملتها إلى أن تصبح بنوكها ممتلئة بالعملات الأجنبية كما حدث في ألمانيا في خريف 1969، وسبب هذا التردد واضح أولاً لأن تجار الدولة ذات الفائض لا يرغبون في رفع أسعار البضائع التي يصدرونها لأنهم عندئذ لا يتمتعون بقدرتهم على المنافسة في الأسواق الدولية، وثانياً فقد جرت العادة أن تعتبر الدولة التي تتمتع بالفائض أيضاً باقتصاد قوي سليم.

أما دور صندوق النقد الدولي في هذا المجال فهو لا يكاد يذكر. بل إنه يتخذ إجراءات ضد الدول ذات العملات الضعيفة التي تلجأ للاقتراض منه بغية تقوية عملتها فيفرض عليها الصندوق شروطاً كلما طلبت الدولة مزيداً من القروض. وهذا ما يحدث عادة للدول النامية التي لا تلعب عملتها دوراً كبيراً في المجال الاقتصادي العالمي.

ويعتقد الخبراء الماليون بأن النظام المالي الدولي الحالي سيصبح أقوى إذا سمح لسعر العملات الهامة أن يصبح أكثر مطاوعة وأقل صلابة، بل إن بعضهم يدعو إلى اتخاذ نظام «الأسعار السابحة» للعملات المختلفة. عندئذ يتكون سعر أية عملة نتيجة للعرض والطلب في السوق وهذا يؤدي إلى القضاء على مشكلة العجز والفائض في ميزانية أية دولة. فالسوق هنا هي التي تحافظ على التوازن. وهذا الإجراء، في رأي هؤلاء الخبراء، يجعل كل دولة حرة في إدارة سياستها الاقتصادية دون الاهتمام بتوازن نسب أسعار العملات إذ أن حركة الأسعار توازن نفسها وتحافظ على توازنها ضد كل اختلال. ويؤدي من جهة أخرى إلى جعل قضية الادخار أكثر بساطة وسهولة سواء كانت بواسطة الدولار أو الذهب أو الجنيهات..

غير أن رجال البنوك والأعمال يعارضون فكرة «الأسعار السابحة» للعملات بحجة أنها تعرقل حركة التبادل التجاري الدولي ولأنهم في حاجة إلى أسعار ثابتة لتحقيق الاستثمار وتنمية التجارة.

ومن الواضح أن الدول لا ترضى أن تتخلى عن سلطتها على أسعار عملتها، تاركة ذلك لحركة العرض والطلب، لأن التفاوت المتباين بين أسعار العملات المختلفة يمكن أن يتسبب في نتائج وخيمة على الصناعة واليد العاملة والدخل والأسعار إلخ.. وبذلك تواصل البنوك المركزية للدول المختلفة تدخلها في أسواق العملات لمنع أسعارها من الانخفاض أو الصعود المضّر.

ونظراً لاختلاف الظروف الاقتصادية من دولة لأخرى فإن نظام

الصندوق الدولي يسمح لأية عملة أن تصعد أو تنخفض بنسبة واحد بالمائة من سعرها. ومعنى هذا أن سعر أية عملة يمكن أن يصعد أو ينخفض بنسبة واحد بالمائة قبل أن تتدخل البنوك المركزية وقبل أن يصل السعر أو يتجاوز أحد الطرفين.

فإذا وصل سعر العملة الحد الأدنى (ناقص 1%) يكون من واجب البنك أن يشتري العملة بالدولار لمنع تدهور السعر. ومن جهة أخرى قد يظهر للبنك المركزي بيع العملة مقابل الدولار لمنع سعرها من تجاوز الحد الأعلى (زائد 1%)، وهذا يعني أن سعر العملة قد يواصل التصاعد في المستقبل كما حدث في ألمانيا.

وحتى تاريخ حدوث الأزمة النقدية بأوت 1971 فقد ظلت العملات تجول (تسبح) حول نسبة 3/4% (ثلاثة أرباع) من واحد بالمائة من سعر التحويل. أما الآن فقد أصبح كثير من الخبراء يقترح السماح لعملات بأن تنزل أو تصعد أسعارها بنسبة ثلاثة بالمائة في كل من الاتجاهين مما يجعل مجموع المجال المرخص ستة بالمائة. بدلاً من اثنين بالمائة المعمول به حتى الآن.

والمقصود من هذا الاقتراح هو جعل البنوك المركزية أقل تعرضاً من ذي قبل للضغط، إذ أن تدخلها للدفاع عن العملة، يصبح غير مقيد بنسبة ضعيفة أعني واحداً بالمائة في كلا الاتجاهين.

وبالإضافة لذلك فإن توسيع المجال إلى ستة بالمائة يساعد على حل مشكلة أخرى مهمة تتعلق بقضية تنقل رؤوس الأموال من دولة

لأخرى بغية الاستفادة من تغير أسعار العملات، إن السماح للأسعار بالتغير بنسبة ثلاثة بالمائة في الاتجاهين دون تدخل البنوك يحدُّ فعلاً من نشاط رؤوس الأموال في المجال المذكور.

لقد أصبحت بعض الدول ذات الاقتصاد الحر تميل إلى مراقبة حركة رأس المال بطرق أخرى، وتعد فرنسا واليابان من الدول الراغبة في زيادة المراقبة بينما نجد أمريكا وكندا وألمانيا من بين تلك التي تتمسك بأدنى حد من المراقبة في هذا الميدان. أما الأموال التي تستعمل للاستثمار الطويل الأمد، فيترك لها عادة المجال والحرية بعكس ما يحدث مع رؤوس الأموال التي تهتم بالأمد القصير.

وبالإضافة إلى ما ذكر من توسيع مجال حركة أسعار العملات وجعلها أكثر مطاوعة، ومراقبة تنقل رؤوس الأموال للفتترات القصيرة فإن إعادة تنظيم النظام المالي الدولي يهدف إلى إضعاف الدور الذي يلعبه الدولار. والسؤال هو: ما الذي يحل محل الدولار؟ لقد كثر الكلام على ما يدعى «بحقوق السحب الخاصة» التي أنشأها صندوق النقد الدولي في عام 1970، كعملة دولية للادخار، وازداد الاهتمام بهذه الفكرة بعد أوت 1971. فمن الواضح أنه للتقليل من دور الدولار لابد من إيجاد وسيلة أخرى تحل محله. ونلاحظ أن فرنسا نفسها التي طالما عارضت وماطلت فكرة «حقوق السحب الخاصة» بدأت الآن توليها مزيداً من الاهتمام. وحقوق السحب هذه ليست عملة بالمعنى العادي بل هي مجرد أرقام تدوّن في سجلات أو دفاتر صندوق النقد أو البنوك المركزية.

وبالرغم من أن الدولار هو القاسم المشترك بين العملات في النظام الحالي، وبالرغم من أهمية «حقوق السحب الخاصة» فكلاهما غير قابل للتحويل إلى ذهب في الوقت الحاضر. وبما أن سعر الذهب كوسيلة للإدخار ينبغي أن يبقى ثابتاً، ومن جهة أخرى يزداد الطلب على الذهب كبضاعة تستعمل في الصناعات وغيرها، فإن الفرق بين قيمة الذهب كوسيلة للإدخار لدى الدول وقيمتها كبضاعة تزداد اتساعاً وانتشاراً. وقد ينتهي الأمر إلى لجوء بعض الدول التي تحتزن كميات كبيرة من الذهب إلى بيعها للحصول على الأرباح.

وفي حالة تناقص دور الدولار كوسيلة للنظام المالي الدولي فإنه لا بد من الإتفاق على إحلال حقوق السحب الخاصة أو بديل آخر كمعيار للنظام الجديد. بل إن بعض الخبراء يطالبون الآن بتقييم العملات بواسطة حقوق السحب الخاصة. ومن المهم الإشارة إلى أن الذهب سيحافظ على دوره في المستقبل القريب على الأقل، وتصبح حقوق السحب الخاصة مرتبطة به كما كان للدولار. غير أن للذهب مشاكله أيضاً. فمن المعلوم أن التبادل التجاري بين الدول قد تضاعف وهو يزداد اتساعاً بينما يجد الكميات المنتجة من الذهب قليلة ولا تكفي لمجاراة مستوى التبادل والنمو والإنتاج.

ويجدر بنا هنا أن نتساءل الآن عما دفع الولايات المتحدة إلى اتخاذ إجراءات أوت 1971، تلك القرارات المتشددة التي أحدثت ضجة في جميع أنحاء العالم، إن الأسباب طبعاً لم تحدث في شهر ولا في سنة، بل ظلت تتراكم لمدة من الزمن، بدأ عجز ميزانية الولايات المتحدة

بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —

في الخمسينات وبلغ أربعة ملايين في سنة 1959. وبدأت رؤوس الأموال الأمريكية تلجأ إلى بلاد أخرى لأن فائدة الاستثمار كانت أعلى منها في الولايات المتحدة، ومما زاد في عجزها عدم رغبتها أو قدرتها على مراقبة الأسعار والتكاليف داخل البلاد، وكذلك تورط أمريكا في حروب عدوانية كلفتها الملايير.

وبينما بلغت التزامات الولايات المتحدة تجاه الدول التي تدخر مبالغ من الدولارات والتي لها الحق في إبدالها بالذهب، بلغت حوالي ستين ملياراً من الدولارات لم يكن موجوداً سوى مقدار عشرة ملايين من الذهب في خزانة واشنطن، ولذلك أعلن نيكسون قراره بعدم صلاحية النظام الجاري وأن الدولار لا يبدل بالذهب.

والخلاصة أن الدول الغربية بصفة خاصة والدول المعنية بصفة عامة تسعى لإنشاء نظام مالي مناسب ومطواع بحيث ينسجم مع كميات التبادل التجاري والاستثمار المتزايد، ويسهل جميع العلاقات والمعاملات الدولية دون التعرض إلى الأزمات كما حدث في الماضي.

19/04/73

بعض عوامل التنمية الاقتصادية



عندما نلاحظ مجرى التطور الحضاري على مستوى عالمي نجد تفاوتاً في حياة الناس الاقتصادية والثقافية، وقد يكون هذا التفاوت على مستوى الأفراد أو الطبقات أو الأمم والأجناس، ونشاهد اليوم هوة تميز ظروف حياة وعمل شخص في دولة مصنعة عن حياة شخص في دولة نامية.

ولا تقتصر آثار هذا التفاوت ونتائجه على نوع السكن والأكل وظروف التعليم والعمل، بل تؤثر أيضاً على نمو الإمكانات والقوى المنتجة، ويؤدي ذلك إلى اتساع الهوة وزيادة التفاوت في مستوى المعيشة لصالح الشخص في الدولة المصنعة.

والتفاوت في درجة النمو الاقتصادي على المستوى الدولي أخطر منه في نفس المجتمع، ونحن نلاحظ اليوم أن الدول المصنعة قد شيدت نظاماً سياسياً واقتصادياً استغلالياً، تصاحبه تكنولوجيا قوية، وتدعمه حضارة تهدف إلى الإبقاء على هذا التفاوت والمساعدة على استغلال الدول النامية.

ولكن التطور التاريخي يبرهن على أن النضال من أجل المساواة والعدالة كان من أقوى العوامل التي أدت إلى تقدم الإنسان، فقد رفض الإنسان أن يظل خاضعاً على مر القرون، وكذلك نلاحظ اليوم تضاعف

المجهودات التي تبذلها المجتمعات النامية من أجل التقدم ومجابهة المشاكل الاقتصادية وتحقيق المطالب الدنيا لهذه المجتمعات (كالقضاء على الاستغلال والضغط الأجنبي والمشاركة في السياسة التي تتعلق بالموارد العامة) شرط ضروري للوصول إلى توازن اقتصادي دولي متكامل، وللتعايش السلمي بين مختلف المجتمعات.

ولا يعني هذا أن الدول النامية تتسبب مشاكلها الخاصة وتجعل هدفها القضاء على التفاوت بينها وبين الدول المصنعة، إن لكل دولة تقاليد وميراثها الحضاري ونظمها الاجتماعية، وقد تختلف مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية عن الدول الأخرى، ولذلك يجب أن يكون الهدف السعي لتحرير القوة الخلاقة في الإنسان وذلك بتحريره من الجهل والفقر والبطالة وتحقيق المساواة والعدالة.

وتلاقي الدول النامية اليوم في محاولاتها لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية تلاقي ضغطاً شديداً وعراقيل مختلفة من قبل الدول المصنعة، ذلك لأن الأنظمة والأوضاع التي تسود العلاقات الدولية تساعد على جعل المجتمعات الغنية أكثر غنى وسيطرة على الأسواق والموارد كما تضعف قدرة الدول النامية على المنافسة والنمو السريع.

ولا مناص للدول المتخلفة اقتصادياً من أن تستعمل وسائل أكثر فعالية إذا أرادت أن تقضي على القوى المستغلة والعراقيل الأجنبية، ذلك لأن مجرد وجود دول أقوى صناعة وأكثر تقدماً في المجالات العلمية كالدول الغربية، يجعل نمو الدول المتخلفة اقتصادياً أبطأ وأصعب.

يمكننا إذاً أن نقسم العوامل والقوى المؤثرة على التنمية الاقتصادية إلى نوعين: الأول ناتج عن الأنظمة التي تسود العلاقات الدولية والثاني العوامل الموجودة داخل الدول النامية نفسها، وهذه الدول لا تستطيع أن تتحكم في النوع الأول، وقد يمكنها أن تستغل بعض الظروف السياسية لفرض إرادتها، ولكنها تستطيع أن تؤثر على العوامل الداخلية وأن توجه القوى المحلية ضمن علاقات جديدة من أجل التقدم والإنتاج والتنمية.

إن التفاوت الكبير بين الدول المصنعة والنامية يستدعي كثيراً من الاهتمام، ولكن ليس من الضروري الانهماك والاقتصار على البحث في الأسباب التاريخية التي أدت إلى الوضع الراهن، بل يجب الاهتمام خاصة بما يمكن عمله لإصلاح هذا الوضع الشاذ.

توجد علاقة وثيقة ومباشرة بين نشاط مجتمع ما الاقتصادي وقدرته على الإنتاج، وبين مستوى المعيشة بهذا المجتمع، وهذا لا يعني تجاهل العوامل الخارجية، أعني الأنظمة التي تسود العلاقات الاقتصادية الدولية، بل هناك تأثير متبادل بينها وبين العوامل الداخلية. فالمهارة في الإنتاج، والمقدرة على تجديد القوى الداخلية، وقدرة المجتمع على التغيير والتلاؤم، إلخ قد تمكن من السيطرة على العوامل الخارجية أو على الأقل الاستفادة منها.

فإذا عجز مجتمع على تحسين فعاليته الإنتاجية فإنه يصعب عليه أن يغير مصيره، لأن العناصر الأساسية في التقدم الاقتصادي هي العوامل الداخلية، ولا يجوز الاستنتاج بأن هناك شعوباً فقيرة لأن

مقدرتها الإنتاجية ضعيفة، ذلك لأن هذه المقدرة مميزة من مميزات كل مجتمع، فهي موجودة ولكنها غير مستغلة، وإذا نحن تَتَبَّعْنَا نمو بعض الدول مثل اليابان والاتحاد السوفياتي قبل وبعد الحرب العالمية الثانية تأكدنا من وجود هذه الكفاءة في جميع المراحل. فالمقدرة على الإنتاج إذا هي صفة للمجتمع وجزء منه، ولا علاقة لوجودها بالقواعد التناسلية للأجناس والأمم، غير أن هذه القدرة تتأثر سلباً وإيجاباً بالظروف التي يعيشها المجتمع وبالمؤسسات التي تنظم حياة الأفراد وأدوارهم داخل هذا المجتمع.

فدور الاستعمار مثلاً في استغلال الشعوب وعرقلتها على التقدم يعوق القدرة الإنتاجية للمجتمعات أو يستغلها ويسوء استعمالها. وبينما غيرت كثير من الدول الحجاب الاستعماري الذي كانت تختفي وراءه لاستغلال الشعوب نجدها اليوم تستعمل طرقاً مختلفة وملتوية لنفس الهدف، غير أن استقلال أكثر دول العالم النامي يمكنها من القيام بثورة داخلية لإيقاظ القوى المنتجة وتنشيط العوامل الاقتصادية الداخلية.

إن الانتقال من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث ومن حالة ركود إلى حالة تطور ومن الإنتاج الضعيف إلى النمو القوي يستدعي تغييراً في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع. فسياسة النمو الاقتصادي تتلخص في القيام بثورة لتغيير المؤسسات والمعتقدات والعلاقات والأنظمة والتقاليد إلخ لأنه لا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

— مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة —

فلا يمكن أن يوجد عمل بدون حركة ولا تقدم بدون تغيير، وأعني
هنا التغيير الإيجابي المفيد الذي يخلق ديناميكية في القوى المنتجة
وينشط ويوقظ القوى والمقدرة الإنتاجية الراكدة.

وبما أنه ليس من السهل إدخال تغييرات جذرية على الأنظمة
المتجمدة والهياكل المألوفة والمعتقدات المسلم بها كان لا بد من ثورة
اجتماعية وسياسية وأخلاقية وعلمية للقيام بالتغيير والمحافظة عليه.

11/06/73

تصور الإنسان لبدنه وتأثير ذلك على تصرفاته

«يستعمل الإنسان بدنه وأعضائه أكثر من أي شيء آخر في محيطه. لكن العلماء لم يكتشفوا إلا حديثاً مدى تأثير الصورة الجسدية، التي يكونها المرء عن نفسه، على تصرفاته ويمكن القول بأن الحضارات التي تحتقر أو تمنع بعض التجارب البدنية تجعل من الصعب تكوين صورة جسدية حقيقية كاملة».

وهل هناك شيء أكثر ملازمة للإنسان من جسمه وأعضائه، قف أمام المرأة لا وقفة عابرة أو بقصد مشط الشعر أو الحلاقة، ولكن لتحقق في عينيك وتتأمل انعكاس شخص خلال المرأة. تأمل ماذا يجول بذهنك عندما تتفحص بعض صورك. هل تتساءل: كيف أبدو للناس؟ هل تدفعك غريزة حب التطلع إلى التفكير في مواطن النقص والكمال والقبح والجمال؟ بل إننا نلاحظ ردود فعل حتى عند بعض الحيوانات عندما ترى نفسها في المرآة.

إن جسدك يحتل مساحة معينة هي ملكك بدون منازع. ومن هذا المركز الاستراتيجي، وسواء كنت مستلقياً، جالساً، راكضاً أو نائماً، تنطلق جميع عملياتك تجاه العالم الخارجي. وهذه النشاطات وردود الأفعال هي المظاهر الخارجية لوجودك والتعبير الواضح عن شخصيتك.

ونحن نتلقى باستمرار بواسطة البدن، وحتى خلال فترات النوم، معلومات ومؤثرات، وما نتخذه من قرارات وما نراه من تخیلات وأحلام وما نقوم به من تصرفات كل ذلك يتأثر بهذه المعلومات وبمختلف الاحساسات التي تنساب خلال البدن.

ومع كل أهمية البدن في حياة الإنسان فإن العلماء لم يشرعوا في إعطائه عناية علمية ودراسة الجسد كظاهرة نفسية إلا منذ حوالي ربع قرن. فمنذ قرون درس العلماء البدن من الناحية البيولوجية والتركيب والصحة والمرض، تاركين الاعتبار النفسية لأهل المعرفة في مجالات أخرى من فلاسفة وكتاب وفنانين.

وتحظى بعض الفلسفات الشرقية بعناية متزايدة من الغرب (مثل اليوغا) لما يقال من أنها تعرف الإنسان على بدنه بتوجيه تركيزه نحو الاحساسات الجسدية. ومن هذا القبيل ما يدعيه متعاطو المخدرات من شعور بأن أجزاء من جسمهم قد انفصلت عنهم، أو فقدان الشعور بالحدود بينهم وبين العالم الخارجي، وما ينتج عن ذلك من الإحساس بالاضمحلال والذوبان في المحيط وهذه تجربة بدنية بجانب كونها نفسية.

ولا يختلف عن ذلك الشخص العادي أو الأمي أو المثقف. فكل فرد يشعر ويعترف بالدور الذي يلعبه بدنه وبما يحيط بذلك من عواطف وانفعالات والتأثير المتبادل بين الجسد والعاطفة. إن الإنسان الطبيعي مهتم بالانطباعات التي يتركها مظهره لدى الآخرين. وهو يبدي تخوفات، وتساوره وساوس عندما يكون بدنه معرضاً للأمراض

والمخاطر. وهو يقوم بحسابات مبنية على قدراته البدنية قبل أن ينازل فلانا أو ينخرط في مغامرة أو يتقبل عملاً ما. ومنذ القدم ما انفك الإنسان يصرف جزءاً من وقته للعناية بجسده، فهو ينظف ويجمال ويكسو ويحلق ويقوم بتمارين رياضية ويحاول إنقاص وزنه أو زيادته إلى غير ذلك، هادفاً إلى اكتساب بدن سليم وقوي. وقد تطورت وازدهرت الصناعات التي تنتج المواد والآلات المستعملة لتجميل البدن وتقويته. وتصرف الملايير سنوياً لجعل الجسد أكثر رونقاً ونظافة، وألطف منظرًا وأطيب رائحة وأقوى جاذبية وشباباً.

ونلاحظ اهتمام الطفل منذ صغره بالتعرف على أعضائه وحسن استعمالها، غير أنه سرعان ما يصطدم، في بعض الحضارات، بتعاليم البالغين ونهيههم وأوامرهم بخصوص المناطق التي يجوز الحديث عنها والتي يمنع الحديث عنها، وما يمكن لمسه أو كشفه وما لا يمكن. وتزداد حيرة الطفل عندما يجد أنه لا يستطيع أن يشاهد النصف الخلفي من جسده بصفة مباشرة.

ويستمر الولد في محاولة تكوين صورة ذهنية حول بدنه، بينما تستمر النصائح والتقاليد تعلمه وتوجهه إلى الابتعاد عن التجارب الجسدية والتركيز على الإمكانات والملكات الذهنية ومراقبة النزعات البدنية. وهكذا تدريجياً يجد الولد نفسه منساقاً إلى تقبل ما يرضى التقاليد والابتعاد عما يفضيها.

ومن بديهي القول أن أعز وأغلى ما يملك الإنسان هو بدنه. وبالرغم من أن المرء يستعمل بدنه وأعضائه أكثر من أي شيء آخر في

حياته، فإن تصويره لبدنه غالباً ما يبقى منحرفاً وناقصاً. وقد قام العلماء بتجارب بينت بأنه عندما يطلب من الشخص العادي أن يصف بعض أعضائه أو يصدر أحكاماً بشأنها فإنه يقع في أخطاء ويبتعد عن الدقة.

ومن جملة ما يزيد في صعوبة وصف الإنسان لبدنه وصفاً دقيقاً التغيير الذي يطرأ عليه من نحافة أو بدانة أو شيخوخة. وأنت عندما تلتقي بصديق بعد مدة طويلة فإنك تقارن بين تلك الصورة التي بقيت عالقة بذهنك منذ خمسة عشر سنة مثلاً وصورة صديقك كما هو أمامك اليوم وهنا تلاحظ فروقاً لا يشعر بها هو بدقة.

وكل إنسان يحمل في مخيلته صورة لبدنه قد تكون هذه الصورة مطابقة للحقيقة أو أكثر أو أقل. ولهذا المفهوم الذي يكونه المرء حول جسمه تأثير كبير على تصرفاته. فالشخص الذي يتصور أن بدنه نحيلاً ضعيفاً متعباً يتصرف بحذر أكثر من الذي يرى في نفسه مثل الخشونة والقوة. ومن الملاحظ أن الشخص الذي يصد عن بدنه لضعف أو قبح به أو نقص أحد أعضائه ينصرف إلى التعويض عادة في النشاط العقلي أو الأعمال الرياضية.

وقد أصبح من المؤكد أن التجارب الجسدية السلبية أو الإيجابية في حياة الفرد تؤثر على تصرفه وتوجه ردود فعله والأحكام التي يصدرها على العالم الخارجي.

أجرى أحد العلماء التجربة التالية في المخبر. أخذ عدداً من

صور الفتيات في لباس السباحة وطلب من عدد من الرجال أن يصنفوها حسب درجة الجمال والجاذبية. أخبرهم بأن دقات قلوبهم ستسجل خلال قيامهم بعملية الانتقاء. وأضاف قائلاً ولكنه، بسبب خلل في جهاز التسجيل سيتمكن كل منهم من سماع نبضات قلبه وهي تسجل. غير أن الخبير عمد إلى الحيلة وأسمع كلاً من الرجال نبضات كانت قد سجلت مسبقاً بقصد التجربة. وكان العالم يغير نبضات القلب عندما تمر أمام الرجل المخبر صورة معينة من صور الفتيات. وجاءت النتيجة كما كان يتوقع. فقد اختار الرجال تلك الصورة التي مرت أمامهم عندما ارتفعت نبضات القلوب المزيفة ووصفوها بأنها أكثر جمالاً وجاذبية. وتؤكد هذه التجربة وتجارب أخرى تشابهها النظرية القائلة بأن تصور الإنسان لما يجري في داخل بدنه يؤثر على أحكامه ويلون نظرتهم لما يجري في العالم الذي يحيط به.

وقد أظهرت تجارب أخرى بأن حكم المرء على مدى بعد الشيء أو قربه قد تختلف تبعاً لما يتصوره من علاقة هذا الشيء بجسده. وأن شعور الإنسان بلطافة الآخرين نحوه كذلك ترتبط بمدى اعتقاده بسلامة بدنه وإحساسه بالأمن تجاههم.

ومن الأشخاص من هو أكثر تركيزاً على منطقة خاصة من جسمه. ووجد العلماء أن كل ناحية من نواحي الجسم يجري التركيز عليها مرتبطة بموضوع صراع نفسي. فالشخص الذي يولي قلبه اهتماماً خاصاً هو شخص شديد الشعور بالذنب، ومن يوجه انتباهه إلى ظهره يشغل نفسه عادة بإظهار العواطف العدائية تجاه من لا يثق

بهم، ومن تشتد حساسيته بالقسم الأيمن من بدنه مقابل القسم الأيسر هو شخص يشعر عادة بالخجل أمام الجنس اللطيف.

ويدل تقدم البحث وتوسع التجارب على أنه أصبح ممكناً معالجة بعض الأمراض النفسية بالتأثير على التجارب البدنية والصور الخيالية للبدن. يمكن للعالم مثلاً أن يغير هذه الصور ويجعل الفرد أكثر شعوراً بجسده وأدق تقويماً لإمكانياته، وأكثر ثقة بحركاته ودفاعه وسلامة ووحدة جسمه إلى غير ذلك. والخلاصة أنه من الحكمة أن يتفقد الإنسان الصورة التي رسمها الخيال عن بدنه ويحاول أن يجعلها أقرب ما أمكن إلى الحقيقة. فقد ثبت بدون ريب مدى تأثير هذه «الصورة البدنية» على تصرفاته. وتزداد إمكانيات نجاح المرء كلما كانت هذه الصورة أكثر واقعية والعكس صحيح.

10-07-72

مشاهدة أفلام الرعب وتأثير ذلك على الجمهور



يقول رأي قديم بأن التمثيل على المسرح يساعد المشاهدين ،
بفعل اندماجهم مع الممثلين والحوادث الجارية على المسرح، على إشباع
بعض انفعالاتهم المكبوتة، دون إحداث ضرر أو المساس بالأمن. ذلك أن
المسرحية بما تثير حوادثها من خوف وشفقة وإغراء، تُطهر المتفرجين
من مثل هذه الانفعالات.

أما اليوم، وقد مكنت دور السينما والتلفزة مئات الملايين من
مشاهدة عمليات العنف، فقد أصبح العلماء والمسؤولون يتساءلون عن
تأثير ذلك على الحياة الاجتماعية.

تقول وجهة نظر بأن مشاهدة عمليات القسوة والوحشية مفيدة
لأنها تطهر نفس المتفرج من نزعة الاعتداء، وتمكنه من إشباع رغبته
في الانتقام ممن تسببوا في فشله، باستعمال خياله، وعن طريق
الاندماج مع ما يجري على الشاشة.

وهناك اتجاه آخر يؤكد بأن أفلام العنف مدرسة للجنوح.
فالمنحرفون يتأثرون بسهولة بما يشاهدون من وحشية على الشاشة.
والشباب ينقاد للمغريات ويميل للتعبير عن انفعالاته بصفة عدوانية
عندما تزين له الأفلام ذلك، تكسوه بمظهر الشهرة والبطولة.

ولجأ بعض العلماء إلى مخابرتهم فبحثوا وجربوا وكان مما استنتجوا:

1 - إمكانية القول بأن مشاهدة أعمال العنف على الشاشة هي أقرب إلى الإغراء بالأعمال العدوانية منها إلى إشباع الميول الاعتدائية لدى الشخص.

2 - أن هناك متضمنات اجتماعية للتجارب التي قاموا بها، تتعلق هذه المتضمنات بالمغزى الأخلاقي الذي يهدف إليه الفيلم.

ويدعى المنتجون لهذا النوع من الأفلام أن الهدف هو إقناع الجمهور بأن عاقبة الاعتداء لا تحمد، وأن المعتدي لا بد أن يلقي جزاءه. ويقولون أن إقبال جمهور المتفرجين على مشاهدة أفلام العنف دليل على تقبلهم لمبدأ العين بالعين والسن بالسن، الذي يطبق على الشاشة. كما أن هذا النوع من القسوة «العادلة» تسمح لهم بالترويج على أنفسهم والتعبير على انفعالاتهم بالاندماج مع القصة.

غير أن الوقائع تظهر بأن مشاهدة عمليات وحشية على الشاشة لا تتوقف عند هذا الحد من البراءة والخيال. إنها كثيراً ما تؤدي إلى نشاطات تضر بالأمن ويذهب ضحيتها الأبرياء. فأفلام العنف وإن كانت توحي بأن المعتدي يدفع ثمن اعتدائه، فإن المغزى الواضح هو أن أعمالاً وحشية تقابل بالقتل والانتقام. ولا يخفى ما في ذلك من تبرير للعنف كوسيلة لحل المشاكل والقضاء على الخصوم.

تعرض قصة على شاشة التلفزة، وهي تشتمل على بطل ومجرم،

أو ظالم ومظلوم، أو سلطة وجماعة متمردة، وبعد الملاحقة والكر والفر وإطلاق الرصاص وتبادل اللكمات، تنتهي القصة بانتصار الحق والعدالة. فليس في هذا، ظاهرياً، ما يشجع المجرم بصفة مباشرة على الاستمرار في عملياته. ولكن الخطر يكمن في أن محتوى الفيلم يرفع معنويات عدد من المشاهدين ممن يظنون أنفسهم مظلومين أو محرومين فيزداد الحماس ويصبح البعض أكثر استعداداً للانتقام.

كما أن مثل هذه الأفلام تفتح مجالات للمنحرفين وتزيد في ميل من لهم ميل أو استعدادات نفسية للقيام بأعمال عدوانية.

ولا يخفى ما لبعض الكتاب من إمكانيات يستثيرون بها خيال المتفرجين، وهم يتفنونون في اختراع الحيل المغرية والمشاهد المؤثرة. وقد سمعنا عن أشخاص قاموا بعمليات عدوانية بعد مشاهدتها على الشاشة.

من ذلك ما نقلته إحدى الجرائد الأمريكية من أن ثلاثة مراقبين قبضوا على طفلة فوضعوا منديلاً في فمها وربطوها إلى شجرة وتركوها.

وأجريت تجارب على الأطفال، عرض في إحداها فيلم كارتون يتضمن مشاهد عنف ووحشية على عدد من الأطفال في سن الخامسة. وبعد الفيلم مباشرة قدمت لهم لعب متنوعة فأظهر الأطفال نشاطات عدوانية أكثر من المعتاد تجاه لعبهم. ونحن نعرف أن الأطفال يقلدون في بعض الأحيان ما يشاهدون على الشاشة كما يقلدون الكبار في حياتهم اليومية.

أما بخصوص البالغين فقد أجريت تجارب منها التالية:

أخذت مجموعتان من العاملات في أحد المستشفيات وعرض على الأولى فيلم يحتوي على مشاهد عنف متعددة وعلى الثانية فيلم خال من أي عنف. وبعد تكرار التجربة مع مجموعات أخرى لاحظ الخبير بأن بعض أفراد المجموعة الأولى كن يظهرن مشاعر عدوانية ويعاملن من يعاكسهن بخشونة خلال فترة قصيرة بعد مشاهدة الفيلم.

وفي تجربة أخرى عرض خبير فيلماً يتضمن حوادث عنف ووحشية على مجموعة من الرجال وترك مجموعة أخرى محايدة من أجل المقارنة. ثم طلب من أفراد المجموعتين إنزال عقوبات على شخص صوّروه لهم بأنه مجرم. وكان العقاب يتمثل في تصويب شحنات كهربائية «للمجرم» المزعوم. وكانت الشحنات الكهربائية لا تصل للشخص الجالس إلى طاولة في نهاية القاعة بل إلى آلة تسجيل. وكانت النتيجة أن وجهت المجموعة التي شاهدت فيلم العنف شحنات أكثر وأقوى قصد إنزال العقوبة بالمجرم.

ويستخلص من ذلك أن نوازع الفرد العدوانية تستمر حتى بعد مشاهدة عمليات عنف، رغم ما قد يحصل عليه المتفرج من متعة. فالنزعة نحو الانتقام لا تزول بمشاهدة حوادث وحشية تمثل على الشاشة. ففي القصة نشاهد شخصاً يقسو على شخص لا علاقة للمتفرج به. كما لا يكفي الإنسان عندما يكون ساخطاً أو غاضباً أن يفرغ سخطه على شخص بريء، إذ لا بد ، لإشباع الرغبة العدوانية، من الانتقام ممن كان سبباً لمتاعبك. وهذا يضعف رأي القائلين بأن مشاهدة العنف تفيد في الإقلال منه أو القضاء عليه.

————— بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —————

ومن جهة أخرى لا يجوز القول بأن كل فيلم يحتوي على مشاهد وحشية هو غير صالح. بل يجب اعتبار نوع العنف ودرجته ومدى تكراره ومغزاه ودرجة ثقافة ونضج المتفرج.

ونحن نلاحظ في الواقع أنه ليس كل شخص يشاهد فيلمًا من هذا النوع يقوم بأعمال عدوانية. فالقصة تثير الميل أو الرغبة ولا يتحول الميل إلى اعتداء إلا إذا وجدت الظروف المساعدة.

إننا نعيش في عالم كثرت فيه الاعتداءات وحاولت فيه الدول القوية استغلال العنف للتسلط على غيرها. وليست حروب الفيتنام والجزائر وغيرها ببعيدة. وقد شاهدت الشعوب الكثير من الأعمال الوحشية على شاشة التلفزيون. شاهدوا المظاهرات والقتل والتدمير. وما زلنا نقرأ عن شرور الأسلحة الفتاكة وقد زاد ذلك من قلق الإنسان إذ أنه أصبح يملك القدرة على تدمير الحياة فوق الكرة الأرضية في ساعات.

02-06-78

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان



فيما يلي نصّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة في 10 ديسمبر عام 1948.

الديباجة: لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم. ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان، لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم.

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرفعي الاجتماعي قُدماً وترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح. ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها. ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا

التعهد، فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه الشعوب والأمم كافة، حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم، والتربية، واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها، وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

المادة الأولى: يُولد جميع الناس أحرارًا متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وُهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة الثانية: لكل إنسان حق التمتع بكل الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز؛ كالتمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي السياسي، أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني، أو الاجتماعي، أو الثروة، أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أي تفرقة بين الرجال والنساء، وفضلاً عما تقدم، فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد، سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلاً، أو تحت الوصاية، أو غير متمتع بالحكم الذاتي، أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة الثالثة: لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة الرابعة: لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويُحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكل أشكالها.

المادة الخامسة: لا يعرّض أي إنسان للتعذيب، ولا للعقوبات، أو المعاملة القاسية، أو الوحشية، أو الحاطة بالكرامة.

المادة السادسة: كل إنسان أينما وجد له الحق في أن يُعترف بشخصيته القانونية.

المادة السابعة: كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة دون أي تفرقة، كما أن لهم جميعاً الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

المادة الثامنة: لكل شخص الحق في أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية لإنصافه من أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون.

المادة التاسعة: لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

المادة العاشرة: لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تُنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظرة عادلة علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية تُوجه إليه.

المادة الحادية عشر: 1- كل شخص متهم بجريمة يُعتبر بريئاً إلى

————— بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —————

أن تثبت إدانته قانوناً بمحاكمة علنية وتؤمن له الضمانات الضرورية للدفاع عنه. 2 - لا يُدان أي شخص من جراء أداء عمل أو الامتناع عن أداء عمل، إلا إذا كان ذلك يُعتبر جُرمًا وفقًا للقانون الوطني أو الدولي وقت ارتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشدّ من تلك التي كان يجوز توقيعهها وقت ارتكاب الجريمة.

المادة الثانية عشرة: لا يعرّض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة، أو أسرته، أو مسكنه، أو مراسلاته، أو مساس بشرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.

المادة الثالثة عشرة: 1 - لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة. 2 - يحق لكل فرد أن يغادر أي بلد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليها.

المادة الرابعة عشرة: 1 - لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى، أو يحاول الالتجاء إليها هرباً من الاضطهاد. 2 - لا ينتفع بهذا الحق من قُدِّم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة الخامسة عشرة: 1 - لكل فرد حق التمتع بجنسية ما. 2 - لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها.

المادة السادسة عشرة: 1 - للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج، حق الزوج وتأسيس أسرة، ولهما حقوق متساوية عند الزواج، وفي أثناء

قيامه وعند انحلاله. 2 - لا يُبرم عقد الزواج إلا برضاء الطرفين الراغبين في الزواج رضاءً كاملاً لا إكراه فيه. 3 - الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة السابعة عشرة: 1 - لكل شخص حق التملك بمفرده، أو بالاشتراك مع غيره. 2 - لا يجوز تجريد أحد من ملكيته تعسفاً.

المادة الثامنة عشرة: لكل شخص الحق في حرية التفكير، والضمير، والدين، ويشمل هذا الحق حرية: تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم، والممارسة، وإقامة الشعائر والطقوس، ومراعاتها، سواء أكان ذلك سرّاً أم مع الجماعة.

المادة التاسعة عشرة: لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.

المادة العشرون: 1 - لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية. 2 - لا يجوز إرغام أحد على الانضمام إلى جمعية ما.

المادة الحادية والعشرون: 1 - لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يُختارون اختياراً حراً. 2 - لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد. 3 - إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة

الحكومة، ويُعبّر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تُجرى على أساس الاقتراع السري، وعلى قدم المساواة بين الجميع، أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

المادة الثانية والعشرون: 1 - لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمان الاجتماعي، وفي أن تُحقّق، بوساطة المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحرّ لشخصيته.

المادة الثالثة والعشرون: 1 - لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له حق الحماية من البطالة. 2 - لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر مساو للعمل. 3 - لكل فرد يقوم بعمل، الحق في أجر عادل مُرضٍ يَكْفُلُ له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان تضاف إليه عند اللزوم، وسائل أخرى للحماية الاجتماعية. 4 - لكل شخص الحق في أن ينشئ نقابات وينضم إليها حماية لمصلحته.

المادة الرابعة والعشرون: 1 - لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية، والملبس، والسكن، والعناية الطبية، وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة، وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته. 2 - للأمومة والطفولة الحق

في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم شرعية أم غير شرعية.

المادة الخامسة والعشرون: لكل شخص الحق في مستوى معيشي مناسب لصحته ومصلحته ومصلحة أسرته بما في ذلك الطعام والملبس والسكن والرعاية الطبية والخدمات الاجتماعية الضرورية، والحق في التأمين في حالات البطالة والمرض والتعويق والترمل والتقدم في السن وغير ذلك، مما يصيبه من افتقار إلى العيش بسبب ظروف أقوى مما يستطيع التغلب عليها.

المادة السادسة والعشرون: 1 - لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً، وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن يُيسر القبول بالتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة. 2 - يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماءً كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام. 3 - للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم.

المادة السابعة والعشرون: 1 - لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي، وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم والاستفادة من نتائجه. 2 - لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني.

————— بحوث ومقالات من فضاء السبعينات —————

المادة الثامنة والعشرون: لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي، تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحقّقاً تامّاً.

المادة التاسعة والعشرون: 1 - على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يُتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نمواً حراً كاملاً. 2 - يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامه، ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي. 3 - لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة الثلاثون: ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أن يخوّل لدولة، أو جماعة، أو فرد أي حق في القيام بنشاط، أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه.

سلسلة عالم الثقافة

قلائد الذهب
في الحكمة والأدب
أضواء على مسرح الحياة
الرحلة
منارات من الأدب العالمي
الحكم والمواعظ
على السنة الحيوانات
بحوث ومقالات
من فضاء السبعينات
بقلم
الأزرق بن علو

مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة
(الجزء الثاني)

مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة
(الجزء الأول)

بحوث ومقالات

من فضاء السبعينات

الحكم والمواعظ

على السنة الحيوانات

المختصر المفيد

أضواء

على مسرح الحياة

كلمات نتمش الحياة

الشعر والحياة

حصاة الأيام

إدب .. فلسفة .. تاريخ

الإنسان والقلق

نحات من الأدب العالمي

الرحلة

[أساطير . تاريخ . أدب . حكايات]

منارات

في رحاب الأدب العالمي

قلائد الذهب

في الحكمة والأدب



نُبذة عن المؤلف

ولد الأزرق بن علو في الجزائر، وحصل على:

- ليسانس في العلوم الاجتماعية من جامعة بلغراد (1961).
- ماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية بواشنطن (1966).
- عضو البعثة الدبلوماسية الجزائرية في واشنطن (1971 - 1964).
- مراسل جريدة الشعب الجزائرية في واشنطن (1975 - 1972).
- موظف بمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة في روما منذ (1979).

■ من مؤلفاته :

- ◆ كلمات تنعش الحياة.
- ◆ الشعر والحياة.
- ◆ حصاد الأيام (أدب . فلسفة . تاريخ) .
- ◆ الإنسان والقلق .
- ◆ نفحات من الأدب العالمي .
- ◆ الرحلة (أساطير - تاريخ - أدب - حكايات) .
- ◆ منارات في رحاب الأدب العالمي .
- ◆ قلائد الذهب في الحكمة والأدب .
- ◆ أضواء على مسرح الحياة .
- ◆ المختصر المفيد .
- ◆ الحكم والمواعظ على أسنه الحيوانات .
- ◆ بحوث ومقالات من فضاء السبعينات .
- ◆ مقتطفات من سلسلة عالم الثقافة (جزء أول) .

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة

المالك والمدير العام العقيد شيرين ثابت



16 عمارات العبور - الدور الثالث - شارع صلاح سالم - مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس 02/ 22621365 تليفون 02/ 24025777

محمول 002/ 01223140315

E-mail: modern_qubaa@hotmail.com info@qubaaelhadetha.com

www.qubaaelhadetha.com